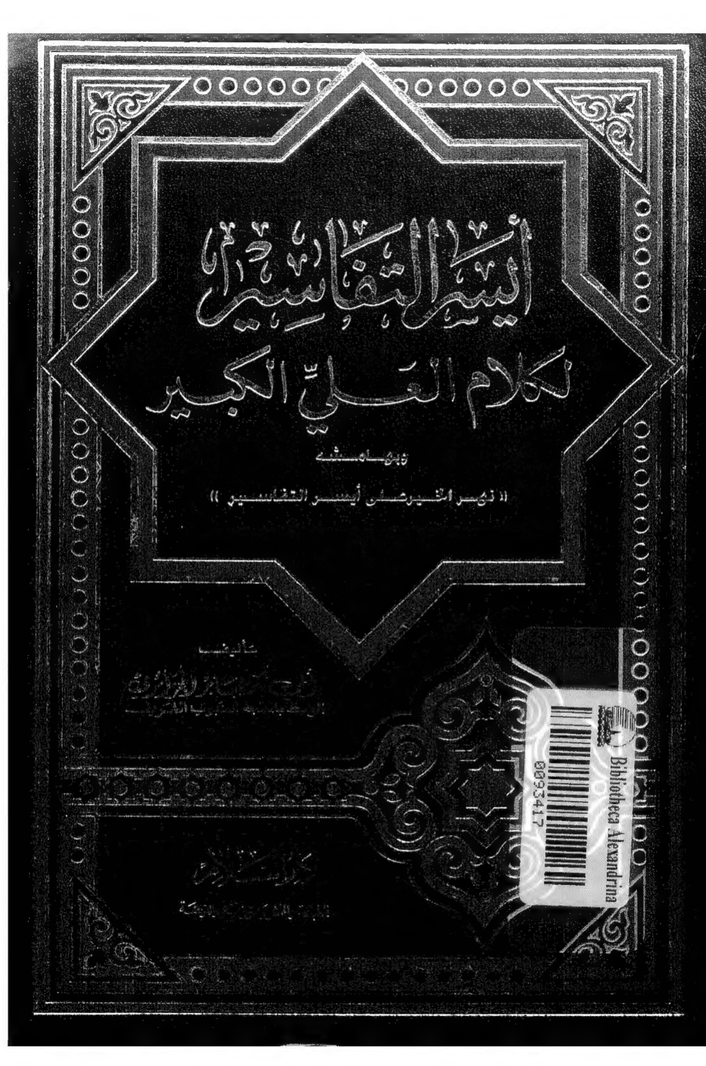

أيسر التفاسير
لكلام العلي الكبير
وبهامشه
« نهر الخير على أيسر التفاسير »
تأليف
Bibliotheca Alexandrina
0093417

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION & DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578

دار السلام
١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨

أيسر التفاسير

لكلام العلي الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الثالث

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



للناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

مصر - القاهرة ١٢٠ شارع الأزهر ص.ب ١٦١ الغورية
ت: ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)

بالاتفاق مع
مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة
صاحبة الحقوق

رقم الإيداع ٩٤/٣٧١١
I.S.B.N.
977 - 5146 - 08 - 9

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكيـــة

وآياتها ثلاث وأربعون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرٰ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الٓمٓرٰ : هذه الحروف المقطعة تكتب آلمر وتُقرأ ألف لاَمْ مِيمْ را. والله أعلم بمرادها.

بغير عمد ترونها : العمد جمع عمود أي مرئية لكم إذ الجملة نعت.

ثم استوى على العرش[1] : استواء يليق به عز وجل.

وسخر الشمس والقمر : أي ذلّلها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها.

هو الذي مد الأرض : أي بسطها للحياة فوقها.

رواســــى : أي جبال ثوابت.

زوجين اثنين : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلا.

يغشى الليل النهار : أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء.

لآيــات : أي دلالات على وحدانية الله تعالى.

قطـع متجـاورات : أي بقاع متلاصقات.

ونخيـل صـنوان : أي عدة نخـلات في أصل واحد يجمعها، والصنو الواحد والجمع صنوان.

في الأكــل : أي في الطعم هذا حلو وهذا مرّ وهذا حامض، وهذا لذيذ وهذا خلافه.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿الٓمٓرٰ﴾ الله أعلم بمراده به. وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الإشارة إلى ما جاء من قصص سورة يوسف، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل فمن جملة آياتها ما قص الله تعـالى على رسـولـه. وقـولـه: ﴿والذي[2] أنزل إليك من ربك﴾[3] وهو القرآن العظيم ﴿الحق﴾ أي هو الحق الثابت. وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي مع أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق فإن أكثر الناس من قومك وغيرهم لا يؤمنون بأنه وحي الله وتنزيله فيعملوا به فيكملوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد[4]

---

(١) عقيدة السلف في هذه الصفة: وجوب الإيمان بها وإمرارها كما ذكرها تعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، وكذا سائر صفاته عزّ وجلّ.

(٢) يصح أن تكون الواو عاطفة صفة على أخرى، أي: عطفت الذي على الكتاب فالموصول في محل جرّ نعت للكتاب، وهو نظير قول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

ويكون المعنى: تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك والحق: مرفوع على أنه خبر لمبتأ محذوف تقديره: هو الحق. وما في التفسر واضح قال به مجاهد وقتاده.

(٣) قال مقاتل: نزلت هذه الآية رداً على المشركين القائلين: إنّ محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه.

(٤) في الآيات استدلال بقدرة الله وعلمه وحكمته على أن القرآن الكريم وحيه أوحاه إلى رسوله وتنزيله أنزله عليه ليس كما يدّعي المشركون

ترونها﴾: أي أن إلهكم الحق الذي يجب أن تؤمنوا به وتعبدوه وتوحدوه الله الذى رفع السموات على الأرض بغير عمد مرئية لكم ولكن رفعهابقدرتهوبما شاء من سنن. وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي خلق السموات والأرض ثم استوى على عرشه استواء يليق بذاته وجلاله يدبر أمر الملكوت وقوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما بعد خلقهما يسيران في فلكهما سيراً منتظماً إلى نهاية الحياة، وقوله ﴿كل يجري﴾ أي في فلكه فالشمس تقطع فلكها في سنة كاملة والقمر في شهر كامل وهما يجريان هكذا إلى نهاية الحياة الدنيا فيخسف القمر وتتكدر الشمس وقوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي يقضي ما يشاء في السموات والأرض ويدبر أمر مخلوقاته بالإماتة والاحياء والمنع والإعطاء كيف يشاء وحده لا شريك له في ذلك. وقوله: ﴿يفصل الآيات﴾ أي القرآنية بذكر القصص وضرب الأمثال وبيان الحلال والحرام كل ذلك ليهيئكم ويعدكم للإيمان بلقاء ربكم فتؤمنوا به وتعبدوا الله وتوحدوه في عبادته فتكملوا في أرواحكم وأخلاقكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم. وقوله تعالى: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾[1] أي بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى فيها أنهاراً ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي نوعين وضربين فالرمان منه الحلو ومنه الحامض والزيتون منه الأصفر والأسود، والتين منه الأبيض والأحمر وقوله: ﴿يغشى الليل النهار﴾ أي يغطي سبحانه وتعالى النهار بالليل لفائدتكم لتناموا وتستريح أبدانكم من عناء النهار. وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور في هذه الآية الكريمة من مد الأرض وجعل الرواسي فيها واجراء الأنهار، وخلق أنواع الثمار واغشاء الليل النهار، في كل هذا المذكور ﴿لآيات﴾ أي علامات ودلائل واضحات على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته وعلى وجوب عبادته وتوحيده وعلى الإيمان بوعده ووعيده، ولقائه وما أعد من نعيم لأوليائه وعذاب لأعدائه، وقوله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾[2] أي بقاع من الأرض بعضها إلى جنب بعض متلاحقات هذه تربتها طيبة وهذه تربتها خبيثة ملح سبخة وفي الأرض أيضاً جنات أي بساتين من

---

(١) لمّا ذكر تعالى آياته الكونية في السماء ذكر آياته الكونية في الأرض استدلالا بها على قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وعبادته دون سواه.

(٢) أي: وأخرى غير متجاورات فحذفت على حدّ قوله: ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾ حيث حذف المقابل وهو: تقيكم البرد.

أعناب وفيها زرع ونخيل ﴿صنوان﴾[1] النخلتان والثلاث في أصل واحد، ﴿ وغير صنوان﴾ كل نخلة قائمة على أصلها، وقوله: ﴿تسقى﴾ أي تلك الأعناب والزروع والنخيل ﴿بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾[2] وهو ما يؤكل منها فهذا حلو وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا سمج، وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من القطع المتجاورات مع اختلاف الطيب وعدمه وجنات الأعناب والنخيل وسقيها بماء واحد واختلاف طعومها وروائحها وفوائدها ﴿لآيات﴾[3] علامات ودلائل باهرات على وجوب الإيمان بالله وتوحيده ولقائه، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أما الذين فقدوا عقولهم لاستيلاء المادة عليها واستحكام الشهوة فيها فإنهم لا يدركون ولا يفهمون شيئاً فكيف إذاً يرون دلائل وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته فيؤمنون به ويعبدونه ويتقربون إليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير عقيدة الوحي الإلهي ونبوة محمد ﷺ.

٢ـ تقرير عقيدة التوحيد وأنه لا إله إلا الله.

٣ـ تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا.

٤ـ فضيلة التفكر في الآيات الكونية.

٥ـ نفضيلة العقل للاهتداء به إلى معرفة الحق واتباعه للإسعاد والإكمال.

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ

---

(١) الصنو: المثل، ومنه الحديث: (عمّ الرجل صنو أبيه) ولا فرق بين التثنية والجمع في: (صنوان) إلاّ بكسر نون المثنى، وتنوين نون الجمع، فتقول: هذان صنوان وهؤلاء صنوان.

(٢) كالدقل والحلو والحامض، وبنو آدم كذلك الأصل واحد والخلاف قائم هذا مؤمن وهذا كافر، هذا صالح وهذا فاسد، كما قال الشاعر:

الناس كالنبت والنبت ألوان   منها شجر الصندل والكافور والبان
ومنها شجر ينضح طول الدهر قطران

(٣) في هذه الآيات دلائل الوحدانية وعظم الصمدية والإرشاد لمن ضل عن معرفته حيث نبّه تعالى بقوله: ﴿متجاورات﴾ ومع تجاورها قطعة عذبة وأخرى ملحة، قطعة طيّبة وأخرى خبيثة كما أنّ التربة واحدة، وتسقى بماء واحد وتختلف طعوم الثمار وألوانه وخصائصه ومنافعه فهذا لن يكون صادراً إلاّ عن ذي قدرة لا تُحدّ وعلم لا ينتهي وحكمة لا يخلو منها شيء، وهو الله تعالى، وأين الطبيعة العمياء الصماء التي لا علم لها ولا إرادة من الله خالق كل شيء العليم بكل شيء؟

جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾

شـرح الكلمـات :

وإن تعجب : أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.

فعجب : أي فاعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة الحجج.

لفي خلق جديد : أي نرجع كما كنا بشراً أحياء.

الأغلال في أعناقهم : أي موانع من الإيمان والاهتداء في الدنيا، وأغلال تشد بها أيديهم إلى أعناقهم في الآخرة.

بالسيئة : أي بالعذاب.

قبل الحسنة : أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب.

المثلات : أي العقوبات واحدها مَثُلة التي قد أصابت المكذبين في الأمم الماضية.

لولا أنزل عليه : أي هلاَّ أنزل، ولولا أداة تحضيض كهلاَّ.

آية من ربه : أي معجزة كعصا موسى وناقة صالح مثلاً.

ولكل قوم هاد : أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركون به غيره.

ما تحمل كل أنثى : أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أكثر أبيض أو أسمر

وما تغيض الأرحام : أي تنقص من دم الحيض، وما تزداد منه.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى الإيمان بالتوحيد والنبوة المحمدية والبعث يوم القيامة للحساب والجزاء، فقوله تعالى في الآية الأولى (٥) ﴿وإن تعجب﴾[1] يا نبينا من عدم إيمانهم برسالتك وتوحيد ربك فعجب أكبر هو عدم إيمانهم بالبعث الآخر، إذ قالوا في إنكار وتعجب: ﴿أئذا متنا[2] وكنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾ أي يحصل لنا بعد الفناء والبلى؟ قال تعالى مشيراً إليهم مسجلاً الكفر عليهم ولازمه وهو العذاب ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال[3] في أعناقهم﴾ وهي في الدنيا موانع الهداية كالتقليد الأعمى والكبر والمجاحدة والعناد، وفي الآخرة أغلال توضع في أعناقهم من حديد تشد بها أيديهم إلى أعناقهم، ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي ماكثون أبداً لا يخرجون منها بحال من الأحوال.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٦) ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ يخبر تعالى رسوله مقرراً ما قال أولئك الكافرون بربهم ولقائه ونبي الله وما جاء به، ما قالوه استخفافاً واستعجالاً وهو طلبهم العذاب الدنيوي، إذ كان الرسول ﷺ يخوفهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فهم يطالبون به كقول بعضهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾، قبل طلبهم الحسنة وهذا لجهلهم وكفرهم، وإلا لطالبوا بالحسنة التي هي العافية والرخاء والخصب قبل السيئة التي هي الدمار والعذاب.

---

(١) أصل التعجب: تغير النفس بما تخفى أسبابه، والمخاطب في هذا الرسول ﷺ والمؤمنون تابعون له.

(٢) مثل هذا الاستفهام وقع في تسع سور من القرآن في أحد عشر موضعاً ومن القرّاء من استفهم في الموضعين أئذا كنا تراباً أئنا لمبعوثون ومنهم من استفهم في موضع واحد، فمن استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار فأتى به في الجملة الأولى وأعاده في الثانية تأكيداً له ومن أتى به مرّة واحدة لحصول المقصود به لأنّ كل جملة مرتبطة بالثانية فإذا أنكر في إحداهما حصل الإنكار في الأخرى (أفادهُ الجمل).

(٣) الأغلال: جمع غل وهو طوق من حديد تشدّ به اليد إلى العنق.

وقوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾[1] أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعاداً لها واستخفافاً بها أين ذهبت عقولهم؟ وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس[2] على ظلمهم﴾ وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة، وقوله: ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتق ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة: ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح، حتى نؤمن بنبوته ونصدق برسالته، فيرد تعالى عليهم بقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ والمنذر المخوف من العذاب وليس لازماً أن تنزل معه الآيات، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم[3] هادياً وأنت هادي هذه الأمة، وداعيها إلى ربها فادع واصبر.

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى﴾[4] أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أثنين أبيض أو أسمر سعيداً أو شقياً، وقوله: ﴿وما تغيض[5] الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض[6] وما تزداد منها إذ غيضها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

---

(١) المثلات: جمع مثلة، وهي العقوبة نحو: صدُقة وصدُقات، وتضم الميم وتسكن الثاء مثْلة كغرفة والجمع مُثل كقُرب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثالاً تمثل بها العقوبات.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله، قال سعيد بن المسيّب، لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ (لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحداً عيشه ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد).

(٣) هادي كل امة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريوهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء.

(٤) قال القرطبي: من ذكر أو أنثى: صَبيحٌ أو قبيح صالح أو طالح. وقوله: ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان، وهو كذلك.

(٥) العادة أنّ انحباس الحيض دال على العلوق أي: الحمل، وفيضان الدم دال على عدم الحمل، وتفسير الآية بهذا حسن، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم، لانشغال الرحم بالعلقة ثمّ بالجنين، وماتزداد من الدم حتى يفيض عنها، ويخرج، وهو دم من لا حمل لها. وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح.

(٦) استدل بالآية من قال: الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة. والجمهور على أنها تحيض كما استدل بها كل من قال: الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات، وهو الجمهور، وخالف الظاهرية في ذلك.

ولا حال، ولا زمان ولا مكان، وقوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي كل ما غاب عن الخلق، وما لم يغب عنهم مما يشاهدونه أي العليم بكل شيء، وقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ أي الذي لا أكبر منه وكل كبير أمامه صغير المتعال على خلقه المنزه عن الشريك والشبيه والصاحبة والولد هذا هو الله وهذه صفاته فهل يليق بعاقل أن ينكر استحقاقه للعبادة دون سواه؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر عليه أن يوحي بما شاء على من يشاء من عباده؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر على من هذه قدرته وعلمه أن يحيي العباد بعد أن يميتهم ليسألهم عن كسبهم ويحاسبهم عليه ويجزيهم به؟ اللهم لا إذاً فالمنكرون على الله ما دعاهم إلى الإيمان به لا يعتبرون عقلاء وإن طاروا في السماء وغاصوا في الماء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير أصول العقيدة الثلاثة: التوحيد والنبوة البعث والجزاء الآخر.

٢ـ صوارف الإيمان والتي هي كالأغلال هي التقليد الأعمى، والكبر والعناد.

٣ـ عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه.

٤ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

وسارب بالنهار	: أي ظاهر في سربه أي طريقه.
له معقبات	: أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار.
من أمر الله	: أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره.
لا يغير ما بقوم	: أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب.
ما بأنفسهم	: من طهر وصفاء بالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام.
وما لهم من دونه من وال	: أي وليس لهم من دون الله من يلي أمرهم فيدفع عنهم العذاب.
من خيفته	: أي من الخوف منه وهيبته وجلاله.
وهو شديد المحال	: أي القوة والمماحلة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر جلال الله وعظيم قدرته وسعة علمه، قال تعالى في هذه الآية: ﴿سواء منكم[1] من أسر القول ومن جهر به﴾ فالله يعلم السر والجهر وأخفى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ يمشي في ظلامه ومن هو ﴿سارب بالنهار﴾ أي يمشي في سربه[2] وطريقه مكشوفاً معلوماً لله تعالى، وقوله تعالى: ﴿له معقبات[3] من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

(١) هذه الآية كالنتيجة لما تقدم من الدلائل على علم الله وقدرته وحكمته الموجبة لألوهيته وفيها تعريض بالمشركين المتآمرين على قتل النبي ﷺ أو أذيته، وسواء: بمعنى مستو، وهو اسم يكون بين شيئين كالسر هنا والجهر أي: مستوى عنده السر والجهر.

(٢) السَّرب: بفتح السين وسكون الراء: الطريق، والسارب: اسم فاعل من سرب إذا ذهب.

(٣) جمع معقبة وهو مأخوذ من العقب الذي هو مؤخر الرجل فكل من اتبع آخر فقد تعقبه فهو متعقِّب له، وعقبه يعقبه فهو عاقب له: إذا جاء بعده، والمعقبات هنا: الملائكة لحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل وهكذا.

أمر الله﴾ جائز أن يعود الضمير في «له» على من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، فيكون المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة الذين يحرسون السلطان من أمر الله تعالى في نظرهم، ولكن إذا أراده الله بسوء فلا مرد له وماله من دون الله من وال يتولى حمايته والدفاع عنه، وجائز أن يعود على الله تعالى ويكون المراد من المعقبات الملائكة الحفظة[1] والكتبة للحسنات والسيئات ويكون معنى من أمر الله[2] أي بأمره تعالى وإذنه، والمعنى صحيح في التوجيهين للآية وإلى الأول ذهب ابن جرير وإلى الثاني ذهب جمهور المفسرين، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيل نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات، وقوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه إذا أراد بقوم أو فردٍ أو جماعة سوءاً ما أي ما يسوءهم من بلاء وعذاب فلا مرد له بحال من الأحوال بل لابد وأن يمسهم، ولا يجدون من دون الله من وال يتولى صرف العذاب عنهم، أما من الله تعالى فإنهم إذا أنابوا إليه واستغفروه وتابوا إليه فإنه تعالى يكشف عنهم السوء ويصرف عنهم العذاب، وقوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾ من الصواعق من جهة وطمعاً في المطر من جهة أخرى ﴿وينشيء السحاب الثقال﴾ أي وهو الذي ينشيء[3] أي يبدء السحاب الثقال الذي يحمل الأمطار ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾[4] أي وهو الذي يسبح الرعد بحمده وهو ملك موكل بالسحاب يقول:

---

(١) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبد يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلّوا عنه والكتبة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٢) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله سبحانه وتعالى جعل أوامره على وجهين. أحدهما: قضى وقوعه وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضى مجيئه ولم يقض حلوله ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة.

(٣) إنشاء السحاب: تكوينه من عدم بإثارة الأبخرة التي تتجمع سحاباً، والسحاب اسم جمع لسحابة، وسميت سحابة لأنها تسحب من مكان إلى مكان.

(٤) الباء للملابسة: أي يسبّح الله تسبيحاً ملابساً لحمده، والتسبيح، التنزيه.

سبحان الله وبحمده، وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾[1][2] أي خيفة الله وهيبته وجلاله فهي لذلك تسبحه أي تنزهه عن الشريك والشبيه والولد بألفاظ يعلمها الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله﴾[3] أي في وجوده وصفاته وتوحيده وطاعته ﴿وهو شديد المحال﴾[4] هذه الآية نزلت فعلاً في رجل[5] بعث إليه رسول الله ﷺ من يدعوه إلى الإسلام فقال الرجل الكافر لمن جاء من قبل رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فنزلت عليه صاعقة أثناء كلامه فذهبت بقحف رأسه، ومعنى شديد المحال أي القوة والأخذ والبطش.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ سعة علم الله تعالى.

٢ـ الحرس والجلاوزة لمن يستخدمهم لحفظه من أمر الله تعالى لن يغنوا عنه من أمر الله شيئاً.

٣ـ تقرير عقيدة أن لكل فرد ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار منهم الكرام الكاتبون، ومنهم الحفظة للإنسان من الشياطين والجان.

٤ـ بيان سنة أن النعم لا تزول إلا بالمعاصي.

٥ـ استحباب قول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عند سماع الرعد لورود ذلك عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة.

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا

---

(١) والملائكة تسبح أيضاً من خوف الله تعالى.

(٢) ﴿من خيفته﴾ من: تعليلية أي: لأجل الخوف منه تعالى.

(٣) ﴿يجادلون﴾: المفعول محذوف تقديره: يجادلونك وأتباعك المؤمنين في شأن توحيد الله تعالى و ته ونبوة رسوله ﷺ.

(٤) (المحال) إن كان من الحول والميم زائدة فهو بمعنى شديد القوى، وإن كانت الميم أصلية فالمحال بكسر الميم فهو فِعال بمعنى الكيد، وفعله محل وتمحّل إذا تحيّل، إذ المجادلون كانوا يتحيلون في أسئلتهم، فأعلمهم الله أنه أقوى منهم، وأشد كيداً منهم

(٥) قيل نزلت في يهودي، وقيل: في أربد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وقد هلك أربد بصاعقة نزلت به، وهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول.

كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

شـرح الكلمـات :

له دعوة الحـق : أي لله تعالى الدعوة[1] الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو.

ليبلـغ فاه : أي المـاء فمه.

إلا في ضلال : أي في ضياع لا حصـول منه على طائل.

بالغدو والآصال : أي بالبُكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقـرير عقيدة التـوحيد بالأدلـة والبراهين، قال تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ أي لله سبحانه وتعالى الدعوة الحق وهي أنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، أما غيره فإطلاق لفظ الإله إطلاق باطل، فالأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله إطلاق لفظ إله عليه إطلاق باطل، والدعوة إلى عبادته باطلة، أما الدعوة الحق فإنها لله وحده.

وقوله تعالى: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي من دون الله من سائر المعبودات ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ أي لا يجيبونهم بإعطائهم شيئاً مما يطلبون منهم ﴿إلا كباسط

(١) أي: الدعوة الصدق لله تعالى لأنه هو الذي يستجيب ويعطي السؤال وأما دعوة الأصنام، فإنها دعوة كذب وباطل، فإطلاق الإله على الله إطلاق حق وصدق، وإطلاق إله على صنم أو مخلوق فهو إطلاق كذب وباطل.

كفيه إلى الماء﴾[1] أي إلا كاستجابة[2] من بسط يديه أي فتحهما ومدهما إلى الماء والماء في قعر البئر فلا كفاه تصل إلى الماء ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان ويظل كذلك حتى يهلك عطشاً، هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران وهو معنى قوله تعـالى ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[3] أي بطلان وخسران، وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات﴾ أي الملائكة ﴿والأرض﴾ أي من مؤمن يسجد طوعاً، ومنافق أي يسجد كرها،[4] ﴿وظلالهم﴾ تسجد أيضاً ﴿بالغدو﴾ أوائل النهار، ﴿والآصال﴾[5] أواخر النهار. ومعنى الآية الكريمة: إذا لم يسجد الكافرون أي لم ينقادوا لعبادة الله وحده تعالى فإنَّ لله يسجد من في السمـاوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس المؤمنـون يسجـدون طائعين والكافرون يسجدون إذا أكرهوا على السجود والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم منقادون لقضاء الله تعالى وحكمه فيهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال فهو الذى خلقهم وصورهم كما شاء ورزقهم ما شاء ويميتهم متى شاء فأي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا؟ وقوله تعالى: ﴿قل من رب السماوات والأرض﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما؟ وأمر رسوله أن يسبقهم إلى الجواب ﴿قل الله﴾ إذ لا جواب لهم إلا هو، وبعد أن أقروا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخاً مقرعاً ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾[6] أي شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فضلاً عن أن يملكوا لكم نفعاً أو يدفعون عنكم ضراً فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿هل يستوى الأعمى

---

(١) ضرب الله تعالى هذا المثل المائي لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء باليد، قال الشاعر:

فأصبحت فيما كان بيني وبينها   من الودّ مثل القابض الماء باليد

(٢) هذا التفسير مروي عن علي رضي الله عنه.

(٣) الضلال: التلف والضياع، والجملة: بيان لخيبة المشركين في عبادة أصنامهم ودعائها وتقرير لخسرانهم.

(٤) وكافر يسجد بخضوعه لأحكام الله تعالى الجارية عليه ولا يقدر على ردّها من غِنى وفقر، وصحة ومرض وسعادة وشقاوة.

(٥) الآصال: جمع أصل: وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وجمع الجمع أصائل.

(٦) الاستفهام للتوبيخ والتقرير.

والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور[1]﴾؟ والجواب قطعاً لا إذاً فكيف يستوى المؤمن والكـافر، وكيف يستوي الهدى والضلال، فالمؤمن يعبد الله على بصيرة على علم أنه خالقه ورازقه يعلم سره ونجواه يجيبه إذا دعاه أرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقاً من مخلوقات الله لا تملك لنفسها فضلاً عن عابديها نفعاً ولا ضراً لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع له من عبادات وبما طلب منه من طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك سبيل الغيّ في الحياة.

وقوله: ﴿أم[2] جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ أي بل جعلوا لله شركاء فخلقت تلك الشركاء مخلوقات كخلق الله فتشابه الخلق على المشركين فعبدوها ظناً منهم أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق ولا تستطيع خلق ذبابة فضلاً عن غيرها إذاً فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئاً، وقوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل[3] شيء وهو الواحد القهار﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئاً قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مِثْلَ، القهـار لكل جبار والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ دعوة الحق لله وحده فهو المعبود بحق لا إله غيره ولا رب سواه.

٢ـ حرمان المشركين من دعائهم وسائر عباداتهم.

٣ـ الخلق كلهم يسجدون لله طوعاً أو كرهاً إذ الكل خانع خاضع لحكم الله وتدبيره فيه.

---

(١) أم: للاضـراب الإنتقالي من قضية إلى أخرى واختيار العمى والبصر والنور والظلمات لبيان انّ حال المؤمنين وحال الكافرين في تضاد فالمؤمنون مبصرون يمشون في النور، والكافرون عمي يمشون في الظلمات.

(٢) هذا من تمـام الاحتجاج والاستفهام للاضراب الانتقالي، وهو للتهكم بالمشركين، فالمعنى: لو جعلوا لله شركاء يخلقون فخلقوا كما يخلق الله فتشابه الخلق عليهم لكانوا معذورين ولكنهم لم يخلقوا ولن يخلقوا.

(٣) في الآية رد على الملاحدة الشيوعيين الذين ينكرون وجود الله جل جلاله ورد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم والله يقول: ﴿والله خالق كل شيء﴾ فلا يخرج شيء عن كونه مخلوقاً لله تعالى.

٤ـ مشروعية السجود للقارىء والمستمع إذا بلغ هذه الآية ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ ويستحب أن يكون طاهراً مستقبلاً القبلة، ويكبر عند الخفض والرفع ولا يسلم.

٥ـ بطلان الشرك إذ لا دليل عليه من عقل ولا نقل.[1]

٦ـ وجوب العبادة لله تعالى.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

شـرح الكلـمات :

فسالت أودية بقدرها : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها.

زبـداً رابيـاً : أي غثاء عالياً إذ الزبد هو وَضَرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار.

ومما يوقدون عليه في النار : أي كالذهب والفضة والنحاس.

ابتغاء حلية أو متاع[2] : أي طلباً لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني.

زبد مثـــله : أي مثل زبد السـيل.

فأمـا الزبــد : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار.

---

(١) إذ العقل لا يجيز عبادة مخلوق مربوب لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره موتاً ولا حياة بل ولا ضراً ولا نفعاً والنقل حرّم الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي والجلي قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ من الشرك والشركاء.

(٢) ﴿ابتغاء﴾: مفعول لأجله، والحلية: ما يتحلى به، أي يتزيّن، والمتاع ما يتمتع به وينتفع.

فيذهب جفـاء[1] : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غثاء ووضر لا خير فيه.
فيمكث في الأرض : أي يبقى في الأرض زمناً ينتفع به الناس.
للذين استجابوا لربهم الحسنى: أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة.
لم يستجيبوا : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه.
لافتـدوا بـه : أي من العـذاب.
سـوء الحسـاب : وهي المؤاخذة بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء.
وبئس المهـاد : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالكفر والشرك ففي هذه الآية الكريمة ضرب الله تعالى مثلاً للحق والباطل، للحق في بقائه، والباطل في اضمحلاله وتلاشيه فقال: ﴿أنزل﴾ أي الله ﴿من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾[2] أي بحسب كبرها وصغرها لأن الوادي قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً، فاحتمل السيل أي حمل سيل الماء في الوادي زبداً رابياً أي غثاء ووضراً عالياً على سطح الماء، هذا مثل مائي، ومثل ناري قال فيه عز وجـل: ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾[3] أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلباً للحلية، ﴿أو متاع﴾ أي طلباً لمتاع يتمتع به كالأواني إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكير فيعلو ما كان فاسداً غير صالح على صورة الزبد[4] وما كان صالحاً يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية والمتاع، وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي المذكور من الأمور الأربعة مثلي الحق وهما الماء والجوهر ومثلي الباطل وهما زبد الماء وزبد الجوهر ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أي باطلاً

---

(١) الجفاء: ما أجفاه الوادي أي: رمى به.

(٢) ﴿أودية﴾ جمع واد، والوادي اسم للماء السائل هنا إذ الوادي وهو أخدود بين مرتفعين لا يسيل وإنما يسيل الماء فيه، ومعنى: ﴿بقدرها﴾: أي: بقدر ملئها.

(٣) هذا المثل الثاني والأول هو مثل الماء السائل في الوادي وما يحمل من زبد عالٍ.

(٤) هو معنى قوله تعالى. ﴿زبد مثله﴾ أي زبد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل.

مرمياً به يرميه السيل إلى ساحل الوادي فيعلق بالأشجار والأحجار ويرميه الصائغ عن بوتقته، وأما ما ينفع الناس من الماء للسقي والري فيمكث في الأرض، وكذا ما ينفع من الحلي والمتاع يبقى في بوتقة الصائغ والحداد[1] وقوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقائه والباطل في ذهابه وتلاشيه وإن علا وطغا في بعض الأوقات، ﴿يضرب﴾ أي بين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فقد أخبر تعالى بوعد له ووعيد أما وعده فلأهل طاعته بأن لهم الحسنى[2] الجنة وأما وعيده فلأهل معصيته وهو أسوأ وعيد وأشده،[3] فقال تعالى في وعده: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ وقال في وعيده: ﴿والذين لم يستجيبوا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ أي من مال ومتاع ﴿ومثله معه﴾ أيضاً لافتدوا به من العذاب الذي تضمنه هذا الوعيد الشديد، ويعلن عن الوعيد فيقول: ﴿أولئك﴾ أي الأشقياء ﴿لهم سوء الحساب﴾ وهو أن يحاسبوا على كل صغيرة وكبيرة في أعمالهم ولا يغفر لهم منها شيء ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي مقرهم ومكان إيوائهم ﴿وبئس المهاد﴾ أي الفراش جهنم لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ ثبات الحق، واضمحلال الباطل سنة من سنن الله تعالى.

٣ـ بيان وعد الله للمستجيبين له بالإيمان والطاعة وهي الجنة.

٤ـ بيان وعيد الله لمن لم يستجب له بالإيمان والطاعة.

---

(١) هذا مثل للحق والباطل إذا اجتمعا فإنه لاثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقى بل يذهب ويتلاشى ويضمحل والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) ومن الحسنى: النصر في الدنيا والتمكين فيها لأهل التوحيد.

(٣) وهو النار وبئس المهاد.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

شـرح الكلـمات :

كمن هو أعمى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به.

أولـوا الألباب : أي أصحـاب العقول.

يصلون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام.

ويدرءون بالحسنة : أي يدفعون بالحلم الجهل، وبالصبر الأذى.

عقبى الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

جنـات عدن : أي جـنات إقامة دائمة.

معنى الآيـات :

لقـد تضمنت هذه الآيات مقـارنة ومفاضلة بين شخصيتين: الأولى شخصية مؤمن صالح كحمزة بن عبدالمطلب والثانية شخصية كافر فاسد كأبي جهل المخزومي وبين ما

لهمـا من جزاء في الدار الآخرة، مع ذكر صفات كل منهما، تلك الصفات المقتضية لجزائهما في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ فيؤمن به بعد العلم ويستقيم على منهجه في عقيدته وعبادته ومعاملاته وسلوكه كله. هذه الشخصية الأولى ﴿كمن هو أعمى[1]﴾ لم يعلم الحق ولم يؤمن به ولم يعمل بما أنزل إلى الرسول من الشرع.

والجواب قطعاً أنهما لا يستويان ولا يكونان في ميزان العدل والحق متساويين وقوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي يتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق والمفرقة بين المتضادّات كالحق والباطل والخير والشر والنافع والضار. وقوله تعالى: ﴿الذين يوفون﴾ هذا مشروع في بيان صفاتهم المقتضية إنعامهم وإكرامهم نذكر لهم ثماني صفات هي كالتالي: (١) الوفاء بالعهود[2] وعدم نقضها: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق[3]﴾ إذ لا دين لمن لا عهد له. (٢) وصل ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان والإسلام والإحسان والأرحام: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾. (٣) خشية الله المقتضية لطاعته: ﴿ويخشون ربهم﴾. (٤) الخوف من سوء الحساب يوم القيامـة المقتضي لمحـاسبـة النفس على الصغيرة والكبيرة: ﴿ويخـافـون سوء الحساب﴾. (٥) الصبر طلبا لمرضاة الله على الطاعات وعن المعاصي، وعلى البلاء: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾. (٦) إقامة الصلاة وهي اداؤها في أوقاتها جماعة بكامل الشروط والأركان والسنن والآداب: ﴿وأقاموا الصلاة﴾. (٧) الانفاق مما رزقهم الله في الزكاة والصدقات الواجبة والمندوبة: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾. (٨) دفع السيئة بالحسنة فيدرءون سيئة الجهل عليهم بحسنة الحلم، وسيئة الأذى بحسنة[4] الصبر.

وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي العاقبة المحمودة وفسرها بقوله ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة لا ظعن منها يدخلونها هم ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم﴾

---

(١) المراد من العمى هنا: عمى القلب لا عمى البصر، والجهل هو سبب العمى.

(٢) العهد هنا: اسم جنس إذ المراد الوفاء بكافة عهود الله تعالى وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عباده.

(٣) الميثاق هنا: أيضاً اسم جنس يدخل فيه كل المواثيق أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه، قال قتادة: ورد النهي عن نقض الميثاق في بضع وعشرين آية.

(٤) وسيئة المعصية بالتوبة منها. واللفظ العام الشامل هو أنهم يدفعون بالعمل الصالح كل عمل فاسد.

والصلاح هنا الإيمان والعمل الصالح. وقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ هذا عند دخولهم الجنة تدخل عليهم الملائكة تهنئهم بسلامة الوصول وتحقيق المأمول وتسلم عليهم قائلة: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي بسبب صبركم والإيمان والطاعة ﴿فنعم عقبى الدار﴾[1]. هذه تهنئة الملائكة لهم وأعظم بها تهنئة وأبرك بها بركة اللهم اجعلني منهم ووالدي وأهل بيتي والمسلمين أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ المؤمن حيّ يبصر ويعلم ويعمل والكافر ميت أعمى لا يعلم ولا يعمل.

٢ـ الاتعاظ بالمواعظ يحصل لذي عقل راجح سليم.

٣ـ فضل هذه الصفات الثمانية المذكورة في هذه الآيات. أولها الوفاء بعهد الله وآخرها درء السيئة بالحسنة.

٤ـ تفسير عقبى الدار[2] وأنها الجنة.

٥ـ بيان أن الملائكة تهنىء أهل الجنة عند دخولهم وتسلم عليهم.

وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

---

(١) جائز أن يكون معنى عقبى الدار: الجنة وجائز أن يكون عقبى الدار: دار الدنيا إذ عقباها الدار الآخرة وفيها الجنة، إذا كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبى الدنيا إذ عقبى الدار بمعنى عاقبتها.

(٢) أي: فعقبى دار الدنيا الجنة هذا كقوله والعاقبة للتقوى، وقوله ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي الجنة.

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾

شـرح الكلمـات :

والذين ينقضون عهد الله : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده.

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمـان والأرحـام.

ويفسدون في الأرض : أي بتـرك الصلاة ومنع الزكاة، وبارتكاب السيئات وترك الحسنات.

لهم اللعنة : أي البعد من رحمة الله تعالى.

ولهم سوء الدار : أي جهنم وبئس المهاد.

ويقـدر : أي يضيق ويقتر.

إلا متـاع : قدر يسير يتمتع به زمناً ثم ينقضي.

طوبى لهم وحسن مآب : أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون﴾ الآيات، هذا هو الطرف المقابل أو الشخصية الثانية وهو من لم يعلم ولم يؤمن كأبي جهل المقابل لحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ذكر تعالى هنا صفاته الموجبة لعذابه وحرمانه فذكر له ولمن على شاكلته الصفات التالية:

(١) نقض العهـد فلم يعبـدوا الله ولم يوحـدوه وهو العهد الذى أخذ عليهم في عالم الأرواح: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾.

(٢) قطع ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان(١) وصلة الأرحام: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾.

(١) أي بسائر الأنبياء فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كاليهود والنصارى.

(٣) الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي: ﴿ويفسدون في الأرض﴾[١] بهذه الصفات استوجبوا هذا الجزاء، قال تعالى: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾[٢] أي جهنم وبئس المهاد، وقوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه وهي أنه يبسط الرزق أي يوسعه على من يشاء امتحانا هل يشكر أم يكفر ويضيِّق ويقتِّر على من يشاء ابتلاء هل يصبر أو يجزع، وقد يبسط الرزق لبعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، وقد يضيق على بعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، فلن يكون الغنى دالاً على رضى الله، ولا الفقر دالاً على سخطه تعالى على عباده، وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ أي فرح أولئك الكافرون بالحياة الدنيا لجهلهم بمقدارها وعاقبتها وسوء آثارها وما الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وهم أهل الإيمان به وطاعته إلا متاع قليل كَكَفِّ التمر أوقرص الخبز يعطاه الراعي غذاء له طول النهار ثم ينفد، وقوله تعالى في الآية (٢٧): ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾[٣] فقد تقدم مثل هذا الطلب من المشركين وهو مطالبة المشركين النبي ﷺ أن تكون له آية كناقة صالح أو عصا موسى ليؤمنوا به وهم في ذلك كاذبون فلم يحملهم على هذا الطلب إلا الاستخفاف والعناد وإلا آيات القرآن أعظم من آية الناقة والعصا، فلذا قال تعالى لرسوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾إضلاله ولو رأى وشاهد ألوف الآيات﴿ويهدي إليه من أناب﴾[٤]ولو لم ير آية واحدة إلا أنه أناب إلى الله فهداه إليه وقبله وجعله من أهل ولايته، وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾[٥] أولئك الذين أنابوا إليه تعالى إيماناً وتوحيداً فهداهم إليه صراطاً مستقيماً هؤلاء تطمئن قلوبهم أي تسكن وتستأنس بذكر الله وذكر وعده وذكر صالحي عباده محمد وأصحابه، وقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن

---

(١) أي بالشرك وارتكاب المعاصي.

(٢) أي سوء المنقلب وهو جهنم. قال سعد ابن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو انهم الحرورية: بمعنى الخوارج.

(٣) المطالبون بالآيات المقترحون لها على رسول الله ﷺ. من بينهم عبدالله بن أمية وأصحابه.

(٤) الضمير في قوله: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾: يعود على الحق أو الإسلام أو الله عز وجل. أي يهدي إلى جنته وطاعته من رجع إليه بقلبه والكل صالح ومراد.

(٥) الذين: في محل نصب لأنه مفعول يهدي، ويصح أن يكون بدلا من قوله: ﴿أناب﴾ وذكر الله هوذكره بألسنتهم وبقلوبهم وهو يشمل ذكر الوعد والوعيد وكمال الله كما يشمل قراءة كتابه وتلاوة آياته قال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ وحقاً هم ومن يأتي بعدهم ينهج نهجهم في الإيمان والتقوى.

القلوب﴾ أي قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فإنها تطمئن لذكر الدنيا وملاذها وقلوب المشركين تطمئن لذكر أصنامهم، وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا[1] الصالحات طوبى[2] لهم وحسن مآب﴾ إخبار من الله تعالى بما أعد لأهل الإيمان والعمل الصالح وهو طوبى حال من الحسن الطيب يعجز البيان عن وصفها أو شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- حرمة الاتصاف بصفات أهل الشقاء وهي نقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي.

٢- بيان أن الغنى والفقر يتمان حسب علم الله تعالى امتحانا وابتلاء فلا يدلان على رضا الله ولا على سخطه.

٣- حقارة الدنيا وضآلة ما فيها من المتاع.

٤- فضل ذكر الله وسكون القلب إليه.

٥- وعد الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بطوبى وحسن المآب.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ

---

(١) الذين آمنوا، هذا مبتدأ، والخبر: طوبى لهم وحسن مآب يعطف عليه، وطوبى ورد أنها شجرة في الجنة، ففي البخاري: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها).

(٢) ﴿طوبى﴾ مصدر طاب يطيب طيباً إذا أحسن وهي بوزن البشرى، والزلفى قلبت ياؤها واواً لمناسبة الضمة قبلها أي: الخير الكامل لأنهم اطمأنت قلوبهم بذكر الله فهم في طيب حال.

بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

كذلك أرسلناك : أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك.

لتتلو عليهم : أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة.

وهم يكفرون بالرحمن : إذ قالوا وما الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة.

سيرت به الجبال : أي نقلت من أماكنها.

أو قطعت به الأرض : أي شققت فجعلت أنهاراً وعيونا.

أو كلم به الموتى : أي أحيوا وتكلموا.

أفلم ييأس : أي يعلم.

قارعة : أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم.

أو تحل قريباً من دارهم : أي القارعة أو الجيش الإسلامي.

فأمليت : أي أمهلت وأخرت مدة طويلة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقائد: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء الآخر ففي الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله تعالى: ﴿كذلك أرسلناك﴾ فقرر نبوة الرسول ﷺ

بقوله كذلك أي الإرسال[1] الذي أرسلنا من قبلك أرسلناك أنت إلى أمة قد خلت من قبلها أمم، وبين فائدة الإرسال فقال: ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ وهو الرحمة والهدى والشفاء ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الرحمن[2] الذى أرسلك لهم بالهدى ودين الحق لإكمالهم وإسعادهم يكفرون به، إذاً فقل أنت أيها الرسول هو ربي لا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو عليه توكلت وإليه متاب أي توبتي ورجوعي فقرر بذلك مبدأ التوحيد بأصدق عبارة وقوله تعالى في الآية الثانية (٣١) ﴿ولو أن قرآنا﴾ الخ . . لا شك أن مشركي مكة كانوا طالبوه[3] بما ذكر في هذه الآية إذ قالوا إن كنت رسولاً فادع لنا ربك فيسر عنا هذه الجبال التي تكتنف وادينا فتتسع أرضنا للزراعة والحراثة وقطع أرضنا فأخرج لنا منها العيون والأنهار وأحيي لنا فلاناً وفلاناً حتى نكلمهم ونسألهم عن صحة ما تقول وتدعي بأنك نبي فقال تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي[4] التي تهدي بل لله الأمر جميعا يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولما صرفهم الله تعالى عن الآيات الكونية لعلمه تعالى أنهم لو أعطاهم إياها لما آمنوا عليها فيحق عليهم عذاب الإبادة كالأمم السابقة، وكان من المؤمنين من يود الآيات الكونية ظناً منه أن المشركين لو شاهدوا آمنوا و انتهت المعركة الدائرة بين الشرك والتوحيد قال تعالى: ﴿أفلم ييأس[5] الذين آمنوا﴾ أي يعلموا ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ بالآيات وبدونها فليترك الأمر له سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿قارعة﴾ أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والفزع ونفوسهم بالهم والحزن وذلك كالجدب والمرض والقتل والأسر ﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ أي يحل الرسول بجيشه الإسلامي ليفتح مكة حتى يأتي وعد الله بنصرك أيها الرسول عليهم والآية

---

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبّه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن، والآية وإن لم تنزل بخصوص دعوى المشركين إلاّ أنها تحمل رداً عليهم في دعواهم الباطلة.

(٣) تقدّم أن من بين المطالبين أبا جهل، وعبدالله بن أمية المخزوميين إذ قالا له ﷺ، إن سرّك أن نتبعك فسيّر لنا جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا. . الخ.

(٤) أي: فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، وإنّما يكون بأمر الله تعالى.

(٥) يئس ييأس بمعنى: علم يعلم لغة النخع، والقرآن نزل بلغات العرب، وقيل: لغة هوازن قال شاعرهم:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

عامة فيمن بعد قريش ويكون الوعيد متناولاً أمم الكفر عامة وها هي ذي الحروب تقرعهم كل قرن مرة ومرتين والحرب الذرية على أبوابهم ولا يزال أمرهم كذلك حتى يحل الجيش الإسلامي قريباً من دارهم ليدخلوا في دين الله أو يهلكوا ، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وقد أنجز ما وعد قريشاً، وفي الآية الأخيرة (٣٢) يخبر تعالى رسوله مسلياً إياه عما يجد من تعب وألم من صلف المشركين وعنادهم فيقول له: ﴿ولقد استهزىء[1] برسل من قبلك﴾ أي كما استهزىء بك فصبروا فاصبر أنت، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أي أمهلتهم وأنظرتهم حتى قامت الحجة عليهم ثم أخذتهم فلم أبق منهم أحداً ﴿فكيف[2] كان عقاب﴾ أي كان شديداً عاماً واقعاً موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك يا رسولنا إذالم يتوبوا ويسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد.

٢- لا توكل إلا على الله، ولا توبة لأحد إلا إليه.

٣- عظمة القرآن الكريم وبيان فضله.

٤- إطلاق لفظ اليأس والمراد به العلم.

٥- توعد الرب تعالى الكافرين بالقوارع في الدنيا إلى يوم القيامة.

٦- الله جل جلاله يملي ويمهل ولكن لا يهمل بل يؤاخذ ويعاقب.

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

(١) أي: سُخر بهم أزري عليهم، وذلك كما سخرت قوم نوح بنوح، وعاد بهود وثمود بصالح ومدين بشعيب.
(٢) الاستفهام للعجب.

ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

أفمن هو قائم[1] على كل نفس بما كسبت	: أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت و يجازيها بعملها.
قل سموهم	: أي صِفُوهم له مَنْ هُم؟
أم تنبئونه بما لا يعلم	: أي أتخبرونه بما لا يعلمه؟
بظاهر من القول	: أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع.
أشق	: أي أشد.
واق	: أي مانع يمنعهم من العذاب.
مثل الجنة	: أي صفتها التي نقصها عليك.
أكلها دائم وظلها	: أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد بقوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت[2]﴾ أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت من خير وشر ومجازيها كمن لا يحفظ ولا يرزق ولا يعلم ولا يجزي وهو الأصنام، إذاً فبطل تأليهها ولم يبق إلا الإله الحق الله الذي لا إله إلا هو ولارب سواه، وقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي

---

(١) ليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولّي لأمور الخلق بالحفظ والتدبير.

(٢) الجواب محذوف في الآية، وقد ذكر في التفسير.

يعبدونهم معه ﴿قل سموهم﴾[1] أي قل لهم يا رسولنا سموا لنا تلك الشركاء صفوهم بينوا من هم؟ ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم[2] في الأرض﴾ أي أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض؟ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أي بل بظاهر[3] من القول أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع.

وقوله تعالى: ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أي قولهم الكاذب وافتراؤهم الماكر فبذلك[4] صدوا عن السبيل سبيل الحق وصرفوا عنه فلم يهتدوا إليه، ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ وقوله تعالى: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر، ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أي أشد من عذاب الدنيا مهما كان ﴿وما لهم من الله من واق﴾[5] أي وليس لهم من دون الله من يقيهم فيصرفه عنهم ويدفعه حتى لا يذوقوه، وقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي لما ذكر عذاب الآخرة لأهل الكفر والفجور ذكر نعيم الآخرة لأهل الإيمان والتقوى، فقال: ﴿مثل[6] الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة ووصفها بقوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم[7] وظلها﴾ دائم كذلك فطعامها لا ينفد، وظلها لا يزول ولا ينسخ بشمس كظل الدنيا، وقوله: ﴿تلك﴾ أي الجنة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ أي ربهم فآمنوا به وعبدوه ووحدوه وأطاعوه في أمره ونهيه، ﴿وعقبى[8] الكافرين النار﴾ والعقبى بمعنى العاقبة في الخير والشر.

---

(١) سموهم شركاء فإنهم ليس لهم حظ من ذلك إلاّ التسمية فيكون الأمر للإباحة كناية عن عدم المبالاة بادعائهم أنهم شركاء، وذكر هذا المعنى صاحب التحرير، وهو معنى جميل.

(٢) أم هي المنقطعة ودلّت على أنّ ما بعدها استفهام إنكاري توبيخي، وقوله، ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ وما لا يعلمه الله فليس بموجود إذ الله خالق كل شيء.

(٣) بل بظاهر من القول ليس بظاهر من الظهور بل هو بمعنى الزوال والبطلان وشاهده قول الشاعر، وتلك شكاة ظاهر عليك عارها. أي: باطل زائل.

(٤) إنّ بعض المشركين زيّن للمشركين عبادة الأصنام، ورغّبهم في عبادتها مكراً بهم فانخدعوا له، وحسبوه زيناً وذلك كعمرو بن لحيّ إذ هو أوّل من دعا إلى عبادة الأصنام في بلاد العُرب.

(٥) واق، وقاض ووال: يوقف عليها بدون ياء، إلاّ إذا نودي نحو: يا قاضي ياوالي فإنه يوقف عليه بالياء ومن: صلة لتقوية الكلام.

(٦) ﴿مثل الجنة﴾: الخ: مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم: مثل الجنة، وقيل الخبر: تجري من تحتها الأنهار. والأوّل أولى.

(٧) في الآية ردّ على الجهمية القائلين بفناء نعيم الجنة.

(٨) أي: عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد إذ الأصنام لا تحفظ ولا ترزق ولا تحاسب ولا تجزي ، والله هو القائم على كل نفس فهو الإله الحق وما عداه فآلهة باطلة لاحقيقة لها إلا مجرد أسماء.

٢- استمرار الكفار على كفرهم هو نتيجة تزيين الشيطان لهم ذلك فصدهم عن السبيل.

٣- ميزة القرآن الكريم في الجمع بين الوعد والوعيد إذ بهما تمكن هداية الناس.

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

والذين آتيناهم الكتاب : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود.

يفرحون بما أنزل إليك : أي يُسَرون به لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم.

ومن الأحزاب : أي من اليهود والمشركين.

من ينكر بعضه : أي بعض القرآن فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب.

وكذلك أنزلناه حكماً عربياً : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم.
لكل أجل كتاب : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة.
يمحو الله ما يشاء : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو المنسوخ وما أبقاه هو المحكم.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، فقوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام[1] يفرحون بما أنزل إليك وهو القرآن وفي هذا تقرير للوحي وإثبات له، وقوله: ﴿ومن الأحزاب﴾ ككفار أهل الكتاب[2] والمشركين ﴿من ينكر بعضه﴾ فاليهود أنكروا أغلب ما في القرآن من الأحكام ولم يصدقوا إلا بالقصص، والمشركون أنكروا «الرحمن» وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب عليه لعائن الله، وقوله تعالى: ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي أمرني ربي أن أعبده ولا أشرك به، إليه تعالى أدعو الناس أي إلى الإيمان به وإلى توحيده وطاعته، ﴿وإليه مآب﴾[3] أي رجوعي وإيابي وفي هذا تقرير للتوحيد، وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾[4] أي وكهذا الإنزال للقرآن أنزلناه بلسان العرب لتحكم بينهم به، وفي هذا تقرير للوحي الإلهي والنبوة المحمدية، وقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بأن وافقتهم على مِلَلِهم وباطلهم في اعتقاداتهم، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل وإنما الخطاب من باب.. إياك أعني واسمعي يا جارة.. ﴿مالك من الله من ولي ولا واق﴾ أي ليس لك من دون الله من ولي يتولى أمر نصرك وحفظك، ولا واق يقيك عذاب الله إذا أراده بك لاتباعك أهل الباطل[5] وتركك الحق وأهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا

---

(١) اللفظ عام والمراد به الخصوص، ويدخل فيه أصحاب النبي ﷺ فهم يفرحون بنزول القرآن قاله قتادة. وهو كما قال فقد كانوا يفرحون بكل ما ينزل من وحي.

(٢) لفظ أهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى معاً، لفظ البعض عام في القلة والكثرة ولذا فاليهود كالنصارى كالمشركين كالمجوس ينكرون من القرآن ما يتعارض مع معتقداتهم الباطلة ولا ينكرون مالا يتعارض معها.

(٣) أي: أرجع في أموري كلها إليه دون غيره، وفي هذا معنى الاعتماد على الله والتوكل عليه في الأمر كله.

(٤) ﴿حكماً عربياً﴾: حالان من أنزلناه، وقيل: المراد من ﴿حكما﴾ الحكمة كقوله: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ أي: الحكمة، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية وكونه من الحكم أولى لأنّه يحكم به في الأمور كلها.

(٥) في الآية إنذار وتحذير عظيمان لمن يترك أوامر الله تعالى أو يغشى محارمه موافقة لأهل الباطل طلباً لرضاهم أو خوفاً من غضبهم.

رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ فلا معنى لما يقوله المبطلون[1]: لم يتخذ محمد أزواجاً ولم تكون له ذرية؟ وهو يقول أنه نبي الله ورسوله، فإن الرسل قبلك من نوح وإبراهيم إلى موسى وداوود وسليمان الكل كان لهم أزواج وذرية،[2] ولما قالوا ﴿لولا أنزل عليه آية﴾ رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ فالرسل كلهم مربوبون لله مقهورون لا يملكون مع الله شيئاً فهو المالك المتصرف إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكل وقت محدد يعطي الله تعالى فيه أو يمنع كتاب كتب فيه ذلك الأجل وعُيِّن فلا فوضى ولا أُنُف[3]،وقوله :﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ ردٌ على قولهم لم يثبت الشيء ثم يبطله كاستقبال بيت المقدس ثم الكعبة وكالعدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فأعلمهم أن الله تعالى ذو إرادة ومشيئة لا تخضعان لإرداة الناس ومشيئاتهم فهو تعالى يمحو ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده ويثبت كذلك ما هو صالح لهم نافع،[4] ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء، وفي الحديث: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه مسلم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير عقيدة الوحي والنبـوة.

٢ـ تقرير عقيدة التوحيـد.

٣ـ تقرير أن القضاء والحكم في الإسلام مصدره الأول القرآن الكريم ثم السنة لبيانها للقرآن، ثم القياس المأذون فيه فإجماع الأمة لاستحالة اجتماعها على غير ما يحب الله

---

(١) قيل: إنّ اليهود هم الذين عابوا رسول الله ﷺ على الأزواج وعيروه بذلك فقالوا ما نرى لهذا الرجل همة إلاّ النساء والنكاح، ولو كان نبيّاً لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعليه فالآية مدنية.

(٢) في الآية: الترغيب في النكاح والحض عليه، وهو كذلك فقد جاء في السنة قوله ﷺ: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) وفي الموطأ: (من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة: ما بين لحييه وما بين رجليه).

(٣) أي: ولابداء، والبداء: أن يبدو له الشيء بعد أن لم يكن يعلمه.

(٤) صح قوله ﷺ: (من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله فليصل رحمه) فهذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ أي: ما يشاء، وقد تكلّم العلماء في هذا بشيء كثير وما أراه يوضح هذا هو أنّ الله تعالى لما كتب في اللوح المحفوظ كتب أنّ فلاناً يصل رحمه فيكون رزقه كذا سعة ويكون أجله كذا طولاً، فصلة الرحم سبب في توسعة الرزق وطول العمر.

تعالى ويرضى به.

٤ـ التحذير من اتباع أصحاب البدع والأهواء والمِلَلْ والنِّحَلْ الباطلة.

٥ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٦ـ بيان النسخ في الأحكام بالكتاب والسنة.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

نعدهم : أي من العذاب.

أو نتوفينك : أي قبل ذلك.

ننقصها من أطرافها : أي بلداً بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها.

لا معقب لحكمه : أي لا راد له بحيث لا يتعقب حكمه فيبطل.

ومن عنده علم الكتاب : من مؤمني اليهود والنصارى.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإما[1] نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾أي إن أريتك بعض الذي نعد قومك من العذاب فذاك، وإن توفيتك قبل ذلك فليس عليك إلا البلاغ[2] فقد بلغت وعلينا الحساب فسوف نجزيهم بما كانوا يكسبون، فلا تأس أيها الرسول ولا تضق ذرعاً بمـا يمكـرون، وقـوله: ﴿أو لم يروا﴾ أي المشركون الجاحدون الماكرون المطالبون بالآيات على صدق نبوة نبينا ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾[3] أي نفتحها للإسلام بلداً بعد بلد أليس ذلك آية دالة على صدق الرسول ﷺ وصحة دعوته، وقوله: ﴿والله يحكم ولا معقب لحكمـه﴾ أي والله جل جلاله يحكم في خلقه بما يشاء فيعز ويذل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم، ولا معقب لحكمه أي ليس هناك من يعقب على حكمه فيبطله فإذا حكم بظهور الإسلام وإدبار الكفر فمن يرد ذلك على الله، وقوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ إذا حاسب على كسب فحسابه سريع يجزي الكاسب بما يستحق دون بطء ولا تراخ وقوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ إنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه؟وقوله: ﴿فلله المكر جميعاً﴾ أي إذاً فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فأين مكر من لا يعلم من مكر من يعلم كل شيء فسوف يصل بالممكور به إلى حافة الهلاك وهو لا يشعر، أفلا يعي هذا كفار قريش فيكفوا عن مكرهم برسول الله ودعوته؟ وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار[4] لمن عقبى الدار﴾ أي سيعلم المشركون خصوم التوحيد يوم القيامة لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة لمن دخل الجنة وهو محمد ﷺ وأتباعه أو لمن دخل النار وهم دعـاة الشـرك والكفر وأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ أي يواجهـونك بالإنكار عليك والجحود لنبوتك ورسالتك قل لهم يا رسولنا الله شهيد بيني

---

(١) ﴿ما﴾ زائدة لتقوية الكلام والأصل وإن نرينك.

(٢) ﴿البلاغ﴾ : التبليغ و﴿الحساب﴾: الجزاء والعقوبة.

(٣) فسّر بعضهم الأطراف بالأشراف، وقال: المراد موت العلماء، وهو تفسير بعيد جداً، وما في التفسير أقرب وأوضح إلى معنى الآية الكريمة، ورد قول من قال هو نقصان الأرض بقول أحدهم لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك أي: مكان قضاء حاجتك.

(٤) قرأ نافع ﴿الكافر﴾: بالافراد، وهو اسم جنس بمعنى الجمع، وقرأ الجمهور ﴿الكفار﴾، وقيل المراد بالكافر هنا: أ جهل، والله أعلم، وفي الآية وعيد وتهديد للكفار مطلقاً.

وبينكم وقد شهد لي بالرسالة وأقسم لي عليها مرات في كلامه مثل ﴿يسٓ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ وكفى بشهادة الله شهادة، ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ الأول التوراة والإنجيل وهم مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد[1] الله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي وتميم الداري وغيرهم[2].

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ انتصار الإسلام وانتشاره في ظرف ربع قرن أكبر دليل على أنه حق .

٢ـ أحكام الله تعالى لا ترد، ولا يجوز طلب الاستئناف على حكم من أحكام الله تعالى في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ .

٣ـ شهادة الله أعظم شهادة، فلا تطلب بعدها شهادة إذا كان الخصام بين مؤمنين .

٤ـ فضل العالم على الجاهل، إذ شهادة مؤمني أهل الكتاب تقوم بها الحجة على من لا علم لهم من المشركين .

سُورَةُ إبْرَاهِيمَ

مكيــــة

وآياتها اثنتان وخمسون آيــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾

---

(١) عبدالله بن سلام كان اسمه في الجاهلية : حصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله .

(٢) قال بعضهم : الذي عنده علم الكتاب هو علي رضي الله عنه، وردّ على هذا القول، وقال بعضهم : هم المسلمون، كل ذلك من أجل أن السورة مكية، وهذا غير مانع أن ينزل القرآن بمكة ويظهر تأويله بالمدينة، ولا مانع أن تكون الآية مدنية والسورة مكية، فلهذا ما في التفسير أولى بالقبول.

ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

شـرح الكلـمات :

آلــــر : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ ألف لاَمْ رَا والتفويض فيها أسلم وهو قول الله أعلم بمراده بذلك[1].

كتـــاب : أي هذا كتاب عظيـم.

أنزلناه إليـك : يا محمد صلى الله عليه وسلم.

مـن الظلمـــات : أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

العزيز الحميـــد : أي المحمـــود بآلائـه.

عن سبيـل الله : أي الإســـلام.

عوجـــاً : أي معوجّة.

بآياتنـــا : أي المعجزات التسع : العصا، اليد، الطوفان، الجراد، القمل،

---

(١) هذا مذهب السلف وهو: تفويض فهم معناها إلى الله تعالى منزلها ويعدونها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل. وهو أسلم من القول بالإجهاد الفكري

الضفادع، الدم، والطمس والسنين ونقص الثمرات.

وذكرهم بأيام الله : أي ببلائـه ونعمائـه.

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده وقوله : ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب عظيم القدر أنزلناه إليك يا رسولنا لتخرج الناس[1] من الظلمات أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم الشرعي، وذلك ﴿بإذن ربهم﴾ أي بتوفيقه ومعونته ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي إلى طريق[2] العزيز الغالب الحميد أى المحمود بآلائه وافضالاته على عباده وسائر مخلوقاته ﴿الله[3] الذى له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا وتصريفا وتدبيرا، هذا هو الله صاحب الصراط الموصل إلى الإسعاد والإكمال البشري، والكافرون معرضون بل ويصدون عنه فويل لهم من عذاب شديد، الكافرون ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا﴾[4] أي يفضلون الحياة الدنيا فيعملون للدنيا ويتركون العمل للآخرة لعدم إيمانهم بها ﴿ويصدون﴾ أنفسهم وغيرهم أيضا ﴿عن سبيل الله﴾ أي الإسلام ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي معوجة إنهم يريدون من الإسلام أن يوافقهم فى أهوائهم وما يشتهون حتى يقبلوه ويرضوا به دينا قال تعالى : ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ إنهم بهذا السلوك المتمثل في إيثار الدنيا على الآخرة والصد عن الإسلام، ومحاولة تسخير الاسلام لتحقيق أطماعهم وشهواتهم في ضلال بعيد لا يمكن لصاحبه أن يرجع منه إلى الهدى، وقوله تعالى في الآية (٤) من هذا السياق ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[5] أي بلغتهم التي يتخاطبون بها ويتفاهمون لحكمة أن يبين لهم، والله بعد ذلك يضل من يشاء إضلاله

---

(١) لتخرج الناس: أي: بالقرآن العظيم الذي انزلناه عليك.

(٢) الطريق هو الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره.

(٣) قرأ نافع برفع اسم الجلالة، وقرأ الجمهور بالجر، واستحب بعضهم الجر إذا وصل والرفع إذا وقف وهو حسن ومن وصل وقف على وما في الأرض.

(٤) قال ابن عباس وغيره: كل من آثر الدنيا وزهرتها واستحب البقاء في نعيمها على نعيم الآخرة وصد عن سبيل الله أي: صرف نفسه وغيره عن طاعة الله ورسوله فهو داخل في هذه الآية، وهي ذات وعيد شديد.

(٥) لا حجة لغير العرب في هذه الآية إذ كل من ترجم له الإسلام بلغته وجب عليه الدخول فيه والعمل بشرائعه ليكمل ويسعد، وقد استعمرت برطانيانصف العالم فتكلم الناس بلغتها وتعاملوا بها وهي لغة دنيا لا غير. فالواجب على غير العربي أن يتعلم لغة الإسلام ما أمكنه ذلك.

حسب سنته في الإضلال ويهدي من يشاء كذلك ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يمانع في شيء أراده ﴿الحكيم﴾[1] الذي يضع كل شيء في موضعه فلذا هو لا يضل إلا من رغب في الإضلال وتكلف له وأحبه وآثره، وتنكر للهدى وحارب المهتدين والداعين إلى الهدى، وليس من حكمته تعالى أن يضل من يطلب الهدى ويسعى إليه ويلتزم طريقه ويحبه ويحب أهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي موسى نبي بني إسرائيل ﴿بآياتنا﴾ أي بحججنا وأدلتنا الدالة على رسالته والهادية إلى ما يدعو إليه وهي تسع آيات منها اليد والعصى ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾[2] أي أخرج قومك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ﴿وذكرهم بأيام الله﴾[3] أي وقلنا له: ذكرهم بأيام الله وهي بلاؤه ونعمه إذ أنجاهم من عذاب آل فرعون وأنعم عليهم بمثل المن والسلوى، وذلك ليحملهم على الشكر لله بطاعته وطاعة رسوله، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن في ذلك التذكير بالبلاء والنعماء لدلالات يستدل بها على إفضال الله وإنعامه الموجب للشكر، ولكن الذين يجدون تلك الدلالات في التذكير هم أهل الصبر والشكر بل هم الكثيروا الصبر[4] والشكر، وأما غيرهم فلا يرى في ذلك دلالة ولا علامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إقامة الحجة على المكذبين بالقرآن الكريم، إذ هو مؤلف من الحروف المقطعة مثل آلر وطسم وآلم وحم، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله بل بسورة مثله..

٢ـ بيان أن الكفر ظلام والإيمان نور.

٣ـ بيان الحكمة في إرسال الله تعالى الرسل بلغات أقوامهم.

---

(١) من مظاهر حكمته أنه ختم الرسالة برسالة محمد ﷺ، وواجب على البشرية كلها الإيمان به وبما جاء به ومن أبى دخل النار، فقد روى مسلم قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). فوحد بذلك البشرية توحيداً روحياً واجتماعياً وسياسياً لو أنها آمنت بمحمد ﷺ وأخذت بهدايته لحصل لها من الكمال والإسعاد ما لم يخطر على بال.

(٢) أن: تفسيرية فسرت الارسال لأنه فيه معنى القول.

(٣) التذكير إزالة نسيان شيء، ويكون بتعليم مجهول كان شأنه أن يعلم، ولما ضمّن التذكير معنى الإنذار والوعظ عدي بالباء أي: ذكّرهم تذكير عظة بأيام الله.

(٤) الصبر مع البلاء، والشكر مع الرخاء، وخير الناس من إذا ابتلى صبر وإذا أعطي شكر ولا يكون كذلك إلاّ ذو علم وبصيرة.

٤ـ تقرير أن الذي يخلق الهداية هو الله وأما العبد فليس له أكثر من الكسب.

٥ـ فضيلة التذكير بالخير والشر ليشكر الله ويتقى.

٦ـ فضيلة الصبر والشكر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم
بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ قال موسى : أي اذكر إذ قال موسى.

يسومونكم : يذيقونكم.

ويستحيون نساءكم : أي يستبقونهنّ.

بلاء من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار، ويكون بالخير والشر.

وإذ تأذن ربكم : أي أعلم ربكم.

بالبينات : بالحجج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخر.

فردوا أيديهم في أفواههم : أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا.

مريب : موقع في الريبة.

معنى الآيات :

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي لتشكروها بتوحيده وطاعته، فإن من ذكر شكر وبين لهم نوع النعمة وهي إنجاؤهم من فرعون وملائه إذ كانوا يعذبونهم بالاضطهاد والاستعباد، فقال: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي يذيقونكم سوء العذاب وهو أسوأه وأشده، ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ أي الأطفال المولودين، لأن الكهنة أو رجال السياسة قالوا لفرعون: لا يبعد أن يسقط عرشك وتزول دولتك على أيدي رجل من بني إسرائيل فأمر بقتل المواليد فور ولادتهم فيقتلون الذكور ويستبقون الإناث للخدمة ولعدم الخوف منهن وهو معنى قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فهو بالنظر إلى كونه عذابا بلاء بالشر، وفي كونه نجاة منه، بلاء بالخير. وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾[1] هذا من قول موسى لبني إسرائيل أي أذكر لهم إذ أعلم ربكم مقسماً لكم ﴿لئن شكرتم﴾[2] نعمي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعتي وطاعة رسولي بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ﴿لأزيدنكم﴾ في الإنعام والإسعاد ﴿ولئن كفرتم﴾ فلم تشكروا نعمي فعصيتموني وعصيتم رسولي اي لأسلبنها منكم وأعذبكم بسلبها من أيديكم ﴿إن عذابي

---

(١) أي: تكلم تكلماً علناً وهو يناجي موسى عليه السلام بجبل الطور وأذّن وتأذن أعلم، ومنه الأذان للصلاة، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى   سمعنا في مجالسنا الأذينا

(٢) سئل بعض الصالحين عن الشكر لله تعالى فقال: ألاّ تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي أن داود عليه السلام أنه قال: اي ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة متجددة منك عليّ؟ قال: يا داود: الآن تشكرني وعليه فالشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم ولا يصرفها في غير طاعته.

لشديد﴾ فاحذروه واخشوني فيه، وقوله تعالى: ﴿وقال موسى﴾ أي لبني إسرائيل ﴿إن تكفروا أنتم﴾ نعم الله فلم تشكروها بطاعته ﴿ومن في الأرض جميعا﴾ وكفّرها من في الأرض جميعاً ﴿فإن الله لغني﴾ عن سائر خلقه لا يفتقر إلى أحد منهم[1] ﴿حميد﴾ أي محمود بنعمه على سائر خلقه، وقوله: ﴿ألم يأتكم﴾ هذا قول موسى لقومه وهو يعظهم ويذكرهم: ﴿ألم يأتكم[2] نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم﴾ أي لا يعلم عددهم ولا يحصيهم[3] ﴿إلا الله﴾ ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج والبراهين على صدق دعوتهم وما جاء به من الدين الحق ليعبد الله وحده ويطاع وتطاع رسله فيكمل الناس بذلك ويسعدوا، وقوله: ﴿فردوا أيديهم﴾ أي ردت الأمم المرسل إليهم أيديهم إلى أفواههم تغيظاً على أنبيائهم وحنقاً، أو أشاروا إليهم بالسكوت فأسكتوهم رداً لدعوة الحق التي جاؤوا بها، وقالوا لهم: ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أي بما جئتم به من الدين الإسلامي والدعوة إليه، ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ أي موقع في الريبة التي هي قلق النفس واضطرابها لعدم سكونها للخبر الذي يلقى إليها، هذا وما زال السياق طويلاً وينتهي بقوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- مشروعية التذكير بنعم الله لنشكر ولا نكفر.

٢- وعد الله تعالى بالمزيد من النعم لمن شكر نعم الله عليه.

٣- كفر النعم سبب زوالها.

٤- بيان غنى الله تعالى المطلق على سائر خلقه فالناس ان شكروا شكروا لأنفسهم وإن كفروا كفروا على أنفسهم أي شكرهم ككفرهم عائد على أنفسهم.

٥- التذكير بقصص السابقين وأحوال الغابرين مشروع وفيه فوائد عظيمة.

---

(١) أي: لا يلحقه نقص بكفر الناس ولو كفروا أجمعون.

(٢) صالح لأن يكون من قول موسى عليه السلام، ومن قول الله تعالى تعليماً لرسوله محمد ﷺ.

(٣) ولا يعرف أنسابهم كذلك إلا الله وفي الحديث: (كذب النسابون إن الله يقول لا يعلمهم إلا الله) قاله لمّا زاد النسابون على معد بن عدنان، وقال: (لا ترفعوني فوق عدنان).

۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾
قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أفي الله شك : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام إنكاري.

إلى أجل مسمى : أي إلى أجل الموت.

بسلطان مبين : بحجة ظاهرة تدل على صدقكم.

يمن على من يشاء : أي بالنبوة والرسالة على من يشاء لذلك.
وقد هدانا سبلنا : أي طرقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه.
لنخرجنكم من أرضنا : أي من ديارنا أو لتعودون في ديننا.
لمن خاف مقامي : أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ما ذكر به موسى قومه بقوله: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح.....﴾ فقوله تعالى: ﴿قالت رسلهم﴾ أي قالت الرسل إلى أولئك الأمم الكافرة ﴿أفي الله شك﴾[1]؟ أي كيف يكون في توحيد الله شك وهو فاطر السموات والأرض[2]، فخالق السموات والأرض وحده لا يعقل أن يكون له شريك في عبادته، انه لا إله إلا هو وقوله: ﴿يدعوكم﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح الخالي من الشرك ﴿ليغفر لكم من[3] ذنوبكم﴾ وهو كل ذنب بينكم وبين ربكم من كبائر الذنوب وصغائرها أما مظالم الناس فردوها إليهم تغفر لكم وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي يؤخر العذاب عنكم لتموتوا بآجالكم المقدرة لكم، وقوله: ﴿قالوا﴾ أي قالت الأمم الكافرة لرسلهم ﴿إن أنتم الا بشر مثلنا﴾ أي ما[4] أنتم إلا بشر مثلنا، ﴿تريدون أن تصدونا﴾ أي تصرفونا ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ من آلهتنا أي أصنامهم وأوثانهم التي يدّعون أنها آلهة، وقولهم: ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ قال الكافرون للرسل ائتونا بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة تدل على صدقكم أنكم رسل الله إلينا فأجابت الرسل قائلة ما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم﴾ أي ما نحن إلا بشر مثلكم فمالا تستطيعونه أنتم لا نستطيعه نحن ﴿ولكن الله يمن على من[5] يشاء﴾ أي إلا أن الله يمن على من يشاء بالنبوة

(١) الاستفهام إنكاري أي: لا شك في الله، أي في وجوده، وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته، وهي عبادته وحده لا شريك له.

(٢) هذا الوصف الكامل لله وهو مقتضى وجوده وألوهيته عزّ وجل.

(٣) على ما في التفسير (من) للتبعيض، ويصح أن تكون زائدة، والمغفرة لكل الذنوب لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله من سائر الذنوب.

(٤) أي: في الهيئة تأكلون كما نأكل وتشربون كما نشرب، وتمرضون، وتصحون مثلنا ولستم ملائكة.

(٥) ومما منّ الله به عليهم، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما يوجب رضاه ومحبّته؟ وقيل: إنّ اعظم ما يمن به الله تعالى على عبده ذكره بأسمائه وصفاته.

فمن علينا بها فنحن ننبئكم بما أمرنا الله ربنا وربكم أن ننبئكم به كما نأمركم وندعوكم لا من تلقاء أنفسنا ولكن بما أمرنا أن نأمركم به وندعوكم إليه، ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي بإرادته وقدرته فهو ذو الإرادة التي لا تحد والقدرة التي لا يعجزها شيء ولذا توكلنا عليه وحده وعليه ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفيهم كل ما يهمهم، ثم قالت الرسل وهي تعظ أقوامها بما تقدم: ﴿وما لنا ألا نتوكل[1] على الله وقد هدانا سبلنا﴾ أي طرقنا التي عرفناه بها وعرفنا عظمته وعزة سلطانه فأي شيء يجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ بألسنتكم وأيديكم متوكلين على الله حتى ينتقم الله تعالى لنا منكم، ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ إذ هو الكافل لكل من يثق فيه ويفوض أمره إليه متوكلا عليه وحده دون سواه، وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ هذا إخبار منه تعالى على ما قالت الأمم الكافرة لرسلها: قالوا موعدين مهددين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتهم: ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أي ديننا الذي نحن عليه وهنا أوحى الله تعالى إلى رسله بما أخبر تعالى به: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ قال لنهلكن الظالمين ولم يقل لنهلكنهم إشارة إلى علة الهلاك وهي الظلم الذي هو الشرك والإفساد ليكون ذلك عظة للعالمين، وقوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي الإنجاء للمؤمنين والإهلاك للظالمين[2] جزاء ﴿لمن خاف مقامي[3]﴾ أي الوقوف بين يدي يوم القيامة ﴿وخاف وعيد﴾ على ألسنة رسلي بالعذاب لمن كفر بي وأشرك في عبادتي ومات على غير توبة إليَّ من كفره وشركه وظلمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بطلان الشك في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة

---

(١) وما: اسم استفهام مبتدأ، وما بعدها في موضع الحال، والتقدير: أي شيء لنا في ترك التوكل على الله؟ والاستفهام انكاري.

(٢) وإسكان الصالحين الأرض بعد إهلاك الظالمين.

(٣) المقام: مصدر ميمي وقوله ﴿مقامي﴾: أي قيامه بين يديّ للحساب، والوعيد هو عذاب النار، وقيل: مقامي: أي قيامي عليه، ومراقبتي له والمعنى إذاً خافني وراقبني، وهو معنى صحيح، والخوف من الله ومراقبته موجبة للصلاح المورث للأرض والدولة لقوله تعالى: ﴿إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

الأدلة وقوة الحجج، وسطوع البراهين.

٢ـ بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرسل ترد به عليهم.

٣ـ وجوب التوكل على الله تعالى، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله.

٤ـ وجوب الصبر على الأذى في سبيل الله وانتظار الفرج بأخذ الظالمين.

٥ـ عاقبة الظلم وهي الخسران والدمار لا تتبدل ولا تتخلف وإن طال الزمن.

وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

شـرح الكلمـات:

واستفتحـوا : أي طلب الرسل الفتح لهم أي النصر على أقوامهم الظالمين.

وخـــاب : أي خسـر وهـلك.

كل جبار عنيد : أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد.

من ماء صديد : أي هو ما يخرج سائلاً من أجواف أهل النار مختلطاً من قيح ودم وعرق.

يتجرعه ولا يكاد يسيغه : أي يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراده لقبحه ومراراته.

ويأتيه الموت من كل مكان : أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموت حاصلة ولكن لا يموت.

أعمالهم كرماد : أي الصالحة منها كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير والفاسدة كعبادة الأصنام بالذبح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد.

لا يقدرون مما كسبوا على شيء : أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوها على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك.

وما ذلك على الله بعزيز : أي بصعب ممتنع عليه.

معنى الآيات :

هذا آخر حديث ما ذكر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بنى اسرائيل، قال تعالى في الإخبار عنهم: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ أي واستفتح الرسل أي طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم[1] بنصر على أعدائه وأعدائهم واستجاب الله لهم، ﴿وخاب كل جبار عنيد[2]﴾ أي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله، وقوله[1]: ﴿من ورائه جهنم[3]﴾ أي أمامه جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء

---

(١) كقولهم: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ قالها شعيب والمؤمنون معه، وكان النبي ﷺ يدعو طالباً نصره وهزيمة أعدائه.

(٢) العنيد: المعاند للحق، والجبار: المتعاظم الشديد التكبر، وقيل هو من يجبر الناس على مراده، وهو وصف مذموم لغير الله تعالى.

(٣) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً، لأنّ كل ما ووري أي: استتر فهو وراء. وقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾: صفة لجبار عنيد، والوراء مستعمل في معنى ما يتنظره ويحل به من بعد، قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

أي بعده.

فتسقيه الزبانية ﴿من ماء صديد[1]﴾ أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قيح ودم وعرق، ﴿يتجرعه﴾ أي يبتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته[2] ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي يدخله جوفه الملتهب عطشاً لقبحه ونتنه ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أي ويأتي هذا الجبار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظمأ فيسقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسبابه وتوفرها من كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت لأن الله تعالى لم يشأ ذلك قال تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ وقال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ ومن وراء ذلك العذاب الذى هو فيه ﴿عذاب﴾ أي لون آخر من العذاب ﴿غليظ﴾ أي شديد لا يطاق، وقوله تعالى: ﴿مثل[3] الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد[4] اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أي شديد هبوب الريح فيه ﴿لا يقدرون مما كسبوا﴾ أي من أعمال في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر والطالحة كالشرك والكفر وعبادة غير الله مما كانوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشتدة في يوم عاصف شديد هبوب الريح فيه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي ذلك الذى دل عليه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر[5] أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي ألم تعلم أيها الرسول أن الله خلق السموات والأرض بالحق أي من أجل الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره فإذا تنكر لربه فكفر به وأشرك غيره في عبادته عذبه بالعذاب الأليم الذي تقدم

---

(١) الصديد: المهلة، أي مثل الماء يسيل من الدمل ونحوه والتجرّع: تكلّف الجرع والحرع: بلع الماء.

(٢) روي أن النبي ﷺ قال قوله تعالى ﴿يسقى من ماء صديد يتجرّعه..﴾ قال: (يقرّب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره..) الخ رواه الترمذي واستغربه.

(٣) المثل: الحال العجيبة أي حال أعمالهم كرماد.

(٤) الرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، ضرب الله في هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في انه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

(٥) الرؤية هنا: رؤية القلب وهي العلمية.

وصفه في هذا السياق لأن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض عبثاً وباطلاً بل خلقهما وخلق ما فيهما من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن ترك الذكر والشكر عذبه أشد العذاب وأدومه وأبقاه، وقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾[1] أيها الناس المتمردون على طاعته المشركون به ﴿ويأت بخلق جديد﴾ غيركم يعبدونه ويوحدونه ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي بممتنع ولا متعذر لأن الله على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إنجاز وعد الله لرسله في قوله: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ الآية.

٢ـ خيبة وخسران عامة أهل الشرك والكفر والظلم.

٣ـ عظم عذاب يوم القيامة وشدته.

٤ـ بطلان أعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها.

٥ـ عذاب أهل الكفر والشرك والظلم لازم لأنهم لم يذكروا ولم يشكروا والذكر والشكر علة الوجود كله فلما عبثوا بالحياة استحقوا عذاباً أبدياً.

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠

(١) أي: أفضل منكم وأطوع وما في التفسير أدل على المقصود.

بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

وبرزوا لله جميعاً[1] : أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة.

إنا كنا لكم تبعاً : أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون.

فهل أنتم مغنون عنا : أي دافعون عنا بعض العذاب.

ما لنا من محيص : أي من ملجأ ومهرب أو منجا.

لما قضي الأمر : بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

ما أنا بمصرخكم : أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب.

تجري من تحتها الأنهار : أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل.

معنى الآيات :

في هذه الآيات عرض سريع للموقف وما بعده من استقرار أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة يقرر مبدأ الوحي والتوحيد والبعث الآخر بأدلة لا ترد، قال تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي خرجت البشرية من قبورها مؤمنوها وكافروها صالحوها وفاسدوها ﴿فقال الضعفاء﴾ أي الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ أي الرؤساء والموجهون للناس بما لديهم من قوة وسلطان ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾[2] أي أتباعاً في عقائدكم وما تدينون به، ﴿فهل

---

(١) البروز: الظهور، وهو هنا الخروج من القبور والظهور خارجها للحشر حيث فصل القضاء، ومن هذا قولهم: امرأة برزة أي تظهر للناس.

(٢) ﴿تبعاً﴾: يصح أن يكون مصدرا أي: ذوي تبع، ويجوز أن يكون جمع تابع مثل: حرس وحارس، وخدم وخادم.

أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾؟ أي فهل يمكنكم أن ترفعوا عنا بعض العذاب بحكم تبعيتنا لكم فأجابوهم بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾[1] اعترفوا الآن أن الهداية بيد الله وأقروا بذلك، ولكنا ضللنا فأضللناكم ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ اليوم ﴿أم صبرنا مالنا من محيص﴾[2] أي من مخرج من هذا العذاب ولا مهرب، وهنا يقوم إبليس خطيبا فيهم[3] بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وقال الشيطان﴾ أي إبليس عدو بني آدم ﴿لما قضي الأمر﴾ بأن أُدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾[4] بأن من آمن وعمل صالحاً مبتعدا عن الشرك والمعاصي أدخله جنته وأكرمه في جواره، وأن من كفر وأشرك وعصى أدخله النار وعذبه عذاب الهون في دار البوار ﴿ووعدتكم﴾ بأن وعد الله ووعيده ليس بحق ولا واقع ﴿فأخلفتكم﴾ فيما وعدتكم به، وكنت في ذلك كاذباً عليكم مغرراً بكم، ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي من قوة مادية أكرهتكم بها على اتباعي ولامعنوية ذات تأثير خارق للعادة أجبرتكم بها على قبول دعوتي ﴿إلا أن دعوتكم﴾ أي لكن دعوتكم ﴿فاستجبتم لي﴾ إذاً ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم﴾ أي بمزيل صراخكم بما أغيثكم به من نصر وخلاص من هذا العذاب ﴿وما أنتم﴾ أيضا ﴿بمصرخي﴾[5]، أي بمغيثيّ ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾[6] إذ كل عابد لغير الله في الواقع هو عابد للشيطان إذ هو الذي زين له ذلك ودعاه إليه، و﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أي المشركين لهم عذاب أليم موجع، وقوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾[7] أي وأدخل الله الذين آمنوا أي صدَّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به رسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾وهي العبادات التي تَعَبَّدَ الله بها عباده فشرعها

---

(١) أي: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه أو لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

(٢) المحيص: مصدر ميمي كالمغيث والمشيب من غاب وشاب، وكذلك حاص يحيص حيصاً عن كذا: هرب ونجا، ويجوز أن يكون المحيص هنا اسم مكان أي: ما لنا من مكان نلجأ إليه وننجو فيه.

(٣) أي: على منبر من نار.

(٤) ﴿وعد الحق﴾: يعني البعث والجنة والنار، وثواب المطيع وعقاب العاصي .فصدقكم وعده، ووعدتكم ألا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب. فأخلفتكم.

(٥) (الصارخ): والمستصرخ هو الذي يطلب النصر والمعاونة، المصرخ هو المغيث قال الشاعر:

ولا تجزعوا إني لكم غير مصرخ — وليس لكم عندي غناء ولا نصر

(٦) ﴿بما أشركتمون﴾: المميم مصدرية والتقدير كفرت بإشراككم إيّاي مع الله تعالى.

(٧) لمّا أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة وهو أسلوب الترغيب والترهيب الذي امتاز به القرآن الكريم لأنّه كتاب هداية وإصلاح.

في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿جنات﴾[1] بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء واللبن والخمر والعسل ﴿خالدين فيها﴾ لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولاً، وقوله تعالى: ﴿بإذن ربهم﴾[2] أي أن ربهم هو الذي أذن لهم بدخولها والبقاء فيها أبداً، وقوله: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ أي السلام عليكم يحييهم ربهم وتحييهم الملائكة ويحيي بعضهم بعضا بالسلام وهي كلمة دعاء بالسلامة من كل العاهات والمنغصات وتحية بطلب الحياة الأبدية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله تعالى.

٢- بيان أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس.

٣- تقرير لعلم الله بما لم يكن كيف يكون إذ ما جاء في الآيات من حوار لم يكن بعد ولكنه في علم الله كائن كما هو وسوف يكون كما جاء في الآيات لا يتخلف منه حرف واحد.

٤- وعيد الظالمين بأليم العذاب.

٥- العمل لا يُدخل الجنة إلا بوصفه سبباً لا غير، وإلا فدخول الجنة يكون بإذن الله تعالى ورضاه.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

---

(١) ﴿جنات﴾: جمعَ جنة، وجنّات: منصوب على نزع الخافض أي: في جنات لأنّ دخل كخرج لا يتعدى إلا بحرف الجر.

(٢) أي: بمشيئته وتيسيره.

تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

كلمة طيبة : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كشجرة طيبة : هي النخلة.

كلمة خبيثة : هي كلمة الكفر.

كشجرة خبيثة : هي الحنظل.

اجتثت : أي اقتلعت جثتها أي جسمها وذاتها.

بالقول الثابت : هو لا إله إلا الله.

وفي الآخرة : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

بدلوا نعمة الله كفراً : أي بدلوا التوحيد والاسلام بالجحود والشرك.

دار البوار : أي جهنم.

وجعلوا لله أندادا : أي شركاء.

معنى الآيـات :

الآيات في تقرير التوحيد والبعث والجزاء، قوله تعالى : ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي ألم تعلم ﴿كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة﴾[1] هي كلمة الإيمان يقولها المؤمن ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة[2] ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها﴾ عال ﴿في السماء﴾، ﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي أكلهاأي ثمرهاالذي يؤكل منها كل حين بلحا وبُسْراًومُنَصَّفاً ورطباً وتمراً وفي الصباح والمساء ﴿بإذن ربها﴾ أي بقدرته وتسخيره فكلمة الإيمان لا إله إلا الله محمد رسول الله تثمر للعبد أعمالاً صالحة كل حين فهي في قلبه والأعمال الصالحة الناتجة عنها ترفع إلى الله عز وجل، وقوله تعالى : ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ أي كما ضرب هذا المثال للمؤمن والكافر في هذا السياق يضرب الأمثال للناس مؤمنهم وكافرهم لعلهم يتذكرون أي رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات فينجوا من عذاب الله، وقوله: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر في قلب الكافر ﴿كشجرة خبيثة﴾ هي الحنظل مُرَّة ولا خير فيها ولا أصل لها ثابت ولا فرع لها في السماء ﴿اجتثت﴾ أي اقتلعت واستؤصلت ﴿من فوق الأرض مالها من قرار﴾ أي لاثبات لها ولا تثمر إلا ما فيها من مرارة وسوء طعم وعدم بركة وقوله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ هذا وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين بأنه يثبتهم على الإيمان مهما كانت الفتن والمحن حتى يموتوا على الإيمان ﴿وفي الآخرة﴾ أي في القبر إذ هو عتبة الدار الآخرة عندما يسألهم[3] الملكان عن الله وعن الدين والنبي من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبتهم بالقول الثابت وهو الإيمان وأصله لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل الصالح الذي هو الإسلام وقوله تعالى : ﴿ويضل الله الظالمين﴾ مقابل هداية المؤمنين فلا يوفقهم للقـول الثـابت حتى يموتوا على الكفر فيهلكوا ويخسروا، وذلك

---

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي؟ قال: هي النخلة) وورد: (مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبته نفعك، وإن جالسته نفعك، وإن شاورته نفعك كالنخلة كل شيء منها ينتفع به).

(٢) وورد أكرموا عمتكم النخلة، ومن وجه شبهها بالمؤمن أنها برأسها تبقى ،وبقلبها تحيا وفي اللقاح ورائحة طلع ذكرها كرائحة المني، وقيل: إنها خلقت من فضلة طينة آدم التي خلق منها، فهي لذا عمة بني آدم.

(٣) روى النسائي عن البراء قال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال: من ربك فيقول ربي الله وديني دين محمد ﷺ.

لإصرارهم على الشرك ودعوتهم إليه وظلم المؤمنين وأذيتهم من أجل إيمانهم، وقوله تعالى: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ تقرير لإرادته الحرة فهو عز وجل يثبت من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض عليه ولا نكير مع العلم أنه يهدي ويضل بحكم عالية تجعل هدايته كإضلاله رحمة وعدلاً.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم ينته إلى علمك أيها الرسول ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ التي هي الإسلام الذي جاءهم به رسول الله بما فيه من الهدى والخير فكذبوا رسول الله وكذبوا بما جاء به ورضوا بالكفر وأنزلوا بذلك قومهم الذين يحثونهم على الكفر ويشجعونهم على التكذيب أنزلوهم[1] ﴿دار البوار﴾[2] فهلك من هلك في بدر كافراً الى جهنم، ودار البوار هي جهنم يصلونها أي يحترقون بحرها ولهيبها ﴿وبئس القرار﴾ أي المقر الذي أحلوا قومهم فيه، وقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله﴾ أي جعل أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً وهم كفار مكة لله أنداداً أي شركاء عبدوها وهي اللاَّتَ والعُزَّى وهُبل ومَناة وغيرها من آلهتهم الباطلة، جعلوا هذه الأنداد ودعوا إلى عبادتها ليضلوا ويضلوا غيرهم عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى وجواره الكريم، وقوله تعالى: ﴿قل تمتعوا﴾[3] أي بما أنتم فيه من متاع الحياة الدنيا ﴿فإن مصيركم﴾ أي نهاية أمركم ﴿إلى النار﴾ حيث تصيرون إليها بعد موتكم إن أصررتم على الشرك والكفر حتى متم على ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ المقارنة بين الإيمان والكفر، وكلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يثمره كل واحد من هذه الأصناف من خير وشر.

---

(١) هذه الآية نزلت في قريش، وقيل: في هلكى بدر، وقيل: في متنصِّرة العرب: جبلة بن الأيهم وأصحابه، والظاهر أنها عامة في كل من كفر بالله ورسوله وحاد عن سبيلهما، وقال الحسن: إنها عامة في جميع المشركين.

(٢) ﴿البوار﴾: الهلاك.

(٣) الأمر للتهديد والوعيد، وفي اللفظ إشارة إلى قلّة ما في الدنيا من ملاذ مع سرعة زوالها ولزوم انقطاعها.

٣- بشرى المؤمن بتثبيت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجيب منكراً ونكيراً على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له.

٤- الأمر في قوله تعالى تمتعوا ليس للإباحة ولا للوجوب وإنما هو للتهديد والوعيد.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

شرح الكلمات:

لابيع فيه ولا خلال : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالة تنفع ولا صداقة.

الفلك : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث.

دائبين : جاريين في فلكهما لا يفتران أبداً حتى نهاية الحياة الدنيا.

لظلوم كفار : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفار عظيم الكفر هذا ما لم يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه.

معنى الآيات:

لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً ﴿قل تمتعوا فإن

مصيركم إلى النـار﴾ أمـر رسوله أيضاً أن يقول للمؤمنين أن يقيموا الصلاة وينفقوا من أموالهم سراً وعلانية ليتقوا بذلك عذاب يوم القيامة الذي توعد به الكافرين فقال: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾[١] أي يؤدوها على الوجه الذي شرعت عليه فيتموا ركوعها وسجـودها ويؤدوها في أوقاتها المعينة لها وفي جماعة وعلى طهارة كاملة مستقبلين بها القبلة حتى تثمر لهم زكاة أنفسهم وطهارة أرواحهم ﴿وينفقوا﴾[٢] ويوالوا الإنفاق في كل الأحيان ﴿سراً وعلانية﴾، ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لابيع فيه ولا خلال﴾[٣] لا شراء فيحصل المرء على ما يفدي به نفسه من طريق البيع، ولا خلة أي صداقة تنفعه ولا شفاعة إلا بإذن الله تعالى.

وقـولـه تعـالى: ﴿الله[٤] الذي خلق السماوات والأرض﴾ أي انشأهما وابتدأ خلقهما ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ هو ماء الأمطار ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ والحبوب ﴿رزقاً لكم﴾[٥] تعيشون به وتتم حياتكم عليه ﴿وسخر[٦] لكم الفلك﴾ أي السفن ﴿لتجري في البحر بأمره﴾ أي بإذنه وتسخيره تحملون عليها البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وتركبونها كذلك ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ الجارية بالمياه العذبة لتشربوا وتسقوا مزارعكم وحقولكم ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾[٧] لا يفتران أبداً في جريهما وتنقلهما في بروجهما لمنافعكم التي لا تتم إلا على ضوء الشمس وحرارتها ونور القمر وتنقله في منازله ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا والنهار لتعملوا فيه وتكسبوا أرزاقكم ﴿وآتاكم من كل ماسألتموه﴾[٨] مما أنتم في حاجة إليه لقوام حياتكم، هذا هو الله المستحق لعبادتكم

---

(١) هي الصلوات الخمس: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

(٢) هي الزكاة ويدخل معها صدقة التطوع، إذ الكلّ انفاق، والسرية غالباً هي صدقة التطوع والعلانية هي الزكاة المفروضة

(٣) ﴿الخلال﴾ جمع خلّة كقُلة وقلال، وهي المودة والصداقة والمنفي هنا هو آثارها بالنفع بالإرفاد والاسعاف بالثواب.

(٤) هذا استئناف واقع موقع الاستدلال على بطلان الشرك ووجوب التوحيد وما يترتب على ذلك من سعادة الموحدين وشقاء المشركين.

(٥) الرزق: القوت، وهو كل ما يقتات به من أنواع الحبوب والخضر والفواكه واللحوم.

(٦) التسخير هو التذليل والتطويع، وهو كناية عن كون الشيء قابلا للتصرف فيه.

(٧) الدّؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية لا تختلف وفعله: دأب يدأب دؤوبا على الشر: إذا استمر عليه ولم يقطعه.

(٨) ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي: من كل مسؤول سألتموه شيئاً فحذف مسؤول لدلالة الكلام عليه، والمقابل محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإنّ هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إيّاها، وهذا الحذف كقوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر..﴾ وسرابيل تقيكم البرد: فحذف.

رغبة فيه ورهبة منه، هذا هو المعبود الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له وليس تلك الأصنام والأوثان التي تعبدونها وتدعون إلى عبادتها حتى حملكم ذلك على الكفر والعناد بل والظلم والشر والفساد.

وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1] أي بعد أن عدد الكثير من نعمه أخبر أنه لا يمكن للإنسان أن يعد نعم الله عليه ولا أن يحصيها عداً بحال من الأحوال، وقرر حقيقة في آخر هذه الموعظة والذكرى وهي أن الإنسان إذا حُرم الإيمان والهداية الربانية ﴿ظلوم﴾ أي كثير الظلم كفور كثير الكفر عظيمه، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإكثار من الصدقات لاتقاء عذاب النار.

٢ـ جواز صدقة العلن كصدقة السر وإن كانت الأخيرة أفضل.

٣ـ التعريف بالله عز وجل إذ معرفة الله تعالى هي التي تثمر الخشية منه تعالى.

٤ـ وجوب عبادة الله تعالى وبطلان عبادة غيره.

٥ـ وصف الإنسان بالظلم والكفر وشدتهما ما لم يؤمن ويستقيم على منهج الإسلام.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ

(١) الإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصا إسماً للعدد، وهو منقول من الحصى وهي صغار الحجارة إذ كانوا يعدون الأعداد الكبيرة بها.

تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

هذا البلد آمنا : أي اجعل مكة بلداً آمناً يأمن كل من دخله .

واجنبني : بَعِّدْني .

أن نعبد الأصنام : عن أن نعبد الأصنام .

أضللن كثيراً من الناس : أي بعبادتهم لها . .

من تبعني فإنه مني : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني .

من ذريتي : أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر .

بواد غير ذي زرع : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ .

تهوي إليهم : تَحِنُّ إليهم وتميل رغبة في الحج والعمرة .

على الكبر إسماعيل واسحق : أي مع الكبر إذ كانت سنه يومئذ تسعاً وتسعين سنة وولد له إسحق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة .

ولوالـدي : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .

يوم يقوم الحساب : أي يوم يقوم الناس للحساب .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وقد تضمنت هذه الآيات ذلك ،

وقوله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ أي اذكر إذ قال إبراهيم فكيف يذكر ما لم يوح الله تعالى إليه بذلك ففسر هذا نبوة رسول الله ونزول الوحي إليه، وقوله: ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ إي ذا أمن فيأمن من دخله على نفسه وماله والمراد من البلد مكة.

وقوله: ﴿واجنبني[1] وبني أن نعبد الأصنام﴾ فيه تقرير للتوحيد الذي هو عبادة الله وحده ومعنى اجنبني ا بعدني أنا وأولادي وأحفادي وقد استجاب الله تعالى له فلم يكن في أولاده وأولاد أولاده مشرك، وقوله: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾[2] تعليل لسؤاله ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها، واضلال الناس كان بعبادتهم لها فضلوا في أودية الشرك، وقوله: ﴿فمن تبعني﴾ أي من أولادي ﴿فإنه مني﴾ أي على ملتي وديني، ﴿ومن عصاني﴾ فلم يتبعني على ملة الإسلام إن تعذبه فذاك وإن تغفر له ولم تعذبه ﴿فإنك غفور رحيم﴾[3]، وقوله: ﴿ربنا إني اسكنت من ذريتي﴾[4] أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل مع أمه هاجر ﴿بواد غير ذي زرع﴾ هو مكة إذ ليس فيها ولا حولها زراعة يومئذ وإلى آماد بعيدة وأزمنة عديدة ﴿عند بيتك المحرم﴾ قال هذا بإعلام من الله تعالى له أنه سيكون له بيت في هذا الوادي ومعنى المحرم أي الحرام وقد حرمه تعالى فمكة حرام إلى يوم القيامة لا يُصاد صيدها ولا يُختلي خلاها ولا تُسفك فيها دماء ولا يحل فيها قتال، وقوله: ﴿ربنا ليقيموا الصلاة[5] فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾ هذا دعاء بأن ييسر الله تعالى عيش سكان مكة ليعبدوا الله تعالى فيها بإقام الصلاة، فإن قلوب بعض الناس عندما تهفوا الى مكة وتميل إلى الحج والعمرة تكون سبباً في نقل الأرزاق والخيرات إلى مكة، وقوله: ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ دعاء آخر بأن يرزق الله بنيه من الثمرات ليشكروا الله تعالى على ذلك فوجود الأرزاق والثمرات موجبة للشكر، إذ النعم تقتضي

---

(١) أي: اجعلني جانباً عن عبادتها، وبنيه من صلبه وكانوا ثمانية: فما عبد منهم أحد صنماً قط. كان ابراهيم التميمي يقول: من يأمن البلاء بعد الخليل حتى يقول: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام.

(٢) نسب الإضلال إليهن وهن جمادات لا يفعلن شيئا: لأنهن السبب في الإضلال.

(٣) فوّض الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذّبه. وقيل: قال ابراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٤) ذكر البخاري قصّة إسكان ابراهيم عليه السلام هاجر مكة، بالتفصيل فليرجع إليها ومن في قوله: ﴿من ذريتي﴾ للتبعيض إذ لم يسكن مكة إلاّ إسماعيل وباقي أولاده كانوا بالشام.

(٥) خصّ الصلاة بالذكر لأنها العبادة التي تشتمل على الذكر والشكر، وهي علّة الحياة وسرّ هذا الوجود والكلام في قوله ﴿ليقيموا الصلاة﴾ لام كي: التعليلية والفعل متعلق بأسكنت أي: أسكنتهم بمكة ليقيموا الصلاة فيها.

شكراً، وقوله: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أراد به أن ما سأل ربه فيه من كل ما سأل انما هو من باب إظهار العبودية لله والتخشع لعظمته والتذلل لعزته والافتقار الى ما عنده، وإلا فالله أعلم بحاله وما يصلحه هو وبنيه، وما هم في حاجة إليه لأنه تعالى يعلم كل شيء ولا يخفى[1] عنه شيء في الأرض ولا في السماء.. وقوله: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر[2] اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ أراد به حمد الله وشكره على ما أنعم به عليه حيث رزقه اسماعيل واسحق على كبر سنه، والاعلام بأن الله تعالى سميع دعاء من يدعوه وينيب إليه، وقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أيضاً من يقيم الصَّلاة، لأن الصلاة هي علة الحياة كلها إذ هي الذكر والشكر فمتى أقام العبد الصلاة فأداها بشروطها وأركانها كان من الذاكرين الشاكرين، ومتى تركها العبد كان من الناسين الغافلين وكان من الكافرين، وأخيرا ألحَّ على ربه في قبول دعائه وسأل المغفرة له ولوالديه[3] وللمؤمنين يوم يقوم[4] الناس للحساب وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضل مكة وشرفها وأنها حرم آمن أي ذو أمن.

٢ـ الخوف من الشرك لخطره وسؤال الله تعالى الحفظ من ذلك.

٣ـ علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب.

٤ـ أهمية إقام الصلاة وأن من لم يرد أن يصلي لا حق له في الغذاء ولذا يُعدم إن أصر على ترك الصلاة.

---

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ اي: من الوجد بإسماعيل وأمّه حيث أُسكنا بواد غير ذي زرع، والوجد: الحزن.

(٢) قيل: ولدله اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) استغفر عليه السلام لوالديه قبل أن يتبيّن له عداوة أبيه آزر لله تعالى فلمّا تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه، كما تقدم في سورة التوبة، كما جاء فيها: ﴿فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ فلذا لا يجوز الاستغفار لمن مات مشركاً، كما لا يجوز الصلاة عليه إذا مات إجماعاً.

(٤) نسبة القيام إلى الحساب كقولهم: قامت الحرب على ساق: يعنون اشتداد الأمر، وصعوبة الحال.

٥ـ بيان استجابة دعاء ابراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه.

٦ـ وجوب حمد الله وشكره على ما ينعم به على عبده.

٧ـ مشروعية الاستغفار للنفس وللمؤمنين والمؤمنات.

٨ـ تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء.

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

عما يعمل الظالمون : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم.

ليوم تشخص فيه الأبصار : أي تنفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال.

مهطعين مقنعي رؤوسهم : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر، رافعي رؤوسهم.

وأفئدتهم هواء : أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفزع.

نجب دعوتك : أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك ونتبع الرسل.

ما لكم من زوال : أي عن الدنيا إلى الآخرة.

وقد مكروا مكرهم : أي مكرت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه.

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال : أي لم يكن مكرهم بالذي تزول منه الجبال فإنه تافه لا قيمة له فلا تعبأ به ولا تلتفت إليه.

معنى الآيات :

في هذا السياق الكريم تقوية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر ليواصل دعوته إلى ربه إلى أن ينصرها الله تعالى وتبلغ المدى المحدد لها والأيام كانت صعبة على رسول الله وأصحابه لتكالب المشركين على أذاهم، وازدياد ظلمهم لهم فقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ من قومك إنه إن لم ينزل بهم نقمته ولم يحل بهم عذابه إنما يريد أن يؤخرهم ﴿ليوم تشخص[1] فيه الأبصار﴾ أي تنفتح فلا تغمض ولا تطرف لشدة الأهوال وصعوبة الأحوال، ﴿مهطعين[2]﴾ أي مسرعين ﴿مقنعي رؤوسهم[3]﴾ أي حال كونهم مهطعين مقنعي رؤوسهم أي رافعين رؤوسهم مسرعين للداعي الذي دعاهم إلى المحشر، قال تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب﴾ ﴿لا يرتد إليهم طرفهم[4]﴾ أي لا تغمض أعينهم من الخوف ﴿وأفئدتهم﴾ أي قلوبهم ﴿هواء﴾ أي[5]

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون، وفعل الشخوص: شخص يشخص البصر: إذا سما وطمح من الخوف.

(٢) ﴿مهطعين﴾ اسم فاعل من أهطع يهطع إهطاعاً فهو مهطع إذا أسرع ومنه قوله تعالى: ﴿مهطعين إلى الداعي﴾ أي: مسرعين، قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم   بدجلة مهطعين إلى السماع

والمهطع أيضاً من ينظر في ذل وخشوع.

(٣) ﴿مقنعي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكروه وقد يطلق الإقناع أيضاً على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأطأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٤) الطرف: العين، قال الشاعر:

وأغمض طرفي ما بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها

يقال: طرف يطرف طرفاً إذا أطبق جفنه على الآخر، ولم يطرف: إذا فتح عينه ولم يغمضها.

(٥) هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول، والهواء: الخلاء.

فارغة من الوعي والادراك لما أصابها من الفزع والخوف ثم أمر تعالى رسوله في الآية (٤٤) بإنذار الناس مخوفاً لهم من عاقبة أمرهم إذا استمروا على الشرك بالله والكفر برسوله وشرعه، ﴿يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا﴾ أي أشركوا بربهم، وآذوا عباده المؤمنين ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ أي يطلبون الإنظار والإمهال ﴿نجب دعوتك﴾ أي نوحدك ونطيعك ونطيع رسولك، فيقال لهم: توبيخاً وتقريعاً وتكذيباً لهم: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم﴾ أي حلفتم ﴿من قبل ما لكم من زوال﴾ أي أطلبتم الآن التأخير ولم تطلبوه عندما قلتم ما لنا من زوال ولا ارتحال من الدنيا الى الآخرة، ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ﴿وتبين لكم﴾ أي عرفتم ﴿كيف فعلنا بهم﴾ أي بإهلاكنا لهم وضربنا لكم الأمثال في كتبنا وعلى ألسنة رسلنا فيوبخون هذا التوبيخ ولا يجابون لطلبهم ويقذفون في الجحيم، وقوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أي وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ حيث قرروا حبسه مغللاً في السجن حتى الموت أو قتله، أو نفيه وعزموا على القتل ولم يستطيعوه ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي علمه وما أرادوا به، وجزاؤهم عليه، وقوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[1] أي ولم يكن مكرهم لتزول منه الجبال فإنه تافه لا وزن له ولا اعتبار فلا تحفل به أيها الرسول ولا تلتفت، فإنه لا يحدث منه شيء، وفعلاً قد خابوا فيه أشد الخيبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تأخير العذاب عن الظلمة في كل زمان ومكان لم يكن غفلة عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى يوم القيامة أو إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم.

٢ـ بيان أهوال يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه حتى يتمنى الظالمون الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ويوحدوا ربهم في عبادته .

٣ـ التنديد بالظلم وبيان عقاب الظالمين بذكر أحوالهم.

---

(١) قرىء: ﴿لتزول﴾ بفتح اللام الأولى وضم الآخرة لتزول، وإن مخففة من الثقيلة، واللام لام الابتداء، ومعنى الآية: استعظام مكرهم حتى لتكاد الجبال تزول منه، وما في التفسير من قراءة وتوجيه هو الذي رجّحه ابن جرير الطبري. هنا ذكر القرطبي بإسهاب قصّة النمرود الجبار الذي حاج ابراهيم عليه السلام، ولا طائل تحتها.

٤ـ تقرير جريمة قريش في ائتمارها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

إن الله عزيز : أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال.

ذو انتقام : أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله.

يوم تبدل الأرض : أي اذكر يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض.

وبرزوا لله : أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم.

مقرنين : أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم.

في الأصفاد : الأصفاد جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره.

سرابيلهم : أي قمصهم التي يلبسونها من قطران.

هذا بلاغ : أي هذا القرآن بلاغ للناس.

أولوا الألباب : أصحاب العقول.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين وهم يعانون من صلف المشركين

وظلمهم وطغيانهم فيقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾[1] إنه كما لم يخلف رسله الأولين لا يخلفك أنت، إنه لابد منجز لك ما وعدك من النصر على أعدائك فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم. ﴿إن الله عزيز﴾[2] أي غالب لا يغلب غالب على أمره ما يريده لا بد واقع ﴿ذو انتقام﴾ شديد ممن عصاه وتمرد على طاعته وحارب أولياءه، واذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾[3] كذلك ﴿وبرزوا﴾ أي ظهروا بعد خروجهم من قبورهم في طريقهم إلى المحشر إجابة منهم لدعوة الداعي وقد برزوا ﴿لله الواحد القهار﴾، ﴿وترى المجرمين يومئذ﴾ يا رسولنا تراهم ﴿مقرنين في الأصفاد﴾[4] مشدودة أيديهم وارجلهم إلى أعناقهم، هؤلاء هم المجرمون اليوم بالشرك والظلم والشر والفساد أجرموا على أنفسهم أولا ثم على غيرهم ثانياً سواء ممن ظلموهم وآذوهم أو ممن دعوهم إلى الشرك وحملوهم عليه، الجميع قد أجرموا في حقهم، ﴿سرابيلهم﴾[5] قمصانهم التي على أجسامهم ﴿من قَطران﴾ وهو ما تدهن به الإبل: مادة سوداء محرقة للجسم أو من نحاس إذْقُريْ من قِطرآنٍ أي من نحاس أُحمي عليه حتى بلغ المنتهى في الحرارة ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي وتغطي وجوههم النار بلهبها، هؤلاء هم المجرمون في الدنيا بالشرك والمعاصي، وهذا هو جزاؤهم يوم القيامة، فعل تعالى هذا بهم ﴿ليجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ فما بين أن وجدوا في الدنيا وبين أن انتهوا إلى نار جهنم واستقروا في أتون جحيمها الا كمن دخل

---

(١) ﴿مخلف﴾ مفعول ثان لحسب، ووعده: مجرور بالإضافة، ورسله: معمول لمخلف مؤخر، والأصل: مخلف رسله وعده، وقدّم الوعد للاهتمام به.

(٢) جملة تعليلية للنهي عن حسبان خلف وعده تعالى.

(٣) الآية نصّ صريح في كون الأرض والسموات تتبدل في ذاتها وسائر صفاتها وتزول تماماً ويخلق الله تعالى أرضاً غير ذي وسماء غير هذه، وفي الحديثين الآتيين ما يقرّر ذلك:

أ ـ حديث مسلم، وفيه: (إنّ يهوديا سأل رسول الله ﷺ قائلا: أين يكون الناس يوم تبدلّ الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: في الظلمة دون الجسر).

ب ـ حديث ابن ماجه بإسناد مسلم قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط).

(٤) الأصفاد: جمع صفد بفتح كل من الصاد والفاء، وهو الغلّ والقيد يشد به ويربط الجاني قال الشاعر:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفّدين

(٥) واحد السرابيل: سربال، وهو القميص، يقال: تسربل، إذا لبس السربال وكونها من قطران لشدّة حرارتها، واشتعال النار فيها.

مع باب وخرج مع آخر، وأخيراً يقول تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس[1] ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ أي هذا القرآن بلاغ للناس من رب الناس قد بلغه إليهم رسول رب الناس ﴿ولينذروا به﴾ أي بما فيه من العظات والعبر والعرض لألوان العذاب وصنوف الشقاء لأهل الإجرام والشر والفساد، ﴿وليعلموا﴾ أي بما فيه من الحجج والدلائل والبراهين ﴿أنما هو إله واحد﴾ أي معبود واحد لا ثاني له وهو الله جل جلاله، فلا يعبدوا معه غيره إذ هو وحده الرب والإله الحق، وما عداه فباطل، ﴿وليذكر أولوا الألباب﴾ أي وليتعظ بهذا القرآن أصحاب العقول المدركة الواعية فيعملوا على إنجاء أنفسهم من غضب الله وعذابه، وليفوزوا برحمته ورضوانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان صدق وعد الله من وعدهم من رسله وأوليائه.

٢- بيان أحوال المجرمين في العرض وفي جهنم.

٣- بيان العلة في المعاد الآخر وهو الجزاء على الكسب في الدنيا.

٤- قوله تعالى في آخر آية من هذه السورة: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ هذه الآية صالحة لأن تكون عنوانا[2] للقرآن الكريم إذ دلت على مضمونه كاملاً مع وجازة اللفظ وجمال العبارة، والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) ﴿بلاغ﴾ أي: تبليغ للناس يقوم به الرسول ﷺ.

(٢) قال هذا: العلامة الشيخ، البشير الإبراهيمي الجزائري، وظننا أنه إلهام من الله تعالى له، وإذا بنا نعثر في كلام الأولين على من قاله، وسبق به وجائز أن يكون الشيخ ألهمه والآخر كذلك، وتوارد الخواطر معروف ولا مانع من النقل والسكوت على من نقل عنه، إذ العلم مشاع كالماء والهواء لا غنى لأحد عنهما، ولذا فلا بأس أن ينقل العلم ولا ينسب إلى قائله لكن لا ينسب إلى غير قائله، فتلك سرقة ممنوعة.

سُورَةُ الحِجْر

مكية

وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

آلـر	: الله أعلم بمراده بذلك، تُكتب آلر. ويقرأ: ألِفْ، لاَمْ، را.
تلك آيات الكتاب	: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن.
يود	: يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين.
ويتمتعوا	: أي بالملذات والشهوات.
ويلههم الأمل	: أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية.
إلا ولها كتابٌ معلوم	: أي أجل محدود لإهلاكها.
ما تسبق من أمة أجلها	: أي لا يتقدم أجلها المحدد لها ومن زائدة للتأكيد.

معنى الآيات :

بما أن السورة مكية فإنها تعالج قضايا العقيدة وأعظمها التوحيد والنبوة والبعث. قوله تعالى: ﴿آلر﴾: الله أعلم بمراده به، ومن فوائد هذه الحروف المقطعة تنبيه السامع وشده بما يسمع من التلاوة، إذ كانوا يمنعون سماعه خشية التأثر به، فكانت هذه الفواتح التى لم يألفوا مثلها في كلامهم تشدهم إلى سماع ما بعدها من القرآن. وقوله: ﴿تلك آيات

الكتاب﴾[1] من الجائز القول: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف الر، آلم، طس، حمَ عَسَق. ﴿تلك آيات الكتاب وقرآنٍ مبين﴾ المبين: المبين للحق والباطل والهدى والضلال وقوله تعالى: ﴿ربما[2] يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾: يخبر تعالى أن يوماً سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة ويدخل هو النار يود يومئذٍ متمنياً أن لو كان من[3] المسلمين. وقد يُحدث الله تعالى ظروفاً في الدنيا وأموراً يتمنى الكافر فيها لو كان من المسلمين. وقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ أي اتركهم يا رسولنا، أي اترك الكافرين يأكلوا ما شاءوا من الأطعمة، ويتمتعوا بما حصل لهم من الشهوات والملذات، ويلههم الأمل عن التفكير في عاقبة أمرهم. إذ همهم طولُ أعمارهم، وتحقيق أوطارهم، فسوف يعلمون إذا رُدّوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون أنهم كانوا في الدنيا مخطئين بإعراضهم عن الحق ودعوة الحق والدين الحق وقوله: ﴿وما أهلكنا من[4] قرية﴾ أي من أهل قرية بعذاب الإبادة والاستئصال ﴿إلا ولها كتاب﴾، أي لها أجلٌ مكتوبٌ في كتابٍ محدد اليوم والساعة .وقوله: ﴿. . ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستأخرون﴾ أي بناءً على كتاب المقادير فإن أمة كتب الله هلاكها لا يمكن أن يتقدم هلاكها قبل ميقاته المحدد، ولا أن يستأخر عنه ولو ساعة. وفي هذا تهديدٌ وتخويف لأهل مكة وهم يحاربون دعوة الحق ورسول الحق لعل قريتهم قد كتب لها كتابٌ وحدد لها أجلٌ وهم لا يشعرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ القرآن الكريم مبينٌ لكل ما يُحتاج إليه في إسعاد الإنسان وإكماله.

---

(١) لفظ الكتاب الذي هو القرآن أصبح علماً بالغلبة على القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ وسمي بالكتاب لأنه مأمور بكتابته وحفظه فسمي بالكتاب قبل أن يكتب للأمر بذلك، والقرآن: اسم ثان للكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والكتاب مشتق من الكتب الذي هو الجمع، والقرآن من القرء الذي هو الجمع أيضاً فهو تجمع حروفه وكلماته.

(٢) ربَّ: حرف جرّ يدخل على الأسماء، وإن أريد إدخالها على الأفعال لحقت بها (ما) كما في الآية. وقرأ نافع ﴿رُبَمَا﴾ بالتخفيف، وشدّدها غيره في هذه الآية ﴿ربما يودّ الذين كفروا..﴾ الخ وأصل استعمالها في التقليل، وقد تستعمل في التكثير.

(٣) وقد ورد أنه لما يرى الكافرون وهم في النار أهلَ التوحيد يخرجون منها يودون لو كانوا موحدين، والكل وارد ولا مانع منه.

(٤) ﴿من﴾: صلة لتقوية النفي وتأكيد الخبر.

٢ـ إنذار الكافرين وتحذيرهم من مواصلة كفرهم وحربهم للإسلام فإن يوماً سيأتي يتمنون فيه أن لو كانوا مسلمين.

٣ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر فما من شيء إلا وسبق به علم الله وكتبه عنده في كتاب المقادير الحياة كالموت، والربح كالخسارة، والسعادة كالشقاء، جميع ما كان وما هو كائنٌ وما سيكون سبق به علم الله وكتب في اللوح المحفوظ.

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

نزل عليه الذكر : أي القرآن الكريم.

لو ما تأتينا بالملائكة : أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله.

وما كانوا إذاً منظرين : أي ممهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.

إنا نحن نزلنا الذكر : أي القرآن.

في شيع الأولين : أي في فرق وطوائف الأولين.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي قال الكافرون المنكرون للوحي والنبوة ﴿إنك لمجنون﴾ أي غير عاقل وإلا لما ادعيت النبوة. وفي قولهم هذا استهزاء

ظاهر بالرسول ﷺ وهو ثمرة ظلمة الكفر التي في قلوبهم وقوله: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾[1] لو ما هنا بمعنى هلا التحضيضيه أي هلا تأتينا بالملائكة نراهم عياناً يشهدون لك بأنك رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك النبوة والرسالة فأت بالملائكة تشهد لك. قال تعالى ﴿ما ننزل[2] الملائكة إلا بالحق﴾ أي نزولاً ملتبساً بالحق. أي لا تنزل الملائكة إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا لمجرد تشهي الناس ورغبتهم ولو نزلت الملائكة ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب فوراً ﴿وما كانوا إذاً منظرين[3]﴾ أي ممهلين بل يهلكون في الحال. وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي من الضياع ومن الزيادة والنقصان لأنه حجتنا على[4] خلقنا إلى يوم القيامة. أنزلنا الذكر هدى ورحمة وشفاء ونوراً. هم يريدون العذاب والله يريد الرحمة. مع أن القرآن نزلت به الملائكة، والملائكة إن نزلت ستعود الى السماء ولم يبق ما يدل على الرسالة إلا القرآن ولكن القوم لا يريدون أن يؤمنوا وليسوا في ذلك الكفر والعناد وحدهم بل سبقتهم طوائف وأمم أرسل فيهم فكذبوا وجاحدوا وهو قوله تعالى: ﴿ولقد[5] أرسلنا من قبلك في شيع[6] الأولين﴾ أي في فرقهم وأممهم ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به[7] يستهزئون﴾ لأن علة المرض واحدة إذاً فلا تيأس يا رسول الله ولا تحزن بل اصبر وانتظر وعد الله لك بالنصر فإن وعده حق: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي! إن الله قوي عزيز﴾.

---

(١) ﴿لوما﴾ كلولا، وهلاّ: حرف تحضيض على الفعل نحو: لو ما أكرمت عمراً ولولا أكرمت زيداً وهلا كذلك، وتأتي مع الخبر فلا يراد بها التحضيض نحو: لو ما خوف الله لقلت فيك كذا وكذا، قال الشاعر:

لو ما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عَوَري

(٢) قرأ حفص: ﴿ما ننزل الملائكة﴾ وقرأ بعضهم ﴿ما تنزّل﴾ وقرأ ورش عن نافع ﴿ما تُنَزَّلُ﴾ بحذف احدى التائين تخفيفاً، إذ الأصل: تتنزّل.

(٣) أصل: إذاً: إذ أن، ومعناها حينئذ أي: تنزّلت الملائكة بإهلاكهم لما كانوا حينئذ منظرين أي: ممهلين ساعة من الزمن.

(٤) قالت العلماء: لما وكل الله تعالى حفظ التوراة والانجيل إلى أهل الكتاب في قوله ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أضاعوه فزادوا فيه ونقصوا منه، ولمّا تولى الله تعالى حفظ القرآن، حفظه فلم يُزَدْ فيه حرف ولم يُنقص منه حرف.

(٥) ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ.. هذه الجملة إبطال لاستهزاء المشركين بالرسول ﷺ على طريقة التمثيل بأشياعهم من الأمم السابقة.

(٦) الشِيَع: جمع شيعة، وهي الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ أي: فرقاً كل فرقة تتآلف مع أفرادها، وتحارب عن مبادئها وأفكارها وما هي عليه من دين وعادة.

(٧) تقديم الجار والمجرور (به) على فعل يستهزئون: لإفادة القصر للمبالغة أي: كأنهم لفساد قلوبهم لا شغل لهم إلا الاستهزاء برسول الله عز وجل.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان يلقاه رسول الله ﷺ من استهزاء وسخرية من المشركين.

٢ـ مظهر من مظاهر رحمة الله بالإنسان، يطلب نزول العذاب والله ينزل الرحمة.

٣ـ بيان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من الزيادة والنقصان ومن الضياع.

٤ـ بيان سنة الله تعالى في الأمم والشعوب وهي أنهم ما يأتيهم من رسول ينكر عليهم مألوفهم ويدعوهم إلى جديد من الخير والهدى إلا وينكرون ويستهزئون.

كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾

شرح الكلمـات :

كذلك نسلكه : أي التكذيب بالقرآن أو النبي ﷺ.

وقد خلت سنة الأولين : أي مضت سنة الأمم السابقة.

فظلوا فيه يعرجون : أي يصـعدون.

إنما سُكِّرت : أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب.

في السماء بروجا : أي كواكب ينزلها الشمس والقمر.

شيطان رجيـم : أي مرجومٌ بالشهب.

شهاب مبين : كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يُخْبِلُهُ أي يفسده.

معنى الآيـات :

مازال السياق في المكذبين للنبي ﷺ المطالبين بنزول الملائكة لتشهد للرسول ﷺ بنبوته حتى يؤمنوا بها. قال تعالى: ﴿كذلك نسلكه[1]﴾ أي التكذيب في قلوب المجرمين من قومك، كمـا سلكنـاه حسب سنتنا في قلوب من كذبـوا الـرسل من قبلك فسلكه ﴿في قلوب المجرمين﴾ من قومك فلا يؤمنون بك ولا بالذكر الذي أنزل عليك. وقوله تعالى: ﴿وقد خلت سنة الأولين[2]﴾ أي مضت وهي تعذيب المكذبين للرسل المستهزئين بهم لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. وقوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم[3] باباً من السماء فظلوا﴾ أي الملائكة أو المكذبون ﴿فيه﴾ أي في ذلك الباب ﴿يعرجون﴾ أي يصعدون طوال النهـار طالعين هابطين ولقالوا في المساء ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أي منعت من النظر الحقيقي فلم نر الملائكة ولم نرى السماء ﴿بل نحن[4] قوم مسحورون﴾ فأصبحنا نرى أشياء لا حقيقية لها، وقوله تعالى: ﴿ولقد[5] جعلنا في السماء بروجا﴾ أي كواكب[6] هي منازل للشمس والقمـر ينـزلان بهـا وعلى مقتضـاهـا يعـرف عدد السنين والحساب. وقوله: ﴿زيناها﴾ أي السماء بالنجوم ﴿للناظرين﴾ فيها من الناس. وقوله: ﴿وحفظناها﴾ أي السمـاء الـدنيا ﴿من كل شيطانٍ رجيم﴾ أي مرجـوم ملعون. وقوله: ﴿إلا من استرق السمـع﴾ إلا مارد من الشياطين طلع إلى السمـاء لاستراق السمع من الملائكة لينزل بالخبر إلى وليه من الكهان من الناس ﴿فاتبعه شهاب﴾ من نار ﴿مبين﴾ أي يبين أثره في الشيطان إما بإخباله وإفساده وإما بإحراقه. هذه الآيات وهي قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا

---

(١) عود الضمير في ﴿نسلكه﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأوّلين﴾ أي: لرسل فيهم رسلا وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم ينتفعوا لإعراضهم عنها فتعيها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك، وهي الكبر والحسد والعناد وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر، وتلك سنّة الله تعالى في أمثالهم، وأصل السلك: إدخال الشيء في آخر.

(٢) في الآية تعريض للمجرمين بالهلاك.

(٣) هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين﴾.

(٤) أي: أضربوا عن القول الأوّل. وهو قولهم: إنّما سكّرت أبصارنا إلى قولهم بل نحن قوم مسحورون. أي ما رأينا شيئا ثم أقرّوا بأنهم رأوا ولكن ما رأوه إنما هو تخيلات المسحور لاغير.

(٥) هذا شروع في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة للتوحيد والمقررة للبعث والجزاء.

(٦) هذا كقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي: كواكب.

في السماء بروجاً﴾ إلى آخر ما جاء في هذا السياق الطويل، القصد منه إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وكلها مقتضية لإرسال الرسول وإنزال الكتاب لهداية الناس إلى عبادة ربهم وحده عبادة يكملون عليها ويسعدون في الدنيا والآخرة، ولكن المكذبين لا يعلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله تعالى في المكذبين المعاندين وهي أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

٢ـ مطالبة المكذبين المجرمين بالآيات كرؤية الملائكة لا معنى لها إذ القرآن أكبر آية ولم يؤمنوا به فلذا لو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لما آمنوا.

٣ـ بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته فيما حملت الآيات من مظاهر لذلك، بدءاً من قوله: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً[1]﴾ إلى الآية السابعة والعشرين من هذا السياق الكريم.

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ

(١) البروج: جمع برج وهو في الأصل البناء الكبير المحكم البناء الذي يظهر من بعيد قال تعالى: ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي: قصور ظاهرة، ومنه: المرأة تتبرّج بزينتها: أي تظهرها، والمراد من البروج في الآية: كواكب ثابتة غير سيارة هي منازل الشمس والقمر، وسمى هذه البروج العرب بأسماء تخيلوا أشكالها في السماء وهي: برج الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، ابتداء من فصل الربيع وانتهاء بفصل الشتاء.

بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

شـرح الكلـمات :

والأرض مددناها : أي بسـطناها.

وألقينا فيها رواسي : أي جبالاً ثوابت لئلا تتحرك الأرض.

مـــــوزون : أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى.

معـايش : جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية.

ومن لستم له برازقين : كالعبيـد والإماء والبهائم.

وما ننزله إلا بقدَر معلوم : أي المطـر.

وأرسلنا الرياح لواقح : أي تلقح السحاب فيمتلىء ماءً، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه.

وما أنتم له بخازنين : أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه أو تعطونه من تشاءون.

المستقدمين منكم والمستأخرين : أي من هلكـوا من بنـي آدم إلـى يومـكـم هذا والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا بعد إلى يوم القيامة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات الإيمان به وعبـادتـه وتوحيده والتقرب إليه بفعل محابه وترك مساخطه.[1] قوله تعالى: ﴿والأرض[2] مددنـاهـا﴾ أي بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت تثبت الأرض حتى لا

---

(١) وموجبة أيضاً للبعث الآخر والوحي الإلهي.

(٢) هنا انتقال من عرض آيات الله في السماء إلى آياته في الأرض.

تتحرك أو تميد بأهلها فيهلكوا، ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون[1]﴾ أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى. وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش[2]﴾ عليها تعيشون وهي أنواع الحبوب والثمار وغيرها، وقوله: ﴿ومن لستم له برازقين[3]﴾ بل الله تعالى هو الذي يرزقه وإياكم من العبيد والإماء والبهائم. وقوله: ﴿وإن من شيء[4] إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم﴾ أي ما من شيء نافع للبشرية هي في حاجة إليه لقوام حياتها عليه إلا عند الله خزائنه، ومن ذلك الأمطار، لكن ينزله بقدرٍ معلوم حسب حاجة المخلوقات وما تتوقف عليه مصالحها، وهو كقوله: ﴿بيده الخير وهو على كل شيء قدير﴾ وكقوله: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما شاء الله إنه بعباده خبيرٌ بصير﴾ وقوله: ﴿وأرسلنا الرياح لقواح[5]﴾ أي تلقح السحاب فتمتلىء ماء، ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدرتنا وتدبيرنا ﴿فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه من تشاءون وتعطونه من تشاءون بل الله تعالى هو المالك لذلك، فينزله على أرض قومٍ ويمنعه آخرين. وقوله: ﴿إنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون، ولقد علمنا المستقدمين[6] منكم﴾ أي الذين ماتوا من لدن آدم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ ممن هم أحياء ومن لم يوجدوا وسيوجدون ويموتون إلى يوم القيامة، الجميع عَلِمَهُم الله، وغيره لا يعلم فلذا استحق العبادة وغيره لا يستحقها. وقوله ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول ﴿هو يحشرهم﴾ أي إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم، وهذا متوقفٌ على القدرة والحكمة والعلم، والذي أحياهم ثم أماتهم قادرٌ على إحيائهم مرةً أخرى والذي عَلِمَهُمْ قبل خلقهم وعلمهم بعد خلقهم

---

(١) قال: ﴿موزون﴾: لأنّ الوزن يعرف به مقدار الشيء، والموزون من الكلام وغيره الخالي من النقص والزيادة، والمراد أنّ ما أنبته الله تعالى في الأرض من سائر النباتات والمعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يكال ويوزن.

(٢) واحد المعايش: معيشة، وهي المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أيضاً، إذ كل هذا يدخل تحت العيش حتى قيل: المعايش: إنها التصرف في أسباب الرزق مدّة الحياة.

(٣) الرزق: بفتح الراء مصدر رزقه يرزقه رزقاً، والرّزق بكسر الراء فهو الاسم وهو القوت.

(٤) أي: نافع للناس لا مطلق الأشياء التي لا نفع للناس فيها.

(٥) في قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ استدلال بظاهرة كرة الهواء بين السماء والأرض بعد الاستدلال بالسماء والأرض، ولواقح حال من الرياح ولواقح صالح لأن يكون جمع لاقح، وهي الناقة الحبلى أو ملقح وهو الذي يجعل غيره لاقحاً.

(٦) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك، والآية دليل على فضل السبق في الخير وعلى فضل الصف الأول في القتال والصلاة، وفي الحديث الصحيح: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا).

قادرٌ على حشرهم والحكيم الذى يضع كل شيء في موضعه لا يخلقهم عبثاً بل خلقهم ليبلوهم ثم ليحاسبهم ويجزيهم إنه هو الحكيم العليم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته المتجلية فيما يلى :

أـ خلق الأرض ومدّها وإلقاء الجبال فيها. إرسال الرياح لواقح للسحب.

ب ـ إنبات النباتات بموازين دقيقة. إحياء المخلوقات ثم إماتتها.

ج ـ إنزال المطر بمقادير معينة. علمه تعالى بمن مات ومن سيموت.

٢ـ تقرير التوحيد أن من هذه آثار قدرته هو الواجب أن يعبد وحده دون سواه.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ هذا الكلام كلام الله أوحاه إليه ﷺ.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

ولقد خلقنا الإنسان : أي آدم عليه السلام.

من صلصال ٍ من حمإٍ مسنون : أي طين يابس له صلصلة من حمإ أي طين أسود متغير.

من نار السموم : نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري.

فإذا سـويته : أي أتممت خلقه.

فقعوا له ساجدين : أي خرّوا له ساجدين.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته. قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أي آدم ﴿من صلصال﴾ أي طين يابس يسمع له صوت صلصلة. ﴿من حمإٍ مسنون[1]﴾ أي طين أسود متغير الريح، هذا مظهر من مظاهر القدرة والعلم. وقوله: ﴿والجـان خلقنـاه من قبـل﴾ من قبل خلق آدم والجان هو[2] أبو الجن خلقناه ﴿من نار السموم﴾ ونار السموم نار لا دخان لها تنفذ في مسام الجسم. . وقوله: ﴿وإذ قال ربك﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم أي سجود تحيةٍ وتعظيم لا سجود عبادةٍ لآدم، إذ المعبود هو الأمر المطاع وهو الله تعالى. فسجدوا ﴿إلا إبليس[3] أبى﴾ أي امتنع أن يكون مع الساجدين. وقوله: ﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ أي أيُ شيء حصل لك حتى امتنعت أن تكون من جملة الساجدين من الملائكة؟ فأظهر اللعين سبب امتناعه وهو حسده لآدم واستكباره، فقال ﴿لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال ٍ من حماءٍ مسنون). وفي الآيات التالية جواب الله تعالى ورده عليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ ـ بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين، والجان وهو لهب النار.

٢ ـ فضـل السجود، إذ أمر تعالى به الملائكة فسجدوا أجمعون إلا إبليس.

---

(١) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا: تراب بلّ بالماء فصار طينا ثمّ ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنوناً أي: متغيّرا ثمّ يبس فصار صلصالا والمسنون: المتغيّر، بسبب مكثه مدّة كسنة مثلا.

(٢) وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم).

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجان: أبو الجن وليسوا شياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجنّ يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فآدم أبو الإنس، والجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين.

٣ـ ذم الحسـد وأنه شر الذنوب وأكثرها ضرراً.
٤ـ ذم الكبر وأنه عائق لصاحبه عن الكمال في الدنيا والسعادة في الآخرة.
٥ـ فضل الطين على النار لأن من الطين خلق آدم ومن النار خلق إبليس.

قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمـات :

قال فاخرج منها	: أي من الجنـة.
فإنـك رجيم	: أي مرجومٌ مطرودٌ ملعون.
إلى يوم الوقت المعلوم	: أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها.
بما أغـويتني	: أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي.
المخلصـين	: أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم.
هذا صراطٌ عليّ مستقيم	: أي هذا طريقٌ مستقيم موصل إليّ وعليّ مراعاته وحفظه.
لها سبعة أبواب	: أي أبـواب طبقـاتهـا السبع التي هي جهنم، ثم لظى، ثم الحُطمة، ثم السعير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فاخرج منها﴾ هذا جوابٌ عن قول إبليس، ﴿لم أكن لأسجد لبشر﴾. الآية إذاً فاخرج منها أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مرجوم مطرود مُبعد، ﴿وإن عليك﴾ لعنتي أي غضبي وإبعادي لك من السموات ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى يوم القيامة وهو يوم الجزاء. فقال اللعين ما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال رب فانظرني﴾ أي أمهلني لا تُمِتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾[1] فأجاب الرب تعالى بقوله: ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾[2] وهو فناء بني آدم حيث لم يبق منهم أحد وذلك عند النفخة الأولى . . فلما سمع اللعين ما حكم به الرب تعالى عليه قال ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿قال رب بما أغويتني﴾ أي بسبب إغوائك ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾[3] أي الكفر والشرك وكبائر الذنوب، و ﴿لأغوينهم﴾ أي لأضلنهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فاستثنى اللعين من استخلصهم الله تعالى لطاعته وأكرمهم بولايته وهم الذين لا يستجدبهم غضبٌ ولا تتحكم فيهم شهوة ولا هوى. وقوله تعالى: ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ أي هذا طريق مستقيم إليَّ أرعاه وأحفظه وهو ﴿إن عبادي[4] ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[5] ﴿وإن جهنم﴾ لموعدك وموعد أتباعك الغاوين أجمعين ﴿لها سبعة أبواب﴾ إذ هي سبع طبقات لكل طبقة باب فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لكل بابٍ منهم جزء مقسوم﴾ أي نصيبٌ معين وطبقاتها هي : جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمان إبليس من التوبة لاستمرار غضب الله عليه إلى يوم القيامة.

٢ـ استجاب الله لشر خلقه وهو إبليس فمن الجائز ان يستجيب الله دعاء الكافر لحكمة يريدها الله تعالى.

---

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألاّ يموت، لأنّ يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضاً.

(٢) قال ابن عباس: أراد به النفخة الأولى أي: حين تموت الخلائق.

(٣) التزيين: يشمل أمرين. الأول: تزيين المعاصي والثاني: شغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعات.

(٤) أي: ليس له سلطان على قلوبهم، وقال ابن عيينة، أي: في أن يلقيهم في ذنب.

(٥) الغاوين: الفاسدين بالشرك والمعاصي.

٣ـ أمضى سلاح يغوي به إبليس بني آدم هو التزين للأشياء حتى ولو كانت دميمة قبيحة يصيرها بوسواسه زينة حسنة حتى يأتيها الآدمي.

٤ـ عصمة الرسل وحفظ الله للأولياء حتى لا يتلوثوا بأوضار الذنوب.

٥ـ طريق الله مستقيم إلى الله تعالى يسلكه الناس حتى ينتهوا إلى الله سبحانه فيحاسبهم ويجزيهم بكسبهم الخير بالخير والشر بالشر.

٦ـ بيان أن لجهنم طبقات واحدة فوق أخرى ولكل طبقةٍ بابها فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة لا غير.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

إن المتقين : أي الذين خافوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم من العبادات.

ونزعنا ما في صدورهم من غل : أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء.

على سرر متقابلين : أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

لا يمسهم فيها نصب : أي تعب.

العذاب الأليم : أي الموجع شديد الإيجاع.

ضيف إبراهيم : هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب من الناس.

إنا منكم وجلون : أي خائفون وذلك لمَّا رفضوا أن يأكلوا.

بغلام عليم : أي بولد ذي علم كثير هو إسحق عليه السلام.

فبم تبشرون : أي تَعَجَّبَ من بشارتهم مع كبره بولد.

من القانطين : أي الآيسين.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى جزاء اتباع إبليس الغاوين، ناسب ذكر جزاء عباد الرحمن أهل التقوى والإيمان فقال تعالى مخبراً عما أعد لهم من نعيم مقيم: ﴿إن المتقين﴾[1] أي الله بترك الشرك والمعاصي ﴿في جناتٍ وعيون﴾[2] يقال لهم ﴿ادخلوها بسلام[3] آمنين﴾ أي حال كونكم مصحوبين بالسلام آمنين من الخوف والفزع. وقوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾[4] أي لم يُبقِ الله تعالى في صدور أهل الجنة ما ينغصُ نعيمها، أو يكدر صفوها كحقدٍ أو حسدٍ أو عداوةٍ أو شحناء. وقوله: ﴿إخواناً على سررٍ متقابلين﴾ لما طهر صدورهم مما

---

(١) روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية: ﴿إنَّ جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فرّ ثلاثة أيام من الخوف فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: ﴿إن جهنم...﴾ الخ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى: ﴿إنَّ المتقين في جنات وعيون﴾.

(٢) هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل المذكورة في سورة محمد ﷺ.

(٣) بسلامة من كل داء وآفة، وقيل: بتحية من الله تعالى آمنين من الموت والعذاب.

(٤) قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم.

من شأنه أن ينغص أو يكدر، أصبحوا في المحبة لبعضهم بعضاً إخوانا يضمهم مجلسٌ واحد يجلسون فيه على سررٍ متقابلين وجهاً لوجه، وإذا أرادوا الإنصراف إلى قصورهم تدور بهم الأسرة فلا ينظر أحدهم إلى قفا أخيه. وقوله تعالى: ﴿لا يمسهم فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين﴾ فيه الإخبار بنعيمين: نعيم الراحة الأبدية إذ لا نصب ولا تعب في الجنة ونعيم البقاء والخلد فيها إذ هم لا يخرجون منها أبداً. وفي هذا تقرير لمُعْتَقَدِ البعث والجزاء بأبلغ عبارةٍ وأوضحها. وقوله تعالى: ﴿نبىء عبادي[1] اني أنا الغفور الرحيم﴾ أي خبر يا رسولنا عبادنا المؤمنين الموحدين أن ربهم غفور لهم إن عصوه وتابوا من معصيتهم. رحيم بهم فلا يعذبهم. ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ ونبئهم أيضاً أن عذابي هو العذاب الأليم فليحذروا معصيتي بالشرك بي، أو مخالفة أوامري وغشيان محارمي. وقوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم[2]. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أي سلموا عليه فرد عليهم السلام وقدم لهم قِرَى الضيف وكان عجلاً حنيذا، كما تقدم في هود وعرض عليهم الأكل فامتنعوا وهنا قال: ﴿إنا منكم وجلون[3]﴾ أي خائفون، وكانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورةٍ لشباب حسان. فلما أخبرهم بخوفه منهم، لأن العادة أن النازل على الإنسان إذا لم يأكل طعامه دل ذلك على أنه يريد به سوءً. ﴿قالوا لا توجل﴾ أي لا تخف، ﴿إنا نبشرك بغلامٍ عليم﴾ أي بولدٍ ذي علم كثير. فرد إبراهيم قائلا بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال أبشرتموني على أن مسنى[4] الكبر فبم[5] تبشرون﴾ أي هذه البشارة بالولد على كبر سني أمر عجيب، فلما تعجب من البشارة وظهرت عليه علامات الشك والتردد في صحة الخبر قالوا له: ﴿بشرناك[6] بالحق فلا تكن من القانطين[7]﴾ أي

---

(١) شاهد هذه الآية قوله ﷺ: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد).

(٢) هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. والضيف: لفظ يطلق على الواحد والاثنين والجماعة.

(٣) قال هذا بعد أن قرّب إليهم العجل المشوي ليأكلوا فلم يأكلوا.

(٤) أن: مصدرية، والتقدير: على مسّ الكبر إياي وزوجتي.

(٥) الاستفهام للتعجب أو هو على حقيقته.

(٦) أي: بما لا خلف فيه، وأن الولد لابدّ منه.

(٧) قراءة العامة: ﴿القانطين﴾، وقرىء القنطين بدون ألف، ويكون الفعل حينئذ من قنِط يقنَط كفرح يفرح فهو فرح، وعلى قراءة الجمهور فهو من باب فعل يفعل كضرب يضرب فهو ضارب.

الآيسين. وهنا رد عليهم قائلاً نافياً القنوط عنه لأنّ القنوط حرام. ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ أي الكافرون بقدرة الله ورحمته لجهلهم بربهم وصفاته المتجلية في رحمته لهم وإنعامه عليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير نعيم الجنة، وأن نعيمها جسماني روحاني معاً دائم أبداً.

٢ـ صفاء نعيم الجنة من كل ما ينغصه أو يكدره.

٣ـ وعد الله بالمغفرة لمن تاب من أهل الإيمان والتقوى من موحديه.

٤ـ وعيده لأهل معاصيه إذا لم يتوبوا إليه قبل موتهم.

٥ـ مشروعية الضيافة وأنها من خلال البر والكرم.

٦ـ حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

شـرح الكلمـات :

قال فما خطبكم	: أي ما شـأنكم؟
إلى قـوم مجرمين	: هم قوم لوط عليه السلام.
إنا لمنجوهم أجمعين	: أي لإيمانهـم وصالح أعمالهـم.
الغـابريـن	: أي الباقيـن في العذاب.
قوم منكــرون	: أي لا أعرفـكم.
بما كانوا فيه يمترون	: أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم
حيث تـؤمـرون	: أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه.
وقضينا إليه ذلك الأمر	: أي فرغنا إلى لوط وأوحينا إليه ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف إبراهيم، وها هو ذا قد سألهم بما أخبر به تعالى عنه بقوله: ﴿قال فما خطبكم[1] أيها المرسلون﴾ أي ما شأنكم أيها المرسلون من قبل الله تعالى إذ هم ملائكته؟ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين[2]﴾ أي على أنفسهم، وعلى غيرهم وهم اللوطيون لعنهم الله. وقوله تعالى: ﴿إلا آل لوط﴾ أي آل بيته والمؤمنين معه، ﴿إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا﴾ أي قضينا[3] ﴿إنها لمن الغابرين﴾ أي الباقين في العذاب، أي قضى الله وحكم بإهلاكها في جملة من يهلك لأنها كافرة مثلهم. إلى هنا انتهى الحديث مع إبراهيم وانتقلوا الى مدينة لوط عليه السلام قال تعالى ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ أي انتهوا إليهم ودخلوا عليهم الدار قال لوط عليه السلام لهم ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أي لا أعرفكم وأجابوه قائلين: نحن رسل ربك جئناك بما كان قومك فيه يمتـرون أي يشكـون وهو عذابهم العاجل جزاء كفرهم وإجرامهم، ﴿وأتيناك بالحق﴾ الثابت الذى لا شك فيه ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به وهو عذاب قومه المجرمين.

---

(١) الخطب: الأمر الخطير والشأن العظيم.

(٢) في الكلام إضمار جملة ﴿لنهلكهم﴾ فلذا كان الاستثناء إلا آل لوط، وهم أتباعه وأهل بيته.

(٣) وكتبنا في كتاب المقادير.

وعليه ﴿فاسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي أسر بهم في جزء من الليل، و﴿اتبع أدبارهم﴾ أي امشى وراءهم[1] وهم أمامك ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ بأن ينظر وراءه، أي حتى[2] لا يرى ما يسوءه عند نزول العذاب بالمجرمين، وقوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي يأمركم ربكم وقد أمروا بالذهاب إلى الشام. وقوله تعالى: ﴿وقضينا[3] إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين[4]﴾ أي وفرغنا إلى لوط من ذلك، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، أي أنهم مُهلكون عن آخرهم في الصباح الباكر ما أن يطلع الصباح حتى تُقلب بهم الأرض ويهلكوا عن آخرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بالإجرام وبيان عقوبة المجرمين.

٢ـ لا قيمة للنسب ولا للمصاهرة ولا عبرة بالقرابة إذا فصل الكفر والإجرام بين الأنساب والأقرباء فامرأة لوط هلكت مع الهالكين ولم يشفع لها أنها زوجة نبي ورسول عليه السلام.

٣ـ مشروعية المشي بالليل لقطع المسافات البعيدة.

٤ـ مشروعية مشي المسئول وكبير القوم وراء الجيش والقافلة لتفقد أحوالهم، والاطلاع على من يتخلف منهم لأمر، وكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.

٥ـ كراهية الإشفاق على الظلمة الهالكين، لقوله: ولا يلتفت منكم أحد اى: بقلبه.

وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ

---

(١) لئلا يتخلّف منهم أحد فيهلك مع الهالكين.

(٢) أو نهوا عن الالتفات ليجدّوا في السير ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح موعد هلاك القوم.

(٣) قضينا: قدرنا، وضمن معنى أوحينا فعدي بإلى، والتقدير: وقضينا ذلك الأمر فأوحينا إليه بما قضيناه، وجملة: ﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾. مفسرة لذلك الأمر والإشارة للتهويل.

(٤) ﴿مصبحين﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله، مشرقين أي: داخلين في وقت الإشراق.

ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

شرح الكلمات:

وجاء أهل المدينة يستبشرون : أي مدينة سدُوم، أي فرحين بإتيانهم الفاحشة.

واتقوا الله ولا تخزون : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي.

أولم ننهك عن العالمين : أي عن إجارتك لهم واستضافتك.

لفي سكرتهم يعمهون : أي غوايتهم وشدة غُلمتهم[1] التي أزالت عقولهم، يترددون.

مشرقين : أي وقت شروق الشمس.

من سجيل : أي طين طُبِخَ بالنار.

لآيات للمتوسمين : أي الناظرين المعتبرين.

لبسبيل مقيم : أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت.

أصحاب الأيكة : أي قوم شعيب عليه السلام، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين.

وإنهما لبإمام مبين : أي قوم لوط، وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح.

معنى الآيات:

مازال السياق مع لوط عليه السلام وضيفه من الملائكة من جهة، وقوم لوط من جهة.

قال تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي مدينة سدُوم وأهلها سكانها من اللوطيين، وقوله ﴿يستبشرون﴾ أي فرحين مسرورين لطمعهم في اتيان الفاحشة. فقال لهم لوط ما أخبر الله تعالى به: ﴿قال إن هؤلاء﴾ يشير إلى الملائكة ﴿ضيفي فلا تفضحون﴾ أي فيه أي بطلبكم الفاحشة، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه ﴿ولا تخزون﴾ أي تهينوني وتذلوني. فأجابوا بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أي أتقول ما تقول ولم تذكر أنا نهيناك عن استضافة أحد من الناس أو تجيره، فأجابهم لوط عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي هؤلاء بناتي فتزوجوهن إن كنتم فاعلين ما آمركم به أو أرشدكم إليه. وقوله تعالى: ﴿لعمرك[1] إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أي وحياتك يا رسولنا، إنهم أي قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم التي أذهبت عقولهم فهبطوا إلى درك أسفل من درك الحيوان، ﴿يعمهون﴾ أي حيارى يترددون. ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام مشرقين مع إشراق الشمس. وقوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي جعلنا عالي المدن سافلها وهو قلبها ظهراً على بطن، ﴿وامطرنا عليهم﴾ فوق ذلك ﴿حجارة من سجيل﴾ أي من طين مطبوخ بالنار. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين[2]﴾ أي إن في ذلك المذكور من تدمير مدن كاملة بما فيها لآيات وعبر وعظات للمتوسمين أي الناظرين نظر تفكر وتأمل لمعرفة الأشياء بسماتها وعلاماتها. وقوله تعالى: ﴿وإنها لسبيل مقيم﴾ أي وإن تلك القرى الهالكة لبطريق ثابت باق يمر به أهل مكة فى أسفارهم إلى الشام. وقوله: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي لعبرة للمؤمنين فلا يقدمون على محارم الله، ولا يرتكبون معاصيه. وقوله تعالى: ﴿وإن كان أصحابُ الأيكة لظالمين﴾. هذه إشارة خاطفة إلى قصة شعيب عليه السلام مع قومه أصحاب الأيكة، والأيكة الغيضة من الشجر الملتف. . وكانت منازلهم

(١) هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريفاً له، وأصل عمرك بضم العين وفتحت لكثرة الاستعمال، وجائز أن يكون القسم بحياة لوط أيضاً، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجاً بهذا القسم الإلهي فإنّ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي.

(٢) روي أن النبي ﷺ فسر المتوسمين بالمتفرسين إذ قال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي واستغربه، وقيل: للناظرين كما قال الشاعر:

أو كلما وردت عكاظ قبلية　　بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم

وأصل التوسم: النظر بتثّبت وتفكر وعليه فما ورد في التوسم من النظر والتفرس كله متقارب المعنى.

بها وكانوا مشركين وهو الظلم في قوله ﴿وإن كان أصحاب الأيكة[1] لظالمين﴾ لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي أهلكناهم بحر شديد يوم الظلة وسيأتي الحديث عنهم في سورة الشعراء قال تعالى هناك فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وقوله: ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ الإمام الطريق لأن الناس يمشون فيه وهو أمامهم، ومبين واضح. والضمير في قوله وإنهما عائد على قوم لوط، وقوم شعيب وهم أصحاب الأيكة لا أصحاب مدين لأنه أرسل إلى أصحاب الأيكة والى أهل مدين، والطريق طريق قريش إلى الشام، والقصد من ذكر هذا وعظ قريش وتذكرهم، فهل يتعظون ويتذكرون؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان إهلاك قوم لوط.

٢- إنكار الفاحشة وأنها أقبح فاحشة تعرفها الإنسانية هي إتيان الذكور.

٣- بيان دفاع لوط عليه السلام عن ضيفه حتى فداهم ببناته.

٤- شرف النبي صلى الله عليه وسلم حيث أقسم الله تعالى بحياته في قوله ﴿لعمرك﴾.

٥- الحث على نظر التفكر والإعتبار والتفرس فإنه أنفع للعقل البشري.

٦- بيان نقمة الله تعالى من الظالمين للاعتبار والإتعاظ.

٧- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذه الأخبار لن تكون إلا عن وحي إلهي.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(١) جمع الأيكة وهي جماعة الشجر الأيك، أو سميت القرية بالأيكة باعتبار الأصل.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

شـرح الكلـمات :

أصحاب الحجر : هم قوم صالح ومنازلهم بين المدينة النبوية والشام.

وآتيناهم آياتنا : أي في الناقة وهي أعظم آية.

ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون : من بناء الحصون وجمع الأموال.

الصفح الجميل : أي أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم

سبعاً من الثماني : هي آيات سورة الفاتحة السبع.

أزاوجاً منهم : أي أصنافاً من الكفار.

واخفض جناحك : أي ألِن جانبك للمؤمنين.

معنى الآيـات :

هذا شروع في موجز قصة أخرى هي قصة أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح، قال تعالى: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر[1] المرسلين﴾ وفي هذا موعظة لرسول الله ﷺ إذ كذبه قومه من أهل مكة فليصبر على تكذيبهم فقد كذبت قبلهم أقوام. وقال تعالى ﴿المرسلين﴾ ولم يكذبوا إلا صالحاً باعتبار أن من كذب رسولا فقد كذب عامة الرسل، لأن دعوة الرسل واحدة وهي أن يعبد الله وحده بما شرع لإكمال الإنسان وإسعاده في

(١) لفظ الحجر يطلق على أمور عدّة منها العقل ﴿لذي حجر﴾ والحرام: ﴿حجراً محجورا﴾ والفرس الانثى وحجر القميص، والفتح فيه أولى، وحجر اسماعيل إزاء الكعبة وديار ثمود: وهو المراد هنا.

الحالتين. وقوله ﴿وآتيناهم[1] آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ إن المراد من الآيات القائمة بالناقة منها أنها خرجت من صخرة، وأنها تشرب ماء البلد يوما، وأنها تقف أمام كل بيت ليحلب أهله منها ما شاءوا، وإعراضهم عنها، عدم إيمانهم وتوبتهم إلى الله تعالى بعد أن آتاهم ما طلبوا من الآيات. وقوله ﴿وكانوا ينحتون[2] من الجبال بيوتا﴾ أي كانوا يتخذون بالنحت بيوتاً داخل الجبال يسكنوها شتاء آمنين من أن تسقط عليهم لقوتها ومن أن ينالهم برد أو حرٌ لوقايتها لهم، وقوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين[3]﴾ وذلك صيحة اليوم الرابع وهو يوم السبت فهلكوا أجمعين، ﴿فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ من المال والعتاد وبناء الحصون بل هلكوا[4] ولم ينج منهم أحد إلا من آمن وعمل صالحاً فقد نجاه الله تعالى مع نبيه صالح عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي إلا من اجل أن أُذكر وأُشكر، فلذا من كفر بي فلم يذكرني وعصاني فلم يشكرني أهلكته. لأني لم أخلق هذا الخلق العظيم لهواً وباطلاً وعبثاً. وقوله: ﴿وإن الساعة لآتية[5]﴾ أي حتماً لا محالة وثَمَّ يُجزي كلٌ بما كسب فلا تحزن على قومك ولا تجزع منهم فإن جزاءهم لازم وآت لابد، فاصبر واصفح عنهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل[6]﴾ أي الذي لا جزع معه. وقوله ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ خلق كل شيء وعلم بما خلق فعلى كثرة المخلوقات يعلم نياتها، وأعمالها، وأحوالها، ولا يخفى عليه شيء من أمرها وسيعيدها كما بدأها ويحاسبها ويجزيها بما كسبت. وهذا من شأنه أن يساعد الرسول ﷺ على الصبر والثبات على دعوته حتى ينصرها الله تعالى

---

(١) المراد بالآيات: الناقة لأنها تشتمل على عدة آيات، وجائز أن يكون هناك آيات أخرى أعطيها صالح غير الناقة.

(٢) النحت: البري والنجر، يقال نحته ينحته نحتاً إذا براه، والنحاته: البراية كالنجارة والخشارة، والمنحت: آلة النحت، وقوله: ﴿آمنين﴾ أي: من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تصلح للسكن فيها.

(٣) ﴿مصبحين﴾: حال من أخذتهم الصيحة أي: حال كونهم داخلين في الصباح وهو أول النهار، فالأيام الثلاثة التي قيل لهم: ﴿تمتعوا فيها﴾ هي الأربعاء والخميس والجمعة، وصبيحة السبت كان هلاكهم والعياذ بالله من حال الهالكين.

(٤) صح ان النبي ﷺ قال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم، وأمر بهرق ما استقوا من بئر ثمود وإلقاء ما عجن وخبز منه لأجل الماء ماء سخط فلا يجوز الانتفاع به فرارا من سخط الله تعالى وقال: اعلفوه الإبل ففعلوا).

(٥) لآتية: جائية إذ الأيام تنصرم يوماً فيوماً إلى آخر يوم فالساعة الأخيرة لهذه الحياة آتية، وهي في طريقها.

(٦) هذا كان قبل الأمر بالجهاد إذ السورة مكيّة والجهاد فرض في المدينة فالآية منسوخة بمثل قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية من التوبة المدنية.

في الوقت الذي حدده لها. وقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ أي أعطيناك سورة الفاتحة[1] أم القرآن وأعطيناك القرآن العظيم وهو خير عظيم لا يقادر قدره. إذاً ﴿لا تمدن عينيك﴾[2] متطلعاً ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي أصنافاً من رجالات قريش، فما آتيناك خير مما هم عليه من المال والحال التي يتمتعون فيها بلذيذ الطعام والشراب. وقوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن هم لم يؤمنوا بك ولم يتابعوك على ما جئت به، فإن أمرهم إلى الله تعالى، وأمره تعالى أن يلين جانبه لأصحابه المؤمنين فقال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فحسبك ولاية الله لك فذر المكذبين أولي النعمة، وتعايش مع المؤمنين، ولين جانبك لهم، واعطف عليهم فإن الخير فيهم وليس في أولئك الأغنياء الأثرياء الكفرة الفجرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إذا أراد الله هلاك أمة فإن قوتها المادية لا تغني عنها شيئاً.

٢ـ لم يخلق الله الخلق عبثاً بل خلقه ليعبد بالذكر والشكر، فمن عبده نجا، ومن أعرض عن ذكره وترك عبادته أذاقه عذاب الخزي في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وهو أشد وأخزى.

٣ـ بيان أن الصفح الجميل هو الذي لا جزع معه.

٤ـ بيان أن من أوتي القرآن لم يؤت أحد مثله من الخير قط.

٥ـ فضل الفاتحة إذ هي السبع المثاني.

٦ـ على الدعاة إلى الله أن لا يلتفتوا إلى ما في أيدي الناس من مال ومتاع، فإن ما آتاهم الله من الإيمان والعلم والتقوى خير مما آتى أولئك من المال والمتاع.

٧ـ استحباب لين الجانب للمؤمنين والعطف عليهم والرحمة لهم.

---

(١) كون الفاتحة هي السبع المثاني هو قول علي وأبي هريرة والحسن وغيرهم ويشهد له الحديث الصحيح: (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني). روي عن ابن عباس أنه قال: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً.

(٢) هذه الآية تدعو إلى الإعراض عن زخارف الدنيا وعدم الإقبال عليها، والاكتفاء فيها بما أحل الله عمّا حرّم وبما تيسّر عما تعسر، وفيها: أن من أعطاه الله القرآن وجب عليه أن يشعر بالغنى وعدم الفقر لحديث: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن) أي: لم يستغن به عن طلب غيره.

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

النذير المبين : البيّن النذارة.

على المقتسمين : أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه شعر، وقالوا سحر، وقالوا كهانة.

جعلوا القرآن عضين : هم المقسمون للقرآن وجعلوه عضين جمع عضة وهي القطعة والجزء من الشيء.

فاصدع بما تؤمر : أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك.

يضيق صدرك بما يقولون : أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك.

حتى يأتيك اليقين : أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد الرسول ﷺ وتعليمه ما ينبغي أن يكون عليه فأمره تعالى

بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾[1] أي أعلن لقومك بأنك النذير البين النذارة لكم يا قوم أن ينزل بكم عذاب الله إن أصررتم على الشرك والعناد والكفر، وقوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾[2] انذركم عذاباً كالذي أنزله الله وينزله على المقتسمين الذين قسموا التوراة والإنجيل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود والنصارى، والمقتسمين الذين تقاسموا أن يبيتوا صالحاً فأنزل الله بهم عقوبته والمقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء فقالوا فيه شعر وسحر وكهانة، المقتسمين الذين قسموا طرق مكة وجعلوها نقاط تفتيش يصدون عن سبيل الله كل من جاء يريد الإسلام وهؤلاء كلهم مقتسمون وحل بهم عذاب الله ونقمته. وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾[3] يقسم الجبار تبارك وتعالى لرسوله أنه ليسألنهم يوم القيامة عما كانوا يعملون ويجزيهم به فلذا لا يهولنّك أمرهم واصبر على أذاهم. وقوله ﴿فاصدع[4] بما تؤمر﴾ أي أجهر بدعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما تؤمر ببيانه والدعوة إليه أو التنفير منه، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تبال بهم، وقوله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾ والمراد بهؤلاء المستهزئين الذين واعد تعالى بكفاية رسوله شرّهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث كلهم ماتوا بآفات مختلفة في أمد يسير، عليهم لعائن الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ أي من الاستهزاء بك والسخرية، ومن المبالغة في الكفر والعناد فنرشدك إلى ما يخفف عنك الألم النفسي ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله وبحمده أي أكثر من هذا الذكر ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين إذ لا سجود إلا في الصلاة أو تلاوة القرآن،[5] إذاً فافزع عند الضيق إلى الصلاة

---

(١) في الكلام حذف، وهو لفظ عذابا. فحذف المفعول لدلالة لفظ النذير عليه أو لكون الكاف في قوله ﴿كما أنزلنا﴾ زائدة ويصحّ التقدير هكذا:
أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين أي: من العذاب.

(٢) واحد: (عضين) عضة من عضيت الشيء تعضيه أي: فرقته وكل فرقة عضة، وقيل: أصلها عضوة، فسقطت الواو، ولذا جمعت على عضين كعزين، إذ واحدها عزوة، وذلك أنهم فرقوا كلام الله فجعلوا بعضه سحراً وبعضه شعراً و. .و. .

(٣) وورد أنّ النبي ﷺ قال: في قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم. .﴾ إلى قوله ﴿يعملون﴾ قال: (عن قول لا إله إلا الله، إذ أبوا أن يقولوها فتمادوا في الكفر والشرّ والفساد ولو قالوا لما كان لهم سوى الخير والصلاح.

(٤) قضى رسول الله ﷺ فترة من الزمن مستخفياً هو وأصحابه في دار الأرقم حتى نزلت هذه الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج ﷺ وأعلن الإسلام ودعا إليه جهرة.

(٥) قيل: إنّ هذه سجدة من سجدات القرآن، والجمهور على أنها ليست سجدة وإنما أرشد الله تعالى رسوله لتفريج همّه وتوسعة صدره مما يسمع ويُقال له أمره بالتسبيح والصلاة وفعلا كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فلذا كان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة. وقوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي واصل العبادة وهي الطاعة في غاية الذل والخضوع لله تعالى حتى يأتيك اليقين الذي هو الموت فإن القبر أول عتبة الآخرة وبموت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة أصبح ايمانه يقيناً محضاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة الإختلاف في كتاب الله تعالى على نحو ما اختلف فيه أهل الكتاب.

٢- مشروعية الجهر بالحق وبيانه لا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد.

٣- فضل التسبيح بجملة: سبحان الله وبحمده ومن قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر في الصحيح.

٤- مشروعية صلاة الحاجة فمن حزبه أمر أو ضاق به فليصل صلاة يفرج الله تعالى بها ما به أو يقضي حاجته إن شاء وهو العليم الحكيم.

سُورَةُ النَّحْلِ[1]

مكية

وآياتها مائة وثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ

(١) وتسمّى أيضاً سورة النعم، لما عدد تعالى فيها من نعمه على عباده.

خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

أتى أمر الله : أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون فلا تستعجلون.

ينزل الملائكة بالروح : أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل.

خلق الإنسان من نطفة : أي قطرة من المني.

دفء ومنافع : أي ما تستدفئون به، ومنافع من العسل واللبن واللحم والركوب.

حين تريحون : أي حين تردونها من مراحها.

وحين تسرحون : أي وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحها أي الأماكن التي تسرح فيها.

إلا بشق الأنفس : أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة.

معنى الآيات :

لقد استعجل المشركون بمكة العذاب وطالبوا به غير مرة فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أتى أمر الله﴾[1] أي بعذابكم أيها المستعجلون له. لقد دنا منكم وقرب فالنضر بن الحارث القائل: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم﴾، جاءه بعد سُنيّات قلائل فهلك ببدر صَبْراً، إلى جهنم، وعَذابُ يوم القيامة لمن استعجله قد قرب وقته ولذا عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقرب مجيئه فلا معنى لاستعجاله فلذا قال الله تعالى: ﴿فلا تستعجلوه﴾ وقوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾

---

(١) من الجائز أن يراد بـ ﴿أتى أمر الله﴾ القيامة لقول الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ وقوله: ﴿اقتربت الساعة﴾ وقول الرسول ﷺ (بعثت والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه).

أي تنـزه وتقدس عما يشركون به من الآلهة الباطلة إذ لا إله حق إلا هو. وقوله ﴿ينزل الملائكة بالروح[1] من أمره﴾ أي بإرادته وإذنه ﴿على من يشاء من عباده﴾. أي ينزل جبريل عليه السلام بالوحي على من يشاء من عباده[2] وهو محمد ﷺ وقوله ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أي بأن انذروا[3] أي خوفوا المشركين عاقبة شركهم فإن شركهم باطل سيجر عليهم عذاباً لا طاقة لهم به، لأنه لا إلّه إلا الله، وكل الآلهة دونه باطلة. إذاً فاتقوا الله بترك الشرك والمعاصي وإلا تعرضتم للعذاب الأليم. في هاتين الآيتين تقرير للوحي والنبوة للنبي ﷺ وتقرير التوحيد أيضاً وقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ استدلال على وجوب التوحيد وبطلان الشرك فالذى خلق السموات والأرض بقدرته وعلمه وحده دون ما مُعِينَ له ولا مساعد حق أن يعبد، لا تلك الآلهة الميتة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ﴿تعالى عما يشركون﴾ أي تنزه وتقدس تعالى عما يشركون به من أصنام وأوثان. وقوله: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ أي من أضعف شيء وأحقره قطرة المني خلقه في ظلمات ثلاث وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً حتى إذا رباه وأصبح رجلاً إذا هو خصم لله يجادل ويعاند،[4] ويقول من يحيى العظام وهي رميم. وقوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء[5] ومنافع ومنها تأكلون﴾ فهذه مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرحمة وهي الموجبة لعبادته تعالى وترك عبادة ما سواه. فالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم خلقها الله تعالى لبني آدم ولم يخلقها لغيرهم، لهم فيها دفء إذ يصنعون الملابس والفرش والأغطية من صوف الغنم ووبر الإبل ولهم فيها منافع كاللبن والزبدة والسمن والجبن والنسل حيث تلد كل سنة فيتنفعون بأولادها. ومنها يأكلون اللحوم المختلفة فالمنعم بهذه النعم هو الواجب العبادة دون غيره من سائر

---

(١) بالروح، أي بالوحي بالنبوة نظيره قوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

(٢) أي: من الأنبياء ومحمد ﷺ إمامهم وخاتمهم وقوله: ﴿أن أنذروا﴾: تفسير لقوله: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾.

(٣) أمر الله الأنبياء الذين أوحي إليهم بشرعه أن ينذروا المشركين عاقبة الشرك ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بعد نبذ الشرك والعمل الفاسد.

(٤) هذا الإنسان الخصيم هو أبيّ بن خلف الجمحي، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: أترى يحيي الله هذا بعد ما قد رمّ؟ وفيه نزل: ﴿أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة..﴾ الخ من سورة يّس،

(٥) الدفء: الشيء الذي يدفىء الإنسان، والجمع: ادفاء، ويقال: دفىء دفاءة ككره كراهة.

مخلوقـاته وقوله: ﴿ولكم فيها جمال﴾[1] أي منظر حسن جميل حين تريحونها عشية من المرعى إلى المراح ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها صباحاً من مراحها إلى مراعيها، فهذه لذة روحية ببهجة المنظر. وقوله ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾[2] أي إلا بجهد النفس والمشقة العظيمة. فالإبل في الصحراء كالسفن في البحر تحمل الأثقال من بلدٍ إلى بلد وقد تكون المسافة بعيدة لا يصلها الإنسان إلا بشق النفس وبذل الجهد والطاقة، لولا الإبل سفن الصحراء ومثل الإبل الخيل والبغال والحمير في حمل[3] الأثقال. فالخالق لهذه الأنعام هو ربكم لا إله إلا هو فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وقوله تعالى: ﴿إن ربكم﴾ أي خالقكم ورازقكم ومربيكم وإلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره لرؤوف رحيم، ومظاهر رحمته ورأفته ظاهره في كل حياة الإنسان فلولا لطف الله بالانسان ورحمته له لما عاش ساعة في الحياة الدنيا فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- قرب يوم القيامة فلا معنى لاستعجاله فإنه آتٍ لا محالة، وكل آتٍ قريب.

٢- تسمية الوحي بالروح من أجل أنه يحيى القلوب، كما تحيى الأجسام بالأرواح.

٣- تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر بذكر مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرأفة والرحمة.

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ

---

(١) الجمال يكون في الصورة، وهو تناسب أجزائها، ويكون في الأخلاق بأن يكون المرء على صفات محمودة كالعدل والعلم والحكمة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل احد وجمال الأفعال يكون بملاءمتها لمصالح الخلق نافعة لهم غير ضارة بهم.

(٢) شق النفس: مشقتها، وغاية جهدها وعليه فالشق المشقة، والشق: الجانب من كل شيء.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب الإبل، والحمل عليها لكن لا تحمل أكثر مما تطيق فقد ضرب عمر حمالاً وقال: تحمل على بعيرك مالا يطيق. وكان لأبي الدرداء جمل يقال له دمون يقول له: يادمون لا تخاصمني عند ربك.

شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ويخلق ما لا تعلمون : من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر.

وعلى الله قصد السبيل : أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصده وهي الإسلام.

ومنها جائر : أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية.

ومنه شجر : أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات.

فيه تسيمون : ترعون مواشيكم.

مسخراتٍ بأمره : أي بإذنه وقدرته.

وما ذرأ لكم في الأرض : أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته إذ قال تعالى : ﴿والخيل[1] والبغال والحمير﴾ أي خلقها وهو خالق كل شيء لعلة ركوبهم

(١) قيل : واحد الخيل : خائل، وقيل: هو اسم جنس لا واحد له، وهذه الثلاثة : الخيل والبغال والحمير لم تدخل في لفظ الأنعام، ونصب: (والخيل) على تقدير: (وخلق الخيل).

إياها إذ قال: ﴿لتركبوها وزينةً﴾[1] أي ولأجل أن تكون زينةً لكم في حياتكم وقوله ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ أي مما هو مركوب وغير مركوب من مخلوقات عجيبة ومن المركوب هذه السيارات على اختلافها والطائرات والقطر السريعة والبطيئة هذا كله إفضاله وإنعامه على عباده فهل يليق بهم أن يكفروه ولا يشكروه؟ وهل يليق بهم أن يشركوا في عبادته سواه. وقوله ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾[2] ومن إفضاله وإنعامه الموجب لشكره ولعبادته دون غيره أن بين السبيل القاصد الموصل إلى رضاه وهو الإسلام، في حين ان ما عدا الإسلام من سائر الملل كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها سبل جائره عن العدل والقصد سالكوها ضالون غير مهتدين إلى كمال ولا إلى إسعاد هذا معنى قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ وقوله ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي لو تعلقت بإرادته هداية الناس أجمعين لهداهم أجمعين وذلك لكمال قدرته وعلمه، إلا أن حكمته لم تقتض هداية لكل الناس فهدى من رغب في الهداية وأضل من رغب في الضلال. ومن مظاهر ربوبيته الموجبة لألوهيته أي عبادته ما جاء في الآيات التالية (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) إذ قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾[3] تشربون منه وتتطهرون، ﴿ومنه﴾ أي من الماء الذي أنزل من السماء شجر[4] لأن الشجرة والمراد به هنا سائر النباتات يتوقف وجوده على الماء وقوله ﴿فيه تسيمون﴾[5] أي في ذلك النبات ترعون مواشيكم. يقال سام الماشية اي ساقها إلى المرعى ترعى وسامت الماشية أي رعت بنفسها. وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به﴾ أي بما أنزل من السماء من ماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ كالفواكه والخضر على اختلافها إذ كلها متوقفة على الماء. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من نزول الماء وحصول المنافع الكثيرة به

---

(١) أخذ مالك من قوله تعالى: ﴿لتركبوها وزينة﴾: حرمة أكل لحوم الخيل ووافقه أبو حنيفة، وأجاز الجمهور أكلها لأنّ الآية لم تحرّم شيئا وإنّما ذكرت فائدة من فوائدها وهي الركوب، ومن أدلة الجمهور: الحديث الصحيح من ذلك قول الصحابي نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن لنا في لحوم الخيل). وقال جابر رضي الله عنه: (كنا نأكل لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ). وحديث مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: (فجزرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وأكلناه).

(٢) أي: على الله بيان قصد السبيل، والسبيل هو الإسلام، أي: بيان شرائعه وأحكامه وحكمه ومواعظه بواسطة كتبه ورسله. وقصد السبيل: استقامته كما أن جائر السبيل: هو الحائد عن الاستقامة.

(٣) الشراب: اسم لما يشرب وذكر للماء النازل من السماء فائدتين. الأولى: الشراب والثانية: إنبات النبات وهما نعمتان.

(٤) لفظ الشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليباً.

(٥) الإسامة: إطلاق الإبل للسوم وهو الرعي يقال: سامت الماشية إذا رعت وأسامها: إذا رعاها.

﴿لآية﴾ أي علامةً واضحةً على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضية لعبادته وترك عبادة غيره. ولكن ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيتعظون. أما اشباه البهائم الذين لا يفكـرون في شيء فلا يجدون آية ولا شبه آية في الكون كله وهم يعيشون فيه. وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل للسكون والراحة، والنهار للعمل ابتغاء الرزق وتسخيرهما كونهما موجودين باستمرار لا يفترقان أبداً إلى أن يأذن الله بانتهائهما وقوله: ﴿والشمس والقمر﴾ أي سخرهما كذلك للانتفاع بضوء الشمس وحرارتها، وضوء القمر لمعرفة عدد السنين والحساب، وقوله ﴿والنجوم مسخرات[1] بأمره﴾ كذلك ومن فوائد النجوم الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة وجمالاً للسماء التي هي سقف دارنا هذه.. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴿لآيات﴾ عدة يستدل بها على الخالق وعلى وجوب عبادته وعلى توحيده فيها، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أي الذين يستخدمون طاقة عقولهم في فهم الأشياء وإدراك أسرارها وحقائقها أما أشباه البهائم والمجانين الذين لا يفكرون ولا يتعقلون ولا يعقلون، فليس لهم في الكون كله آية واحدة يستدلون بها على ربهم ورحمته بهم وواجب شكره عليهم وقوله تعالى: ﴿وما ذرأ[2] لكم في الأرض﴾ أي وما خلق لكم في الأرض من إنسان وحيوان ونبات ﴿مختلفاً ألوانه﴾[3] وخصائصه وشيانه ومنافعه وآثاره ﴿إن في ذلك﴾ الخلق العجيب ﴿لآية﴾ أي دلالة واضحة على وجود الخالق عز وجل ووجوب عبادته وترك عبادة غيره ولكن ﴿لقوم يذّكرون﴾ فيتعظون فينتبهون إلى ربهم فيعبدونه وحده بامتثال أمره واجتناب نهيه فيكملون على ذلك ويسعدون في الحياتين.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ كون الخيل والبغال[4] والحمير خلقت للركوب والزينة لا ينفي منفعة أخرى فيها وهي أكل

(١) ﴿مسخرات﴾: أي: مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار، والاهتداء بالنجوم في الظلمات.

(٢) الذرء: الخلق بالتناسل والتولّد بالحمل والتفريخ فليس الإنبات فقط.

(٣) المخلوقات قسمان: قسم منها مسخر مذلل كالدواب والأنعام والأشجار، وقسم غير مذلل ولا مسخر، وشاهد هذا: قول كعب الأحبار: لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً فقيل له وما هن؟ قال: أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ.

(٤) ما في الآية: ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ ما يدل على وجوب الزكاة فيها، وفي الحديث الصحيح: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) رواه مالك.

لحوم الخيل لثبوت السنة بإباحة لحوم الخيل، ومنع لحوم البغال والحمير كما في الصحيحين.

٢ـ الإسلام هو السبيل التي بينها الله تعالى فضلاً منه ورحمة وما عداه فهي سُبل جائرة عن العدل والحق

٣ـ فضيلة التفكر والتذكر والتعقل وذم أضدادها لأن الآيات الكونية كالآيات القرآنية إذا لم يتفكر فيها العبد لا يهتدي إلى معرفة الحق المنشود وهو معرفة الله تعالى ليعبده بالذكر والشكر وحده دون سواه.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ(١) لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

حليةً تلبسونها : هي اللؤلؤ والمرجان.

مواخر فيه : أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبخار اليوم.

(١) تسخير البحر: هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله بالركوب والإرفاه وغيره وهي نعمة إذ لو شاء الله لسلّط البحر على العباد لأغرقهم.

مـن فضـله : أي من فضل الله تعالى بالتجارة.

أن تميـد بكم : أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط.

لا تحـصوهــا : أي عداً فتضبطوها فضلاً عن شكرها للمنعم بها عز وجل.

ما تسرون وما تعلنون : من المكـر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولاً ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سرٍ وعلانية في أي أحد.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذباً كان أو ملحاً وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه. وقوله ﴿لتـأكلوا منه لحماً[1] طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ بيان لعلة تسخير البحر وهي ليصيد الناس منه السمك يأكلونه، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم[2]. وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أي وترى أيها الناظر الى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجائية. وقوله: ﴿ولتبتغوا﴾ اي سخر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقـل البضـائـع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلـك كله من فضل الله وحوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي كي تشكروا الله تعالى. أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرفها في مرضاته وقوله: ﴿وألقى في الأرض رواسي[3]﴾ أي ألقى في الأرض جبالاً ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ كي لا تميد بكم، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها. وقوله: ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى لكم أنهاراً في الأرض كالنيل والفرات

(١) قسّم مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي: لحم ذوات الأربع، ولحم ذوات الريش، ولحم ذوات الماء، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلا أو نسيئة.

(٢) الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله) ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم.

(٣) في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادراً على سكونها دون الجبال، ومع هذا أرساها، وسكنها بالجبال تعليما لعباده للأخذ بالأسباب، و﴿رواسي﴾ جمع راس، على غير قياس، كفوارس، وعواذل جمع فارس وعاذل.

وغيرهما ﴿وسبلا﴾ أي وشق لكم طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى منازلكم في بلادكم وقوله ﴿وعلامات﴾ أي وجعل لكم علامات للطرق وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار وكل ما يستدل به على الطريق والناحية، وقوله ﴿وبالنجم﴾ أي وبالنجوم[1] ﴿هم يهتدون﴾ فركاب البحر لا يعرفون وجهة سيرهم في الليل إلا بالنجوم وكذا المسافرون في الصحارى والوهاد لا يعرفون وجهة سفرهم إلا بالنجوم وذلك قبل وجود آلة البوصلة البحرية ولم توجد إلا على ضوء النجم وهدايته وقوله في الآية (١٧) ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ هذا تأنيب عظيم لأولئك الذين يصرون على عبادة الأصنام ويجادلون عليها ويجالدون فهل عبادة من يخلق ويرزق ويدبر حياة الإنسان وهو الله رب العالمين كعبادة من لا يخلق ولا يرزق ولا يدير؟ فمن يسوي من العقلاء بين الحي المحيي الفعال لما يريد واهب الحياة كلها وبين الأحجار والأوثان؟ فلذا وبخهم بقوله ﴿أفلا تذكّرون﴾ فتذكرون فتعرفون أن عبادة الأصنام باطلة وأن عبادة الله حق فتتوبوا إلى ربكم وتسلموا له قبل أن يأتيكم العذاب. وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ بعدما عدد في هذه الآيات من النعم الكثيرة أخبر أن الناس لو أرادوا أن يعدوا نعم الله ما استطاعوا عدها فضلا عن شكرها، ولذا قال ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ولولا أنه كذلك ليؤاخذهم على تقصيرهم في شكر نعمه عليهم ولَسَلَبَهَا منهم عند كفرها وعدم الاعتراف بالمنعم بها عز وجل وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ هذه آخر مظاهر القدرة والعلم والحكمة والنعمة في هذا السياق الكريم فالله وجده يعلم سر الناس وجهرهم فهو يعلم إذاً حاجاتهم وما تتطلبه حياتهم، فإذا عادوه وكفروا به فكيف يأمنون على حياتهم ولما كان الخطاب في سياق دعوة مشركي مكة إلى الإيمان والتوحيد فالاية إخطار لهم بأن الله عليم بمكرهم برسوله وتَبييت الشر له وأذاهم له بالنهار. فهي تحمل التهديد والوعيد لكفار مكة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان العلة في الرزق وأنها الشكر فالله سبحانه وتعالى يرزق لِيُشكر.

(١) وقد يُراد بالنجم: الجدي خاصة لقول الرسول ﷺ لابن عباس وقد سأله عن النجم فقال له: (هو الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم) وكون المراد بالنجم النجوم لقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر﴾.

٢ـ إباحة أكل الحوت وكل دواب البحر.
٣ـ لا زكاة في اللؤلؤ والمرجان لأنه من حلية النساء.
٤ـ المقارنة بين الحي الخلاق العليم، وبين الأصنام الميتة المخلوقة لتقرير بطلان عبادة غير الله تعالى لأن من يَخلُق ليس كمن لا يَخلُق.
٥ـ عجز الإنسان عن شكر نعم الله تعالى يتطلب منه أن يشكر ما يمكنه منها وكلمة (الحمد لله) تعد رأس الشكر والاعتراف بالعجز عن الشكر من الشكر، والشكر صرف النعم فيما من أجله أنعم الله تعالى بها.

وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٍۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

وهم يخلقون : أي يصورون من الحجارة وغيرها.

وما يشعرون إيان يبعثون : أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة. ولا يبعث فيه عابدوها من دون الله.

قلوبهم منكرة : أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء.

وهم مستكبرون : لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون.

لا جرم : أي حقاً.

أساطير الأولين : أي أكاذيب الأولين.

ليحملوا أوزارهم : أي ذنوبهم يوم القيامة.

ألا ساء ما يزرون : أي بئس ما يحملون من الأوزار.

معنى الآيات :

في هذا السياق مواجهة صريحة للمشركين بعد تقدم الأدلة على اشراكهم وضلالهم فقوله تعالى: ﴿والذين يدعون[1] من دون الله﴾ أي تعبدونهم أيها المشركون ﴿أموات غير أحياء﴾ أي هم أموات إذ لاحياة لهم ودليل ذلك أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون، وقوله ﴿وما يشعرون أيان يبعثون[2]﴾ أي لا يعلمون[3] متى يبعثون كما أنكم أنتم أيها العابدون لهم لا تشعرون متى تبعثون. فكيف تصح عبادتهم وهم أموات ولا يعلمون متى يبعثون للاستنطاق والاستجواب والجزاء على الكسب في هذه الحياة، وقوله ﴿إلهكم إله واحد﴾ هذه النتيجة العقلية التي لا ينكرها العقلاء وهي أن المعبود واحد لا شريك له، وهو الله جل جلاله، إذ هو الخالق الرازق المدبر المحي المميت ذو الصفات العلا والأسماء الحسنى، وما عداه فلا يخلق ولا يرزق ولا يُدبِّر ولا يحيي ولا يميت فتأليهه سفه وضلال، وبعد تقرير ألوهية الله تعالى وإثباتها بالمنطق السليم قال تعالى: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ ذكر علة الكفر لدى الكافرين والفساد عند المفسدين وهي تكذيبهم بالبعث الآخر إذ لا يستقيم عبد على منهج الحق والخير وهو لا يؤمن باليوم الآخر يوم الجزاء على العمل في الحياة الدنيا، فأخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لكل ما يسمعون من الحق الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ وتبينه آيات القرآن الكريم، وهم مع إنكار قلوبهم لما يسمعون من الحق مستكبرون عن

(١) قرأ عامة القراء ﴿يدعون﴾ بالتاء لأن ما قبله خطاب، وقريء عن عاصم وحفص بالياء، وهي قراءة يعقوب أيضاً.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تبعث الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينها فيتبرّؤون من عبدتها، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار.

(٣) عبّر عنهم بصيغة من يعقل لأن المشركين يزعمون أنها تعقل عنهم وتشفع لهم عند الله تعالى، وتقرّبهم إلى الله زلفى.

قبول الحق والإذعان له. وقوله تعالى: ﴿لا جرم[1] ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين[2]﴾ أي حقاً ان الله يعلم ما يسر أولئك المكذبون بالآخرة وما يعلنون وسيحصى ذلك عليهم ويجزيهم به لا محالة في يوم كانوا به يكذبون.. ويا للحسرة ويا للندامة!! وهذا الجزاء كان بعذاب النار متسبب عن بغض الله للمستكبرين وعدم حبه لهم، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين[3]﴾ يخبر تعالى عن أولئك المنكرة قلوبهم للوحي الإلهي وما جاء به رسول الله ﷺ هؤلاء المستكبرون كانوا إذا سئلوا عن القرآن من قِبل من يريد أن يعرف ممن سمع بالدعوة المحمدية فجاء من بلاد يتعرف عليها قالوا: ﴿أساطير الأولين[4]﴾ أخبار كاذبة عن الأولين مسطره عند الناس فهو يَحْكَيها ويقول بها، وبذلك يصرفون عن الإسلام ويصدون عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي تبعة آثامهم وتبعة آثام من صدوهم عن سبيل الله كاملة غير منقوصة يوم القيامة، وهم لا يعلمون ذلك ولكن الحقيقة هي : انّ من دعا إلى ضلالة كان عليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزار من عملها شيء، وكذا من دعا إلى[5] هدى فله أجر من عمل به من غير أن ينقص من أجر العامل به شيء. وقوله تعالى: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي قُبح الوزر الذي يزرونه فإنه قائدهم إلى النار موبقهم في نار جهنم.

هداية الآيات

مـن هداية الآيـات :

١ـ بطلان الشرك وتقرير التوحيد.

٢ـ التكذيب باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كل شر وفساد يأتيه العبد.

---

(١) ﴿لا جرم﴾: كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً، يقال: فعلوا كذا وكذا فيجاب بكلمة لاجرم أنهم سيندمون.

(٢) أي: فهو لا يثيبهم ولا يثني عليهم خيراً، وفي الحديث الصحيح: (إنّ المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبّرهم). قالت العلماء: كل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر، وهو أصل العصيان كله.

(٣) قيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث وهو القائل: أساطير الأولين. والآية تشمله وغيره ممن قال ويقول هذه الكلمات الكاذبة الباطلة.

(٤) الأساطير: الأباطيل، والترهات، و﴿أساطير الأوّلين﴾: خبر والمبتدأ الذي أنزله أي: الذي أنزله أساطير الأوّلين.

(٥) وفي الصحيح شاهد هذا فقد روى مسلم أنه ﷺ قال: (من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).

٣ـ التنديد بجريمة الاستكبار عن الحق والإذعان له.

٤ـ بيان اثم وتبعة من يصد عن سبيل الله بصرف الناس عن الإسلام.

٥ـ بيان تبعة من يدعو إلى ضلالة فإنه يتحمل وزر كل من عمل بها.

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

شـرح الكلـمات :

من قبلهـم : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره.

فأتى الله بنيانهم : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من أسسه.

وخر عليهم السقف : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها.

كنتم تشاقون فيهم : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه، وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها.

وقال الذين أوتوا العلم : أي الأنبيـاء والمؤمنـون.

ظالمـي أنفسهم : بالشـرك والمعـاصي.

فألقـوا السلم : أي استـسلموا وانقادوا.

فلبئس مثوى المتكبرين : مثوى المتكبرين: أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً.

وقيل للذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصـي.

للذين أحسنوا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوا بها وفق مراد الله تعالى.

حسـنة : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة.

ولنعم دار المتقين : أي الجنة دار السـلام.

طيـبيـن : أي الأرواح بمـا زكـوهـا به من الإيمان والعمل الصالح. وبما أبعدوها عنه من الشرك والمعاصي.

يقولون سلام عليكم : أي يقول لهم ملك الموت «عزرائيل» وأعوانه.

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون.

أو يأتي أمر ربك : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله عز وجل.

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به يستهزئون.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم مع كفار قريش في تذكيرهم وتبصرهم بما هم فيه من الجهالة والضلالة. فيقول تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ أي من قبل مكر كفار قريش وذلك كالنمرود وفرعون وغيرهم من الجبابرة الذين تطاولوا على الله عز وجل ومكروا برسلهم، فالنمرود ألقى بإبراهيم في النار، وفرعون قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه. . وقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي أتاه أمر الله بهدمه وإسقاطه على الظلمة الطغاة ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون[1]﴾. وذهب باطلهم وزال مكرهم. ألم يتعظ بهذا كفرة قريش وهم يمكرون بنبيهم ويبيّتون له السوء بالقتل أو النفي أو الحبس؟ وقوله تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ أي يهينهم ويذلهم ويوبخهم بقوله: ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم[2]﴾ أي أصنامكم وأوثانكم الذين كنتم تخالفوني بعبادتكم إياهم دوني كما تشاقون اوليائي المؤمنين أي تخالفونهم بذلك وتحاربونهم فيه. وهنا يقول الأشهاد والذين أوتوا العلم من الأنبياء والعلماء الربانيين: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ أي إن الذل والهون والدون على الكافرين. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم[3] الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ومن جملة المعاصي ترك الهجرة والبقاء بين ظهراني الكافرين والفساق المجرمين حيث لا يتمكن المؤمن من عبادة الله تعالى بترك المعاصي والقيام بالعبادات. وقوله ﴿فألقوا السلم﴾ أي عند معاينتهم ملك الموت وأعوانه أي استسلموا وانقادوا وحاولوا الإعتذار بالكذب وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فترد عليهم الملائكة قائلين: ﴿بلىٰ﴾ أي كنتم تعملون السوء ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ أي أبواب طبقاتها ﴿خالدين فيها فلبئس﴾ جهنم ﴿مثوى﴾ أي مقاماً ومنزلاً ﴿للمتكبرين﴾ عن عبادة الله وحده. وقوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه في أمره ولا نهيه وأطاعوا رسوله كذلك: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ أي إذا سألهم من أتى مكة يتعرف على ما بلغه من

---

(١) أي: من حيث ظنوا أنهم في أمان، وقال ابن عباس يعني البعوضة التي أهلك الله تعالى بها النمرود الكنعاني.

(٢) قرىء ﴿تشاقون﴾ بفتح النون وبكسرها على الاضافة، كما قرأ شركائي ابن كثير: شركاي بفتح الياء وبدون همزة.

(٣) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة وبقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين، ومن بينهم الذين لمّا رأوا قلّة المؤمنين رجعوا إلى الشرك.

دعوة الإسلام فيقولون له: ﴿خيراً﴾ أي أنزل خيراً لأن القرآن خير وبالخير نزل بخلاف تلاميذ المشركين يقولون أساطير الأولين كما تقدم في هذا السياق.

كما ذكر تعالى جزاء الكافرين وبما يلقونه من العذاب في نار جهنم وهم الذين أساءوا في هذه الحياة الدنيا إلى أنفسهم بشركهم بالله ومكرهم وظلمهم للمؤمنين، ذكر جزاء المحسنين. فقال: ﴿للذين أحسنوا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات متبعين شرع الله في ذلك فأخلصوا عبادتهم لله تعالى ودعوا الناس الى عبادة الله وحثوهم على ذلك فكانوا بذلك محسنين لأنفسهم ولغيرهم لهؤلاء الذين أحسنوا في الدنيا ﴿حسنة﴾ وهي الحياة الطيبة حياة الطهر والعزة والكرامة،[1] ولدار الآخرة خيرٌ لهم من دار الدنيا مع ما فيها من حسنة وقوله تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ ثناء ومدح لتلك الدار الآخرة لما فيها من النعيم المقيم وإضافتها إلى المتقين باعتبار أنهم أهلها الجديرون بها إذ هي خاصة بهم ورثوها بإيمانهم وصالح أعمالهم بتركهم الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن[2] يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون﴾ هو وصف وبيان لدار المتقين فأخبر أنها جنات جمع جنة وهي البستان المشتمل على الأشجار والأنهار والقصور وما لذ وطاب من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمراكب وقوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ هذا نهاية لإكرام والإنعام إذ كون العبد يجد كل ما يشتهي ويطلب هو نعيم لا مزيد عليه وقوله تعالى: ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ أي كهذا الجزاء الحسن العظيم يجزي الله المتقين في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين[3]﴾ أي طاهري الأرواح لأرواحهم ريح طيبة ثمرة إيمانهم وصالح أعمالهم ونتيجة بعدهم عما يدنس أنفسهم من أوضار الشرك وعفن المعاصي.[4] وقوله: ﴿يقولون﴾ أي تقول لهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿سلام عليكم﴾ تحييهم وفي ذلك بشارة لهم برضا ربهم وجواره الكريم. ﴿ادخلوا الجنة﴾ بأرواحهم اليوم

(١) مع الفتح والنصر والغنائم أيضاً إذ الكل حسنة عظيمة.

(٢) ﴿جنات عدن﴾: بدل من قوله: (دار المتقين).

(٣) طيّبين بإيمانهم وعملهم الصالح وبعدهم عن الشرك والمعاصي ووفاتهم أيضاً طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به أرواح أهل الكفر والشرك والفساد.

(٤) قال ابن المبارك: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن «أي: اجتمعت في فيه تريد الخروج» جاءه ملك الموت فقال له: السلام عليك وليّ الله الله يقرأ عليك السلام، ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ الخ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

وبأجسامهم غداً يوم القيامة. وقوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كنتم تعملونه من الطاعات والمسابقة في الخيرات بعد عمل قلوبكم بالايمان واليقين والحب في الله والبغض فيه عز وجل والرغبة والتوكل عليه. هذا ما تضمنته الآيات (٣١، ٣٢) وأما الآيات بعد ذلك فيقول الله مستبطئاً ايمان قريش وتوبتهم بعد تلك الحجج والبراهين والدلائل والبينات على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى وجوب التوحيد وبطلان الشرك وعلى الإيمان باليوم الآخر. ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي ما ينظرون بعد هذا إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بإبادتهم واستئصالهم، إذ لم يبق ما ينتظرونه إلا أحد هذين الأمرين وكلاهما مر وشر لهم. وقوله تعالى: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم السابقة فحلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فأهلكهم. ﴿وما ظلمهم الله﴾ تعالى في ذلك أبداً ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإصرارهم على الشرك والعناد والمجاحدة والمكابرة ﴿فأصابهم سيئات﴾ أي جزاء سيئات ﴿ما عملوا﴾ من الكفر والظلم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم وأحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ إذ كانت رسلهم إذا خوفتهم من عذاب الله سخروا منهم واستهزأوا بالعذاب واستخفوا به حتى نزل بهم والعياذ بالله تعالى.

من هداية الآيات :

١- سوء عاقبة المكر وأنه يحيق بأهله لا محالة والمراد به المكر السيء.

٢- بيان خزي الله تعالى يوم القيامة لأهل الشرك به والمعاصي له ولرسوله.

٣- فضل أهل العلم إذ يتخذ منهم شهداء يوم القيامة ويشمتون بأهل النار.

٤- بيان استسلام الظلمة عند الموت وانهزامهم وكذبهم.

٥- تقرير معتقد البعث والحياة الآخرة بأبرع أسلوب وأحكمه وأمتنه.

٦- إطلاق لفظ خير على القرآن وهو حق خير فالذي أوتي القرآن أوتي الخير كله، فلا ينبغي أن يرى أحداً من أهل الدنيا خيراً منه وإلا سخط نعمة الله تعالى عليه.

٧- سعادة الدارين لأهل الإحسان وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان في إيمانهم بالإخلاص وفي إسلامهم بموافقة الشرع ومراقبة الله تعالى في ذلك.

٨- بشرى أهل الإيمان والتقوى عند الموت، وعند القيام من القبور بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين.

٩- إعمال القلوب والجوارح سبب في دخول الجنة وليست ثمناً لها لغلائها، وإنما الأعمال تزكي النفس وتطهر الروح وبذلك يتأهل العبد لدخول الجنة.

١٠- ما ينتظر المجرمون بإصرارهم على الظلم والشر والفساد إلا العذاب، عاجلاً أو آجلاً فهو نازل بهم حتماً مقضياً إن لم يبادروا إلى التوبة الصادقة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

شرح الكلـمات

وقال الذين أشركوا	: هم كفار قريش ومشركوها.
ولا حرمنا من دونه من شيء	: كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات.
فهل على الرُّسل إلا البلاغ	: أي ما على الرُّسل إلا البلاغ فالإستفهام للنفي.
واجتنبوا الطاغوت	: أي عبادة الأصنام والأوثان.
حقت عليه الضلالة	: أي وجبت في علم الله أزلاً.
جهد أيْمانهم	: أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم.
بلى وعداً عليه حقاً	: أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعداً وأحقه حقاً. فهو كائنٌ لا محالة.
يختلفون فيه	: أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك.
انهم كانوا كاذبين	: أي في قولهم «لا نُبعث بعد الموت».

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحجاج مع مشركي قريش فيقول تعالى مُخْبراً عنهم ﴿وقال الذين أشـركـوا﴾ أي مع الله آلهـةً أخـرى وهي أصنـامهم كهبـل والـلات والعُـزّى وقـالـوا لو شاء الله عدم إشراكنا به ما أشركنا نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من دون تحريمه شيئاً فهل قالوا هذا إيمانا بمشيئة الله تعالى، أو قالوه استهزاء وسخرية دفاعاً عن شركهم وشرعهم الباطل في التحريم والتحليل بالهوى، والأمران محتملان. والرد عليهم بأمرين أولهما ما دام الله قد نهاهم عن الشرك والتشريع فإن ذلك أكبر دليل على تحريمه تعالى لشركهم ومحرماتهم من السوائب والبحائر وغيرها وثانيهما كونه لم يعذبهم عليها بعد ليس دليلاً على رضاه بها بدليل أن من سبقهم من الأمم والشعوب الكافرة قالوا قولتهم هذه محتجين به على باطلهم فلم يلبثوا حتى أخذهم الله، فدل ذلك قطعاً على عدم رضاه بشركهم وشرعهم إذ قال تعالى في سورة الأنعام رداً على هذه الشبهة كذلك قال الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا أي عذاب انتقامنا منهم لما كذبوا رسلنا وافتروا علينا. وقوله تعالى: ﴿كذلك فعل الذين[1]

---

(١) الإشارة بذلك إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسلهم وأهلكم الله جل جلاله.

من قبلهم﴾ من الأمم السابقة قالوا قول هؤلاء لرسلهم وفعلوا فعلهم حتى أخذهم الله بالعـذاب. وقـولـه ﴿فهل[1] على الرسل[2] إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول إكراه المشركين على ترك الشرك ولا إلزامهم بالشرع وانما عليه أن يبلغهم أمر الله تعالى ونهيه لا غير. فلذا كان في الجملة تسلية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر حتى يبلغ دعوة ربه وينصره على أعدائه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (٣٥) وقوله في الآية الثانية (٣٦) ﴿ولقد[3] بعثنا في كل أمةٍ رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ فأخبر تعـالى بأنـه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها. كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسره بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان الى عبادته بالتزيين والتحسين عن طريق الوسواس من جهة ومن طريق اوليائه من[4] الناس من جهةٍ أخرى.

وقوله تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي من الأمم المرسل إليهم ﴿من هدى الله﴾ فعرف الحق واعتقده وعمل به فنجا وسعد، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة[5]﴾ أزلاً في كتاب المقادير لأنـه أصر على الضلال وجادل عنه وحارب من أجله باختياره وحريته فحرمه الله لذلك التوفيق فضلَّ ضلالاً لا أمل في هدايته. وقوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبـة المكـذبين﴾ أمرٌ لكفار قريش المجادلين بالباطل المحتجين على شركهم وشرعهم الباطل أمرٌ لهم أن يسيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين أمثالهم من أمة عاد في الجنوب وثمود في الشمال، ومدين ولوط وفرعون في الغرب. وقوله تعالى في تسلية رسوله والتخفيف من الهمِّ عنه: ﴿إن تحرص﴾ يا رسولنا

---

(١) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا جاء الاستثناء بعده أي: ما على الرسل إلا البلاغ، أي: ليس عليهم هداية الخلق إذ لا يملكون ذلك ولم يكلفوا به وإنما كلفوا بالبلاغ والبيان.

(٢) في الآية: ﴿فهل على الرسل...﴾ تسلية للرسول ﷺ وتعليم وفيها أيضاً التعريض بإبلاغ المشركين.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ متضمن بياناً لسنة الله تعالى في إرسال الرسل لاحقاق الحق وإبطال الباطل ونصر المؤمنين، وهلاك الكافرين المكذّبين.

(٤) أولياء الشيطان: هم الكهان ودعاة الضلال الذين يصدّون عن سبيل الله بتزيين الباطل وتحسين الشرك والخرافة.

(٥) في هذا ردّ على القدرية نفاة القدر إذ معنى: ﴿حقت﴾: وجبت له أزلا في كتاب المقادير.

﴿على هداهم﴾ أي هدايتهم إلى الحق ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾[1] فخفف على نفسك وهون عليها فلا تأسف ولا تحزن وادع الى ربك في غير حرص يضر بك وقوله ﴿لا يهدي من يضل﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي من أضله الله، لأن اضلال الله تعالى يكون على سنن خاصة لا تقبل التبديل ولا التغيير لقوة سلطانه وسعة عمله. وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي وليس لأولئك الضلال الذين أضلهم الله حسب سنته من ناصرين ينصرونهم على ما سينزل بهم من العذاب وما سيحل بهم من خسرانٍ وحرمان. وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت﴾[2] اخبار عن قول المشركين والمعذبين باليوم الآخر أصحاب القلوب المنكرة، ومعنى ﴿أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾[3] أي حلفوا أشد الأيمان إذ كانوا في الأمور التافهة يحلفون بآلهتهم وآبائهم. وإذا كان الأمر ذا خطر وشأن أقسموا بالله وبالغوا في الإقسام حتى يبلغوا جهد أيمانهم والمحلوف عليه هو أنهم إذا ماتوا لا يبعثون أحياء فيحاسبون ويجزون فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿بلىٰ﴾ أي تبعثون وعد الله حقاً فلا بد ناجز ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[4] فلذا ينفون البعث وينكرونه لجهلهم بأسرار الكون والحياة وعِلَلِ الوجود والعمل فيه فلذا أشار الله تعالى إلى بعض تلك العلل في قوله: ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ فلولا البعث الآخر ما عرف المُحق من المبطل في هذه الحياة والخلاف سائد ودائم بين الناس. هذا أولاً. وثانياً: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾[5] في اعتقاداتهم وأعمالهم ونفيهم الحياة الثانية للجزاء على العمل في دار العمل هذه أما استبعادهم البعث بعد الموت نظراً إلى وسائلهم ووسائطهم الخاصة بهم فقد أخبرهم تعالى بأن الأمر ليس كما تقدرون أنتم وتفكرون: إنه مجرد ما تتعلق إرادتنا بشيء نريد أن يكون، نقول له كن

(١) قرىء في السبع ﴿يُهدي﴾ بضم الياء مبنيًا للمجهول وقرىء: ﴿يهدي﴾ بفتح الياء مبنيًا للمعلوم وقراءة لا يهدي هي التي فسر بها في التفسير. وقراءة يهدي، أي: أن الله إذا كتب على عبد شقاه لا يهديه للخلاص منه.

(٢) روي أن رجلا من المسلمين كان له دَين على مشرك فتقاضاه منه وقال في بعض كلامه: والذي أرجوه بعد الموت، أنه لكذا وكذا فأقسم المشرك بالله: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية.

(٣) ذكر القرطبي عن قتادة أن رجلا قال لابن عباس: إنّ ناساً يزعمون أنّ عليا مبعوث بعد الموت قبل الساعة يتأوّلون هذه الآية فقال ابن عباس: كذب أولائك إنّما هذه الآية عامة للناس فلو كان عليٌّ مبعوثا قبل يوم القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه.

(٤) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك).

(٥) أي: في نفيهم البعث وإقسامهم على عدم وقوعه، وفي إنكارهم التوحيد والنبوّة أيضاً.

فيكون فوراً، والبعث الآخر من ذلك. هذا ما دل عليه قوله في الآية (٤٠) ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون[1]﴾ ولا يقولن قائل كيف يخاطب غير الموجود فيأمره ليوجد فإن الله تعالى إذا أراد شيئاً علمه أولاً ثم قال له كن فهو يكون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الرد على شبهة المشركين في احتجاجهم بالمشيئة الإلهية.

٢ـ تفسير لا إله إلا الله.

٣ـ التحذير من تعمد الضلال وطلبه والحرص عليه فإن من طلب ذلك وأضله الله لا ترجى هدايته.

٤ـ بيان بعض الحكم في البعث الآخر.

٥ـ لا يستعظم على الله خلق شيء وإيجاده، لأنه يوجد بكلمة التكوين فقط.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات:

والذين هاجروا في الله: أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرةً لدينه وإقامته بين الناس.

---

(١) قال أهل العلم في الآية دليل على عدم خلق القرآن إذ لو كان مخلوقاً لكان قوله: ﴿كن﴾ مخلوقاً، ولاحتاج إلى قول ثانٍ، والثاني يحتاج إلى ثالث وتسلسل وهذا محال وفيها دليل على أن الله مريد لجميع الحوادث خيرها وشرها نافعها وضارها، والدليل أن من رأى في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلأحد شيئين إما لكونه جاهلا لا يدري وإما لكونه مغلوبا لا يطيق وهذا محال في حقه سبحانه وتعالى وبذلك تأكد أن الله مريد لكل ما يجري من أحداث في الملكوت وحكمته لا يخلو منها شيء.

لنبوئنهم في الدنيا حسنة : أي لننـزلنهم داراً حسنـة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية.

الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون : أي على أذى المشـركين وهـاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم.

فاسألوا أهل الذكر : أي أيهـا الشاكوّن فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهـل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقـة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل قبله كلهم كانوا بشراً مثله.

بالبينات والزبر : أي أرسلناهم بشراً بالبينات والزبر[1] لهداية الناس.

وأنزلنا إليك الذكر : أي القـرآن.

لتبين للناس ما نزل اليهم : علة لإنزال الذكر إذ وظيفة الرسل، البيان.

معنى الآيـات :

إنه بعد اشتداد الأذى على المؤمنين لعناد المشركين وطغيانهم، أذن الله تعالى على لسان رسوله للمؤمنين بالهجرة من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة فهاجر رجال ونساء فذكر تعالى ثناء عليهم وتشجيعاً على الهجرة من دار الكفر فقال عز وجل ﴿والذين هاجروا[2] في الله﴾ أي في ذات الله ومن أجل عبادة الله ونصرة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أي من قبل المشركين ﴿لنبوئنهم﴾ أي لننزلهم ولنسكننهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ وهي المدينة النبوية ولنرزقنهم فيها رزقاً حسناً هذا بالنسبة لمن نزلت[3] فيهم الآية، وإلا فكل من هاجر في الله ينجز له الـرب هذا الـوعـد كمـا قال تعـالى : ﴿ومن يهـاجـر في سبيل الله يجـد في الأرض مراغمـا كثيرا وسعـة﴾ أي في العيش والـرزق ﴿ولأجـر الآخرة﴾ المعد لمن هاجر في سبيل

---

(١) ﴿الزبر﴾ : الكتب.

(٢) أي : تركوا الوطن، والأهل، والقرابة كما تركوا السيئات. ومعنى : في الله أي : لأجل الله إذ بدار الكفر لا يتمكنون من عبادة الله تعالى فإذا هاجروا تمكنوا فكانت هجرتهم إذاً لله أي لعبادته التي خلقهم من أجلها.

(٣) قيل : نزلت الآية في صهيب وبلال وعمار، وخبّاب إذ علّبهم المشركون أشد العذاب حتى هاجروا، ويدخل في هذا أيضاً أبو جندل وغيره.

الله ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾[1]. هذا ترغيب في الهجرة وتشجيع للمتباطئين على الهجرة وقوله: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾[2] بيان لحالهم وثناء عليهم بخير لأنهم صبروا أولاً على الأذى في مكة ثم لما أذن لهم بالهجرة هاجروا متوكلين على الله تعالى مفوضين أمورهم إليه، واثقين في وعده. هذا ما دلت عليه الآيتان (٤١)، (٤٢). وأما الآية الثالثة (٤٣) والرابعة من هذا السياق فهما تقرير حقيقة علمية بعد إبطال شبهة المشركين القائلين كيف يرسل الله محمداً رسولاً وهو بشر مثلنا لم لا يرسل ملكاً.. وهو ما أخبر الله تعالى في قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي من الرسل ﴿إلا رجالاً﴾ لا ملائكة ﴿نوحي إليهم﴾ بأمرنا وقوله: ﴿فاسألوا﴾ أيها المشركون المنكرون أن يكون الرسول بشراً، اسألوا أهل الذكر وهو الكتاب[3] الأول أي اسألوا علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى هل كان الله تعالى يرسل الرسل من غير البشر ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾فإنهم يخبرونكم. وما موسى ولا عيسى إلا بشر، وقوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلنا أولئك الرسل من البشر بالبينات أي الحجج والدلائل الدالة على وجوب عبادتنا وترك عبادة من سوانا. والزبر أي الكتب. ثم يقول تعالى لرسوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وفي هذا تقريرٌ لنبوته ﴾ وقوله: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيعرفون صدق ما جئتهم به فيؤمنوا. ويتوبوا إلى ربهم فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضل الهجرة ووجوبها عند اضطهاد المؤمن وعدم تمكنه من عبادة الله تعالى.

٢ـ وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم.

٣ـ السنة لا غنى عنها لأنها المبينة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه.

---

(١) هذا صالح لكلّ من المؤمنين ومعلميهم، غير أنه في المؤمنين أظهر إذ كان عمر رضي الله عنه إذا أعطى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم يتلو هذه الآية: ﴿ولأجر الآخرة خير لو كانوا يعلمون﴾.

(٢) قال العلماء: خيارُ المؤمنين من إذا نابه أمر صبر وإذا عجز عن أمر توكل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكلون﴾.

(٣) يدخل في أهل الذكر أهل القرآن، وهم علماء هذه الأمّة، وبهذا أمر الله تعالى غير العالمين أن يسألوا أهل العلم، وأمر العالمين أن يعلموا ويبيّنوا ومن كتم منهم عُذّب.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

مكروا السيئات : أي مكروا المكرات السيئات فالسيئات وصف للمكرات التى مكروها.

في تقلبهم : أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها.

على تخوف : أي تنقص.

يتفيئوا ظلاله : أي تتميل من جهةٍ إلى جهة.

سجداً لله : أي خضعاً لله كما أراد منهم.

داخرون : أي صاغرون ذليلون.

من فوقهم : من أعلى منهم إذهو تعالى فوق كل شيء ذاتاً وسلطاناً وقهراً.

ما يؤمرون : أي ما يأمرهم ربهم تعالى به.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تخويف المشركين وتُذكيرهم لعلهم يرجعون بالتوبة من الشرك والجحود للنبوة والبعث والجزاء. قال تعالى : ﴿أفأمن الذين مكروا﴾[1] المكرات

(١) هذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام.

﴿السيئات﴾ من محاولة قتل النبي ﴿ﷺ﴾ والشرك والتكذيب بالنبوة والبعث وظلم المؤمنين وتعذيب بعضهم، أفأمنوا ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ من تحتهم فيقرون في أعماقها، ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾[1] ولا يتوقعون من ريح عاصف تعصف بهم أو وباء يشملهم أو قحط يذهب بمالهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي في تجارتهم وأسفارهم ذاهبين آيبين من بلدٍ إلى بلد. ﴿فما هم بمعجزين﴾[2] له تعالى لو أراد أخذهم وإهلاكهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾[3] أي تنقص[4] بأن يهلكهم واحداً بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يبقى منهم أحداً، وقد أخذ منهم ببدرٍ من أخذ وفي أحد. وقوله تعالى: ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ تذكير لهم برأفته ورحمته إذ لولاهما لأنزل بهم نقمته وأذاقهم عذابه بدون إنظار لتوبةٍ أو إمهال لرجوع إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾[5] من شجرٍ وجبل وإنسانٍ وحيوان ﴿يتفيؤا ظلاله﴾ بالصباح والمساء ﴿عن اليمين والشمائل﴾ «جمع شمال» ﴿سجداً لله﴾ خضعاً بظلالهم ﴿وهم داخرون﴾[6] أي صاغرون ذليلون. أما يكفيهم ذلك دلالةٌ على خضوعهم لله وذلتهم بين يديه، فيؤمنوا به ويعبدونه ويوحدوه فينجوا من عذابه ويفوزوا برحمته. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أي ولله لا لغيره يسجد بمعنى يخضع وينقاد لما يريده الله تعالى من إحياء أو إماتة أو صحة أومرض أوخير أوغيره من دابةٍ أي من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض ﴿والملائكة﴾[7]

(١) وقد تمّ لهم وذاقوا مُرّاً يوم بدر بقتل صناديدهم وأسرهم.

(٢) أي: بسابقين الله ولا فائتيه.

(٣) التخوّف: مصدر لفعل تخوّف إذا خاف، ومصدر لتخوّف المتعدي الذي بمعنى تنقص، وهو لغة هذيل، فللآية معنيان. الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلاً. والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى وهو واضح المعنى في التفسير.

(٤) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوّف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فإنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

(٥) أي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل ومعنى تفيء الظلال: ميلانه من جانب إلى جانب ومنه سمي الظلّ بالعشي فيء: لأنه فاء من المشرق إلى المغرب أي: رجع، والفيء: الغنائم التي ترجع إلى المسلمين من الكافرين لأنّهم أحق بها فرجعت إليهم.

(٦) أي: خاضعون، والدخور: الصغار والذل يقال: دخر الرجل فهو داخر وأدخرهُ الله. قال ذو الرمّة:

فلم يبق إلا داخر في مخيس ... ومنجحر في غير أرضك في حجر

والشاهد في قوله داخر أي خاضع ذليل والمخيس بناء من مدر يسجن فيه

(٧) قيل: المراد بالملائكة: ملائكة الأرض، وخصّهم بالذكر وهم داخلون في عموم ما في السموات وما في الأرض لشرف منزلتهم عند ربّهم جلّ جلاله، والملائكة يطيرون ولا يَدِبّون، فلذا أخرجوا أيضا بالذكر.

على شرفهم يسجدون ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ربهم ﴿ويخافون ربهم من فوقهم﴾ إذ هو العلي الأعلى وكل الخلق تحته. ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فلا يعصون ربهم ما أمرهم. إذا كان هذا حال الملائكة فما بال هؤلاء المشركين يلجون في الفساد والاستكبار والجحود والمكابرة وهم أحقر سائر المخلوقات، وشر البريات إن بقوا على كفرهم وشركهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة الأمن من مكر الله.

٢- كل شيء ساجد لله، أي خاضع لما يريده منهم، إلا أن السجود الطوعي الاختياري هو الذي يثاب عليه العبد، أما الطاعة اللا إرادية فلا ثواب فيها ولا عقاب.

٣- فضل السجود الطوعي الاختياري.

٤- مشروعية السجود عند هذه الآية: إذا قرأ القارىء أو المستمع: ﴿ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، عليه أن يسجد ان كان متطهراً إلى القبلة إن أمكن ويسبح في السجود ويكبر في الخفض والرفع ولا يسلم، ولا يسجد عند طلوع الشمس ولا عند غروبها.

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ[1] ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ

(١) جائز أن يكون سكّان شرق الجزيرة من العرب قد انتقلت إليهم عقيدة المجوس المبنية على إله الخير وهو يزدان وإله الشر الذي هو أهرمَنْ وذلك لمجاورتهم لحكومة المجوس الممتدة إلى العراق، ويكون النهي في الآية موجها إليهم.

لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

لا تتخذوا إلهين : أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد.

وله ما في السموات والأرض : أي خلقاً وملكاً، إذاً فما تعبدونه مع الله هو لله ولم يأذن بعبادته.

وله الدين واصباً : أي خالصاً دائماً واجباً.

فإليه تجأرون : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه.

فتمتعوا فسوف تعلمون : تهديدٌ على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى.

ويجعلون لما لايعلمون نصيباً : أي يجعلون لآلهتهم نصيباً من الحرث والأنعام.

عما كنتم تفترون : أي تختلقون بالكذب وتفترون على الله عز وجل.

معنى الآيات :

بعد إقامة الحجج على التوحيد وبطلان الشرك أخبرهم أن الله ربهم رب كل شيء قد قال لهم: أيها الناس ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ فلفظ اثنين توكيد للفظ إلهين أي لا تعبدوا إلهين بل اعبدوا إلهاً واحداً وهو الله إذ ليس من إله إلا هو فكيف تتخذون إلهين والحال انه ﴿إله واحد﴾ لا غير وهو الله الخالق الرازق المالك، ومن عداه من مخلوقاته كيف تُسوَّى به وتُعبَد معه؟ وقوله تعالى: ﴿فإياي فارهبون﴾[1] أي ارهبوني وحدي ولا ترهبوا سواي إن بيدي كل شيء، وليس لغيري شيء فأنا المحيي المميت، الضار النافع، يوبخهم على رهبتهم غيره سبحانه وتعالى من لا يستحق أن يُرهب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفع أو يضر. وقوله تعالى: ﴿وله ما في السموات والأرض﴾[2] برهان على بطلان رهبة غيره أو

---

(١) الرهبة: الخوف، فمعنى ﴿فارهبون﴾: خافوني ولا تخافوا سواي، وتقديم المفعول: ﴿فإياي﴾ مؤذن بحصر الرهبة في الله تعالى ونفيها عمّن سواه.

(٢) في الآية تقرير وحدانية الله تعالى إذ ما في السموات له، وما في الأرض له فهو إذاً إله واحد وبطل التعدد الذي يراه المجوس.

الرغبة في سواه ما دام له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً. وقوله ﴿وله الدين واصباً﴾[1] أي العبادة والطاعة دائماً ثابتاً واجباً، ألا لله الدين الخالص. وقوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ يوبخهم على خوف سواه وهو الذي يجب أن يرهب ويخاف لأنه الملك الحق القادر على إعطاء النعم وسلبها، فكيف يُتقى من لا يملك ضراً ولا نفعاً ويُعصىٰ من بيده كل شيء وإليه مرد كل شيء، وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن. وقوله: ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله﴾[2] يخبرهم تعالى بالواقع الذي يتنكرون له فيخبرهم أنه ما بهم من نعمة جلت أو صغرت من صحةٍ أو مالٍ أو ولد فهي من الله تعالى خالقهم وواهبهم حياتهم، وليست من أحدٍ غيره، ودلل على ذلك شعورهم الفطري وهو أنهم إذا مسهم الضر من فقرٍ أو مرض أو تغير حال كخوف غرقٍ في البحر فإنهم يرفعون أصواتهم إلى أعلاها مستغيثين بالله سائلينه أن يكشف ضرهم أو ينجيهم من هلكتهم المتوقعة لهم فقال عز وجل: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه﴾ دون غيره ﴿تجأرون﴾ برفع أصواتكم بالدعاء والإستغاثة به سبحانه وتعالى وقوله: ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ﴾ كبير ﴿منكم بربهم يشركون﴾ فيعبدون غيره بأنواع العبادات متناسين الله الذى كشف ضرهم وأنجاهم من هلكتهم.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾[3] أي ليؤول أمرهم إلى كفران ونسيان ما آتاهم الله من نعمٍ وما أنجاهم من محن. أفهكذا يكون الجزاء؟ أينعم بكل أنواع النعم وينجي من كل كرب ثم ينسى له ذلك كله، ويعبد غيره؟ بل ويحارب دينه ورسوله؟ إذاً ﴿فتمتعوا﴾[4] أيها الكافرون ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم وإعراضكم عن طاعة الله وذكره وشكره. وقوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ وهذا ذكرٌ لعيب آخر من عيوبهم وباطلٍ من باطلهم أنهم يجعلون لأوثانهم التى لا يعلمون عنها شيئاً من نفعٍ أو ضرٍ أو اعطاء أو منع أو إماتة أو إحياء يجعلونها لها طاعةً للشيطان نصيباً وحظاً من أموالهم

(١) لفظ الدّين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ وصالح لأن يكون الديانة والكل لله لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) فيه إشارة إلى بطلان إله الخير الذي يدين له المجوس الذين يقولون الخير من إله الخير، والشر من إله الشر.

(٣) وجائز أن تكون اللام: لام كي التعليلية.

(٤) الأمر للتهديد.

يتقربون به إليها فسيبوا لها السوائب، وبحروا لها البحائر من الأنعام، وجعلوا لها من الحرث والغرس كذلك كما جاء ذلك في سورة الأنعام والمائدة قبلها: وقوله تعالى: ﴿تالله لتسئلن[1] عما كنتم تفترون﴾ أقسم الجبار لهم تهديداً لهم وتوعداً أنهم سيسألون يوم القيامة عما كانوا يفترون أي من هذا التشريع الباطل حيث يحرمون ويحللون ويعطون آلهتهم ما شاءوا وسوف يوبخهم عليه ويجزيهم به جهنم وبئس المهاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد بعبادة الله تعالى وحده. ٢ـ وجوب الرهبة من الله دون سواه.

٣ـ وجوب الدين لله إذ هو الإله الحق دون غيره.

٤ـ كل نعمة بالعبد صغرت أو كبرت فهي من الله سبحانه وتعالى.

٥ـ تهديد المشركين إن أصروا على شركهم وعدم توبتهم.

٦ـ التنديد بالمشركين وتشريعهم الباطل بالتحليل والتحريم والإعطاء والمنع.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ

---

(١) هذا سؤال توبيخ ويتم في عرصات القيامة أو في النار.

وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

ويجعلون لله البنات	: إذ قالوا الملائكة بنات الله
ولهم ما يشتهون	: أي الذكور من الأولاد.
ظل وجهه مسوداً	: أي متغيراً بالسواد لما عليه من كرب.
وهو كظيم	: أي ممتلىء بالغم.
أم يدسه في التراب	: أي يدفن تلك المولودة حية وهو الوأد
مثل السوء	: أي الصفة القبيحة.
ولله المثل الأعلى	: أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله.
ان لهم الحسنىٰ	: أي الجنة إذ قال بعضهم ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنىٰ.
وأنهم مفرطون	: أي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها.

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أخطاء المشركين في اعتقاداتهم وسلوكهم فقال تعالى : ﴿ويجعلون[1] لله البنات ـ سبحانه ـ ولهم ما يشتهون[2]﴾ وهذا من سوء أقوالهم وأقبح اعتقادهم حيث ينسبون إلى الله تعالى البنات، إذ قالوا الملائكة بنات الله في الوقت الذي يكرهون نسبة البنات إليهم، حتى إذا بشر أحدهم بأنثى بأن أُخبر بأنه ولدت له بنت ظل نهاره كاملاً في غم وكرب ﴿وجهه مسوداً وهو كظيم﴾[3] ممتلىء بالغم والهم. ﴿يتوارى﴾ أي يستتر ويختفي عن أعين الناس خوفاً من المعرة، وذلك ﴿من سوء ما بشر به﴾ وهو البنت وهو في ذلك بين أمرين إزاء هذه المبشرية: إما أن يمسكه. أن يبقيه في بيته بين

---

(١) هذه الآية نزلت في خزاعة وكنانة إذ زعموا أنّ الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون : ألحقوا البنات بالبنات.

(٢) (ما) موصولة، وهو وصلته مبتدأ في محل رفع، والخبر متعلّق الجار والمجرور أي: ثابت لهم.

(٣) الكظيم: مشتق من الكظامة وهو شدّ فم القربة، إذا الكظيم هو المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلّم من الغمّ.

أولاده ﴿على هون﴾ أي مذلة وهوان، وإما أن ﴿يدسه في التراب﴾[1] أي يدفنه حياً وهو الـوأد المعروف عندهم. قال تعالى منددأ بهذا الإجرام: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ في حكمهم هذا من جهة نسبة البنات لله وتَبَرُّئهم منها، ومن جهة وأْد البنات[2] أو إذلالهن، قبح حكمهم الجاهلي هذا من حكم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) وهي قوله: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ أي نزه تعالى نفسه عن الولد والصاحبة فلا ينبغي أن يكون له ولد ذكراً كان أو أنثى لأنه رب كل شيء ومليكه فما الحاجة إلى الولد إذاً؟ والآية الثانية (٥٨) وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى[3] ظل وجهه مسوداً﴾ أي أقام النهار كله مسود الوجه من الغم ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء بالغم والهم، ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي من البنت ﴿أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ وقوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم منكروا البعث الآخر لهم المثل السوء[4] أي الصفة السوء وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم لأنهم لايعملون خيراً ولا يتركون شراً، لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء فهؤلاء لهم الصفة السوأى في كل شيء، ﴿ولله المثل[5] الأعلى﴾ أي الصفـة الحسنى وهـو أنه لا إله إلا الله منزه عن النقائص رب كل شيء ومالكه، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا شريك له ولا ند له ولا ولد وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ثناء على نفسه بأعظم وصف العزة والقهر والغلبة لكل شيء والحكمة العليا في تدبيره وتصريفه شؤون عباده، وحكمه وقضائه لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله تعالى فى الآية (٦١) ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها[6]﴾ أي على الأرض

(١) دسّها: إخفاؤها في التراب عن الناس حتى لا تعرف، وفي الحديث: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له سترا من النار يوم القيامة).

(٢) كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن وكان صعصع بن ناجية عمّ الفرزدق إذا أحسّ بشيء من ذلك وجّه إلى والد البنت إبلا يستحييها بذلك، قال الفرزدق يفتخر:

وعمّي الذي منع الوائدات فأحيى الوئيد فلم يوأد

(٣) تكرّر شرح هذه الآية في التفسير سهواً وهو غير ضار.

(٤) أي: صفة السوء من الجهل والكفر.

(٥) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عزّ وجلّ وقد قال ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فالجواب: إنّ قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلا يقتضي نقصاً وتشبيها بالخلق والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا شبيه له ولا نظير.

(٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ هذه الآية: لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فماتت الدّواب ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل كما قال ﴿ويعفو عن كثير﴾.

﴿من دابةٍ﴾ أي نسمة تدب على الأرض من إنسانٍ أو حيوان فهذه علة عدم مؤاخذة الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يفسدون ويجرمون وهذا الإهمال تابع لحكم عالية أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي وقت معين محدد قد يكون نهاية عمر كل أحد، وقد يكون نهاية الحياة كلها فإذا جاء ذلك الأجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عنه أخرى ثم يجزيهم بأعمالهم السيئة بمثلها وما هو عز وجل بظلام للعبيد.

وآخر آية في هذا السياق (٦٢) تضمنت التنديد بسوء حال الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك أنهم لجهلهم بالله وقبح تصورهم لظلمه نفسوهم أنهم يجعلون لله تعالى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء وسب الرسول وازدرائه، ومع هذا يتبجحون بالكذب بأن لهم الحسنى أي الجنة يوم القيامة. فرد تعالى على هذا الافتراء والهُراء السخيف بقوله: ﴿لا جرم﴾ أي حقاً وصدقاً ولا محالة ﴿أن لهم النار﴾ بدل الجنة ﴿وأنهم مفرطون﴾[1] إليها مقدمون متروكون فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية في قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرَّطون﴾[2] وإن قرئ مفرطون باسم الفاعل فهم حقاً مفرِطون في الشر والفساد والكفر والضلال والانحطاط الى أبعد حد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان الحال الإجتماعية التي كان عليها المشركون وهي كراهيتهم للبنات خوف العار.

٢ـ بيان جهلهم بالرب تعالى فهم يؤمنون به ويجهلون صفاته حتى نسبوا اليه الولد والشريك.

٣ـ بيان العلة في ترك الظَّلَمة يتمادون زمناً في الظلم والشر والفساد.

٤ـ بيان سوء اعتقاد الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو أنهم ينسبون إلى نفوسهم الحسنى ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركاء وسب الرسل وامتهانهم.

(١) أفرط يفرط: إذا تقدّم لطلب الماء فهو مفرط وهم مفرطون، وعليه فقوله تعالى: ﴿مُفرطون﴾ معناه يتقدّمون غيرهم إلى النار وهي قراءة ورش عن نافع وقرأ حفص مُفرَطون باسم المفعول ومعناه متروكون في النار منسيون فيها.

(٢) مفرِّطون: اسم فاعل من فرّط المضاعف إذا ضيّع الحقوق الواجبة عليه.

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

تالله : أي والله.

أرسلنا إلى أمم من قبلك : أي رسلاً.

فزين لهم الشيطان أعمالهم : فكذبوا لذلك الرسل.

فهو وليهم اليوم : أي الشيطان هو وليهم اليوم أي في الدنيا.

إن في ذلك لآية : أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر.

لآية لقوم يسمعون : أي سماع تدبر وتفهم.

لعبرةً : أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم لأن العبرة من العبور.

من بين فرثٍ : أي ثَفَل الكِرْش، أي الرَّوْث الموجود في الكرش.

لبناً خالصاً : أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم، لا لونه ولا رائحته ولا طعمه.

معنى الآيات :

يقسم الله تعالى بنفسه لرسوله فيقول بالله يا رسولنا ﴿لقد أرسلنا﴾ رسلاً ﴿إلى أمم من قبلك﴾ كانوا مشركين كافرين كأمتك ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فقاوموا رسلنا

وحاربوهم وأصروا على الشرك والكفر فتولاهم الشيطان، لذلك ﴿فهو وليهم اليوم﴾[1] أي في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذابٌ أليم﴾، والسياق الكريم في تسلية رسول الله ﷺ ولذا قال تعالى في الآية الثانية: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي لإرهاقك وتعذيبك ولكن لأجل أن تبين للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والشرك والهدى والضلال. كما أنزلنا الكتاب هدىً يهتدى به المؤمنون إلى سبل سعادتهم ونجاحهم، ورحمةً تحصل لهم بالعمل به عقيدةً وعبادةً وخلقاً وأدباً وحكماً، فيعيشون متراحمين تسودهم الأخوة والمحبة وتغشاهم الرحمة والسلام.

بعد هذه التسلية لرسول الله ﷺ عاد السياق إلى الدعوة الى التوحيد وعقيدة البعث والجزاء بعد تقرير النبوة المحمدية بقوله: ﴿تالله لقد أرسلنا﴾ الآية فقال تعالى: ﴿والله أنزل مِنْ[2] السماء ماء فأحيا بها الأرض بعد موتها﴾ الماء هو ماء المطر وحياة الأرض بالنبات والزرع بعدما كانت ميتة لا نبات فيها وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها ﴿لآية﴾ واضحة الدلالة قاطعة على وجوده تعالى وقدرته، وعلمه ورحمته كما هو آية على البعث بعد الموت من باب أولى. وقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام[3] لعبرةً[4]﴾ أي حالاً تعبرون بها من الجهل إلى العلم.. من الجهل بقدرة الله ورحمته ووجوب عبادته بذكره وشكره إلى العلم بذلك والمعرفة به فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا. ويبين وجه العبرة العظيمة فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه[5]﴾ أي بطون المذكور من الأنعام ﴿مِنْ[6] بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ فسبحان ذي القدرة العجيبة والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها.. اللبن يقع بين الفرث والدم،

---

(١) الشيطان الذي زيّن للذين كفروا أعمالهم حتى ضلّوا وهلكوا هو وليّ الذين كفروا اليوم يزيّن لهم أعمالهم ليضلّهم فيهلكوا كما هلك من قبلهم، وفي الآية تسلية للرسول ﷺ.

(٢) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماء أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء والمراد من السماء: السحاب.

(٣) هناك مناسبة ظاهرة بين الآيتين وهي: كما أنّ الأرض تحيى بماء السماء كذلك الإنسان يحيى بالألبان.

(٤) اسم جمع لكل جماعة من أحد أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز والعبر: ما يتعظ به ويعتبر.

(٥) البطون: جمع بطن وهو اسم للجوف الحاوية للجهاز الهضمي كلّه من معدة وكبد وأمعاء.

(٦) ﴿من﴾ زائدة لتوكيد التوسط أي: يفرز في حالة بين حالتي الفرث والدم وموقع: ﴿من بين فرث ودم﴾ موقع الصفة والموصوف: لبناً وقدّمت للاهتمام بها.

فينتقل الدم إلى الكبد فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم وشائبة الفرث فلا يرى ذلك في لون اللبن ولايشم في رائحته ولا يوجد في طعمه بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب ولا يشرق به، حقاً! انها عبرة من أجل العبر تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان ان الله يقسم بنفسه وبما شاء من[1] خلقه.

٢ـ بيان أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سبقت وأن الشيطان زين لها أعمالها فخذلها.

٣ـ تقرير النبوة وتسلية رسول الله ﷺ من جراء ما يلقاه من المشركين.

٤ـ بيان مهمة رسول الله وأنها بيان ما أنزل الله تعالى لعباده من وحيه في كتابه.

٥ـ بيان كون القرآن الكريم هدىً ورحمة للمؤمنين الذين يعملون به.

٦ـ دليل البعث والحياة الثانية احياء الأرض بعد موتها فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات بعد فنائهم وبلاهم.

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

---

(١) نحو: ﴿والفجر﴾، ﴿والتين﴾ وما إلى ذلك إلاّ أنّ بعض أهل العلم كمالك يرون أنّ المقسم به محذوف تقديره: وربّ الفجر، وربّ التين وهكذا.

شـرح الكـلمات :

ومن ثمرات النخيل والأعناب : أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منـه سكراً[1] أي خمرا ورزقـاً حسناً أي والتمر والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن

وأوحى ربك الى النحل : أي ألهمها أن تفعل ما تفعله بإلهام منه تعالى.

ومما يعرشـون : أي يبنون لها.

سبل ربك ذللاً : أي طرق ربك مذللةً فلا يعسر عليك السير فيها ولا تضلين عنها.

شـراب : أي عســل.

فيه شفاء للناس : أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته الى عقار آخر.

إلى أرذل العمر : أي أخَسِّه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل.

معنى الآيـات :

مازال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده والمقررة لعقيدة النبوة والبعث الآخر. قال تعالى في معرض بيان ذلك بأسلوب الامتنان المقتضي للشكـر ﴿ومن ثمـرات النخيل والأعنـاب تتخـذون منـه سكـراً﴾ ورزقـاً حسنـاً أي ومن بعض ثمـرات النخيل والأعنـاب ثمـرٌ تتخـذون منـه سكـراً أي شرابـاً مسكـراً. وهذا كان قبل تحريم[2] الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الزبيب والخل من العنب والتمر والدبس العسل من النـخْل وقوله ﴿ان في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ أي أن فيما ذكرنا لكم لآية أي دلالـة واضحـة على قدرتنـا وعلمنـا ورحمتنـا لقومٍ يعقلون الأمور ويدركون نتائج المقـدمـات، فذو القـدرة والعلم والرحمة هو الذي يستحق التأليه والعبادة. . وقوله: ﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ هذا مظهر آخر عظيم من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته يتجلى بإعلامه حشرة

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن، ما أحل من ثمرتيهما، وليست الخمر مقصورة على العنب والتمر فقد خطب عمر وقال: أيها الناس إنّ الله قد حرّم الخمر وهي من خمسة، من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير. والإجماع على أنّ كل مسكر حرام.

(٢) إن قيل: هذا خبر، والنسخ لا يكون في الأخبار؟ فالجواب: إن تضمّن الخبر حكماً شرعياً جاز نسخه، ومن أدلة ذلك هذا الخبر ونسخه.

النحل كيف تلد العسل وتقدمه للإنسان فيه دواء من كل داء. فقوله ﴿وأوحى ربك﴾ أيها الرسول ﴿إلى النحل[1]﴾ بأن ألهمها ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ أيضاً بيوتاً، ﴿ومما يعرشون[2]﴾ أي ومما يعرش الناس لَكِ أي يبنون لَكِ، اتخذي من ذلك بيوتاً لَكِ إذ النحلة تتخذ لها بيتاً داخل العريش الذي يعرش لها تبنيه بما تفرزه من الشمع وقوله تعالى: ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ أي ألهمها أن تأكل من كل ما تحصل عليه من الثمرات من الأشجار والنباتات أي من أزهارها ونوارها وقوله لها ﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾[3] بإلهام منه تسلك ما سخر لها وذلك من الطرق فتنتقل من مكان إلى آخر تطلب غذاءها ثم تعود الى بيوتها لا تعجز ولا تضل وذلك بتذليل الله تعالى وتسخيره لها تلك الطرق فلا تجد فيها وعورة ولا تنساها فتخطئها. وقوله تعالى ﴿يخرج من[4] بطونها﴾ أي بطون النحل ﴿شراب﴾ أي عسل يشرب ﴿مختلف[5] ألوانه﴾ ما بين أبيض وأحمر وأسود، أو أبيض مشرب بحمرة أو يضرب إلى صفرة. وقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ أي من الأدواء، هذا التذكير في قوله شفاء دال على بعض دون بعض جائز هذا حتى يضم إليه بعض الأدوية أو العقاقير الأخرى، إما مع النية أي أن يشرب بنية الشفاء من المؤمن فإنه شفاء لكل داء وبدون ضميمة أي شيء آخر له. وفي حديث الصحيح وخلاصته أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ استطلاق بطن أخيه أي مشّي بطنه عليه فقال له اسقه العسل، فسقاه فعاد فقال ما أراه زاده الا استطلاقا فعاد فقال مثل ما قال أولاً ثلاث مرات وفي الرابعة أو الثالثة قال له رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه العسل فسقاه فقام كأنما نشط من عقال. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من إلهام الله تعالى للنحل وتعليمها كيف تصنع العسل ليخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس لدلالة واضحة على

---

(١) قيل: سمي النحل نحلا: لأنّ الله تعالى نحله العسل الذي خرج منه.

(٢) بيوت النحل في ثلاثة، في الجبال وكواها، ومتجوّف الأشجار، وما يعرش لها من الأجباح والخلايا والحيطان، وعرش يعرش: إذا بنى عريشا من الأغصان والخشب، ومن عجيب ما ألهم الله النحل أنّه يجعل بيوته مسدسة الشكل.

(٣) اللّفظ صالح لأن يكون لفظ ذللا المراد به النحلة نفسها وذلل جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة، وصالح أن يكون المراد به الطرق التي تسلكها النحلة كما في التفسير.

(٤) روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة.

(٥) بحسب تنويع الغذاء كما أنّ الطعم يختلف باختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها جرست نحله العرفط حين شبهت رائحته برائحة المغافير والعرفط شجر الطلح له صمغ كريه الرائحة.

علم الله وقـدرته ورحمته وحكمته المقتضية عبادته وحده وتأليهه دون سواه ولكن لقوم يتفكرون في الأشياء وتكـوينهـا وأسبـابهـا ونتـائجهـا فيهتـدون إلى المـطلوب منهم وهـو أن يذكـروا فيتعـظوافيتـوبـوا إلى خالقهم ويسلمـوا له بعبـادتـه وحـده دون سواه وقـولـه تعـالى في الآية الأخرى (٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علمٍ شيئاً﴾ هذه آية أخـرى أجـل وأعـظم في الدلالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته، وهي موجبة لعبادته وحده وملزمة بالإيمان بالبعث الآخر فخلق الله تعالى لنا وحـده وهو واحد ونحن لا يحصى لنا عد، ثم إماتته لنا موتاً حقيقياً بقبض أرواحنا ولا يستطيع أحد أن لا يموت ولا يتوفى أبداً ثم من مظاهر الحكمة أن يتوفانا من أجالٍ مختلفة اقتضتها الحكمة لبقاء النوع واستمرار الحياة إلى نهايتها. فمن الناس من يموت طفلاً ومنهم من يموت شاباً، وكلها حسب حكمة الابتلاء والتربية الإلهية، وآية أخرى ان منا من يرد إلى أرذل عمره، أي أرداه وأخسّه فيهرم ويخرف فيفقد ما كان له من قوة بدنٍ وعقل ولا يستطيع أحد أن يخلصه من ذلك إلا الله، مظهر قدرة ورحمة أرأيتم لو شاء الله أن يرد الناس كلهم إلى أرذل العمر ولو في قرنٍ أو قرنين من السنين فكيف تصبح حياة الناس يومئذٍ؟ وقوله: ﴿إن الله عليم قدير﴾ تقرير لعلمه وقدرته، إذ ما نتج وما كان ما ذكره من خلقنا ووفاتنا ورد بعضنا الى أرذل العمر إلا بقدرة قادر وعلم عالم وهو الله العليم القدير.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ بيان منة الله تعالى على العباد بذكر بعض أرزاقهم لهم ليشكروا الله على نعمه.

٢ـ بيان آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته في خلق شراب الإنسان وغذائه ودوائه.

٣ـ فضيلة العقل والتعقل والفكر والتفكر.

٤ـ تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر الدال عليه القدرة والعلم الإلهيين، إذ من خلق وأماتَ لا يُستنكر منه أن يخلق مرة أخرى ولا يميت.

وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي

رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞

شرح الكلمات :

فضل بعضكم على بعض في الرزق : أي فمنكم الغني ومنكم الفقير، ومنكم المالك ومنكم المملوك.

برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم : أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم من العبيد.

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا : إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف الرجال.

وحفدة : أي خدماً من زوجه وولد وولد ولد وخادم وختن.

أفبالباطل يؤمنون : أي بعبادة الأصنام يؤمنون.

رزقاً من السموات والأرض : أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض.

معنى الآيات :

مازال السياق العظيم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد. فقوله تعالى: ﴿والله فضل

بعضكم على بعض[1] في الرزق﴾ فمنكم من أغناه ومنكم من أفقره أيها الناس،[2] وقد يكون لأحدكم أيها الأغنياء عبيد مملوكين لـه، لـم لا يرضـى أن يشـرك عبيـده فـي أمواله حتى يكونوا فيها سواء لا فضل لأحدهما على الآخر؟ والجواب أنكم تقولون في استنكار عجيب كيف أُسوِّي مملوكي في رزقي فأصبح وإياه سواء؟ هذا لا يعقل أبداً! إذاً كيف جوزتم إشـراك آلهتكم في عبادة ربكم وهي مملوكة لـه تعالى إذ هو خالقها وخالقكم ومـالـك جميعكم؟ فأين يذهب بعقـولكم أيهـا المشركون؟ وقوله تعالى ﴿أفبنعمة الله يجحـدون﴾؟ حقـاً إنهم جحـدوا نعمة العقل أولاً فلم يعترفوا بها فلذا لم يفكروا بعقولهم، ثم جحـدوا نعمة الله عليهم في خلقهم ورزقهم فلم يعبدوه بذكره وشكره وعبدوا غيره من أصنام وأوثان لا تملك ولا تضر ولا تنفع. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧١) أما الآية الثـانية فيقول تعالى فيها مقرراً إنعامه تعالى على المشركين بعد توبيخهم على إهمال عقولهم في الآية الأولى وكفرهم بنعم ربهم فيقول: ﴿والله﴾ أي وحده ﴿جعل لكم من[3] أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ أي جعل لكم من أنفسكم أزواجـاً[4] أي بشـريَّات من جنسكم تسكنـون إليهنَّ وتتفـاهمون معهن وتتعاونون بحكم الجنسية الآدمية وهي نعمة عظمى، وجعل لكم من أولئك الأزواج بنين بطريق التنـاسـل والولادة وحفدة أيضاً والمراد من الحفدة كل من يحفد أي يسرع في خدمتك وقضاء حاجتك من زوجتك وولدك وولد ولدك وختنك أي صهرك، وخادمك إذ الكل يحفدون لك أي يسارعون في خدمتك بتسخير الله تعالى لك، وثالثاً ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أي حلال الطعام والشراب على اختلافه وتنوع مذاقه وطعمه ولذته. هذا هو الله الذي تُدعوْن إلى عبادته وحده فتكفرون فأصبحتم بذلك تؤمنون بالباطل وهي الأصنام

---

(١) هذا استدلال على قدرة الله وتدبيره وقهره لعباده إذ فضّل بعضهم على بعض في الرزق تفضيلا عجيباً هذا غني، وهذا فقير، هذا موسر، وهذا معسر فقد يفتقر الذكي القوي ويستغني البليد الضعيف كما قيل:

ومن الدليل على القضاء وكونه　　بؤس اللّبيب وطيب عيش الأحمق

والآية متضمنة مثلا ضربه لعبادة الأصنام، ونظير هذه المُثل في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم..﴾ الخ.

(٢) يريد أنّ أغنياءهم لا يشاطرون عبيدهم رزقهم فيستووا فيه فكيف يرضون لله مالا يرضونه لأنفسهم كما في قوله: ﴿ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون﴾ أي: البنون.

(٣) أي: من نوعكم، ومِنْ للابتداء ومِنْ في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ للتبعيض.

(٤) الأزواج: جمع زوج وهو ما يُكوّن مع آخر اثنين.

وعبادتها، وتكفرون بالمنعم ونعمه ولذا استحقوا التوبيخ والتقريع فقال تعالى: ﴿أفبالباطل[1] يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾؟ إذ عدم عبادتهم للمنعم عز وجل هو عين كفرانهم بنعمة الله تعالى. وقوله ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي أصناماً لا تملك لهم ﴿رزقاً من السماء﴾ بإنزال المطر، ﴿والأرض﴾ بإنبات الزروع والثمار شيئاً ولو قلَّ ولا يستطيعون شيئاً من ذلك لعجزهم القائم بهم لأنهم تماثيل منحوتة من حجر أو خشب وفي هذا من التنبيه لهم على خطأهم مالا يقادر قدره. وقوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال[2] إن الله[3] يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي ينهاهم تعالى عن ضرب الأمثال لله باتخاذ الأصنام آلهة بإطلاق لفظ إله عليها، والله لا مثل له، وباعتقاد أنها شافعة لهم عند الله وأنها تقربهم إليه تعالى، وأنها واسطة بمثابة الوزير للأمير إلى غير ذلك، فنهاهم عن ضرب هذه الأمثال لله تعالى لأنه عز وجل يعلم أنه لا مثل له ولا مثال، بل هو الله الذي لا إله إلا هو تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، وهم لا يعلمون فلذا هم متحيرون متخبطون في ظلمات الشرك وأودية الضلال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ قطع دابر الشرك في المثل الذي حوته الآية الأولى: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾.

٢ـ وجوب شكر الله تعالى على نعمه وذلك بذكره وشكره وإخلاص ذلك له.

٣ـ قبح كفر النعم وتجاهل المنعم بترك شكره عليها.

٤ـ التنديد بمن يضربون لله الأمثال وهم لا يعلمون باتخاذ وسائط له تشبيهاً لله تعالى بعباده فهم يتوسطون بالأولياء والأنبياء بدعائهم والاستغاثة بهم بوصفهم مقربين إلى الله تعالى يستجيب لهم، ولا يستجيب لغيرهم.

---

(١) الباطل: ضد الحق لأنّ مالا يخلق لايعبد، فإن عُبد فقد عبد بالباطل، والجملة تحمل توبيخاً كبيراً للمشركين.

(٢) الأمثال: جمع مثل بفتحتين بمعنى المماثل كشبه بمعنى مشابه، ومعنى. ضربهم الأمثال لله تعالى: هو أنهم أثبتوا للأصنام صفات الإلهية وشبّهوها بالخالق عزّ وجلّ حيث عبدوها بالنذر لها وبالذبح والدعاء والإقسام بها والعكوف حولها.

(٣) جملة: ﴿إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تعليلية لنهيهم عن ضرب الأمثال لله تعالى. فنهيه تعالى لهم عن ضرب الأمثال لعلمه عزّ وجلّ أنه لا مثل له، وأنّ ما يضربونه له باطل، وهو تعالى منزّه عنه.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

ضرب الله مثلاً : أي هو عبداً مملوكاً الخ . .

عبداً مملوكاً : أي ليس بحرٍ بل هو عبد مملوك لغيره.

هل يستوون : أي العبيد العجزة والحُر المتصرف، والجواب: لا يستوون قطعاً.

وضرب الله مثلاً : أي هو رجلين الخ . .

أبكم : أي ولد أخرس وأصم لا يسمع.

لا يقدر على شيء : أي لا يَفهمُ ولا يُفهِمُ غيره.

ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب فيهما.

وما أمر الساعة : أي أمر قيامها، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها.

الأفـــئدة : أي القلوب.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك والتنفير منه وقد تقدم أن الله تعالى جهل المشركين في ضرب الأمثال له وهو لا مثل له ولا نظير، وفي هذا السياق ضرب تعـــالى مثلين وهـو العليم الخبير. . فالأول قال فيه: ﴿ضـرب الله مثـلاً عبـداً مملكوكاً﴾ أي غير حر من أحرار الناس، ﴿لا يقدر على شيء﴾ إذ هو مملوك لاحق له في التصرف في مال سيده إلا بإذنه،[1] فلذا فهو لا يقدر على إعطاء أو منع شيء، هذا طرف المثل، والثاني ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ صالحاً واسعاً ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ ليلاً ونهاراً لأنه حر التصرف بوصفه مالكاً ﴿هل يستوون﴾[2]؟ الجواب لا يستويان. . إذاً ﴿الحمـد لله بل أكثـرهم[3] لا يعلمون﴾ والمثل مضروب للمؤمن والكافر، فالكافر أسير للأصنام عبدٌ لها لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، لا يعمل في سبيل الله ولا ينفق لأنه لا يؤمن بالدار الآخرة، والجزاء فيها، وأما المؤمن فهو حر يعمل بطاعة الله فينفق في سبيل الله سراً وجهراً يبتغي الآخرة والمثوبة من الله، ذا علمٍ وإرادة، لا يخاف إلا الله ولا يرجو الا هو سبحانه وتعالى. وقوله: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ هو المثال الثاني في هذا السياق وقـد حوته الآية الثانية (٧٦) فقال تعالى فيه ﴿وضرب الله مثلاً﴾[4] هو ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ ولفظ الأبكم قد يدل على الصمم فالغالب أن الأبكم لا يسمع ﴿لا يقدر على شيء﴾ فلا يَفهم غيره لأنه أصم ولا يُفهم غيره لأنه أبكم، ﴿وهو كلٌ على[5] مولاه﴾ أي ابن عمه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء. وقوله: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ أي أينما يوجهه مولاه وابن عمه ليأتي بشيء

---

(١) هذه الآية منزع الفقهاء في ملكية العبد وعدمها، فذهب مالك إلى أنّ العبد يملك بإذن سيده، وهو ناقص الملك، وقال أبو حنيفة والشافعي في الجديد: العبد لا يملك شيئا، وقالوا: الرّق ينافي الملك، وقول الرسول ﷺ: (من أعتق عبداً وله مال) شاهد لمن قال يملك ملكاً ناقصا.

(٢) لم يقل يستويان لأنّ مَنْ صالحة للواحد والجماعة.

(٣) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم لأنّ الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق فلذا الحمد له وحده.

(٤) هذا مثل آخر ضربه تعالى لنفسه وللمؤمن. قاله قتادة وغيره.

(٥) أي: ثقل على وليّه وقرابته ووبال على صاحبه وابن عمّه.

لا يأتي بخير، وقد يأتي بشر، أم النفع والخير فلا يحصل منه شيء.

وهذا مثل الأصنام التي تعبد من دون الله إذ هي لا تسمع ولا تبصر فلا تفهم ما يقال لها، ولا تُفهم عابديها شيئاً وهي محتاجة إليهم في صُنْعِها ووضعها وحملها وحمايتها. وقوله تعالى ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الله تعالى يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، وهو قائم على كل شيء، وهو على صراطٍ مستقيم يدعو الناس إلى سلوكه لينجوا ويسعدوا في الدارين، فالجواب، لا يستويان بحال، فكيف يرضى المشركون بعبادة وولاية الأبكم الذي لا يقدر على شيء ويتركون عبادة السميع البصير، القوي، القدير، الذي يدعوهم إلى كمالهم وسعادتهم في كلتا حياتهم، أمر يحمل على العجب، ولكن لا عجب مع أقدار الله وتدابير الحكيم العليم.

وقوله تعالى في الآية (٧٧) ﴿ولله غيب السموات[1] والأرض﴾ وحده يعلم ما غاب عنا فيهما فهو يعلم من كُتبت له السعادة ومن حُكم عليه بالشقاوة، ومن يهتدي ومن لا يهتدي، والجزاء آتٍ بإتيان الساعة ﴿وما أمر الساعة[2]﴾ أي إتيانها ﴿إلا كلمح[3] البصر أو هو أقرب[4]﴾ إذ لا يتوقف أمرها الا على كلمة ﴿كن﴾ فقط فتنتهي هذه الحياة بكل ما فيها، وتأتي الحياة الأخرى وقد تبدلت صور الأشياء كلها ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك قيام القيامة، ومجيء الساعة. وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون[5] أمهاتكم لا تعلمون شيئاً[6]﴾ حقيقة لا تُنكر، الله الذى أخرجنا من بطون أمهاتنا بعد أن صورنا في الأرحام ونمانا حتى صرنا بشراً ثم أذن بإخراجنا، فأخرجنا، وخرجنا لا نعلم شيئاً قط، هذه آية القدرة الإلهية والعلم الإلهي والتدبير الإلهي، فهل للأصنام شيء من ذلك، والجواب لا،لا وثانياً جعل الله تعالى لنا الأسماع والأبصار والأفئدة نعمة أخرى، إذ لو لا ذلك ما سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا وما قيمة حياتنا يومئذٍ، إذْ العدم خيرٌ منها. وقوله:

(١) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾: اللام لام الملك، والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: الأشياء الغائبة، والغيب. ما غاب عن أعين الناس.

(٢) الساعة: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الحلق بصيحة.

(٣) اللّمح: النظر بسرعة يقال لمحه لمحاً ولمحاناً.

(٤) ليس (أو) للشك وإنما هي بمعنى بل الانتقالية من شيء إلى آخر كقوله ﴿فارسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

(٥) البطون: جمع بطن وهو ما بين ضلوع الصدر إلى العانة، وفيه الأمعاء والمعدة والكبد والرحم.

(٦) الشكر: الاعتراف بالنعمة لله وحمده عليها وصرفها فيما يرضيه تعالى.

﴿لعلكم تشكرون﴾ كشف كامل عن سر هذه النعمة وهي أنه جعلنا نسمع ونبصر ونعقل ليكلفنا فيأمرنا وينهانا فنطيعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وذلك شكره منا مع ما في ذلك الشكر من خير. . إنه إعداد للسعادة في الدارين. فهل من متذكر يا عباد الله؟!

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال وهو تشبيه حال بحال على أن يكون ضارب المثل عالماً.

٢ـ بيان مثل المؤمن في كماله والكافر في نقصانه.

٣ـ بيان مثل الأصنام في جمودها وتعب عَبَدتِها عليها في الحماية وعدم انتفاعهم بها. ومثل الرب تبارك وتعالى في عدله، ودعوته إلى الإسلام وقيامه على ذلك مع استجابة دعاء أوليائه، ورعايتهم، وعلمه بهم وسمعه لدعائهم ونصرتهم في حياتهم وإكرامهم والإنعام عليهم في كلتا حياتهم. ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

شرح الكلمات :

مسخراتٍ في جو السماء : أي مذللات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء .

ما يمسكهن : أي عند قبض أجنحتها وبسطها إلا الله تعالى بقدرته وسننه في خلقه .

من بيوتكم سكناً : أي مكاناً تسكنون فيه وتخلدون للراحة .

من جلود الأنعام بيوتاً : أي خياماً وقباباً .

يوم ظعنكم : أي ارتحالكم في أسفاركم .

أثاثاً ومتاعاً إلى حين : كبُسط وأكسية تبلى وتتمزق وتُرمى .

ظلالاً ومن الجبال أكناناً : أي ما تستظلون به من حر الشمس، وما تسكنون به في غيران الجبال .

وسرابيل : أي قمصاناً تقيكم الحر والبرد .

وسرابيل تقيكم بأسكم : أي دروعاً تقيكم الضرب والطعان في الحرب .

لعلكم تسلمون : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبدوه وحده .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك وتركه فيقول تعالى : ﴿ألم[1] يروا إلى الطير مسخرات[2] في جو السماء ما يمسكهن[3] إلا الله﴾ فإن في خلق الطير على اختلاف أنواعه وكثرة أفراده، وفي طيرانه في جو[4] السماء، أي في الهواء وكيف يقبض جناحيه وكيف يبسطها ولا يقع على الأرض فمن يمسكه غير الله بما شاء من تدبيره في خلقه وأكوانه إن في ذلك المذكور لآياتٍ عدة تدل على الخالق وقدرته وعلمه وتوجب معرفته

---

(١) قرىء بالتاء : ﴿ألم تروا﴾ وقرىء بالياء وهي قراءة الأكثر.

(٢) ﴿مسخرات﴾ : أي : مذللات لأمر الله تعالى، ومذللات لمنافعكم أيضاً.

(٣) ﴿ما يمسكهن﴾ أي : في حال القبض والبسط والاصطفاف إلا الله عزّ وجلّ.

(٤) ﴿جو السماء﴾ هو الفضاء الذي بين السماء والأرض، وإضافته إلى السماء لأنه يبدو متصلا بالقبة الزرقاء فيما يخال الناظر.

والتقرب إليه وطاعته بعبادته وحده، كما تدل على بطلان تأليه غيره وعبادة سواه، وكون الآيات لقوم يؤمنون هو باعتبار أنهم أحياء القلوب يدركون ويفهمون بخلاف الكافرين فإنهم أموات القلوب فلا إدراك ولا فهم لهم، فلم يكن لهم في ذلك آية. . وقوله: ﴿والله جعل[1] لكم من بيوتكم سكناً﴾ أي موضع سكونٍ وراحة، ﴿وجعل لكم من[2] جلود الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿بيوتاً﴾ أي خياماً وقباباً ﴿تستخفونها﴾ أي تجدونها خفيفة المحمل ﴿يوم ظعنكم﴾ أي ارتحالكم في أسفاركم وتنقلاتكم ﴿ويوم إقامتكم﴾ في مكان واحد كذلك. وقوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ أي جعل لكم منه ﴿أثاثاً﴾ كالبسط والفرش والأكسية(متاعاً) أي تتمتعون بها إلى حين بلاها وتمزقها[3] وقوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من أشياء كثيرة ﴿ظلالاً﴾ تستظلون بها من حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً[4]﴾ تكنون فيها أنفسكم من المطر والبرد أو الحر وهي غيران وشروب في الجبال ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ قمصان ﴿تقيكم الحر﴾ والبرد ﴿وسرابيل﴾ هي الدروع ﴿تقيكم بأسكم﴾ في الحرب تتقون بها ضرب السيوف وطعن الرماح. أليس الذي جعل لكم هذه كلها أحق بعبادتكم وطاعتكم، وهكذا ﴿يتم نعمته عليكم﴾ فبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه لِيُعِدّكم للإسلام فتسلموا. وهنا وبعد هذا البيان الواضح والتذكير البليغ يقول لرسوله ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عما ذكرتَهم به فلا تحزن ولا تأسف إذ ليس عليك هداهم ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ وقد بلغت وبينت. فلا عليك بعد شيء من التبعة والمسؤولية. وقوله: ﴿يعرفون نعمت الله﴾ أي نعمة الله عليهم كما ذكّرناهم بها ﴿ثم ينكرونها﴾ فيعبدون غير المُنعم بها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي الجاحدون المكذبون بنبوتك ورسالتك والإسلام الذي جئت به.

---

(١) ﴿جعل﴾: بمعنى أوجد وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق عزّ وجلّ على العباد، والسكن: مصدر والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن ويتحرّك ولو شاء لجعله متحركا دائما كالأفلاك في السماء أو جعله كالأرض ساكناً أبداً.

(٢) بعد أن ذكر تعالى السكن في الدور ذكر السكن في البيوت المتنقلة وهي الخيام والقباب.

(٣) في الآية دليل على حليّة جلود الميتة ولكن بعد دبغها لحديث: (أيما إهاب دبغ فقد طهر).

(٤) الأكنان: جمع كن وهو: ما يكن عن الحرّ والريح والبرد وهو الغار في الجبل.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ لا ينتفع بالآيات إلا المؤمنون لحياة قلوبهم، أما الكافرون فهم في ظلمة الكفر لا يرون شيئاً من الآيات ولا يبصرون.

٢ـ مظاهـر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته ونعمه تتجلى في هذه الآيات الأربع ومن العجب أن المشركين كالكافرين عمي لا يبصرون شيئاً منها وأكثرهم الكافرون.

٣ـ مهمة الرسول ﷺ ليست هداية القلوب وانما هي بيان الطريق بالبلاغ المبين.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞

شـرح الكلمـات :

ويوم نبعث : أي اذكر يوم نبعث.

شـهيداً : هـو نبيها.

لا يؤذن للذين كفروا : أي بالاعتذار فيتعذرون.

ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبى أي الـرجوع إلى اعتقاد وقول وعمل ما يرضي الله عنهم.

وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين.

فألقوا إليهم القول : أي ردوا عليهم قائلين لهم إنكم لكاذبون.

وألقوا الى الله يومئذٍ السلم : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.

وضل عنهم ما كانوا يفترون : من أن آلهتهم تشفـع لهم عنـد الله وتنجيهم من عذابه، ومعنى ضل غاب.

عذاباً فوق العذاب : أنه عقارب وحيات كالنُّخل الطوال والبغال الموكفة.

ونزلنا عليك الكتاب : أي القـرآن.

تبياناً لكل شيء : أي لكل ما بالأمة من حاجة إليه في معرفة الحلال والحرام والحق والباطل والثواب والعقاب.

معنى الآيات :

انحصر السياق الكريـم في هذه الآيات الست في تقرير البعث والجزاء مع النبوة فقوله تعـالى : ﴿يوم نبعث[1]﴾ أي اذكـر يا رسـولنا محمد يوم نبعث ﴿من كل أمة﴾ من الأمم ﴿شهيداً﴾ هو نبيها الذي نبيء فيها وأرسل إليها ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ أي بالاعتذار فيعتذرون ﴿ولا هم يستعتبون[2]﴾ أي لا يطلب منهم العتبى[3] أي الرجوع الى اعتقاد وقول وعمل يرضي الله عنهم أي اذكر هذا لقومك، علهم يذكرون فيتعظون، فيتوبون، فينجون

(١) نظير هذه الآية آية النساء: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد..﴾ الآية.

(٢) أي: لا يكلّفون أن يرضوا ربهم لأنّ الآخرة ليست دار تكليف ولا يمكنون من الرجوع إلى الدنيا فيتوبون.

(٣) العتبى: الرضا، والفعل: عتب يعتب عليه إذا وجد عليه في نفسه وأعتبه: إذا أزال الموجدة ورجع إلى مسرّته وفي الحديث: (لك العتبى حتى ترضى) والعتبى: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب وهو المراد في الحديث.

ويسعدون. وقوله في الآية الثانية (٨٥) ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾[1] أي يوم القيامة ﴿ فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾ أي يمهلون. اذكر هذا أيضاً تذكيراً وتعليماً، واذكر لهم ﴿إذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ في عرصات القيامة أو في جهنم صاحوا قائلين ﴿ربنـا﴾ أي يا ربنا ﴿هؤلاء شركاؤنا[2] الذين كنا ندعو من دونك﴾ أي نعبدهم بدعائهم والإستغاثة بهم، ﴿فألقوا اليهم القول﴾ فوراً ﴿إنكم لكاذبون﴾. ﴿وألقوا إلى الله يومئذٍ السلم﴾ أي الإستسلام فذلوا لحكمه ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من ألوان الكـذب والترهات كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأنهم ينجون من النار بشفاعتهم، وأنهم وسيلتهم إلى الله كل ذلك ضل أي غاب عنهم ولم يعثروا منه على شيء. وقوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ غيرهم بالدعوة إلى الكفر وأسبابه والحمل عليه أحياناً بالترهيب والترغيب ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ الذي استوجبوه بكفرهم. ورد أن هذه الزيادة من العذاب أنها عقارب كالبغال الدهم، وأنها حيات كالنخل الطوال والعياذ بالله تعالى من النار وما فيها من أنواع العذاب، وقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم نبعث ﴿في كل أمةٍ شهيداً﴾[3] أي يوم القيامة ﴿عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ أي على من أرسلت إليهم من أمتك. فكيف يكون الموقف إذ تشهد على أهل الإيمان بالإيمان وعلى أهل الكفر بالكفر. وعلى أهل التوحيد بالتوحيد، وعلى أهل الشرك بالشرك إنه لموقف صعب تعظم فيه الحسرة وتشتد الندامة.. وقوله تعالى في خطاب رسوله مقرراً نبوته والوحي إليه ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿تبياناً[4] لكل شيء﴾ الأمة في حاجة إلى معرفته من الحلال والحرام والأحكام والأدلة ﴿وهدى﴾ من كل ضلال ﴿ورحمة﴾ خاصة بالذين يعملون به ويطبقونه على أنفسهم وحياتهم فيكون

---

(١) أي: عذاب جهنم بالدخول فيها.

(٢) أي: أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها، وذلك لأنّ الله تعالى يبعث معبوديهم فيتبعونهم حتى يوردوهم النار، روى مسلم: (من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت..) الحديث، وفي الترمذي: (فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون).

(٣) الشهداء: هم الأنبياء والعلماء، فالنبي يشهد على أمته والعالم يشهد على من أمره ونهاه ودلّ هذا على أنه لم تخل فترة من وجود داعٍ إلى الله تقوم به الحجة لله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل (يبعث امة وحده). ومثل زيد قس وورقة وسطيح.

(٤) التبيان: مصدر دال على المبالغة في المصدرية وأريد به هنا اسم الفاعل أي: المبيِّن لكل شيء.

رحمة عامة بينهم ﴿وبشرى للمسلمين﴾[1] أي المنقادين لله في أمره ونهيه بشرى لهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل يوم القيامة، وبالنصر والفوز والكرامة في هذه الدار. وبعد إنزالنا عليك هذا الكتاب فلم يبق من عذر لمن يريد أن يعتذر يوم القيامة ولذا ستكون شهادتك على امتك أعظم شهادة وأكثرها أثراً على نجاة الناجين وهلاك الهالكين ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث الآخر بما لا مزيد عليه لكثرة ألوان العرض لما يجرى في ذلك اليوم.

٢- براءة الشياطين والأصنام الذين أشركهم الناس في عبادة الله من المشركين بهم والتبرؤ منهم وتكذيبهم.

٣- زيادة العذاب لمن دعا الى الشرك والكفر وحمل الناس على ذلك.

٤- لا عذر لأحد بعد أن أنزل الله تعالى القرآن تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا

(١) خُصّ المسلمون دون غيرهم لأنّ غيرهم اعرضوا عنه فحرموا الهدى والرحمة والبشرى في الدارين.

بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

العدل : الإنصاف ومنه التوحيد.

الإحسان : أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالى.

وإيتاء ذي القربى : أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر.

عن الفحشاء : الزنا.

يعظكم : أي يأمركم وينهاكم

تذكرون : أي تتعظون

توكيدها : أي تغليظها

نقضت غزلها : أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته.

من بعد قوة : أي أحكام له وبرم.

أنكاثاً : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام.

كالتي نقضت غزلها : هي حمقاء مكة وتدعى ربطة بنت سعد بن تيم قرشية.

دخلاً بينكم : الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة.

أربى من أمة : أي أكثر منها عدداً وقوة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾[1] أي أن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبياناً لكل شيء، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم

(١) ورد في فضل هذه الآية أنّ عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال: ما أسلمت ابتداء إلاّ حياءً من رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال: يا ابن أخي أعِد فأعدت فقال: والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر.

وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزُق ولم ينعم بشيء. ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله، ﴿والإحسان﴾[1] وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجودة والإجتناب خوفاً من الله حياء منه، وقوله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ أي ذوي القرابات حقوقهم من البر والصلة. هذا مما أمر الله تعالى به في كتابه، ومما ينهى عنه الفحشاء وهو الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه وفحش حتى البخل ﴿والمنكر﴾ وهو كل ما أنكر الشرع وانكرته الفطر السليمة والعقول الراجحة السديدة، وينهى عن البغي[2] وهو الظلم والاعتداء ومجاوزة الحد في الأمور كلها، وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي أمر بهذا في كتابه رجاء أن تذكروا فتتعظوا فتمتثلوا الأمر وتجتنبوا النهي. وبذلك تكملون وتسعدون. ولذا ورد أن هذه الآية: ﴿أن الله يأمر بالعدل[3] والإحسان﴾[4] إلى ﴿تذكرون﴾ هي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر. وهي كذلك فما من خيرٍ إلا وأمرت به ولا من شرٍ إلا ونهت عنه. وقوله تعالى ﴿وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم﴾ أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالوفاء بالعهود فعلى كل مؤمن بايع إماماً أو عاهد أحداً على شيء أن يفي له بالعهد ولا ينقضه. «إذ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[5] كما في الحديث الشريف.. وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الأيمان جمع يمين وهو الحلف بالله وتوكيدها تغليظها بالألفاظ الزائدة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ أي وكيلا، أي أثناء حلفكم به تعالى، فقد جعلتموه وكيلا، فهذه الآية حرمت نقض الأيمان وهو نكثها وعدم الإلتزام بها بالحنث فيها لمصالح مادية.[6] وقوله

(١) الإحسان مصدر أحسن إحساناً وهو متعدّ بنفسه نحو: أحسنت كذا إذا أتقنته وحسّنته وجوّدته، ومتعدّ بحرف الجرّ نحو: أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينفعه أو دفعت عنه ما يضرّه، وكلا المعنيين مراد في الآية وما في حديث جبريل يتناول الاول لأن من راقب الله تعالى أتقن عمله وحسنه.

(٢) ورد في البغي: لا ذنب أسرع عقوبة من البغي، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، والباغي مصروع وقد وعد الله من بُغي عليه بالنصر في قوله: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله﴾.

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه الآية: أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشرّ يجتنب.

(٤) روي أنّ جماعة رفعت شكوى بعاملها إلى أبي جعفر المنصور فحاجّها العامل فغلبها حيث لم يثبتوا عليه كبير ظلم ولا جور في شيء، فقام فتىٍ منهم وقال يا أمير المؤمنين: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإنّه عدل ولم يحسن فعجب أبو جعفر المنصور من إصابته، وعزل العامل.

(٥) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم (لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبيّن في شريعته.

(٦) أمّا إذا حلف العبد يمينا فرأى غيرها خيراً منها فإنّه ينقض يمينه ويكفر كفّارة يمين لقوله ﷺ: (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلاّ أتيت الذي هو خير وكفّرت عن يميني).

تعالى ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾[1] فيه وعيد شديد لمن ينقض أيمانه بعد توكيدها. وقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾، وهي امرأة بمكة حمقاء[2] تغزل ثم تنكث[3] غزلها وتفسده بعد إبرامه وإحكامه فنهى الله تعالى المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء. وقوله تعالى: ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ أي إفساداً وخديعة كأن تحالفوا جماعةً وتعاهدوها، ثم تنقضون عهدكم وتحلون ما أبرمتم من عهد وميثاق وتعاهدون جماعة أخرى لأنها أقوى وتنتفعون بها أكثر. هذا معنى قوله تعالى ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالاً وسلاحاً أو مالاً ومنافع. وقوله تعالى: ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فتتركوا ذلك طاعة لربكم أولا تفعلوا إيثاراً للدنيا عن الآخرة، ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ ثم يحكم بينكم ويجزيكم، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.. وقوله تعالى ﴿ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على التوحيد والهداية لفعل.. ولكن اقتضت حكمته العالية أن يهدي من يشاء هدايته لأنه رغب فيها وطلبها، ويضل من يشاء إضلاله لأنه رغب في الضلال وطلبه وأصر عليه بعد النهي عنه. وقوله تعالى: ﴿لتسألن﴾[4] أي سؤال توبيخ وتأنيب ﴿عما كنتم تعملون﴾ من سوء وباطل، ولازم ذلك الجزاء العادل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا بمثلها وهم لا يظلمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أجمع آية للخير والشر في القرآن وهي آية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان..﴾ الآية (٩٠).

٢ـ وجوب العدل والإحسان وإعطاء ذوي القربى حقوقهم الواجبة من البر والصلة.

---

(١) هذه الجملة ذكرت علّة لتحريم نقض العهد فهي تحمل وعيداً شديداً وتهديداً كبيراً لمن ينقض العهد.

(٢) يقال لها ريطة بنت عمر وكانت تغزل طول النهار، وفي المساء إذا غضبت لحمقها تحلّ ما أبرمته من غزلها، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا كهذه الحمقاء فيحلون ما يبرمون من عقود وعهود.

(٣) النكث والجمع أنكاث: وهو النقض والحل بعد الإبرام.

(٤) اللام دالة على قسم محذوف نحو: ﴿والله لتسألن﴾.

٣ـ تحريم الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه من الفواحش الظاهرة والباطنة.

٤ـ تحريم البغي وهو الظلم بجميع صوره وأشكاله.

٥ـ وجوب الوفاء بالعهود وحرمة نقضها.

٦ـ حرمة نقض الأيمان بعد توكيدها وتوطين النفس عليها لتخرج لغو اليمين.

٧ـ من بايع أميراً أو عاهد أحداً يجب عليه الوفاء ولا يجوز النقض والنكث لمنافع دنيوية أبداً.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

دخلاً بينكم : أي لأجل الإفساد والخديعة.

وتذوقوا السوء : أي العذاب.

ما عندكم ينفد : يفنى وينتهي.

وهو مؤمن : أي والحال أنه عندما عمل صالحاً كان مؤمناً، إذ بدون إيمان لا عمل يقبل.

حياة طيبة : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال وفي الآخرة هي حياة الجنة.

بأحسن ما كانوا يعملون : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب الأحسن فيها.

معنى الآيات :

مازال السياق في تربية المؤمنين أهل القرآن الذي هو تبيان كل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين. وقال تعالى لهم ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلًا﴾ أي خديعة ﴿بينكم﴾ لتتوصلوا بالأيمان إلى غرضٍ دنيوي سافل، ﴿فتزل قدمٌ[1] بعد ثبوتها﴾ بأن يقع أحدكم في كبيرة من هذا النوع، يحلف بالله بقصد الخداع والتضليل فتذوقوا السوء في الدنيا بسبب صدكم عن سبيل الله من تعاهدونهم أو تبايعونهم وتعطونهم أيمانكم وعهودكم ثم تنقضوها فهؤلاء ينصرفون عن الإسلام ويعرضون عنه بسبب ما رأوا منكم من النقض والنكث، وتتحملون وزر ذلك، ويكون لكم العذاب العظيم يوم القيامة. فإياكم والوقوع في مثل هذه الورطة، فاحذروا أن تزل قدم أحدكم عن الإسلام بعد أن رسخت فيه. وقوله: ﴿ولا تشتروا[2] بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ وكل ما في الدنيا قليل وقوله تعالى إنَّما عند الله هو خير لكم قطعا، لأن ما عندكُمْ من مالٍ أو متاعٍ ينفد أي يفنى، ﴿وما عند الله باق﴾ لا نفاذ له، فاذكروا هذا ولا تبيعوا الغالي بالرخيص والباقي بالفاني، وقوله تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا﴾ على عهودهم ﴿أجرهم﴾ على صبرهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي يضاعف لهم الأجر فيعطيهم سائر أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب أفضلها وأكملها حتى يكون أجر النافلة، كأجر الفريضة وهذا وعد من الله تعالى لمن يصبر على إيمانه واسلامه ولا يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل، ووعدٌ ثان في قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه[3] حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ إلا أن أصحاب هذا الوعد هم أهل الإيمان والعمل الصالح، الإيمان الحق الذي يدفع إلى العمل الصالح، ولازم ذلك أنهم تخلوا عن الشرك والمعاصي، هؤلاء وعدهم ربهم بأنه يحييهم في الدنيا حياة طيبةً لا خبث فيها قناعة وطيب طعام[4] وشراب ورضا، هذا في

(١) هذه الجملة دلت على المبالغة في النهي اتخاذ الأيمان دخلا أي خديعة، إذ مَنْ وقع في ورطة يقال: زلت قدمه لأنّ القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شرّ.

(٢) نهى تعالى المؤمنين عن الرُّشا وأخذ الأموال على نقض العهد أي: لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا. روي أن امرؤ القيس بن عابس الكندي اختصم مع ابن أسوع في أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف فلمّا سمع هذه الآية نكل وأقر لخصمه بالأرض.

(٣) اختلف في معنى الحياة الطيّبة فقال بعضهم: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة وقيل: التوفيق إلى الطاعة الموجبة لرضوان الله تعالى، وقيل: هي حلاوة الطاعة، وقيل هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله.

(٤) روى مسلم قول رسول الله ﷺ: (قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه).

الـدنيا وفي الآخـرة الجنة والجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه من كل نوع، من الصلاة كأفضل صلاة وفي الصدقات بأفضل صدقة وهكذا. ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وآتنا ما وعدتهم إنك برّ رحيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ حرمة اتخاذ الأيمان طريقاً إلى الغش والخديعة والإفساد.

٢ـ ما عند الله خير مما يحصل عليه الإنسان بمعصيته الرحمن من حطام الدنيا.

٣ـ عظم أجر الصبر على طاعة الله تعالى فعلاً وتركاً.

٤ـ وعد الصدق لمن آمن وعمل صالحاً من ذكر وأنثى بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

فإذا قرأت القرآن : أي أردت أن تقرأ القرآن.

فاستعذ بالله من الشيطان : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لحمايتك من وسواسه.

إنه ليس له سلطان : أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم، ما داموا

متوكلين على الله.

وإذا بدلنا آية مكان آية : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد.

قل نزله روح القدس : أي جبريل عليه السلام.

ليثبت الذين آمنوا أي على إيمانهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في هداية المسلمين وتكميلهم، فقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ يا محمد أنت أو أحد من المؤمنين أتباعك ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ أي إذا كنت قارئا عازماً على القراءة فقل أعوذ بالله[1] من الشيطان الرجيم، فإن ذلك يقيك من وسواسه الذي قد يفسد عليك تلاوتك[2]، وقوله انه ليس للشيطان سلطان يعني تسلط وغلبة وقهر ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وهذه بشرى خير للمؤمنين ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾[3] بطاعته والعمل بتزيينه للشر والباطل[4]، ﴿والذين هم به[5] مشركون﴾. هؤلاء هم الذين يتسلط الشيطان عليهم فيغويهم ويضلهم حتى يهلكهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ أي نسخنا حكماً بحكم آخر بآية أخرى قال المشركون المكذبون بالوحي الإلهي ﴿إنما أنت﴾ يا محمد ﴿مفترٍ﴾ تقول بالكذب والخرص، أي يقول اليوم شيئاً ويقول غداً خلافه. وقوله تعالى: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ فإنه ينزله لمصلحة عباده فينسخ ويثبت لأجل مصالح المؤمنين. وعلم الله تعالى رسوله كيف يرد على هذه الشبهة وقال له ﴿قل نزله روح القُدس[6] من ربك بالحق﴾ فلست أنت الذي تقول ما تشاء وإنما هو وحي الله وكلامه ينزل به جبريل عليه السلام من عند ربك بالحق الثابت عند الله الذي لا يتبدل ولا يتغير، وذلك لفائدة تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وإسلامهم.

---

(١) هذه كآية الوضوء: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا..﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير وضوء فاغسلوا وجوهكم أي: توضؤوا.

(٢) لقد صحت الأحاديث الكثيرة في أنّ النبي ﷺ كان يتعوّذ في صلاته قبل القراءة روي أن بعض السلف كان يتعوّذ بعد القراءة أخذاً بهذه الآية.

(٣) فائدة الاستعاذة قبل القراءة أن يحفظ المرء من أن يلبس عليه إبليس قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبّر.

(٤) قيل في قوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان﴾: أي أنه لا يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه.

(٥) الضمير في ﴿به﴾ عائد إلى الشيطان ويصح عوده على الله تعالى.

(٦) روح القدس: جبريل عليه السلام: ﴿فقد نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه ما عدا الفاتحة فقد نزل بها ملك لم ينزل إلى الأرض قط﴾ رواه مسلم.

فكلما نزل قرآن ازداد المؤمنون إيمانا فهو كالغيث ينزل على الأرض كلما نزل ازدادت حياتها نضرة وبهجة فكذلك نزول القرآن تحيا به قلوب المؤمنين، وهو أي القرآن هدىً من كل ضلالة. وبشرى لكل المسلمين بفلاح الدنيا وفوز الآخرة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن بلفظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢ـ بيان أنه لا تسلط للشيطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم.

٣ـ بيان أن سلطان الشيطان على أوليائه العاملين بطاعته المشركين بربهم.

٤ـ بيان أن القرآن فيه الناسخ والمنسوخ.

٥ـ بيان فائدة نزول القرآن بالناسخ والمنسوخ وهي تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وهدى من الضلالة وبشرى للمسلمين بالفوز والفلاح في الدارين.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٠٩﴾

شرح الكلمات :

بشــــر	: يعنون قيناً (حداداً) نصرانياً في مكة .
لسان الذي يلحدون إليه	: أي يميلـون إليه .
وهذا لسان عربي	: أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي .
إلا من أكـره	: أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به .
ولكن من شرح بالكفر صدرا	: أي فتح صدره الكفر وشرحه له فطابت نفسه له .
وأولئك هم الغافلون	: أي عمـا يراد بهم .
لا جـــرم	: أي حقـاً .
هم الخاســـرون	: أي لمصيرهم[1] إلى النار خالدين فيها أبدا .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء فقال تعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾[2] أي يعلم محمداً بشر أي انسان من الناس، لا أنه وحي يتلقاه من الله . قال تعالى في الرد على هذه الفرية وإبطالها ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ أي يميلون إليه بأنه هو الذي يعلم محمد لسانه ﴿أعجمي﴾[3] لأنه عبدٌ رومي ، ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو فصاحة وبلاغة وبيان فكيف

---

(١) أي : لكون مصيرهم إلى النار وأيّ خسران أعظم من خسران مَنْ دخل النار فخسر نفسه وأهله قال تعالى فيه : ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ .

(٢) اختلف في تعيين هذا الرجل فقيل : اسمه جبر ويكنى بأبي فكيهة ، وقيل : اسمه عايش ، وقيل : اسمه يعيش وكان روميًا وكان صيقليا يشحذ السيوف ويحليها وكان يجلس إليه النبي ﷺ أحياناً فقالوا قولتهم هذه .

(٣) العجمة : الإخفاء وضد البيان ورجل أعجم وامرأة عجماء أي لا يفصح ولا يبين ومنه عجب الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة والأعجمى من لا يتكلم العربية .

يتفق هذا مع ما يقولون انهم يكذبون لا غير، وقوله تعالى ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ وهي نورٌ وهدى وحججٌ قواطع، وبرهان ساطع ﴿لا يهديهم الله﴾ إلى معرفة الحق وسبيل الرشد لأنهم أعرضوا عن طريق الهداية وصدوا عن سبيل العرفان وقوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي جزاء كفرهم بآيات الله. وقوله ﴿إنما يفتري[1] الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ أي إنما يختلق الكذب ويكذب فعلاً الكافر بآيات الله لأنه لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقابه، فلذا لا يمنعه شيء عن الكذب، أما المؤمن فإنه يرجو ثواب الصدق ويخاف عقاب الكذب فلذا هو لا يكذب أبداً، وبذا تعين أن النبي لم يفتر الكذب وإنما يفتري الكذب أولئك المكذبون بآيات الله وهم حقاً الكاذبون. وقوله تعالى: ﴿من كفر[2] بالله من بعد إيمانه إلا من أكره[3]﴾ على التلفظ بالكفر ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ لا يخامره شك ولا يجد اضطراباً ولا قلقاً فقال كلمة الكفر لفظاً فقط، فهذا كعمار بن ياسر كانت قريش تكرهه على كلمة الكفر فأذن له الرسول ﷺ بقولها بلسانه ولكن المستحق للوعيد الآتي ﴿من شرح بالكفر صدراً﴾ أي رضي بالكفر وطابت نفسه وهذا وأمثاله ﴿فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم﴾ أي باءوا بغضب الله وسخطه ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعلل تعالى لهذا الجزاء العظيم بقوله ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ بكفرهم بالله وعدم إيمانهم به لما في ذلك من التحرر من العبادات، فلا طاعة ولا حلال ولا حرام. وقوله تعالى: ﴿وإن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ هذا وعيد منه تعالى سبق به علمه وأن القوم الكافرين يحرمهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ وعلى سمعهم وأبصارهم أولئك الذين توعدهم الله بعدم هدايتهم هم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يتفهمون ﴿وسمعهم﴾ فهم لا يسمعون المواعظ ودعاء الدعاة إلى

---

(١) هذا جواب وصفهم النبي ﷺ بالكذب فاعلم تعالى أنّ الذي يفتري الكذب هو الكافر بآيات الله الكاذب الذي لا يعرف الصدق ابداً.

(٢) قوله: ﴿من كفر بالله بعد إيمانه﴾: عائد إلى قوله: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله﴾. وقوله: ﴿إلاّ من أكره﴾: نزلت في عمّار بن ياسر في قول أهل التفسير لأنه قارب أن يقول بعض ما طلبوه منه فرفع تعالى عنه الحرج وقال له الرسول ﷺ (أعطهم ياعمار) وهو تحت العذاب وقال ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) واستثنى أهل العلم من أكره على قتل مؤمن أنه لايقتله، وليكن المقتول ولا يقتل فلا يفد نفسه بأخيه حتى مجرّد الضرب لا يضربه.

(٣) أهل العلم على أنّ المكره على الطلاق وعلى الحلف وعلى الحنث أنه لا شيء فيه.

الله تعالى ﴿وأبصارهم﴾ فهم لا يبصرون آيات الله وحججه في الكون، وما حصل لهم من هذه الحال سببه الإعراض المتعمد وإيثار الحياة الدنيا، والعناد، والمكابرة، والوقوف في وجه دعوة الحق والصد عنها. وقوله ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي ما خلقوا له، وعما يراد لهم من نكال في الآخرة وعذابٌ أليم. وقوله تعالى ﴿لا جرم﴾ اي حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ المغبونون حيث وجدوا أنفسهم في عذاب أليم دائم لا يخرجون منه ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ دفاع الله تعالى عن رسوله ودرء كل تهمةٍ توجه إلى رسول الله ﷺ.

٢ـ المكذبون بآيات الله يحرمون هداية الله، لأن طريق الهداية هو الإيمان بالقرآن. فلما كفروا به فعلى أي شيء يهتدون.

٣ـ المؤمنون لا يكذبون لإيمانهم بثواب الصدق وعقاب الكذب، ولكن الكافرين هم الذين يكذبون لعدم ما يمنعهم من الكذب إذ لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقابا.

٤ـ الرخصة[1] في كلمة الكفر في حال التعذيب بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.

٥ـ إيثار الدنيا على الآخرة طريق الكفر وسبيل الضلال والهلاك.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ

(١) وكذلك الرخصة في العتاق والطلاق والنكاح والحلف والحنث ما دام مكرهاً فلا يلزمه شيء لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) الحديث، وكذا من أكره على تسليم زوجته فلا شيء عليه إذ أكره ابراهيم على ذلك وعصمه الله تعالى ومن صبر على ما أكره به من الضرب والتعذيب فله ذلك فقد صبر عبد الله بن حذافة السهمي على ألوان من التعذيب والتهديد على يد ملك الروم حيث أسر مع جمع من المسلمين فعذب ما شاء الله أن يعذّب ثم أطلق الأسرى، وقبّل عمر رضي الله عنه رأسه إكراماً له واعترافاً بفضله لأنّ ملك الروم أخذ ما أكرهه عليه تقبيل رأسه فقبّله.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات :

هاجروا : أي إلى المدينة.

من بعدما فتنوا : أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين.

إن ربك من بعدها : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على الإيمان والجهاد.

لغفورٌ رحيم : أي غفورٌ لهم رحيم بهم.

يوم تأتي : أي اذكر يا محمد يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها.

مثلاً قرية : هي مكة.

رزقها رغدا : أي واسعاً.

فكفرت بأنعم الله : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش.

فأذاقها الله لباس الجوع : أي بسبب قحطٍ أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين.

والخوف : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم.

معنى الآيات :

بعدما ذكر الله تعالى رخصة كلمة الكفر عند الإكراه وبشرط عدم انشراح الصدر بالكفر ذكر مخبراً عن بعض المؤمنين، تخلفوا عن الهجرة بعد رسول الله ﷺ فلما أرادوا الهجرة منعتهم قريش وعذبتهم حتى قالوا كلمة الكفر، ثم تمكنوا من الهجرة فهاجروا وجاهدوا

وصبروا فأخبر الله تعالى عنهم بأنه لهم مغفرته ورحمته، فلا يخافون ولا يحزنون فقال تعالى ﴿ثم إن ربك[1]﴾ أيها الرسول ﴿للذين هاجروا[2] من بعدما فتنوا﴾ أي عُذّبوا ﴿ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها[3] لغفورٌ رحيم﴾ أي غفورٌ لهم رحيمٌ بهم.

وقوله تعالى: ﴿يومَ[4] تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها﴾ أي اذكر ذلك واعظاً به المؤمنين أي تخاصم طالبةً النجاة لنفسها ﴿وتوفى كل نفسٍ ما عملت﴾ أي من خيرٍ أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأن الله عدلٌ لا يجور في الحكم ولا يظلم. وقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قريةً[5]﴾ أي هو قرية ﴿كانت آمنة﴾ من غارات الأعداء ﴿مطمئنة﴾ لا ينتابها فزعٌ ولا خوف، لما جعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه، ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ أي واسعاً ﴿من كلّ[6] مكان﴾ حيث يأتيها من الشام واليمن في رحلتيهما في الصيف والشتاء ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ وهي تكذيبها برسول الله ﷺ وإنكارها للتوحيد، وإصرارها على الشرك وحرب الإسلام ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ فدعا عليهم الرسول اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف السبع الشداد، فأصابهم القحط سبع سنوات فجاعوا حتى أكلوا الجِيفَ والعهن، وأذاقها لباس الخوف إذ أصبحت سرايا الإسلام تعترض طريق تجارتها بل تغزوها في عقر دارها، وقوله تعالى ﴿بما كانوا يصنعون[7]﴾ أي جزاهم الله بالجوع والخوف بسبب صنيعهم الفاسد وهو اضطهاد المؤمنين بعد كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك. وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم رسولٌ منهم﴾ هو محمد ﷺ ﴿فكذبوه﴾ أي جحدوا رسالته وانكروا نبوته وحاربوا دعوته ﴿فأخذهم العذاب﴾ عذاب الجوع والخوف والحال أنهم ﴿ظالمون﴾ أي مشركون وظالمون لأنفسهم حيث عرضوها

---

(١) لمّا كانت الهجرة لله ولرسوله ﷺ قرن الله تعالى اسمه مع اسم نبيّه ﷺ فقال: ﴿ثم إنّ ربك﴾ أي بمغفرته ورحمته للذين هاجروا.

(٢) هاجروا أولا إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية.

(٣) أي: من بعد الحال التي كانت أيام تعذيبهم وفتنتهم على يد المشركين.

(٤) جائز أن يكون الظرف متعلقاً بقوله: ﴿لغفور رحيم﴾ وجائز أن يكون معمولا لفعل محذوف تقديره: اذكر ومعنى تجادل: تخاصم وتحاج عن نفسها وفي الحديث: (أنّ كل نفس يوم القيامة تقول: نفسي نفسي) لشدة الهول.

(٥) هي مكة وكان النبي ﷺ قد دعا على أهلها فقال: (اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام.

(٦) من البرّ والبحر، هذا كقوله تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾.

(٧) وقيل: إنّ القرية هذه هي المدينة قالت هذا حفصة وعائشة زوجتا الرسول ﷺ وذلك لما قتل عثمان واشتد البلاء بأهل المدينة وعموم الآية ظاهر، وكونها مكة أظهر.

بكفرهم إلى عذاب الجوع والخوف.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ فضـل الهجـرة والجهاد والصبر، وما تكفر هذه العبادات من الذنوب وما تمحو من خطايا.

٢ـ وجوب التذكير باليوم الآخر وما يتم فيه من ثوابٍ وعقاب للتجافي عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

٣ـ استحسان ضرب الأمثال من أهل العلم.

٤ـ كفر النعم بسبب زوالها والانتقام من أهلها.

٥ـ تكذيب الرسول ﷺ في ما جاء به، ولو بالإعراض عنه وعدم العمل به يجر البلاء والعذاب.

فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات :

فكلوا : أي أيها الناس.

حلالاً طيباً : أي غير حرام ولا مستقذر.

واشكروا نعمة الله عليكم : أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلى ما أحل لكم عما حرمه عليكم.

إن كنتم إياه تعبدون : أي إن كنتم تعبدونه وحده فامتثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم وذروا ما حرم عليكم.

الميتة : أي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير تذكية شرعية.

والدم : أي الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم.

وما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى.

غير باغٍ ولا عاد :أي غيرباغ على أحد، ولا عادٍ أي متجاوز حد الضرورة.

ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب : أي لا تحللوا ولا تحرموا بألسنتكم كذباً على الله فتقولوا هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله تعالى.

وعلى الذين هادوا : أي اليهود.

حرمنا ما قصصنا عليك من قبل : أي في سورة الأنعام.

معنى الآيات :

امتن الله عز وجل على عباده، فأذن لهم أن يأكلوا مما رزقهم من الحلال الطيب ويشكروه على ذلك بعبادته وحده وهذا شأن من يعبد الله تعالى وحده، فإنه يشكره على ما أنعم به عليه، وقوله تعالى: ﴿إنما حرم[1] عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ فلا تحرموا ما لم يحرم عليكم كالسائبة والبحيرة والوصيلة التي حرمها المشركون افتراء على الله وكذبا. وقوله ﴿فمن اضطر﴾ منكم أي خاف على نفسه ضرر الهلاك بالموت لشدة الجوع وكان ﴿غير باغ﴾ على أحد ولا معتدٍ ما أحل له إلى ما حرم عليه

---

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ لتميز الطيبّ من الخبيث وذكر تعالى هنا أربع محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلاّ أنّ هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة وما أكل السبع وما ذُبح على النصب فالخمسة الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله.

فليأكل ما يدفع به غائلة الجوع ولا إثم عليه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فيغفر للمضطر كما يغفر للتائب ويرحم المضطر فيأذن له في الأكل دفعاً للضرر رحمة به كما يرحم من أناب إليه.

وقوله: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب[1] هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ أي ينهاهم عن التحريم والتحليل من تلقاء أنفسهم بأن يصفوا الشيء بأنه حلالٌ أو حرامٌ لمجرد قولهم بألسنتهم الكذب: هذا حلال وهذا حرام كما يفعل المشركون فحللوا وحرموا بدون وحي إلهي ولا شرع سماوي. ليؤول قولهم وصنيعهم ذلك الى الإفتراء على الله والكذب عليه. مع أن الكاذب على الله لا يفلح أبداً لقوله ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل﴾[2] وإن تمتعوا قليلاً في الدنيا بمالٍ أو ولد أو عزةٍ وسلطان فإن ذلك متاع قليل جداً ولا يعتبر صاحبه مفلحاً ولا فائزاً. فإن وراء ذلك العذاب الأخروي الأليم الدائم الذي لا ينقطع. وقوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يخاطب الله تعالى رسوله فيقول: كما حرمنا على هذه الأمة المسلمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، حرمنا على اليهود ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام. إذ قال تعالى ﴿وعلى الذين[3] هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾. وحرم هذا الذي حرم عليهم بسبب ظلمٍ منهم فعاقبهم الله فحرم عليهم هذه الطيبات التي أحلها لعباده المؤمنين. ولذا قال تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ يجب مقابلة النعم بالشكر فمن غير العدل أن يكفر العبد نعم الله تعالى عليه فلا يشكره عليها بذكره وحمده وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه.

---

(١) ﴿الكذب﴾ منصوب على المفعولية المطلقة أي: مطلق الكذب.

(٢) جملة: ﴿متاع قليل﴾ جملة بيانية في جواب قول من قال: كيف لا يفلحون وهم يمتعون بالطعام والشراب والنساء والأموال؟ فأجيب بأنّ هذا متاع قليل جداً بالنظر إلى ما في الآخرة.

(٣) تقديم الجار والمجرور: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا﴾ للاهتمام وللاشارة إلى أنّ ذلك التحريم كان انتقاما منهم ولم يكن شرعاًإلاكمالهم وإسعادهم.

٢ـ بيان المحرمات من المطاعم وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله .
٣ـ بيان الرخصة في الأكل من المحرمات المذكورة لدفع غائلة الموت .
٤ـ حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني إلا ما غلب على الظن تحريمه .
٥ـ حرمة الكذب على الله وأن الكاذب على الله لا يفلح في الآخرة وفلاحه في الدنيا جزئ قليل لا قيمة له . . هذا إن أفلح .
٦ـ قد يحرم العبد النعم بسبب ظلمه فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات:

ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة : أي ثم إن ربك غفورٌ رحيمٌ للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا .

من بعدها : أي من بعد الجهالة والتوبة .

إن إبراهيم كان أمة : أي إماماً جامعاً لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك.
قانتاً لله حنيفاً : أي مطيعاً لله حنيفًا : مائلاً إلى الدين القيم الذي هو الإسلام.
اجتباه : أي ربه اصطفاه للخلة بعد الرسالة والنبوة.
وآتيناه في الدنيا حسنة : هي الثناء الحسن من كل أهل الأديان السماوية.
إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه : أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا إلا السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم فيه عقوبة لهم.

معنى الآيات:

بعدما نددت الآيات في سياق طويل بالشرك وإنكار البعث والنبوة من قبل المشركين الجاحدين المعاندين، وقد أوشك سياق السورة على الانتهاء فتح الله تعالى باب التوبة لهم وقال: ﴿ثم إن ربك﴾ أي بالمغفرة والرحمة ﴿للذين عملوا السوء بجهالة[1]﴾ فأشركوا بالله غيره وأنكروا وحيه وكذبوا بلقائه ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ فوحدوه تعالى بعبادته وأقروا بنبوة رسوله وآمنوا بلقائه واستعدوا له بالصالحات ﴿وأصلحوا﴾ ما كانوا قد أفسدوه من قلوبهم وأعمالهم وأحوالهم ﴿إن ربك من بعدها[2]﴾ من بعد هذه التوبة والأوبة الصحيحة ﴿لغفور رحيم﴾ بهم. فكانت بشرى لهم على لسان كتاب ربهم. وقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم[3] كان أمة[4] قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع[5] ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ إنه لما كان من شبه المشركين انهم على دين أبيهم ابراهيم باني البيت وشارع المناسك ومحرم الحرم، واليهود والنصارى كذلك يدعون أنهم على ملة إبراهيم فأصر الجميع على أنه متبع لملة إبراهيم وأنه على دينه ورفضوا الإسلام بدعوى ما هم عليه هو دين الله الذي جاء به إبراهيم أبو الأنبياء عليه

---

(١) الجهالة: انتفاء العلم بما يجب أن يعلم، والمراد بجهالتهم: جهالتهم بأدلة الشرع المحرّمة للشرك والكفر والفساد، والموجبة للتوحيد وطاعة الله ورسوله. والباء: في ﴿بجهالة﴾: للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير عملوا.
(٢) وجائز أن يعود الضمير على الجهالة أيضاً كما جائز أن يعود على التوبة.
(٣) ﴿إنّ ابراهيم﴾؛ هذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا لغرض التنويه بدين الإسلام الذي هو دين ابراهيم من قبل.
(٤) الأمّة: الجامع للخير، والقانت: المطيع لله تعالى، والحنيف: المائل إلى الحق المجانب للباطل.
(٥) في الآية الدليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول ولا تبعة على الفاضل أي: لا غضاضة عليه ولا مساس بمقامه.

السلام، ومن باب إبطال الباطل وإزاحة ستار الشبه وتنقية الحق لدعوة الحق والدين الحق ذكر تعالى جملةً من حياة إبراهيم الروحية والدينية كمثال حي ناطق لكل عاقل إذا نظر إليه عرف هل هو متبع لإبراهيم يعيش على ملته أو هو على غير ذلك. فقال تعالى ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾[1] أي إماماً صالحاً جامعاً لخصال الخير، يقتدي به كل راغب في الخير. هذا أولاً وثانياً أنه كان قانتاً أي مطيعاً لربه فلا يعصي له أمراً ولا نهياً ثالثاً لم يك من المشركين بحالٍ من الأحوال بل هو بريء من الشرك وأهله، ورابعاً كان شاكراً لأنعم الله تعالى عليه أي صارفاً نعم الله عليه فيما يرضي الله، خامساً اجتباه ربه أي اصطفاه لرسالته وخلته لأنه أحب الله أكثر من كل شيء فتخلل حب الله قلبه فلم يبق لغيره في قلبه مكان. فخالّه الله أي بادله خلة بخلّة فكان خليل الرحمن. سادساً وهداه إلى صراط مستقيم الذي هو الإسلام، سابعاً وآتاه في الدنيا حسنة وهي الثناء الحسن والذكر الجميل من جميع أهل الأديان الإلهية الأصل. ثامناً وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين قال الله تعالى فيهم: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي منزلة من أشرف المنازل وأسماها. تاسعاً مع جلالة قدر النبي محمد ﷺ ورفعة مكانته أمره الله تعالى أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

هذا هو إبراهيم فمن أحق بالنسبة إليه، المشركون؟ لا ! اليهود؟ لا، النصارى؟ لا! المسلمون الموحدون؟ نعم نعم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وأكرمنا يوم تكرمهم.

وقوله تعالى: ﴿انما جعل السبت[2] على الذين اختلفوا فيه﴾ فيه دليل على بطلان دعوى اليهود أنهم على ملة إبراهيم ودينه العظيم، إذ تعظيم السبت لم يكن من دين إبراهيم،

---

(١) قال مالك: بلغني أنّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: يرحم الله معاذاً كان أمّة قانتاً فقيل له: يا أبا عبدالرحمن إنّما ذكر الله عزّ وجلّ بهذا إبراهيم عليه السلام فقال عبدالله: (إن الأمة الذي يعلّم الناس الخير وإنّ القانت: هو المطيع).

(٢) أي: لم يكن في شرع ابراهيم ولا من دينه، إذ كان دين ابراهيم سمحاً لا تغليظ فيه والسبت تغليظ على اليهود في ترك الأعمال وترك التبسّط في المعاش بسبب اختلافهم فيه أي: اختلفوا في يوم الجمعة بعدما أمروا بتعظيمه فأبت اليهود إلاّ السبت بدعوى أنّ الله فرغ من الخلق فيه. واختار النصارى الأحد: لأنّ الله ابتدأ الخلق فيه، وهدى الله أمّة الإسلام ليوم الجمعة الذي اختلفوا فيه ففي البخاري يقول ﷺ: (نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة، ونحن أوّل من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له «يوم الجمعة».

وإنما سببه أن الله تعالى أوحى إلى أحد أنبيائهم أن يأمر بني إسرائيل بتعظيم الجمعة فاختلفوا في ذلك وآثروا السبت عناداً ومكابرة فكتب الله تعظيمهم السبت. وقوله ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيه وعيد لهم وأنه سيجزيهم سوءاً على تمردهم على أنبيائهم واختلافهم عليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنب عَظُم أو صغُر على شرط صدق التوبة بالإقلاع الفوري والندم والاستغفار الدائم وإصلاح الفاسد.

٢ـ تقرير التوحيد والإعلان عن شأن إبراهيم عليه السلام وبيان كمالاته وانعام الله عليه.

٣ـ بيان أن سبت اليهود هو من نقم الله عليهم لا من نعمه وافضاله عليهم.

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

شرح الكلمات:

إلى سبيل ربك: أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.

بالحكمة: أي بالقرآن والمقالة المحكمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.

والموعظة الحسنة: هي مواعظ القرآن، والقول الرقيق الحسن.

وجادلهم بالتي هي أحسن : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها.
لهو خيرٌ للصابرين : أي خيرٌ من الإنتقام عاقبةً.
ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون : أي لا تهتم بمكرهم، ولا يضيق صدرك به.
مع الذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.
والذين هم محسنون : أي في طاعة الله، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا.

معنى الآيات :

يخاطب الرب تعالى رسوله تشريفاً وتكليفاً: ﴿ادع الى سبيل ربك﴾[1] أي إلى دينه وهو الإسلام سائر الناس، وليكن دعاؤك ﴿بالحكمة﴾ التي هي القرآن الكريم الحكيم ﴿والموعظة الحسنة﴾ وهي مواعظ القرآن وقصصه وأمثاله، وترغيبه وترهيبه، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي خاصمهم بالمخاصمة التي هي أحسن وهي الخالية من السب والشتم والتعريض بالسوء ، فإن ذلك أدعى لقبول الخصم الحق وما يدعي إليه، وقوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ من الناس ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ وسيجزيهم المهتدي بهداه، والضال بضلاله، كما هو أعلم بمن ضل واهتدى أزلاً . فهون على نفسك ولا تشطط في دعوتك فتضر بنفسك، والأمر ليس إليك. بل لربك يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما عليك إلا الدعوة بالوصف الذي وصف لك، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وقوله تعالى ﴿وإن عاقبتم[2] فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ لا أكثر، ﴿ولئن صبرتم﴾ وتركتم المعاقبة ﴿لهو﴾ أي صبركم ﴿خيرٌ﴾ لكم من المعاقبة على الذنب والجناية، وقوله تعالى: ﴿واصبر﴾ على ترك ما عزمت عليه أيها الرسول من التمثيل بالمشركين جزاء تمثيلهم بعمك حمزه، فأمره بالصبر ولازمه ترك المعاقبة والتمثيل معاً، وقوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ أي إلا بتوفيقه وعونه، فكن مع ربك

---

(١) قال القرطبي: هذه الآية نزلت بمكة في وقت مهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وعنف، وهكذا ينبغي أن يدعو المسلمون إلى يوم القيامة.

(٢) جمهور المفسرين على أن هذه الآية: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا. . .﴾ الخ نزلت بالمدينة في شأن قتل حمزة والتمثيل به رضي الله عنه وأرضاه يوم أحد ذكر ذلك البخاري وغيره وفي الآية دليل على وجوب المماثلة في القصاص ويحرم عدمها. وفي الآية دليل لمن قال بجواز أخذ مال من أخذ مال غيره إذا لم يتمكن منه بعلمه ورضاه على شرط أن لا يأخذ أكثر مما أخذ منه.

تستمد منه الصبر كما تستمد منه العون والنصر. وقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على عدم اهتدائهم إلى الحق والأخذ به والسير في طريقه الذي هو الإسلام ﴿ولا تك في ضيق[1]﴾ نفسي يؤلمك ﴿مما يمكرون﴾ بك فإن الله تعالى كافيك مكرهم وشرهم إنه معك فلا تخف ولا تحزن لأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنت منهم. وقوله: ﴿إن الله مع الذين[2] اتقوا والذين هم محسنون﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين أنه عز وجل بنصره وتأييده ومعونته وتوفيقه مع الذين اتقوا الشرك والمعاصي فلم يتركوا فرائض دينه، ولم يغشوا محارمه والذين هم محسنون في طاعة ربهم إخلاصاً في النية والقصد، وأداءً على نحو ما شرع الله وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الدعوة إلى الله تعالى أي إلى الإسلام وهو واجب كفائي، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.

٢ـ بيان أسلوب الدعوة وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خالياً من العنف والغلظة والشدة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.

٣ـ جواز المعاقبة بالأخذ بقدرما أخذ من المرء، وتركها صبراً واحتساباً أفضل.

٤ـ معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معية نصرٍ وتأييد وتسديد.

---

(١) الضيق والضَّيق: بالكسر والفتح، والضيق في الآية: هو جمع ضَيْقة فهما سواء يقال: في صدره ضيق وضِيق بالكسر والفتح، وقيل: الضيق بالفتح في الصدر، والضيق بالكسر في الدار والثوب ونحوهما.

(٢) قيل لهرم بن حيان عند موته: أوصنا فقال: أوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل: ﴿ادع إلى سبيل ربك..﴾ إلى ﴿محسنون﴾.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ
مكيـة
وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

شـرح الكلمـات :

سبحان : أي تنزه وتقدس عن كل مالا يليق بجلاله وكماله وهو الله جل جلاله.

بعبده : أي بعبده ورسوله محمد ﷺ.

من المسجد الحرام : أي الذي بمكة.

إلى المسجد الأقصى : أي الذي ببيت المقدس.

من آياتنا : أي من عجائب قدرتناومظاهرها في الملكوت الأعلى.

معنى الآية الكريمة :

نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما نسب إليه المشركون من الشركاء والبنات وصفات المحدثين، فقال: ﴿سبحان[1] الذي أسرى بعبده[2]﴾ أي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني «ليلاً من المسجد الحرام» أي بالليل من المسجد الحرام بمكة إذ أخرج من بيت أم هانىء

---

(١) روي أنّ طلحة بن عبيد الله الفيّاض أحد العشر المبشرين بالجنة سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال: (تنزيه الله عن كل سوء) وأسرى: فيها لغتان: أسرى وسرى فصيحتان، وجمع اللغتين في بيت واحد هو:

حيّ النضيرة ربّة الخدر   أسرت إليّ ولم تكن تسري

وقيل: أسرى من أوّل الليل، وسرى من آخره، والاسراء، والسُّرى: سير الليل.

(٢) قالت العلماء: لو كان هناك اسم للنبي ﷺ أشرف من اسم عبد لسمّاه به في هذه الحال العليّة، وفي معناه قال الشاعر:

ياقوم قلبي عند زهراء   يعرفه السامع والرائي

لاتدعُني إلاّ بياعبدها   فإنه أشرف أسمائي

وغسل قلبه بماء زمزم وحشي إيماناً وحكمة، ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بيت المقدس، وأخبر ﷺ أنه جمع الله تعالى له الأنبياء في المسجد الأقصى وصلى بهم إماماً فكان بذلك إمام الأنبياء وخاتمهم ثم عرج به إلى السماء سماء بعد سماء يجد في كل سماء مقربيها إلى أن انتهى إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ثم عرج به إلى أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وقوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي حول المسجد الأقصى[1] معنى حوله خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار أما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجرها إذ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة أجراً ومثوبة وقوله تعالى ﴿لنريه من آياتنا﴾ تعليل للاسراء والمعراج وهو أنه تعالى أسرى بعبده وعرج به ليريه من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى، وليكون ما علمه من طريق الوحي قد علمه بالرؤية والمشاهدة. وقوله تعالى ﴿إنه هو السميع البصير﴾ يعني تعالى نفسه بأنه هو السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فاقتضت حكمته هذا الاسراء العجب ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليرتاب المرتابون ويزدادون كفرا وعناداً

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ - تقرير عقيدة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ بالروح والجسد[2] معاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى، إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وأوحى إليه تعالى ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

٢ - شرف المساجد الثلاثة: الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى أما المسجدان الحرام والأقصى فقد ذكرا بالنص وأما مسجد الرسول ﷺ فقد ذكر بالاشارة[3] والإيماء إذ قول الأقصى يقتضي قصياً، فالقصي هو المسجد النبوي والأقصى هو مسجد بيت المقدس.

٣ - بيان الحكمة في الاسراء والمعراج وهي أن يرى الرسول ﷺ بعيني رأسه ما كان آمن به وعلمه من طريق الوحي فاصبح الغيب لدى رسول الله شهادة.

---

(١) المسجد الحرام: اول مسجد بني في الأرض، ويليه المسجد الأقصى والزمن بينهما أربعون سنة، والمسجد النبوي بني بعدهما بقرون طويلة، فهذه الثلاثة أشرف المساجد على الإطلاق وعليه فمن نذر صلاة فيها وجب عليه الوفاء بالصلاة فيها، ومن نذر الصلاة في مسجد غيرها جاز أن يصلي في أي مسجد آخر.

(٢) لا قيمة للقول بأنّ الإسراء كان بالروح فقط إذ لو كان بالروح لكان من المنام، ولما قال تعالى: ﴿أسرى بعبده ليلاً﴾ ولما قالت أم هانيء: لاتحدّث الناس فيكذبوك، ولا فضّل أبو بكر بلقب الصديق ولا ما أمكن قريشا التشنيع والتكذيب، ولما ارتد أفراد عن الإسلام بتشنيع قريش، وأما إطلاق لفظ الرؤيا على المنام خاصة فليس بذلك إذ قد يطلق لفظ الرؤيا على الرؤية في اليقظة، وأعظم دليل في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ أي: رأى الرسول جبريل مرّة أخرى في الجنة في السماء ليلة الاسراء والمعراج كما رآه لأوّل مرّة في جياد بمكة.

(٣) حدثنا شيخنا الطيب العقبي خريج المسجد النبوي الشريف: أنّه ألقى كلمة في الروضة بالمسجد النبوي ففتح الله تعالى عليه فذكر أنّ المسجد النبوي أشير إليه في آية الاسراء فهو إذاً مذكور في القرآن بالإيماء كما ذكرت في التفسير.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

وآتينا موسى الكتاب : أي التوراة.

وجعلناه هدى : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هادياً لبني إسرائيل.

وكيلا : أي حفيظاً أو شريكاً.

من حملنا : أي في السفينة.

وقضينا : أي أعلمناهم قضاء نافيهم

في الكتاب : أي التوراة.

علواً كبيراً : أي بغياً عظيًا.

أولاهما : أي أولى المرتين.

فجاسوا خلال : أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون.

وعداً مفعولا : أي منجزاً لم يتخلف.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أنه هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه هو الذي آتى موسى الكتاب أي التوراة فهو تعالى المتفضل على محمد ﷺ وعلى أمته بالإسراء به والمعراج

وعلى موسى بإعطائه الكتاب ليكون هدى وبياناً لبني إسرائيل فهو متفضل أيضاً على بني إسرائيل فله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿جعلناه﴾ أي الكتاب ﴿هدى﴾ أي بياناً لبني إسرائيل يهتدون إلى سُبُل الكمال والإسعاد وقوله: ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ أي آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل من أجل ألا يتخذوا من غيري حفيظاً لهم يشركونه بي بالتوكل عليه وتفويض أمرهم إليه ناسين لي وأنا ربهم وولي نعمتهم. وقوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي يا ذرية[1] من حملنا مع نوح اشكروني كما شكرني نوح على انجائي إياه في السفينة مع أصحابه فيها، إنه أي نوحاً ﴿كان عبداً شكوراً﴾[2] فكونوا أنتم مثله فاشكروني بعبادتي ووحدوني ولا تتركوا طَاعَتِي ولا تشركوا بي سِوَايَ

وقوله تعالى ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدون في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ يخبر تعالى بأنه أعلم بني اسرائيل بقضائه فيهم وذلك في كتابهم التوراة أنهم يفسدون في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب، ويعلون في الأرض بالجراءة على الله وظلم الناس ﴿علواً كبيراً﴾ أي عظيماً. ولابد أن ما قضاه واقع وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولهما﴾ أي وقت المرة الأولى ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس[3] شديد﴾ أي قوة وبطش في الحرب شديد، وتم هذا لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم «أرميا» عليه السلام وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم مع جيوشه ما أخبر تعالى به في قولـه: ﴿فجاسـوا[4] خلال الديار﴾ ذاهبين جائين قتلاً وفتكاً وإفساداً نقمة الله على بني إسرائيل لإفسادهم وبغيهم البغي العظيم.

وقوله تعالى: ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ أي ما حصل لهم في المرة الأولى[5] من الخراب والدمار ومن

---

(١) قرىء ذَرية بفتح الذال، وقرىء ذِرية بكسر الذال أيضاً فهي إذاً مثلثة واللفظ مشتق من الذرء، الذي هو الخلق، فيقال: ذرأ يذرا ذرأ: إذا خلق وفي الآية تذكير بني إسرائيل بواجب الشكر أي اشكروا كما شكر نوح، وفيها تعريض لهم بأنهم إذا لم يشكروا يؤخذوا كما أخذ قوم نوح.

(٢) أثنى تعالى على عبده نوح بكثرة الشكر لأنّ شكور: من صيغ المبالغة معناه كثير الشكر روي أنه كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي أرواني ولو شاء لأظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني.

(٣) قال: ﴿عباداً لنا﴾ ولم يقل: عبادي لأنهم أهل كفر وشرك وفسق فلم يشرفهم بالإضافة إليه ووصفهم بأنهم من ملكه فسخّرهم لتأديب عباده الذين فسقوا عن أمره وخرجوا عن طاعته.

(٤) الجوس: وهو مصدر جاس يجوس جوساً معناه: التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها، والمراد به تتبع المقاتلة لقتالهم.

(٥) في هذه الآيات ذكر مجمل لتاريخ بني إسرائيل بدءاً من دولة يوشع بن نون بعد فتحه لبلاد القدس، وطرد العمالقة منها، وإقامة دولة فيها لأوّل مرة وختاماً بطردهم على أيدي الرومان وذلك سنة مائة وخمس وثلاثين بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وقسمت الآيات هذا التاريخ قسمين معبرّة عنه بالمرتين: الأولى بدءاً من دولة يوشع بن نون واستمرّت إلى أن عاثوا في الأرض وفسدوا =

أسبابه كان بوعد من الله تعالى منجزاً فوفاه لهم، لأنه قضاه وأعلمهم به في كتابهم. وقوله: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ أي بعد سنين طويلة وبنو اسرائيل مضطهدون مشردون نبتت منهم نابتة وطالبت بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد وكان ذلك كما تقدم في سورة البقرة جاهدوا وقتل داود جالوت وهذا معنى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ وقوله: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أي رجالاً في الحروب وكثرت أموالهم وأولادهم وتكونت لهم دولة سادت العالم على عهد داود وسليمان عليهما السلام.

هداية الآيات:

١ ـ بيان إفضال الله تعالى على الأمتين الإسلامية والإسرائيلية.

٢ ـ بيان سر إنزال الكتب وهو هداية الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها.

٣ ـ وجوب شكر الله تعالى على نعمه إذ كان نوح عليه السلام إذا أكل الأكلة قال الحمد لله، وإذا شرب الشربة قال الحمدلله، وإذا لبس حذاءه قال الحمدلله وإذا قضى حاجة قال الحمد لله فسمى عبداً شكوراً وكذا كان رسول الله والصالحون من أمته إلى اليوم.

٤ ـ ما قضاه الله تعالى كائن، وما وعد به ناجز، والإيمان بذلك واجب.

٥ ـ التنديد بالإفساد والظلم والعلو في الأرض، وبيان سوء عاقبتها.

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

فيها بالفسق والفجور فسلط عليه البابليين فاسقطوا دولتهم، ومزّقوا ملكهم واستمروا مشتتين إلى أن ملّكوا طالوت وقاتلوا معه على عهد نبي الله حزقيل فهزموا جالوت البابلي، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ إذ تكونت لهم دولة عظيمة على عهد كل من طالوت وداود وسليمان واستمرّت حتى فسقوا وفجروا فاستحقوا العذاب فسلّط الله عليهم بختنصر البابلي أيضاً فأحرق هيكل سليمان، ودمّر أورشليم فتركها خراباً ودماراً، وهذه هي المرة الأخرة ثم أنجز لهم الله تعالى ما وعدهم بقوله: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فاجتمعوا وصلحوا وعاد لهم ملكهم فترة من الزمن، وعادوا إلى الفسق والعصيان فعاد الله تعالى عليهم فسلّط عليهم الرومان سنة ١٣٥ بعد الميلاد فاحتلوا بلادهم وشرّدوهم في الأرض.

شـــرح الكلمات :

إن أحسنتم : أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها.

أحسنتم لأنفسكم : أي أن الأجر والمثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم.

وإن أسأتم : أي في الطاعة فإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة.

وعد الآخرة : أي المرة الآخرة المقابلة للأولى وقد تقدمت.

ليسوءوا وجوهكم : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل.

وليدخلوا المسجد : أي بيت المقدس.

وليتبروا ما علو تتبيرا : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميراً

وإن عدتم عدنا : أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم.

حصيراً : أي محبساً وسجناً وفراشاً يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن بني إسرائيل فبعد أن أخبرهم تعالى بما حكم به عليهم في كتابهم إنهم يفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً. وأنه إذا جاء ميقات أولى المرتين بعث عليهم عباداً أشداء أقوياء وهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوهم، أنه تعالى رد لهم الكرة عليهم فانتصروا عليهم وقتل داود جالوت وتكونت لهم دولة عظيمة كانت أكثر الدول رجالاً واوسعها سلطاناً وذلك لرجوعهم إلى الله تعالى بتطبيق كتابه والتزام شرائعه وهناك قال تعالى لهم: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ أي إن أحسنتم باتباع الحق والتزام الطاعة لله ورسوله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات والأخذ بسنن الله تعالى في الاصلاح البشري وإن أسأتم بتعطيل الشريعة والانغماس في الملاذ والشهوات فإن نتائج ذلك عائدة على أنفسكم حسب سنة الله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾. وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي وقتها المعين لها، وهي المرة الآخرة بعد الأولى بعث أيضاً عليهم عباداً له وهم بختنصّر وجنوده بعثهم عليهم ليسودوا وجوههم بما يصيبونهم به من الهم والحزن والمهانة والذل ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة﴿وليتبروا﴾أي يدمروا ما علوا أي ماغلبوا عليه من ديارهم ﴿تتبيرا﴾ أي تدميراً كاملاً وتحطيماً تاماً وحصل لهم هذا لما قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وكثيراً من العلماء وبعد أن ظهر فيهم الفسق وفي نسائهم التبرج والفجور واتخاذ الكعب العالي. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم[1]﴾ فهذا خَيْر عظيم لهم لو طلبوه بصدق لفازوا به ولكنهم أعرضوا عنه وعاشوا على التمرد على الشرع والعصيان لله ورسله. وقوله وإن عدتم عدنا أي وإن عدتم إلى الفسق والفجور عدنا بتسليط من نشاء من عبادنا فأنجزهم الله تعالى ما وعدهم فسلط عليهم رسوله محمداً ﷺ والمؤمنين فاجلى بني قينقاع وبني النضير من المدينة وقتل بني قريضة كما سلط عليهم ملوك أوربا فطاردوهم وساموهم الخسف وأذاقوهم سوء العذاب في قرون طويلة وقوله تعالى: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً[2]﴾ أي إن كان عذاب الدنيا بالتسلط على الظالمين وسلبهم حريتهم وإذاقتهم عذاب القتل والأسر والتشريد فإن عذاب الآخرة هو الحبس والسجن في جهنم تكون حصيراً للكافرين لا يخرجون منها للكافرين أي الذين يكفرون شرائع الله ونعمه عليهم بتعطيل الأحكام وتضييع الفرائض وإهمال السنن والانغماس في الملاذ والشهوات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ صدق وعد الله تعالى.

٢ ـ تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذه الأنباء لا يقصها إلا نبي يوحى إليه.

٣ ـ تقرير قاعدة ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

٤ ـ وجوب الرجاء في الله وهو انتظار الفرج والخير منه وإن طال الزمن.

٥ ـ قد يجمع الله تعالى للكافرين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذا الفاسقون من المؤمنين.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾

(١) تقدم أن الله تعالى أنجز لهم وعده في قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ وأنه رحمهم فصلحوا واستقاموا، وأعادوا بناء دولتهم وسعدوا فيها زمناً ثم عادوا إلى الفسق والفجور فعاد تعالى عليهم فسلط الرومان فقتلوهم وشردوهم وذلك سنة ١٣٥ بعد الميلاد، ومن يومئذ انتهى ملك اليهود، واستمرت أورشليم تحت يد الرومان إلى الفتح الإسلامي حيث فتحت على يد عمر رضي الله عنه سنة ١٦ صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذ (إلياء).

(٢) الحصير المكان الذي يحصر فيه فلا يستطاع الخروج منه ففعيل (حصير) إمّا أن يكون بمعنى فاعل أي: حاصر أو بمعنى مفعول أي: محصور فيه، وفسّر في التفسير بالسجن وهو كذلك إذ السجن يحصر مَنْ فيه فلا يقدر على الخروج منه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

شـــرح الكلمـات :

للتي هي أقوم	: أي للطريقة التي هي أعدل وأصوب.
أن لهم أجراً كبيرا	: إنه الجنة دار السلام.
اعتدنا لهم عذابا أليما	: انه عذاب النار يوم القيامة.
ويدع الانسان بالشر	: أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب.
وكان الانسان عجولا	: أي سريع التأثر بما يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل.
آيتيـــن	: أي علامتين دالتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.
فمحونا آية الليل	: أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس.
مبصـــرة	: أي يبصر الانسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها.
عدد السنين والحساب	: أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن هذا القرآن الكريم[1] الذي أنزله على عبده ورسوله محمد الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يهدي بما فيه من الدلائل والحجج والشرائع والمواعظ للطريقة والسبيل التي هي أقوم[2] أي أعدل واقصد من سائر الطرق والسبيل إنها الدين القيم الإسلام سبيل السعادة والكمال في الدارين، ﴿ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ويبشر القرآن الذين آمنوا بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض والنوافل بعد تركهم الكبائر والمعاصي بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة، كما يخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى

---

(١) قوله: ﴿هذا القرآن﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن الحاضر بين أيدي الناس المحفوظ في الصدور المكتوب في السطور، وفي الإشارة إليه تنويه بشأنه وعلو مقامه بين الكتب الإلهية.

(٢) ﴿أقوم﴾ اسم تفضيل من القويم، وأقوم: صفة لمحذوف وهو الطريق أي: الطريق التي هي أقوم من هدي كتاب بني اسرائيل إذ قال فيه: ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل﴾ فالقرآن أكثر هداية إلى السبيل الأقوم من التوراة.

اعد أي هيأ لهم عذاباً أليمًا في جهنم.

وقوله تعالى ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير﴾[1] يخبر تعالى عن الإنسان في ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر في عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له. يدعو بالشر دعاءه بالخير أي كدعائه بالخير، وقوله: ﴿وكان الانسان عجولا﴾[2] أي كثير العجلة يستعجل في الأمور كلها هذا طبعه ما لم يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه فإن هو استقام على منهج القرآن تبدل طبعه وأصبح ذا تؤدة وحلم وصبر وأناة. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا، وقوله ﴿فمحونا آية الليل﴾[3] أي بطمس نورها، وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة وبين علة ذلك بقوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أي لتطلبوا رزقكم بالسعي والكسب في النهار. هذا من جهة ومن جهة أخرى ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور. لتوقف مصالحكم الدينية[4] والدنيوية على ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ أي وكل شيء يحتاج إليه في كمال الإنسان وسعادته بيناه تبييناً أي في هذا الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان فضل القرآن الكريم، بهدايته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان.

٢ - الوعد والوعيد بشارة المؤمنين العاملين للصالحات، ونذارة الكافرين باليوم الآخر.

٣ - بيان طبع الإنسان قبل تهذيبه بالآداب القرآنية والأخلاق النبوية.

٤ - كون الليل والنهار آيتين تدلان على الله تعالى وتقرران علمه وقدرته وتدبيره.

٥ - مشروعية علم الحساب وتعلمه.

---

(١) قال ابن عباس وغيره: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما يحب ألا يستجاب له: اللهم أهلكهم ونحوه. وحذفت الواو من ﴿يدعُ﴾ كما حذفت من ﴿سندع الزبانية﴾ و ﴿يمح الله الباطل﴾: لأنه لاينطق بها لاصلها الساكن.

(٢) روي أن آدم عليه السلام لما نفخ الله تعالى فيه الروح فانتهت الروح إلى سرّته نظر إلى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومن مظاهر عجلة الإنسان أنه يؤثر العاجل وإن قلّ على الآجل وإن كثر.

(٣) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة رحمه الله: المراد بالمحو: اللطخة السوداء في القمر ليكون ضوء القمر أقلّ من ضوء الشمس فيتميّز الليل من النهار وما في التفسير أولى أي: جعل الله الليل مظلماً، والنهار مضيئا لما يترتب على ذلك من مصالح العباد.

(٤) كمعرفة أوقات الصلاة، وشهر الصيام، والحج، وما إلى ذلك من آجال الديون ونحوها كالعدد للنساء.

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

طائره : أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء.

في عنقه : أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه.

عليك حسيبا : أي كفى نفسك حاسباً عليك.

ولا تزر وازرة وزر أخرى : أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى.

مترفيها : منعميها من أغنياء ورؤساء.

فحق عليها القول : أي بالعذاب.

وكم أهلكنا : أي أهلكنا كثيراً.

من القرون : أي من أهل القرون السابقة.

خبيرا بصيرا : أي عليماً بصيراً بذنوب العباد.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه عز وجل لعظيم قدرته، وسعة علمه، وحكمته في تدبيره ألزم كل انسان ما قضى به له من عمل وما يترتب على العمل من سعادة أو شقاء في الدارين، الزمه ذلك بحيث لا يخالفه ولا

يتأخر عنه بحال حتى كأنه مربوط بعنقه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾[2] أي وفي يوم القيامة يخرج الله تعالى لكل انسان كتاب عمله فيلقاه منشوراً أي مفتوحاً أمامه. ويقال له: إقرأ كتابك الذي أحصى لك عملك كله فلم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة. وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي يكفيك نفسك حاسباً لأعمالك محصياً لها عليك أيها الانسان. وقوله تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾، أي بعد هذا الإعلام والبيان ينبغي أن يعلم أن من اهتدى اليوم فآمن بالله ورسوله ولقاء الله،ووعده ووعيده وعمل صالحاً وتخلّى عن الشرك والمعاصي فإنما عائد ذلك له،هو الذي ينجو من العذاب،ويسعد في دار السعادة، وان من ضل طريق الهدى فكذب ولم يؤمن،وأشرك ولم يوحّد، وعصى ولم يطع فإن ذلك الضلال عائد عليه،هو الذي يشقى به ويعذب في جهنم دار العذاب والشقاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[3] الوزر الإثم والذنب والوازرة الحاملة له لتؤخذ به ومعنى الكلام ولا تحمل يوم القيامة نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل كل نفس تتحمل مسئوليتها بنفسها،[4] والكلام تقرير لقوله: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾. وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[5] أي لم يكن من شأن الله تعالى وهو العدل الرحيم أن يهلك أمة بعذاب إبادة واستئصال قبل أن يبعث فيها رسولاً يعرفها بربها وبمحابه ومساخطه، ويأمرها بفعل المحاب وترك المساخط التي هي الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أمرنا مترفيها﴾ أي أمرنا منعميها من أغنياء ورؤساء وأشراف من أهل الحل والعقد أمرناهم بطاعتنا بإقامة الشرع وأداء الفرائض والسنن واجتناب كبائر الإثم والفواحش فلم يستجيبوا للأمر ولا للنهي وهو معنى ﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾[6] أي وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي أهلكناها إهلاكاً كاملاً، وهذا الكلام بيان لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث

---

(١) قال الزجّاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس طائره: عمله وما قدّر عليه من خير وشر وهو ملازمه أينما كان.

(٢) قالوا في علة: نشره أنه تعجيل للبشرى بالحسنات والتوبيخ بالسيئات.

(٣) قيل في هذه الآية ﴿ولا تزر وازرة . . .﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة إذ قال لأهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعليَّ أوزاركم. وإن لم تنزل فيه فهي شاملة لكل من يقول بقوله تضليلاً وباطلاً.

(٤) استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على بطلان حديث ابن عمر إذ قال: إنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله، وردّ اعتراضها بأنّ الميت إذا أوصى بالبكاء كان ذلك من وزره لا من وزر غيره، وقد كانوا يوصون بذلك، قال طرفة بن العبد:

إذا متّ فانعيني بما أنا أهله وشُقّي عَلَيّ الجيب يابنت معبد

ومن الجائز أن يعذّب وإن لم يوص، إذا هو أهمل تأديب أهله.

(٥) أوّل المعتزلة الرسول (رسولا) بالعقل، وقالوا: العقل يحسن ويقبح ويبيح ويحظر، وهو تأويل باطل لا يتفق مع اللغة ولا مع الشرع.

(٦) شاهده حديث زينب في الصحيح: (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث).

رسولا﴾ إذ الرسول يأمر وينهى بإذن الله تعالى فإن لم يُطَعْ استوجب الناس العذاب فعذبوا. وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ هو تقرير لهذا الحكم أيضاً إذ علمنا تعالى أن ما أخبر به كان واقعاً بالفعل فكثيراً من الأمم أهلكها من بعد هلاك قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وآل فرعون . . وقوله: ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ : فإن القول وإن تضمَّن علم الله تعالى بذنوب عباده فإن معناه الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، فإنه تعالى لا يرضى باستمرار الجرائم والآثام إنه يمهل لعل القوم يستفيقون، لعل الفساق يكفون، ثم إذا استمروا بعد الإعلام إليهم والتنديد بذنوبهم والتخويف بظلمهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ألا فليحذر ذلك المصرون على الشرك والمعاصي!!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣ ـ تقرير العدالة[1] الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.

٤ ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم غير أنها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.

٥ ـ التحذير من كثرة التنعم والترف فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ثم يؤدى الفسق إلى الهلاك والدمار.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

---

(١) تجلت عدالة الله تبارك وتعالى في أنه عز وجل لا يعذِّب أمة من الأمم عذاب إبادة واستئصال إلا بعد أن يبعث إليها رسوله ينذرها ويبشرها، فإذا أصرّت على الكفر والتكذيب عذّبها. وهنا يرد موضوع أهل الفترة بين الرسل فهل يعذبون ولم تبلغهم دعوة الله أولا يعذبون فيكون حالهم أحسن ممن جاءتهم الرسل؟ والجواب على هذا الإشكال هو: فيما ورد عن النبي ﷺ وصح: (أن أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصمّ لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأمّا الأصمّ فيقول يارب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأمّا الأحمق فيقول ربّ قد جاء الصبيان يقذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربّ قد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأمّا الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن: ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.

ومن لم يدخلها يسحب إليها) فظاهر الحديث أنّ من كان من أهل الجنة يطيع يوم القيامة ويدخل النار ثم لا يعذّب بها ويدخل الجنة، ومن كان من أهل النار يعصي يوم القيامة ويدخل النار يخلد فيها، والطاعة والعصيان في هذا الامتحان دالان على حال أهلهما في الدنيا لو توفرت لهم شروط التكليف التي هي: البلوغ، والعقل، والسمع، والبصر، وبلوغ الدعوة. فأولاد المشركين يدخلون ضمن هؤلاء الأربعة أيضاً.

ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمـات

العاجلة	: أي الدنيا لسرعة انقضائها.
يصلاها مذموما مدحور	: أي يدخلها ملوما مبعداً من الجنة.
وسعى لها سعيها	: أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيمان والعمل الصالح.
كان سعيهم مشكوراً	: أي عملهم مقبولاً مثاباً عليه من قبل الله تعالى.
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء	: أي كل فريق من الفريقين نعطي.
وما كان عطاء ربك محظورا	: أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظوراً أي ممنوعا عن أحد.
كيف فضلنا بعضهم على بعض	: أي في الرزق والجاه.
لا تجعل مع الله إلهاً آخر	: أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة.
فتقعد ملوماً مخذولاً	: أي فتصير مذموماً من الملائكة والمؤمنين مخذولاً من الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في أخبار الله تعالى الصادقة والمتضمنة لأنواع من الهدايات الإلهية التي لا يحرمها إلا هالك، فقال تعالى في الآية الأولى (١٨) ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أي الدنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾، لا ما يشاؤه العبد، وقوله ﴿لمن نريد﴾ لا من يريد غيرنا فالأمر كله لنا، ﴿ثم﴾ بعد ذلك ﴿جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً﴾ أي ملوماً ﴿مدحوراً﴾[1] أي مطروداً من رحمتنا التي هي الجنة دار الأبرار أي المطيعين الصادقين. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٩) ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يخبر

(١) قال القرطبي: ﴿مذموماً مدحورا﴾ أي: مطروداً مبعداً من رحمة الله، وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين والمداحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون في الدنيا إلاّ ما قُسم لهم.

تعالى أن من أراد الآخرة أي سعادة الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي عمل لها عملها اللائق بها وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الموافق لما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله، واجتنب الشرك والمعاصي وقوله ﴿وهو مؤمن﴾ قيد في صحة العمل الصالح أي لا يقبل من العبد صلاة ولا جهاد إلا بعد إيمانه بالله وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله وأخبر به من الغيب.

وقوله ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون بالإيمان والعمل الصالح ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾[1] أي كان عملهم متقبلاً يثابون عليه بالجنة ورضوان الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ إي ان كلا من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه أي فضله الواسع فالكل يأكل ويشرب ويكتسي بحسب ما قدر له من الضيق والوسع ثم يموت وثَمَّ يقع التفاضل بحسب السعي الفاسد أو الصالح وقوله ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾[2] يعني أن من أراد الله إعطاءه شيئاً لايمكن لأحد أن يصرفه منه ويحرمه منه بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي انظر يارسولنا ومن يفهم خطابنا كيف فضلنا بعض الناس على بعض في الرزق الذي شمل الصحة والعافية والمال والذرية والجاه، فإذا عرفت هذا فاعرف أن الآخرة أكبر درجات[3] وأكبر تفضيلا وذلك عائد إلى فضل الله أولا ثم إلى الكسب صلاحاً وفساداً وكثرة وقلةً كما هي الحال أيضا في الدنيا فبقدر كسب الإنسان الصالح للدنيا يحصل عليها ولو كان كافراً لقوله تعالى من سورة هود[4] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ أي لا ينقصون ثمرات عملهم لكونهم كفاراً مشركين.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعل مع[5] الله إلهاً آخر﴾ أي لا تجعل يارسولنا مع الله إلهاً آخر تؤمن به وتعبده وتقرر إلهيته دوننا فإنك إن فعلت ـ وحاشاه أن يفعل لأن الله لايريد له ذلك ﴿فتقعد في جهنم مذموماً﴾ أي ملوماً يلومك المؤمنون والملائكة مخذولا من قبل ربك لا ناصر لك والسياق وإن كان في خطاب الرسول ﷺ فإن المراد به كل إنسان فالله تعالى ينهى عبده أن يعبد معه غيره فيترتب على ذلك شقاؤه والعياذ بالله تعالى.

---

(١) وجائز أن يكون مضاعفاً أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، فقد قيل لأبي هريرة، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ قال: سمعته يقول: (إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة).

(٢) لفظ المحظر لغة: المنع، محظوراً أي ممنوعاً يقال: حظره كذا يحظره حظراً وحظاراً: إذا حبسه عنه ومنعه منه.

(٣) ورد أنّ أهل الجنة يتفاوتون في درجاتهم إذ الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، وفي الصحيح: أنّ أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء).

(٤) آية ١٥

(٥) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمّته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ كلا الدارين السعادة فيها أوالشقاء متوقف على الكسب والعمل هذه سنة الله تعالى في العباد.

٢ ـ سعى الدنيا التجارة والفلاحة والصناعة.

٣ ـ سعى الآخرة الإيمان وصالح الأعمال والتخلية عن الشرك والمعاصي.

٤ ـ يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة.

٥ـ ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه.

٦ ـ تحريم الشرك والوعيد عليه بالخلود في نار جهنم.

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

وقضى ربك : اي أمر وأوصى.

وبالوالدين إحسانا : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وذلك ببرورهما.

فلا تقل لهما أف : أي تباً أو قبحاً أو خسراناً.

ولا تنهرهما	: أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية.
قولاً كريما	: جميلاً ليناً.
جناح الذل	: أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما.
كان للأوابين	: أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية.
وآت ذا القربى	: أي أعط أصحاب القرابات حقوقهم من البر والصلة.
ولا تبذر تبذيرا	: أي ولا تنفق المال في غير طاعة الله ورسوله.
لربه كفورا	: أي كثير الكفر كَبيرَهُ لنعم ربه تعالى، فكذلك المبذر أخوه.

معنى الآيات:

لما حرم الله تعالى الشرك ونهى عنه رسوله بقوله ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا﴾ أمر بالتوحيد فقال: ﴿وقضى[1] ربك﴾ أي حكم وأمر ووصى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي بأنْ لا تعبدوا إلا الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا[2]﴾ أي وأوصى بالوالدين وهما الأم والأب إحساناً وهو برهما وذلك بإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في[3] غير معصية الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما[4]﴾ أي إن يبلغ سن الكبر عندك واحد منهما الأب أو الأم أو يكبران معاً وأنت حي موجود بينهما في هذه الحال يجب أن تخدمهما خدمتهما لك وأنت طفل فتغسل بولهما وتطهر نجاستهما وتقدم لهما ما يحتاجان إليه ولا تتضجّر أو تتأفف من خدمتهما كما كانا هما يفعلان ذلك معك وأنت طفل تبول وتخرأ وهما يغسلان وينظفان ولا يتضجران أو يتأففان، وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما بالكلمة العالية النابية ﴿وقل لهما قولاً كريما[5]﴾ اي جميلاً سهلا لينا يشعران معه بالكرامة والإكرام لهما وقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة[6]﴾ أي ألن لهما وتطامن وتعطف عليهما وترحم. وادع لهما طوال

---

(١) فعل قضي يكون لمعان عدّة منها قضى بمعنى: أمر كما هنا، وقضى بمعنى: فرغ كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي فرغتم منها، ويكون بمعنى حكم نحو: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ وبمعنى العهد نحو: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ ويكون بمعنى الخلق نحو: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي: خلقهن.

(٢) هذه الآية نص في برّ الوالدين وحرمة عقوقهما، وشاهد ذلك من السنة قوله ﷺ وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال: ﴿برّ الوالدين﴾ وقال: ﴿إنّ من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسبّ الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمّه فيسبّ أمّه).

(٣) من شواهد الطاعة أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبّها وكان أبي يكرهها فأمرني أن أطلقها فأبيت، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: يا عبدالله بن عمر طلّق امرأتك) وللأم ثلاثة أرباع الطاعة وللأب الربع لحديث الصحيح: رواه الترمذي وصححه: (من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمّك قال: ثمّ من قال أمّك. قال: ثمّ من قال: أمّك. قال: ثم قال: أبوك).

(٤) أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم وعدم رضا، وأف: اسم فعل كصّه ومهْ منوّن وفيه لغات.

(٥) الكريم من كل شيء أرفعه في نوعه.

(٦) أل: في الرحمة نايت عن المضاف، إذ التقدير: من رحمتك إياهما

حياتك بالمغفرة والرحمة إن كانا موحّدين ﴿وماتا على ذلك لقوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وهو معنى قوله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين[1] فإنه كان للأوابين غفوراً﴾

يخبر تعالى بأنه أعلم بنا من أنفسنا فمن كان يضمر عدم الرضا عن والديه والسخط عليهما فالله يعلمه منه، ومن كان يضمر حبهما واحترامهما والرضا بهما وعنهما فالله تعالى يعلمه ويجزيه به فالمحسن يجزيه بالإحسان والمسيء يجزيه بالإساءة، وقوله: ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين[2] غفوراً﴾ بحكم ضعف الإنسان فإنه قد يضمر مرة السوء لوالديه أو تبدر منه البادرة السيئة من قول أو عمل وهو صالح مؤدٍ لحقوق الله تعالى وحقوق والديه وحقوق الناس فهذا العبد الصالح يخبر تعالى أنه غفور له متى آب إلى الله تعالى مستغفراً مما صدر منه نادماً عليه.

وقوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى[3] حقه والمسكين وابن السبيل﴾ هذا أمر الله للعبد المؤمن بإيتاء قرابته حقوقهم من البر والصلة وكذا المساكين وهم الفقراء الذي مسكنتهم الفاقة وأذلهم الفقر فهؤلاء أمر تعالى المؤمن باعطائهم حقهم من الإحسان إليهم بالكساء أو الغذاء والكلمة الطيبة، وكذا ابن السبيل وهو المسافر يعطي حقه من الضيافة والمساعدة على سفره إن احتاج إلى ذلك مع تأمينه وإرشاده إلى طريقه. وقوله تعالى ﴿ولا تبذر تبذيرا[4]﴾ أي ولا تنفق مالك ولا تفرقه في غير طاعة الله تعالى. وقوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم بتبذيرهم المال في المعاصي كانوا عصاة لله فاسقين عن أمره وهذه حال الشياطين فتشابهوا فكانوا إخواناً، وقوله إن الشيطان كان لربه كفوراً لأنه عصى الله تعالى وكفر نعمه عليه ولم يشكره بطاعته فالمبذر للمال في المعاصي فسق عن أمر ربه ولم يشكر نعمه عليه فهو إذا شيطان فهل يرضى عبدالله المسلم أن يكون شيطانا؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب بر الوالدين، وهو الإحسان بهما، وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في المعروف.

---

(١) ﴿صالحين﴾: أي: مؤدين لحقوق الله تعالى وافية وحقوق عباده كذلك.

(٢) الأوّاب: الذي كلما أذنب تاب. والأوّاب، الحفيظ: الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربّه. وصلاة الأوّابين: صلاة الضحى حين ترمض الفصلان أي تحترق أخفافها من الرمضاء فتبرك من شدة الحر.

(٣) هم قرابة المرء من قبل أبيه وأمّه معاً. قاله ابن عباس والحسن.

(٤) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذرا، ولو أنفق مُداً في غير حق كان مبذراً.

٢ ـ وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة.[1]

٣ ـ وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أي سوء في النفس.

٤ ـ من كان صالحاً وبدرت منه البادرة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.

٥ ـ وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وكذا المساكين وابن السبيل.

٦ ـ حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات:

وإما تعرضن عنهم : أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً.

ابتغاء رحمة من ربك ترجوها : أي طلباً لرزق ترجوه من الله تعالى.

---

(١) روى أبو داود وغيره أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله: (هل بقي من برّ والدي من بعد موتهما شيء أبرهما به؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلاّ من قبلهما فهذا الذي بقي عليك) وفي الصحيح عن ابن عمر قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ من أبرّ البرّ صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولّي).

قولا ميسوراً	: أي ليناً سهلاً بأن تعدهم بالعطاء عند وجود الرزق.
مغلولة إلى عنقك	: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئاً.
ولا تبسطها كل البسط	: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.
فتقعد ملوما	: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.
محسورا	: أي منقطعا عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.
يبسط الرزق ويقدر	: أي يوسعه، ويقدر أي يضيقه امتحانا وابتلاء.
خشية املاق	: أي خوف الفقر وشدته.
خطئاً كبيراً	: أي إثمًا عظيمًا.
فاحشة وساء سبيلاً	: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسبيلا بئس السبيل.
لوليه سلطان	: أي لوارثه تسلطاً على القاتل.
فلا يسرف في القتل.	: أي لا يقتل غير القاتل.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في وصايا الرب تبارك وتعالى والتي هي حكم أوحاها الله تعالى إلى رسوله للاهتداء بها، والكمال والإسعاد عليها. فقوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي إن أعرضت عن قرابتك أو عن مسكين سائلك أو ابن سبيل احتاج إليك ولم تجد ماتعطيهم فأعرضت عنهم بوجهك أيها الرسول ﴿فقل لهم قولاً ميسورا﴾[1] أي سهلا' ليناً وهو العدة الحسنة كقولك إن رزقني الله سأعطيك أو عما قريب سيحصل لي كذا وأعطيك وما أشبه ذلك من الوعد الحسن، فيكون ذلك عطاء منك عاجلاً لهم يسرون به، ولا يحزنون.
نوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تبخل بما آتاك الله فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم كأن يدك مشدودة إلى عنقك فلا تستطيع أن تنفق، وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أي تفتح يديك بالعطاء فتخرج كل ما بجيبك أو خزانتك فلا تبق شيئاً لك ولأهلك. وقوله: ﴿فتقعد ملوماً محسوراً﴾ أي إن أنت أمسكت ولم تنفق لامك سائلوك إذ لم تعطهم، وإن أنت أنفقت كل

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ كان إذا سئل وليس عنده ما يعطي سكت انتظاراً للرّزق يأتي من الله تعالى كراهة الردّ فنزلت هذه الآية. فكان ﷺ: إذا سئل وليس عنده ما يعطى قال: (يرزقنا الله وإيّاكم من فضله) فالرحمة في الآية: الرزق المنتظر ولقد أحسن مَنْ قال:

إلّا تكن ورق يوماً أجود بها ... للسائلين فإني ليّن العود
لا يعدم السائلون الخير من خلقي ... إمّا نوالي وإمّا حسن مردودي

شيء عندك انقطعت بك الحياة ولم تجد ماتواصل به سيرك في بقية عمرك فتكون كالبعير الذي أعياه السير فانقطع عنه وترك محسوراً في الطريق لا يستطيع صاحبه رده إلى أهله، ولا مواصلة السير عليه إلى وجهته. وقوله: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي يوسع على من يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر لمن يشاء أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ فلذا هو يوسع ويضيق بحسب علمه وحكمته، إذ من عباده من لايصلحه إلا السعة، ومنهم من لايصلحه إلا الضيق، وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي ومما حكم به وقضى ووصى ﴿ألا تقتلوا أولادكم﴾ أي أطفالكم[1] ﴿خشية إملاق﴾ أي مخافة الفاقة والفقر، إذ كان العرب يئدون البنات خشية العار ويقتلون الأولاد الذكور كالإناث مخافة الفقر فأوصى تعالى بمنع ذلك وقال متعهداً متكفلا برزق الأولاد وآبائهم فقال: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ وأخبر تعالى أن قتل الأولاد ﴿كان خطئاً[2] كبيراً﴾ أي إثمًا عظيمًا فكيف يقدم عليه المؤمن؟.

وقوله: ﴿ولا تقربوا الزنا[3] إنه كان فاحشة وساء سبيلاً[4]﴾ أي ومن جملة ما حكم به ووصى أن لا تقربوا أيها المؤمنون الزنا مجرد قرب منه قبل فعله،لأن الزنا كان في حكم الله فاحشة أي خصلة قبيحة شديدة القبح ممجوجة طبعاً وعقلاً وشرعا، وساء طريق هذه الفاحشة سبيلاً أي بئس الطريق الموصل إلى الزنا طريقا للآثار السيئة والنتائج المدمرة التي تترتب عليه أولها أذية المؤمنين في أعراضهم وآخرها جهنم والإصطلاء بحرها والبقاء فيها أحقاباً طويلة. وقوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي ومما حكم تعالى به وأوصى أن لاتقتلوا أيها المؤمنون النفس التي حرم الله أي قتلها إلا بالحق، وقد بيّن رسول الله ﷺ الحق الذي تقتل به نفس المؤمن وهو واحدة من ثلاث: القتل العمد العدوان، الزنا بعد الاحصان، الكفر بعد الإيمان. وقوله: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً[5]﴾ أي من قتل له قتيل ظلماً وعدواناً أي غير خطأ فقد أعطاه تعالى سلطة كاملة على قاتل وليه إن شاء قتله وإن شاء أخذ دية منه، وإن شاء عفا عنه لوجه الله تعالى: وقوله: ﴿فلا يسرف[6] في القتل إنه كان منصورا[7]﴾ أي لا يحل لولي الدم أي لمن قتل له

(١) الإملاق: الفقر، وعدم الملك، يقال: أملق الرجل: إذا لم يبق له إلاّ الملقات، وهي الحجارة العظام المُلس.
(٢) يقال: خطىء يخطأ خطئاً، وخطأ: إذا أذنب. وأخطأ يُخطيء: خطأ إذا سلك سبيل خطإعمداً.
(٣) قالت العلماء: قول: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾: أبلغ من قول: ولا تزنوا، فإنّ معناه لا تدنوا من الزنى والزنى يمدّ ويقصر لغتان.
(٤) قبح سبيلا أي: طريقاً لأنه يؤدي إلى النار.
(٥) الولي: هو المستحق الدّم رجلا كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.
(٦) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثّل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.
(٧) جملة: إنه كان منصورا: تعليلية أي: علّة للنهي عن الإسراف في القتل.

قتيل أن يسرف في القتل فيقتل بدل الواحد أكثر من واحد أو بدل المرأة رجلا. أو يقتل غير القاتل، وذلك أن الله تعالى أعطاه سلطة تمكنه من قتل قاتله فلا يجوز أن يقتل غير قاتله كما كانوا في الجاهلية يفعلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ العدة الحسنة تقوم مقام الصدقة لمن لم يجد ما يتصدق به على من سأله.

٢ ـ حرمة البخل، والإسراف معاً وفضيلة الاعتدال والقصد.

٣ ـ تجلى حكمة الله تعالى في التوسعة على أناس، والتضييق على آخرين.

٤ ـ حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضاً قبلها خوفا من الفقر أو العار.

٥ ـ حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومسها وحرمة الزنا وهو أشد.

٦ ـ حرمة قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق والحق قتل عمد عدواناً، وزناً بعد إحصان، وكفر بعد إيمان.[1]

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

(١) لحديث الصحيحين: (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة) وفي السنن: (لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم).

شــرح الكلمـات:

الا بالتي هي أحسن : أي ألا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته والإنفاق عليه منه بالمعروف.

حتى يبلغ أشده : أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد.

وأوفوا بالعهد : أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه.

إن العهد كان مسئولا : أي عنه وذلك بأن يُسأل العبدُ يوم القيامة لم نكثت عهدك ؟

أوفوا الكيل : أي اتموه ولا تنقصوه.

بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل.

وأحسن تأويلاً : أي مآلاً وعاقبة.

ولا تقف : أي ولا تتبع.

والفؤاد : أي القلب.

كان عنه مسئولاً : أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة.

مرحاً : أي ذا مرح بالكبر والخيلاء.

لن تخرق الأرض : أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك.

من الحكمة : أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليها ومعرفة المساخط لتتجنبها تقربا إليه تعالى بذلك.

ملوما مدحوراً : أي تلوم نفسك على شركك بربك مبعداً من رحمة الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في بيان ما قضى به الله تعالى على عباده المؤمنين ووصاهم به فقال تعالى: ﴿ولا تقربوا﴾ أي أيها المؤمنون ﴿مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالفعلة التي هي أجمـل وذلـك بأن تتصـرفـوا فيه بالتثمير له والاصـلاح فيه، والانفـاق منه على اليتيم بالمعـروف أمـا أن تقـربـوه لتأكلوه إسرافاً وبداراً فلالا. وقوله: حتى يبلغ أشده أي حتى يبلغ سن الرشـد فتحاسبوه وتعطوه ماله يتصرف فيه حسب المشروع من التصرفات المالية. وقوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد﴾[1] أي وبما أوصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال. وقوله ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾[2] تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد

(١) التعريف في «العهد» للجنس ليشمل سائر العهود.

(٢) الجملة تعليلية علل بها الأمر بالوفاء بالعهود، وحذف متعلق مسئولا لظهوره: وهو عنه أي مسئولا عنه.

سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي العهود، وقوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس[1] المستقيم﴾ هذا مما أمر الله تعالى وهو إيفاء الكيل والوزن أي توفيتهما وعدم بخسهما ونقصهما شيئاً ولو يسيراً ما دام في الإمكان عدم نقصه، أما ما يعسر التحرز منه فهو من العفو لقوله تعالى: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾. وقوله ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ أي ذلك الوفاء والتوفية في الكيل والوزن خير لبراءة الذمة وطيب النفس به وأحسن تأويلا أي عاقبة إذ يبارك الله تعالى في ذلك المال بأنواع من البركات لا يعلمها إلا وهو عز وجل. ومن ذلك أجر الآخرة وهو خير فإن من ترك المعصية وهو قادر عليها أثابه الله تعالى على ذلك بأحسن ثواب. وقوله تعالى: ﴿ولا تقف[2] ماليس لك به علم[3]﴾ أي لا تتبع بقول ولا عمل ما لا تعلم ولا تقل رأيت كذا وأنت لم تر، ولا سمعت كذا وأنت لم تسمع. وقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ أي القلب ﴿كل أولئك كان عنه مسئولاً[4]﴾ أي لا تقف ماليس لك به علم، لأن الله تعالى سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل. ومعنى أولئك أي تلك المذكورات من السمع والبصر والفؤاد. وقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن الكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي برجليك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولا مهما تعاليت وتطاولت فإنك كغيرك من الناس لا تخرق الأرض أي تثقبها أو تقطعها برجليك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. وقوله تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾ أي كل ذلك المأمور به

---

(١) القسطاس بضم القاف قراءة الجمهور وبكسرها قراءة حفص وهو اسم للميزان أي آلة الوزن، واسم للعدل أيضاً وقيل هو معرب من الرومية مركب من قسط أي عدل وطاس وهو كفة الميزان والأصل ضم القاف وكسره العرب لأنه أعجمي وهم يقولون أعجمي العب به ما شئت.

(٢) القفو: الاتباع يقال قفاه يقفوه إذا اتبعه وهو مشتق من القفا وهو وراء العنق.

(٣) بهذه الحكمة وهي ولا تقف ما ليس لك به علم: وضع حد لكثير من المفاسد التي كانت تقع لسبب القول بدون علم منها: الطعن في الأنساب لمجرد ظن. ومنها القذف بالفاحشة. ومنها الكذب، ومنها شهادة الزور إلى غير ذلك من الأضرار التي تتم بسبب القول بالظن وبدون علم.

(٤) كل أولئك: المفروض أن يقال: كلها ولكن عدل إلى أولئك لأهمية تلك الحواس ونظير هذا في كلام العرب قول الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

والمنهي عنه من قوله تعالى: ﴿وقضى ربك﴾ إلى قوله ﴿ كل ذلك كان سيئه[1] عند ربك مكروها﴾ سيئة كالتبذير والبخل وقتل الأولاد والزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، والقول بلا علم كالقذف وشهادة الزور، والتكبر كل هذا الشيء مكروه عند الله تعالى إذاً فلا تفعله ياعبدالله وما كان من حسن فيه كعبادة الله تعالى وحده وبر الوالدين والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل والعدة الحسنة فكل هذا الحسن هو عند الله حسن فأته ياعبدالله ولا تتركه ومن قرأ كنافع كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها فإنه يريد ما اشتملت عليه الآيات من التبذير والبخل وقتل النفس إلى آخر المنهيات.

وقوله تعالى: ﴿ذلك[2] مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي ذلك الذي بيَّنَّا لك يارسولنا من الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة التي أمرناك بالأخذ بها والدعوة إلى التمسك بها، ومن الخلال القبيحة والخصال الذميمة التي نهيناك عن فعلها وحرمنا عليك إتيانها مما أوحينا إليك في كتابنا هذا من أنواع الحكم وضروب العلم والمعرفة، فلله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿ولا[3] تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً[4]﴾ هذه أم الحكم بدأ بها السياق وختمه بها تقريراً وتأكيداً إذ تقدم قوله تعالى: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾. والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن كل أحد معني به فأي إنسان يشرك بربه أحداً من خلقه في عبادته فقد جعله إلهاً مع الله، ولابد أن يلقى في جهنم ملوماً من نفسه مدحوراً مبعداً من رحمة ربه التي هي الجنة. وهذا إذا مات قبل أن يتوب فيوحد ربه في عباداته. إذ التوبة إذا صحت جَبَّت ماقبلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - حرمة مال اليتيم أكلا أوإفساداً أو تضييعاً وإهمالاً.

٢ - وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود.

٣ - وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن.

---

(١) قرأ الجمهور: سيئة، وقرأ حفص: سيئه، والسيئة ضد الحسنة.

(٢) الإشارة إلى ما تقدم، والجملة مذيّل بها الكلام تنبيها على ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة من الحكمة تحريضاً على اتباع ما فيها وأنه خير عظيم كما فيها الامتنان على النبي ﷺ وعلى أمته بهذه الحكم والمعارف النافعة في الدنيا والآخرة.

(٣) هذه الجملة معطوفة على مثيلاتها المتضمنة للنهي عن كبائر الذنوب وهي مؤكدة لمضمون جملة: ﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه﴾.

(٤) المدحور: هو المطرود من رحمة الله المغضوب عليه من الله تعالى.

٤ ـ حصول البركة لمن يمتثل أمر الله في كيله ووزنه.
٥ ـ حرمة القول أو العمل بدون علم لما يُفضِي إليه ذلك من المفاسد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح ومستشهدها على صاحبها يوم القيامة.
٦ ـ حرمة الكبر ومقت المتكبرين.
٧ ـ إنتظام هذا السياق لخمس وعشرين حكمة الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة.

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمـات :

أفأصفاكم : الاستفهام للتوبيخ والتقريع ومعنى أصفاكم خصكم بالبنين واختارهم لكم.

ولقد صرفنا في هذا القرآن : أي بينا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر.

ليذكروا : أي ليذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا.

لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا : أي لَطَلَبوا طريقا إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة عنده.

ومن فيهن : أي في السموات من الملائكة والأرض من انسان وجان وحيوان.

وإن من شيء إلا يسبح : أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات.
حليما غفوراً : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه وعدم طاعتكم له.

معنى الآيات :

يقول تعالى مقرعاً موبخاً المشركين الذين يئدون البنات ويكرهو نهنّ ثم هم يجعلون الملائكة إناثا ﴿أفأصفاكم ربكم[1] بالبنين﴾ أي أخصكم بالبنين، واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيماً أيها المشركون إذ تجعلون لله ما تكرهون افتراءً وكذباً على الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا[2] في هذا القرآن﴾ أي من الحجج والبينات والأمثال والمواعظ الشيء الكثير من أجل أن يُذّكروا فيذكروا ويتعظوا فيُنيبوا إلى ربهم فيوحدونه وينزهونه عن الشريك والولد، ولكن ما يزيدهم القرآن وما فيه من البينات والهدى إلا نفوراً وبعداً عن الحق. وذلك لغلبة التقليد عليهم، والعناد والمكابرة والمجاحدة. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ أي قل يانبينا لهؤلاء المشركين المتخذين لله أنداداً يزعمون أنها آلهة مع الله قل لهم لو كان مع الله آلهة كما تقولون وإن كان الواقع يكذبكم إذ ليس هناك آلهة مع الله ولكن على فرض أنه لو كان مع الله آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا أي لطلبوا طريقا إلى ذي العرش سبحانه وتعالى يلتمسون فيها رضاه ويطلبون القرب منه والزلفى إليه لجلاله وكماله، وغناه وحاجتهم وافتقارهم[3] إليه. ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه أن يكون معه آلهة فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾. وقوله: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن[4]﴾ فأخبر تعالى منزها نفسه مُقدّساً ذاته عن الشبيه والشريك والولد والعجز، فأخبر أنه لعظمته وكماله تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن بكلمة : سبحان الله وبحمده ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ كما أخبر أنه ما من شيء من المخلوقات إلا ويسبح بحمده

---

(١) الجملة متفرعة عن جملة: ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ وهي متضمنة للإنكار على المشركين في تسميتهم الملائكة إناثاً ونسبتهم إلى الله تعالى إذ قالوا: الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك، كما هي متضمنة توبيخ المشركين على سوء فهمهم وقبيح قولهم بدليل قوله: ﴿إنكم لتقولون قولا عظيما﴾.

(٢) من الجائز أن تكون (في) مزيدة، والقرآن: معمول لصرّفنا، إذ التصريف: صرف الشيء من جهة إلى جهة، والمراد به هنا: البيان والتكرير والانتقال من حكمة إلى حكمة ومن عبرة إلى موعظة.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال سعيد بن جبير المعنى: إذاً لطلبوا طريقاً إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه، وما قاله ابن عباس كالذي قاله سعيد جائز لكن ما ذهبنا إليه في التفسير أولى وألصق بمعنى الآيات والسياق.

(٤) من الملائكة والجنّ والإنس.

بلسان قَالِهِ وحَالِهِ[1] معاً فيقول سبحان الله وبحمده وقوله: ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم[2]﴾ لاختلاف الألسنة واللغات. وقوله إنه كان أي ﴿الله حليما﴾: أي لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، غفوراً يغفر ذنوب وزلات من تاب إليه وأناب طالباً مغفرته ورضاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة القول على الله تعالى بالباطل ونسبة النقص إليه تعالى كاتخاذه ولداً أو شريكا.

٢ ـ مشروعية الاستدلال بالعقليات، على إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٣ ـ فضيلة التسبيح وهو قول: سبحان الله وبحمده حتى إن من قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر.

٤ ـ كل المخلوقات في العوالم كلها تسبح الله تعالى أي تنزهه عن الشريك والولد والنقص والعجز ومشابهة الحوادث إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٥ ـ حلم الله يتجلى في عدم تعجيل عقوبة من عصاه ولولا حلمه لعجل عقوبة مشركي مكة وأكابر مجرميها. ولكن الله أمهلهم حتى تاب أكثرهم.

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

---

(١) المراد من لسان الحال: هو تسبيح الدلالة، إذ كل محدث شاهد على أن الله خالق قادر، ولا مانع من أن يسبّح كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد والجن والملائكة إلا ذرية إبليس فإنهم لا يسبّحون بلسان القال ولكن بلسان الحال.

(٢) قوله: ﴿لاتفقهون تسبيحهم﴾ دليل على أن تسبيح كل شيء بلسان قاله ويؤيد هذا تسبيح الطعام، وسلام الحجر على رسول الله ﷺ وأدل من هذا قوله ﷺ: (لا يسمع صوت مؤذن من جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلاّ شهد له يوم القيامة).

شـرح الكلمـات:

حجابا مستورا : أي ساتراً لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى.

وجعلنا على قلوبهم أكنة : أي أغطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم.

وفي آذانهم وقراً : أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواعظه.

ولو على أدبارهم نفوراً : أي فراراً من السماع حتى لايسمعوا.

بما يستمعون به : أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ.

وإذ هم نجوى : أي يتناجون بينهم يتحدثون سراً.

رجلاً مسحوراً : أي مغلوباً على عقله مخدوعاً.

ضربوا لك الأمثال : أي قالوا ساحر، وقالوا كاهن وقالوا شاعر.

فضلوا. : أي عن الهدى فلا يستطيعون سبيلاً.

معنى الآيات:

قولـه تعـالى: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾[1] يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على المشركين ليدعوهم به إلى الله تعالى ليؤمنوا به ويعبدوه وحده جعل الله تعالى بينه وبين المشركين حجاباً[2] ساتراً، أو مستوراً لا يُرى وهو حقاً حائل بينهم وبين الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا القرآن الذي يقرأ عليهم فلا ينتفعون به. وهذا الحجاب ناتج عن شدة بغضهم للرسول ﷺ وكراهيتهم لدعوته فهم لذلك لا يرونه ولا يسمعون قراءته. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن[3] يفقهوه﴾ جمع كنان وهوالغطاء حتى لايصل المعنى المقروء من الايات إلى قلوبهم فيفقهوه، وقوله: ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ أي وجعل تعالى في آذان أولئك المشركين الخصوم ثقلاً في آذانهم فلا يسمعون القرآن الذي يتلى عليهم، وهذا كله من الحجاب الساتر والأكنة، والوقر في الآذان عقوبة من الله تعالى لهم حرمهم بها من الهداية بالقرآن لسابقة الشر لهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ببغضهم للرسول وما جاء به وحربهم له ولما جاء به من التوحيد والدين الحق، وقوله

---

(١) روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت (سورة تبّت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها (حجر ملء الكف) وهي تقول مذمّما عصينا وأمره أبينا، ودينه قلينا، والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر قال: يارسول الله: لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ إنها لن تراني فقرأ ﷺ قرآنا، فوقفت على أبي بكرولم تر رسول الله ﷺ قالت لأبي بكر بلغني أنّ صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولّت.

(٢) ساتراً أي: للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراده بسوء، ومستوراً أي: الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً، ولكن لا يُرى.

(٣) أن يفقهوه أي: لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه.

تعالى: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآنوحده﴾[1]أن قلت لا إله إلا الله، أو ما أفهم معنى[2] لا إله إلا الله ولى المشركون على أدبارهم[3] نفوراً من سماع التوحيد لحبهم الوثنية وتعلق قلوبهم بالشرك.

وقوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يستمعونبه﴾يقول تعالى لرسوله نحن أعلم بما يستمع به المشركون أي بسبب أنهم يستمعون من أجل الاستهزاء بك والسخرية منك ومما تتلوه لا أنهم يستمعون للعلم والمعرفة ولطلب الحق والاهتداء إليه. وقوله: ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿إذ يقول الظالمون[4]﴾ أي المشركون ﴿إن تتبعون﴾ أي لا تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ أي مخدوعاً مغلوباً على أمره، فكيف تتبعونه إذاً؟.

وقوله تعالى: ﴿انظر كيف[5] ضربوا لك الأمثال﴾ أي انظر يارسولنا كيف ضرب لك هؤلاء المشركون المعاندون الأمثال فقالوا عنك: ساحر، وشاعر، وكاهن ومجنون فضلوا في طريقهم ﴿فلا يهتدون سبيلا﴾ إنهم عاجزون عن الخروج من حيرتهم هذه التي أوقعهم فيها كفرهم وعنادهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير قاعدة حبك الشيء يعمي ويصم: فإن الحجاب المذكور في الآية وكذا الأكنة والثقل في الآذان هذه كلها حالت دون سماع القرآن من أجل بغضهم للرسول ﷺ وللقرآن وما جاء به عن الدعوة إلى التوحيد.

٢ ـ بيان مدى كراهية المشركين للتوحيد وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله.

٣ ـ بيان مدى ما كان عليه المشركون من السخرية والاستهزاء بالرسول والقرآن.

٤ ـ بيان اتهامات المشركين للرسول ﷺ بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثاً عن الخلاص من دعوة التوحيد فلم يعثروا على شيء كما قال تعالى: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾.

---

(١) أي: وأنت تقرأ القرآن.

(٢) أي: دلّ على معنى لا إله إلا الله.

(٣) يجوز أن يكون نفور جمع نافر كشهود جمع شاهد، ويجوز أن يكون مصدراً من نفر نفوراً أي: نفروا نفورا.

(٤) قولهم هذا وهم يتناجون يقولون إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً أي: مطبوباً قد خبله السحر فاختلط عليه أمره. يقولون هذا حتى ينفروا الناس عنه ولا يتبعوه.

(٥) عجّبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وأخرى شاعر فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا يرجعون معه من حيرتهم أو يتمكنون به من صدّ النّاس عنك وصرفهم عن دعوتك.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾

شـــرح الكلمـات:

وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتاً : الاستفهام للإنكسار والاستبعاد والرُّفات الأجزاء المتفرقة.

مما يكبر في صدوركم : أي يعظم عن قبول الحياة في اعتقادكم.

فطركم : خلقكم.

فسينغضون : أي يحركون رؤوسهم تعجباً.

متى هو؟ : الاستفهام للاستهزاء أي متى هذا البعث الذي تعدنا.

يوم يدعوكم : أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل.

فتستجيبون : أي تجيبون دعوته قائلين سبحانك اللهم وبحمدك.

وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً : وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير العقيدة ففي الآيات قَبْلَ هذه كان تقرير التوحيد والوحي وفي هذه الآيات تقرير البعث والجزاء الآخر ففي الآية (٤٧) يخبر تعالى عن إنكار المشركين للبعث واستبعادهم له بقوله : ﴿وقالوا[1] أئذا كنا عظاماً ورفاتاً[2]﴾ أي أجزاء متفرقة كالحطام ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً[3] جديداً﴾ وفي الآية الثانية(٤٨) يأمر تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم

(١) هذا من قولهم الذي قالوا وهم يسمعون القرآن، ويتناجون بينهم فيقولون كذا وكذا.
(٢) الرفات: ما تكسّر وبلي من كل شيء كالفتات، والحطام والرّضاض يقال: رُفت الشيء رفتا أي: حطم والاستفهام إنكاري.
(٣) الاستفهام للاستهزاء مع الجحد والإنكار، و﴿خلقاً﴾: منصوب على الحال من ضمير ﴿لمبعوثون﴾.

كونوا ماشئتم فإن الله تعالى قادر على إحيائكم وبعثكم للحساب والجزاء وهو قوله تعالى؟ قل كونوا حجارة أوحديداً[1] أو خلقا مما يكبر في[2] صدوركم أي مما يعظم في نفوسكم أن يقبل الحياة كالموت[3] مثلا فإن الله تعالى سيحييكم ويبعثكم. وقوله تعالى: فسيقولون من يعيدنا؟ يخبر تعالى رسوله أن منكري البعث سيقولون له مستبعدين البعث: من يعيدنا وعلمه الجواب فقال له قل الذي فطركم أي خلقكم أول مرة وهو جواب مسكت فالذي خلقكم ثم أماتكم هو الذي يعيدكم كما بدأكم وهو أهون عليه. وقوله تعالى ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو؟﴾ يخبر تعالى رسوله بما سيقوله منكروا البعث له فيقول تعالى ﴿فسينغضون﴾ أي يحركون إليك رؤوسهم خفضاً ورفعاً استهزاء ويقولون: ﴿متى هو؟﴾ أي متى البعث أي في أي يوم هو كائن. وقوله تعالى: ﴿ قل عسى أن يكون قريبا﴾ علمه تعالى كيف يجيب المكذبين. وقوله﴿يوم يدعوكم[4] فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ أي يكون بعثكم الذي تنكرونه يوم يدعوكم بأمر الله تعالى إسرافيل من قبوركم فتستجيبون أي تجيبونه بحمد[5] الله ﴿وتظنون إن لبثتم أي لبثتم إلا قليلا أي ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا من[6] اللبث وذلك لما تعاينون من الأهوال وتشاهدون من الأحوال المفزعة المرعبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان حتميتها.

٢ - بيان ما كان عليه المشركون من شدة إنكارهم للبعث الآخر.

٣ - تعليم الله تعالى لرسوله كيف يجيب المنكرين المستهزئين بالتي هي أحسن.

٤ - بيان الأسلوب الحواري الهادي الخالي من الغلظة والشدة.

---

(١) الحديد: تراب معدني لا يوجد إلا في مغاور الأرض، وهو تراب غليظ وأصنافه ثمانية وأشهر أنواعه الأحمر وهو صنفان، ذكر وأنثى.

(٢) قال مجاهد: يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس.

(٣) لأنّ الموت لا شيء أكبر منه في نفوس بني آدم، قال أمية بن الصلت:
وللموتُ خلق في النفوس فظيع
وخلقاً بمعنى مخلوق، ، ومن يكبر في صدروكم صفة له.

(٤) روي أنه ﷺ قال: (انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم).

(٥) قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون: سبحانك وبحمدك.

(٦) وقيل: هذا ما بين النفختين، وذلك أنّ العذاب يكفّ عن المعذّبين بين النفختين وذلك أربعين عاماً فينامون فإذا نفخ النفخة الثانية قالوا: من بعثنا من مرقدنا وظنّوا أنهم ما لبثوا إلاّ قليلا.

٥ـ استقصار مدة اللبث في القبور مع طولها لما يشاهد من أهوال البعث.

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

شـرح الكلمـات:

التي هي أحسن : أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.

ينزغ : أي يفسد بينهم.[1]

عدواً مبيناً : أي بيّن العداوة ظاهرها.

ربكم أعلم بكم : هذه هي الكلمة التي هي أحسن.

وما أرسلناك عليهم وكيلا : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان.

فضلنا بعض النبيين : أي بتخصيص كل منهم بفضائل أو فضيلة خاصة به.

وآتينا داود زبورا : أي كتاباً هو الزبور هذا نوع من التفضيل.

معنى الآيات:

مازال السياق في طلب هداية أهل مكة، من طريق الحوار والمجادلة وحدث أن بعض المؤمنين واجه بعض الكافرين اثناء الجدال بغلظة لفظ كأن توعده بعذاب النار فأثار ذلك حفائظ المشركين فأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين إذا خاطبوا المشركين أن لايغلظوا لهم القول فقال تعالى: ﴿وقل لعبادي﴾[2] أي المؤمنين ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ من الكلمات لتجد طريقا إلى قلوب الكافرين، وعلل لذلك تعالى فقال﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ بالوسواس فيفسد العلائق التي

(١) روي أن الآية نزلت في عمرو بن الدغنة وذلك أن رجلا من العرب شتمه وسبه عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذا الآية دعوة عامة لإحسان القول في أثناء دعوة الناس وهدايتهم.

(٢) أي بالكلمات التي هي أحسن.

كان في الامكان التوصل بها إلى هداية الضالين، وذلك أن الشيطان كان ومازال للإنسان عدواً مبيناً أي بيّن العداوة ظاهرها فهو لايريد للكافر أن يسلم، ولا يريد للمسلم أن يؤجر ويثاب في دعوته. وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ فيتوب عليكم فتسلموا. ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بأن يتركِكم تموتون على شرككم فتدخلوا النار. مثل هذا الكلام ينبغي أن يقول المؤمنون للكافرين لا أن يصدروا الحكم عليهم بأنهم أهل النار والمخلدون فيها فيزعج ذلك المشركين فيتمادوا في العناد والمكابرة. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾[1]. يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك رقيبا عليهم فتجبرهم على الإسلام وإنما أرسلناك مبلغا دعوتنا إليهم بالأسلوب الحسن وهدايتهم إلينا، وفي هذا تعليم للمؤمنين كيف يدعون الكافرين إلى الإسلام. وقوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين ضمناً أنه تعالى أعلم بمن في السموات والأرض فضلا عن هؤلاء المشركين فهو أعلم بما يصلحهم وأعلم بما كتب لهم أو عليهم من سعادة أو شقاء، وأسباب ذلك من الإيمان أو الكفر، وعليه فلا تحزنوا على تكذيبهم ولا تيأسوا من إيمانهم، ولا تتكلفوا ما لا تطيقون في هدايتهم فقولوا التي هي أحسن واتركوا أمر هدايتهم لله تعالى هو ربهم وأعلم بهم وقوله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾[2]، يخبر تعالى عن انعامه بين عباده فالذي فاضل بين النبيين وهم أكمل الخلق وأصفاهم فهذا فضله بالخلة كابراهيم وهذا بالتكليم كموسى، وهذا بالكتاب الحافل بالتسابيح والمحامد والعبر والمواعظ كداود، وأنت يامحمد بمغفرته لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، وبإرسالك إلى الناس كافة إلى غير ذلك من الإفضالات وإذا تجلت هذه الحقيقة لكم وعرفتم أن الله أعلم بمن يستحق الهداية وبمن يستحق الضلالة، وكذا الرحمة والعذاب ففوضوا الأمر إليه، وادعوا عباده برفق ولين وبالتي هي أحسن من غيرها من الكلمات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - النهي عن الكلمة الخشنة المسيئة إلى المدعو إلى الإسلام.

---

(١) الرقيب والحفيظ والوكيل والكفيل كلها بمعنى واحد في هذا السياق ومن اطلاق الوكيل وارادة الرقيب قول الشاعر:

ذكرت أبا أروى فبتّ كأنني ... بردّ الأمور الماضيات وكيل

(٢) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ.

٢ - بيان أن الشيطان يسعى للإفساد دائماً فلا يمكن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب والحاملة على اللجج والخصومة الشديدة.

٣ - بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم﴾.

٤ - بيان أن الله تعالى أعلم بخلقه فهو يهب كل عبد ما أهله له حتى إنه فاضل بين أنبيائه ورسله عليهم السلام في الكمالات الروحية والدرجات العالية.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

شـــرح الكلمـات :

فلا يملكون	: أي لا يستطيعون.
كشف الضر	: أي إزالته بشفاء المريض.
ولا تحويلا	: أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به.

يدعون : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم.

يبتغون إلى ربهم الوسيلة : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات.

كان محذورا : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى.

في الكتاب مسطورا : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبا.

أن نرسل بالآيات : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب. أو إزالة جبال مكة لتكون أرضاً زراعية وإجراء العيون فيها.

إلا ان كذب بها الأولون : إذ طالب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله تعالى.

الناقة مبصرة : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بينة.

فظلموا بها : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى.

إلا تخويفا : إلا من أجل تخويف العباد بأنا إذا أعطيناهم الآيات ولم يؤمنوا أهلكناهم.

أحاط بالناس : أي قدرة وعلما فهم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم.

وما جعلنا الرؤيا[1] : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب خلق الله تعالى.

والشجرة الملعونة[2] : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في الصافات والدخان.

ونخوفهم : بعذابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم.

فما يزيدهم : أي التخويف إلا طغيانا وكفراً.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد فيقول تعالى لرسوله قل يامحمد ﷺ لأولئك المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله سبحانه وتعالى فإنهم لايملكون أن يكشفوا الضر عن مريض ولا يستطيعون تحويله عنه إلى آخر عدو له يريد أن يمسه الضر لأنهم أصنام وتماثيل لا يسمعون

---

(١) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا..﴾ الخ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس.

(٢) قيل فيها ملعونة جرياً على عادة العرب في كل طعام مكروه يقولون فيه ملعون، وجائز أن يكون المراد باللعن لعن آكلها أي: الشجرة الملعون آكلها.

ولا يبصـرون فضلا عن أن يستجيبوا دعاء من دعاهم لكشف ضر أو تحويله إلى غيره، هذا مادلت عليه الآية الأولى (٥٤) ﴿قل أدعوا[1] الذين زعمتم من دونه، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته﴾ ﴿ويخافون عذابه﴾. يخبرهم تعالى بأن أولئك الذين يعبدونهم من الجنّ[2] أو الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هم أنفسهم يدعون ربهم ويتوسلون للحصول على رضاه. بشتى أنواع الطاعات والقربات فالذي يَعْبُدُ لاَ يُعْبَد، والذي يتقرب إلى الله بالطاعات لا يتقرب إليه وإنما يتقرب إلى من هو يتقرب إليه ليحظى بالمنزلة عنده، وقوله ﴿يرجون رحمته ويخافون[3] عذابه﴾، أي أن أولئك الذين يدعوهم الجهال من الناس ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم هم أنفسهم يطلبون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. لأن عذابه تعالى كان ومازال يحذره العقلاء، لأنه شديد لا يطاق. فكيف يُدعى ويُرجى ويُخاف من هو يَدعو ويَرجو ويَخاف لو كان المشركون يعقلون.

وقوله تعالى: ﴿وإن من[4] قرية﴾ أي مدينة من المدن ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي بعذاب إبادة قبل يوم القيامة، ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بمرض أو قحط أو خوف من عدو ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ أي مكتوباً في اللوح المحفوظ، فلذا لا يستعجل أهل مكة العذاب فإنه إن كان قد كتب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة وإن لم يكن قد كتب عليهم فلا معنى لاستعجاله فإنه غير واقع بهم وهم مرجون للتوبة أو لعذاب يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وما منعنا[5] أن نرسل بالآيات﴾ أي بالمعجزات وخوارق العادات ﴿إلا أن كذب بها﴾ أي بالمعجزات الأولون من الأمم فأهلكناهم[6] بتكذيبهم بها، فلو أرسلنا نبينا محمداً بمثل تلك الآيات وكذبت بها قريش

---

(١) قيل: إنه لما ابتليت قريش بالقحط، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى هذه الآية أي: ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلهة لكم.

(٢) روى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿أولائك الذين يدعون﴾ قال: نفر من الجنّ أسلموا، وكانوا يُعْبَدون فبقي الذين كانوايعبدونهمعلى عبادتهم وقد أسلم النفر من الجنّ، وفي رواية قال: أنزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ فأسلم الجنيّون، والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون أي: بإسلامهم فبقوا يعبدونهم.

(٤) في الآية الجمع بين الخوف والرجاء وهما كجناحي الطائر إن انكسر احدهما لم يطر بالآخر، ولذا فلابد للمؤمن منهما فالخوف يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحرمات، والرجاء يحمل على المسابقة في الخيرات، وبذلك تتم ولايته لربه ويأمن عاقبة أمره.

(٣) ﴿وإن من قرية﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلاّ بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم وقد جاء هذا الوصف في عدة آيات منها: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ وفي الآية تهديد ووعيد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٥) أي: وما صرفنا عن إرسالك يا رسولنا بالمعجزات التي يطالب بها المشركون إلاّ تكذيب الأولين بها وهؤلاء مثلهم لو أرسلناك بها فكذّبوا بها واستحقوا الهلاك ونحن لا نريد لهم ذلك.

لأهلكهم، وهو تعالى لايريد أهلاكهم بل يريد هدايتهم ليهتدي على أيديهم خلقاً كثيراً من العرب والعجم والأبيض والأصفر فسبحان الله العليم الحكيم وقوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي آية مبصرة أي مضيئة بينة فظلموا بها أي كذبوا بها فعقروها فظلموا بذلك أنفسهم وعرضوها لعذاب الإبادة فأبادهم الله فأخذتهم الصيحة وهم ظالمون هذا دليل على أن المانع من الإرسال بالآيات هو ما ذكر تعالى في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾[1] يخبر تعالى أنه ما يرسل الرسل مؤيدين بالآيات التي هي المعجزات والعبر والعظات إلا لتخويف الناس عاقبة الكفر والعصيان لعلهم يخافون فيؤمنون ويطيعون قوله تعالى ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي اذكر يا محمد إذ قلنا لك بواسطة وحينا هذا إن ربك أحاط بالناس. فهم في قبضته وتحت قهره وسلطانه فلا ترهبهم ولا تخش منهم أحداً فإن الله ناصرك عليهم، ومنزل نقمته بمن تمادى في الظلم والعناد، وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يريد رؤيا الإسراء والمعراج حيث أراه الله من آياته وعجائب صنعه وخلقه، ما أراه ﴿إلا فتنة للناس﴾ أي لأهل مكة اختباراً لهم هل يصدقون أو يكذبون، إذ ليس لازماً لتقرير نبوتك وإثبات رسالتك وفضلك أن نريك الملكوت الأعلى وما فيه من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الكريم وهي شجرة الزقوم وأنها ﴿تخرج في أصل الجحيم﴾ إلا فتنة كذلك لأهل مكة حيث قالوا كيف يصح وجود نخلة ذات طلع في وسط النار، كيف لا تحرقها النار قياساً للغائب على الشاهد وهو قياس فاسد، وقوله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الملعونة وأنها ﴿طعام الأثيم تغلي في البطون كغلي الحميم﴾ وبغيرها من أنواع العذاب الدنيوي والأخروي، وما يزيدهم ذلك إلا طغياناً كبيراً أي ارتفاعاً وتكبراً عن قبول الحق والاستجابة له لما سبق في علم الله من خزيهم وعذابهم فاصبر أيها الرسول وامض في دعوتك فإن العاقبة لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير التوحيد بالحكم على عدم استجابة الآلهة المدعاة لعابديها.

٢ - بيان حقيقة عقلية وهي أن دعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتوسل إليهم بالذبح والنذر هو أمر

---

(١) في السياق ما يدل على أنّ هناك رغبة في المعجزات من الكافرين والمؤمنين ولذا ذكر تعالى علل عدم إعطائها لرسوله ﷺ، فالعلة الأولى تكذيب الأولين بها ودليل بتكذيب ثمود بها والثانية أنه ما يرسل بالمعجزات من أرسلهم بها إلا لعلة التخويف فقط والثالثة إعلامه تعالى رسوله بأن ربك محيط بعباده قادر عليهم فلا تخفهم ولا تطلب الآية لهم، والرابعة: أن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن للهداية وإنما هي للفتنة لا غير.

باطل ومضحك في نفس الوقت، إذ الأولياء كانوا قبل موتهم يطلبون الوسيلة إلى ربهم بأنواع الطاعات والقربات ومن كان يَعْبُدُ لا يُعْبَدُ. ومن كان يَتقرب لا يُتقرَّب إليه، ومن كان يَتوسَّلُ لا يُتوسلُ إليه بل يعبد الذي كان يُعْبَد ويَتوسل إلى الذي كان يُتوسل إليه ويتقرب إلى الذي كان يتقرب إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٤ ـ بيان المانع من عدم إعطاء الرسول ﷺ الآيات على قريش.

٥ ـ بيان علة الإسراء والمعراج، وذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

شـرح الكلمـات :

لمن خلقت طيناً	: أي من الطين.
أرأيتك	: أي أخبرني
كرمت علي	: أي فضّلته علي بالأمر بالسجود له.
لأحتنكن	: لأستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في

	حنكها، تُقاد حيث شاء راكبها!.
اذهب	: أي منظراً إلى وقت النفخة الأولى.
جزاءً موفوراً	: أي وافراً كاملاً.
واستفزز	: أي واستخفف
بصوتك	: أي بدعائك إياهم إلى طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني واللهو.
وأجلب عليهم	: أي صِحْ فيهم بركبانك ومُشاتك.
وشاركهم في الأموال	: بحملهم على أكل الربا وتعاطيه.
والأولاد	: بتزيين الزنا ودفعهم إليه.
وعدهم	: أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء.
إلا غرورا	: أي باطلاً.
ليس لك عليهم سلطان	: أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تتسلط عليهم بها.
وكفى بربك وكيلاً	: أي حافظاً لهم منك أيها العدوّ.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ أي اذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين الجهلة الذين أطاعوا عدوهم وعدو أبيهم من قبل، وعصوا ربهم، اذكر لهم كيف صدّقوا ظنّ إبليس فيهم، واذكر لهم ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا ﴿وسجدوا إلا إبليس﴾ قال منكراً أمرنا، مستكبراً عن آدم عبدنا ﴿أأسجد[1] لمن خلقت طيناً﴾؟ أي لمن خلقته من الطين لأن آدم خلقه الله تعالى من أديم الأرض عذبها وملحها ولذا سمي آدم آدم. ثم قال في صلفه وكبريائه ﴿أرأيتك﴾ أي أخبرني أهذا ﴿الذي كرمت عليّ﴾[2]؟! قال هذا استصغار لآدم واستخفافا بشأنه، ﴿لئن أخرتني﴾ أي وعزتك لئن أخرّت موتي ﴿إلى يوم يبعثون لأحتنكن ذريته﴾ أي لأستولين عليهم وأسوقهم إلى أودية الغواية والضلال حتى يهلكوا مثلي ﴿إلا قليلاً﴾[3] منهم ممن

(١) الاستفهام انكاري.

(٢) أي: فضّلت، والإكرام: اسم جامع لكل ما يحمد، وفي الكلام حذف تقديره أخبرني عن هذا الذي فضلته عليّ لمَ فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين، ويصح بدون تقدير المحذوف أي: أترى هذا الذي كرّمته عليّ لأفعلن به كذا وكذا.

(٣) ﴿إلاّ قليلا﴾: يعني المعصومين وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ واستثناء إبليس القليل كان ظنا منه فقط كما قال تعالى: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه﴾ وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس لآدم في الجنة ولم يجد له عزماً فحصل له بذلك هذا العلم المعبّر عنه بالظنّ إذ يطلق لفظ الظن، ويراد به العلم.

تستخلصهم لعبادتك فأجابه الرب تبارك وتعالى: ﴿قال اذهب[1]﴾ أي مُنْظراً وممهلاً إلى وقت النفخة الأولى وقوله تعالى: ﴿فمن تبعك منهم﴾ أي عصاني وأطاعك ﴿فإن جهنم جزآؤكم جزآءً موفوراً﴾ أي وافراً كاملاً.

وقوله تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال هذا لإبليس بعد أن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم أذن له في أن يعمل ما استطاع في إضلال أتباعه، ﴿واستفزز[2] من استطعت منهم بصوتك﴾ أي واستخفف منهم بدعاتك إلى الباطل بأصوات المزامير والأغاني وصور الملاهي وأنديتها وجمعياتها، ﴿وأجلب[3] عليهم﴾ أي صِح على خيلك ورَجِلك[4] الركبان والمشاة وسقهم جميعاً على بني آدم لإغوائهم وإضلالهم ﴿وشاركهم في الأموال﴾ بحملهم على الربا وجمع الأموال من الحرام وفي ﴿الأولاد﴾ بتزيين الزنا وتحسين الفجور وعدهم بالأماني الكاذبة وبأن لا بعث يوم القيامة ولا حساب ولا جزاء قال تعالى: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي باطلاً وكذباً وزوراً. وقوله تعالى: ﴿إن عبادي﴾ أي المؤمنين بي، المصدقين بلقائي ووعدي ووعيدي ليس لك عليهم قوة تتسلط عليهم بها، ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أي حافظاً لهم: منك فلا تقدر على إضلالهم ولا إغوائهم ياعدوي وعدوهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - مشروعية التذكير بالأحداث الماضية للتحذير من الوقوع في الهلاك.

٢ - ذم الكبر وأنه من شر الصفات.

٣ - تقرير عداوة إبليس والتحذير منها.

٤ - بيان مشاركة إبليس أتباعه في أموالهم وأولادهم ونسائهم.

٥ - بيان أن أصوات الأغاني والمزامير والملاهي وأندية الملاهي وجمعياتها الجميع من جند إبليس الذي يحارب به الآدمي المسكين الضعيف.

٦ - بيان حفظ الله تعالى لأوليائه، وهم المؤمنون المتقون، جعلنا الله تعالى منهم وحفظنا بما يحفظهم به إنه بر كريم.

---

(١) الأمر هنا: للإهانة والطرد والاحتقار والصغار.

(٢) الاستفزاز: طلب الفز، وهو الخفة والانزعاج، وترك التثاقل، والسين والتاء فيه لشدة طلب الاستخفاف والإزعاج.

(٣) الإجلاب: جمع الجيوش وسوقها مشتق من الجلبة التي هي الصياح إذ الجيوش تجمع بالجلبة فيهم والصياح بهم.

(٤) قرأ حفص: ﴿ورَجِلِك﴾ بكسر الجيم لغة في رجل وقرأ غيره و﴿رجْلك﴾ بسكون الجيم، والمعنى بخيلك: أي فرسانك ورجالك.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات:

يزجي لكم الفلك	: أي يسوقها فتسير فيه.
لتبتغوا من فضله	: أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر.
وإذا مسكم الضُر	: أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق.
ضل من تدعون إلا إياه	: أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم.
أعرضتم	: أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك.
أو يرسل عليكم حاصباً	: أي ريحاً ترمي بالحصباء لشدتها.
ثم لا تجدوا لكم وكيلا	: أي حافظاً منه أي من الخسف أو الريح الحاصب.
قاصفاً من الريح	: أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتكسرها لقوتها.
علينا به تبيعاً	: أي نصيراً ومعيناً يتبعنا ليثأر لكم منا.
ولقد كرمنا بني آدم	: أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق.
حملناهم في البر والبحر	: في البر على البهائم والبحر على السفن.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه. فقوله تعالى : ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يخبرهم تعالى بأن ربهم الحق الذي يجب أن يعبدوه ويطيعوه بعد أن يؤمنوابه هو الذي﴿ يزجي[1] لهم الفلك﴾ أي السفينة﴿في البحر﴾ أي يسوقها فتسير بهم في البحر إلى حيث يريدون من أجل أن يطلبوا رزق الله لهم بالتجارة من إقليم لآخر. هذا هو إلهكم الحق[2]، أما الأصنام والأوثان فهي مخلوقة لله مربوبة له، لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها، نفعاً ولا ضراً.

وقوله تعالى: ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ ومن رحمته تعالى تسخيره البحر لهم وإزجاء السفن وسوقها فيه ليحصلوا على أقواتهم عن طريق السفر والتجارة. وقوله تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر[3] في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ يذكرهم بحقيقة واقعة لهم وهي أنهم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم شدة من مرض أوضلال طريق أو عواصف بحرية اضطربت لها السفن وخافوا الغرق دعوا الله وحده ولم يبق من يدعوه سواه تعالى لكنهم إذا نجاهم من الهلكة التي خافوها ونزلوا بشاطىء السلامة اعرضوا عن ذكر الله وذكروا آلهتهم ونسوا ما كانوا يدعونه وهو الله من قبل ﴿وكان الانسان كفوراً﴾ هذا طبعه وهذه حاله سرعة النسيان، وشدة الكفران وقوله تعالى : وهو يخاطبهم لهدايتهم ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ يقرعهم على إعراضهم فيقول ﴿أفأمنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يخسف[4] بكم﴾ جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً شديدة تحمل الحصباء[5] فيهلككم كما أهلك عاداً ﴿ثم لا تجدوا لكم﴾ من غير الله ﴿وكيلاً﴾ يتولى دفع العذاب عنكم ويقول: ﴿أم أمنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يعيدكم فيه﴾ أي في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتحطمها ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أي بسبب كفركم كما أغرق آل فرعون ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي تابعاً يثأر لكم منا ويتبعنا مطالباً بما نلنا منكم من العذاب.

---

(١) الإزجاء: السوق قال تعالى : ﴿ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً﴾ وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيّته   سائل بني أسد ما هذه الصوت

(٢) أي : الذي يجب أن يشكروه بعبادته وحده دون من سواه.

(٣) لفظ الضرّ يعم المرض وخوف الغرق والإمساك عن الجري وأهوال حالة اضطراباته.

(٤) الخسف: انهيار الأرض بالشيء فوقها، وجانب البر: ناحية الأرض إذ البحر جانب والأرض جانب.

(٥) يقال لكل ريح تحمل التراب والحصباء: حاصب، قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا   بحاصب كنديف القطن منثور

فما لكم إذاً لاتؤمنون وتوحدون وبالباطل تكفرون. وقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ على ماسخرنا لهم من المراكب ﴿ورزقناهم من الطيبات[1]﴾ أي المستلذات من اللحوم والحبوب والفواكه والخُضَر والمياه العذبة الفرات. وقوله تعالى: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ فالآدميون أفضل من الجن وسائر الحيوانات، وخواصهم أفضل من الملائكة، وعامة الملائكة أفضل من عامة الآدميين ومع هذا فإن الآدمي إذا كفر ربه وأشرك في عبادته غيره، وترك عبادته، وتخلى عن محبته ومراقبته أصبح شر الخليقة كلها. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - تعريف الله تعالى بذكر صفاته الفعلية والذاتية.

٢ - تذكير المشركين بحالهم في الشدة والرخاء حيث يعرفون الله في الشدة ويخلصون له الدعاء، وينكرونه في الرخاء ويشركون به سواه.

٣ - تخويف المشركين بأن الله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من الريح فيهلكهم أو يردهم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم بسبب كفرهم بالله، وعودتهم إلى الشرك بعد دعائه تعالى والتضرع إليه حال الشدة.

٤ - بيان منن الله تعالى على الانسان وأفضاله عليه في تكريمه وتفضيله.

٥ - حال الرخاء أصعب على الناس من حال الشدة بالقحط والمرض، أوغيرهما من المصائب.

٦ - الاعلان عن كرامة الآدمي وشرفه على سائر المخلوقات الأرضية.

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ[2] فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ

---

(١) في الآية دليل على إبطال الزهد في لذيذ الطعام كالعسل والسمن واللحم والفواكه والاكتفاء بالخبز بالملح ونحوه مع توفر طيب الطعام والشراب لأنه مخالف لمنهج السلف وفيه كفر ما أنعم الله تعالى به على عباده من طيب الرزق.

(٢) ﴿فمن أوتي﴾ معطوف على مقدر اقتضاه قوله: ﴿ندعو كل اناس بإمامهم﴾ أي فيؤتون كتبهم ﴿فمن أوتي كتابه ...﴾ الخ.

أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

شـرح الكلمـات:

بإمامهم	: أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر.
فتيلا	: أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.
ومن كان في هذه أعمى	: من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبده فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً.
وإن كادوا	: أي قاربوا.
ليفتنونك	: أي يستنزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.
لتفتري علينا غيره	: أي لتقول علينا افتراءً غير الذي أوحينا إليك.
إذاً لاتخذوك خليلاً	: أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لاتخذوك خليلاً لهم.
ضعف الحياة وضعف الممات	: أي لعذبناك عذاب الدنيا مضاعفاً وعذاب الآخرة كذلك.
ليستفزونك من الأرض	: أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.
لا يلبثون خلافك	: أي لايبقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً ويهلكهم الله.
سنة من قد أرسلنا من قبلك	: أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل، سنتنا في الأمم.
ولا تجد لسنتنا تحويلا	: أي عما جرت به في الأمم السابقة.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله في تقرير عقيدة البعث والجزاء، اذكر يارسولنا «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه فيتقدم ذلك الإمام ووراءه أتباعه وتوزع الكتب عليهم واحداً واحداً فمن أعطى كتابه بيمينه تشريفاً له وتكريماً، فأولئك الذين أكرموا بإعطائهم كتبهم بأيمانهم، يقرأون كتابهم ويحاسبون بما فيه «ولايظلمون» أي لا ينقصون مقدار فتيل لا تنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم[1]. واذكر هذا لهم تعظهم به لعلهم يتعظون، وقوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي الدنيا ﴿أعمى﴾ لا يبصر هذه الحجج والآيات والدلائل وأصر على الشرك، والتكذيب والمعاصي ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أشد عمى ﴿وأضل سبيلا﴾ فلا يرى طريق النجاة ولا يسلكه حتى يقع في جهنم. وقوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾[2] أي يصرفونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾[3] من توحيدنا والكفر بالباطل وأهله. ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتقول علينا غير الحق الذي أوحيناه إليك، وإذاً لو فعلت بأن وافقتهم على ماطلبوا منك، من الإغضاء على شركهم و التسامح معهم إقراراً لباطلهم، ولو مؤقتاً، ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ لهم وكانوا أولياء لك، وذلك أن المشركين في مكة والطائف، واليهود في المدينة كانوا يحاولون جهدهم أن يستنزلوا الرسول على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكراً منهم وخديعة سياسية إذ لووافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع إلينا، فهو إذاً يَتَقَوَّل، وليس بالذي يوحى إليه بدليل قبوله منا كذا وكذا وتنازله عن كذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق حيث عصمناك ﴿لقد كدت﴾ أي قاربت ﴿تركن﴾[4] أي تميل ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾[5] بقبول بعض اقتراحاتهم ﴿إذاً﴾ أي لو ملت إليهم، وقبلت منهم ولو شيئاً يسيراً ﴿لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾[6]، أي لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك نصيراً ينصرك إذا نحن خذلناك وعذبناك وقوله تعالى في حادثة أخرى وهي أنهم لما فشلوا في المحاولات السلمية أرادوا استعمال القوة فقرروا إخراجه من مكة بالموت أو الحياة فأخبر تعالى

---

(١) لم يذكر من أوتي كتبهم بشمائلهم إذهم الذين خسروا أنفسهم اكتفاء بذكر من أوتوا كتبهم بأيمانهم، وقد ذكر في أول السورة: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وذكر في سورتي الحاقة والانشقاق.

(٢) عدي فعل يفتنونك بعن لأنه مضمن معنى فعل يتعدّى بها وهو الصرف يقال: صرفه عن كذا. أي يصرفونك.

(٣) الآية مسوقة مساق الامتنان على النبي ﷺ حيث عصمه، وفيها بيان مدى ما كان المشركون يريدونه من صرف النبي ﷺ عن الحق الذي جاءه وهو يدعو إليه من التوحيد.

(٤) الركون: الميل بالركن الذي هو الجانب من جسد الإنسان واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب.

(٥) هذه الجملة جزاء لجملة: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ إذ تقدير الكلام لو ركنت إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

(٦) يجائز أن يكون المراد بعذاب الدنيا: تراكم المصائب والأرزاء في مدّة الحياة وعذاب الممات أن يموت مكموداً مستذلاً بين من فازوا عليه بشرف سقوطه بينهم وضياع ما كان يأمله ويدعو إليه.

رسوله بذلك إعلاماً وإنذاراً، فقال: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذاً﴾ أي لو فعلوا لم يلبثوا بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً ونهلكهم كما هي سنتنا في الأمم السابقة التي أخرجت أنبياءها أو قتلتهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾[1] أي يستخفونك ﴿من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لايلبثوا خلافك[2] إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أي عما جرت به في الأمم السابقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الترغيب في الاقتداء بالصالحين ومتابعتهم والترهيب من الاقتداء بأهل الفساد ومتابعتهم.

٢ - عدالة الله تعالى في الموقف بإقامة الحجة على العبد وعدم ظلمه شيئاً.

٣ - عمى الدنيا عن الحق وشواهده سبب عمى الآخرة وموجباته من السقوط في جهنم.

٤ - حرمة الركون أي الميل لأهل الباطل بالتنازل عن شيء من الحق الثابت إرضاءً لهم.

٥ - الوعيد الشديد لمن يرضى أهل الباطل تملقاً لهم طمعاً في دنياهم فيترك الحق لأجلهم.

٦ - إمضاء سنن الله تعالى وعدم تخلفها بحال من الأحوال.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

---

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من فزّ يفزّ بمعنى: بارح المكان، والمعنى: كادوا: أن يخرجوك من بلدك كرهاً ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضاك واختيارك فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.

(٢) قرأ نافع: (خلفك) أي بعدك، وقرأ حفص (خلافك) وهي لغة في خلف بمعنى: بعد.

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

شـــرح الكلمـات:

لدلوك الشمس : أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب.

إلى غسق الليل : أي إلى ظلمة الليل، إذ الغسق الظلمة.

وقرآن الفجر : صلاة الصبح.

كان مشهوداً : تشهده الملائكة، ملائكة الليل وملائكة النهار.

فتهجد به [1] : أي بالقرآن.

نافلة : أي زائدة عن الفرض وهي التهجد بالليل.

مقاماً محموداً : هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون والآخرون.

أدخلني مدخل صدق : أي المدينة، إدخالاً مرضياً لا أرى فيه مكروهاً.

وأخرجني مخرج صدق : أي من مكة إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها.

وقل جاء الحق وزهق الباطل : أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى.

زهق الباطل : أي ذهب واضمحل.

أعرض ونأ بجانبه : أعرض عن الشكر فلم يشكر، ونأ بجانبه: أي ثنى عطفه متبختراً في كبرياء.

على شاكلته : أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال.

معنى الآيات:

بعد ذلك العرض الهائل لتلك الأحداث الجسام أمر تعالى رسوله بإقام الصلاة فإنها مأمن الخائفين، ومنار السالكين، ومعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح فقال: ﴿أقم الصلاة لدلوك

(١) تهجّد: إذا ألقى الهجود عنه، وهو النوم، وقام يصلّي، والتهجّد من الهجود وهو من الأضداد هجد: نام، وهجد: سهر.

الشمس﴾[1] أي لأول دلوكها وهو ميلها من كبد السماء إلى الغرب وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر، وقوله ﴿إلى غسق الليل﴾[2] أي إلى ظلمته، ودخلت صلاة العصر[3] فيما بين دلوك الشمس وغسق الليل، ودخلت صلاة المغرب وصلاة العشاء في غسق الليل الذي هو ظلمته، وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾[4] أي صلاة الصبح وهذه هي الصلوات الخمس المفروضة على أمة الإسلام، النبي وأتباعه سواء وقوله ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ يعني محضوراً، تحضره ملائكة النهار لتنصرف ملائكة الليل، لحديث الصحيح «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . . . .» وقوله ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾[5] أي صلاة زائدة على الفرائض الخمس وهي قيام الليل، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية، وعلى أمته مندوب إليه، مرغب فيه.

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وإن عسى من الله تعالى، تفيد الوجوب، ولذا فقد أخبر تعالى رسوله مبشراً إياه بأن يقيمه يوم القيامة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمده عليه الأولون والآخرون. وهو الشفاعة العظمى حيث يتخلى عنها آدم فمن دونه . . . حتى تنتهي إليه ﷺ فيقـول: أنـالها، أنالها، ويأذن له ربه فيشفع للخليقة في فصل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾[6]. هذه بشارة أخرى أن الله تعالى أذن لرسوله بالهجرة من تلقاء نفسه لا بإخراج قومه وهو كاره. فقال له: قل في دعائك ربي أدخلني المدينة دار هجرتي «مدخل صدق» بحيث لا أرى فيها مكروهاً، وأخرجني من مكة يوم تخرجني «مخرج صدق» غير ملتفت إليها بقلبي شوقاً وحنيناً إليها.

﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ أي وسلني أن أجعل لك من لدني سلطاناً نصيراً لك على من بغاك بسوء، وكادك بمكر وخديعة، وحاول منعك من إقامة دينك، ودعوتك إلى ربك،

---

(١) ما في التفسير أشهر وأولى بالأخذ به وهو ما ذهب إليه عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس ومالك، ويرى غير هؤلاء من بعض الصحابة والتابعين: أنّ دلوك الشمس هو غروبها وعليه فلم تشمل الآية أوقات الصلوات الخمس بخلاف القول بدلوك الشمس: زوالها عن كبد السماء.

(٢) غسق الليل: سواده وظلمته قال ابن قيس الرّقيّات:

إنّ هذا الليل قد غسقا   واشتكيت الهمّ والأرقا

(٣) وقت العصر إذا زاد ظل كل شيء مثله، ووقت المغرب: غروب الشمس، ووقت العشاء: ذهاب الشفق الأحمر، ووقت الصبح طلوع الفجر ووقت الظهر: زوال الشمس عن كبد السماء.

(٤) ﴿قرآن﴾: منصوب على الاغراء أي: والزم قرآن الفجر لأهميته ويصح أن ينصب على العطف أي: أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر أي: صلاته.

(٥) ﴿نافلة لك﴾: أي نافلة لأجلك خاصة بك دون سائر أمتك.

(٦) روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثمّ أمر بالهجرة فنزلت: ﴿وقل ربّ أدخلني . .﴾ الخ وهو تعليم من الله لرسوله هذا الدعاء يقوله في صلاته وخارجها.

وقوله تعالى :﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ هذه بشارة أخرى بأن الله تعالى سيفتح له مكة ، ويدخلها ظافراً منتصراً وهو يكسر الأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنماً! ويقول جاء الحق وزهق الباطل أي ذهب الكفر واضمحل . ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ . لا بقاء له ولا ثبات إذا صاول الحق ، ووقف في وجهه ، وجائز أن يكون المراد بالحق ، القرآن وبالباطل الكذب والافتراء ، وجائز أن يكون الحق الإسلام والباطل الكفر والشرك وأعم من ذلك ، أن الحق هو كل ماهو طاعة لله عز وجل ، والباطل كل طاعة للشيطان من الشرك والظلم وسائر المعاصي . وقوله تعالى : ﴿ونتزل من[1] القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ أي وننزل عليك يارسولنا محمد من القرآن ما هو شفاء[2] أي ما يستشفى به من مرض الجهل والضلال والشك والوساوس ورحمة للمؤمنين دون الكافرين ، لأن المؤمنين يعملون به فيرحمهم الله تعالى بعملهم بكتابه ، وأما الكافرون ، فلا رحمة لهم فيه ، لأنهم مكذبون به تاركون للعمل بما فيه . وقوله : ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي ولا يزيد القرآن الظالمين وهم المشركون المعاندون الذين أصروا على الباطل عناداً ومكابرة ، هؤلاء لايزيدهم ما ينزل من القرآن ويسمعونه إلا خساراً لازدياد كفرهم وظلمهم وعنادهم . وقوله تعالى :﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض[3] ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ يخبر الله تعالى عن الإنسان الكافر المحروم من نور الإيمان وهداية الإسلام أنه إذا أنعم عليه بنعمة النجاة من الهلاك وقد أشرف عليه بغرق أو مرض أو جوع أو نحوه ، أعرض عن ذكر الله ودعائه كما كان يدعوه في حال الشدة ،ونأى بجانبه أي بعد عنا فلا يلتفت إلينا بقلبه ، وذهب في خيلائه وكبريائه وقوله تعالى : ﴿وإذا مسه الشر كان[4] يؤوساً﴾ أي قنوطاً . هذا هو الكافر، ذو ظلمة النفس لكفره وعصيانه . إذا مسه الشر من جوع أو مرض أو خوف أحاط به كان يؤوساً أي كثير اليأس والقنوط تامهما ، لعدم إيمانه بالله ورحمته وقدرته على إنجائه وخلاصه .

وقوله تعالى : ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي قل يارسولنا للمشركين ، كل منا ومنكم يعمل على طريقته ومذهبه بحسب حاله هداية وضلالاً . والله تعالى ربكم أعلم بمن هو أهدى منا ومنكم سبيلا . ويجزي الكل بحسب عمله وسلوكه . وهذه كلمة

---

(١) ﴿مِنْ﴾ : بيانية أي : مبيّنة للموصول ، ما هو شفاء وليست للابتداء ولا هي زائدة أي : وننزّل القرآن الذي هو شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين .

(٢) وقد يستشفى بالقرآن من الأمراض الجسمية ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بعثهم وكانوا ثلاثين راكباً فنزلوا على قوم من العرب فسألوهم أن يضيّفوهم فأبوا فلدغ سيّد الحي فأتاهم آت وقال لهم : هل فيكم من يرقي من العقرب؟ قلنا: نعم لكن حتى تعطونا فقالوا : إنّا نعطيكم ثلاثين شاة فرقاه بفاتحة الكتاب قرأها عليه سبع مرات فشفي فأخذوا الثلاثين شاة فأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم كلوا وأطعمونا من الغنم

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن وأل فيه للجنس فيشمل اللفظ كل إنسان كافر لم يهتد بعد إلى الإسلام .

(٤) كونه يؤوساً: لا يتعارض مع كثرة دعائه كما في قوله تعالى : ﴿فذو دعاء عريض﴾ إذ [illegible]

مفاصلة قاطعة، للنزاع الناجم عن كون كل يدعى أنه على الحق وأن دينه أصوب، وطريقته أمثل وسبيله أجدى وأنفع.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - وجوب إقامة الصلاة وبيان أوقاتها المحددة لها.

٢ - الترغيب في النوافل، وخاصة التهجد أي «نافلة الليل».

٣ - تقرير الشفاعة العظمى للنبي ﷺ.

٤ - ضعف الباطل وسرعة تلاشيه إذا صاوله الحق ووقف في وجهه.

٥ - القرآن شفاء لأمراض القلوب عامة ورحمة بالمؤمنين خاصة.

٦ - بيان طبع المرء الكافر وبيان حال الضعف الملازم له.

٧ - تعليم الرسول والمؤمنين كيف يتخلصون من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

شــرح الكلمــات :

يسألونك عن الروح : أي يسألك المشركون بواسطة أهل الكتاب عن الروح الذي يحيا به البدن.

من أمر ربي : أي من شأنه وعلمه الذي استأثر به ولم يعلمه غيره.
لنذهبن بالذي أوحينا إليك : أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف لفعلنا.
لك به علينا وكيلا : يمنع ذلك منا ويحول دون ما أردناه منك.
إلا رحمة من ربك : أي لكن أبقيناه عليك رحمة من ربك فلم نذهب به.
بمثل هذا القرآن : من الفصاحة والبلاغة والمحتوى من الغيوب والشرائع والأحكام.
ظهيراً : أي معيناً ونصيراً.
صرفنا : بينا للناس مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا به فيؤمنوا ويوحدوا.
فأبى أكثر الناس : أي أهل مكة إلا كفوراً أي جحوداً للحق وعناداً فيه.

معنى الآيات:

يقول تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح[1]﴾ إذ قد سأله المشركون عن الروح وعن أصحاب الكهف، وذي القرنين بإيعاز من يهود المدينة فأخبره تعالى: بذلك وعلمه الرد عليهم فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي[2]﴾ وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن سؤالهم هذا ونظائره دال على إدعائهم العلم فأعلمهم أن ما أوتوه من العلم إلا قليل بجانب علم الله تعالى[3] وقوله تعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ[4] بالذي أوحينا إليك﴾ هذا امتنان من الله على رسوله الذي أنزل عليه القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بأنه تعالى قادر على محوه من صدره. وسطره، فلا تبقى منه آية ثم لا يجد الرسول وكيلاً له يمنعه من فِعْلِ الله به ذلك ولكن رحمة منه تعالى لم يشأ ذلك بل يبقيه إلى قرب قيام الساعة حجة الله على عباده وآية على نبوة محمد ﷺ، وصدق رسالته، وليس هذا بأول إفضال من الله تعالى على رسوله، بل فضل الله عليه كبير، ولنذكر من ذلك طرفاً وهو

---

(١) روى ابن إسحق أنّ قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بيثرب يسألانهم عن أمر النبي ﷺ فقال اليهود لهما: سلوه عن ثلاثة وذكروا لهما أهل الكهف وذا القرنين وعن الروح، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي وإلاّ فروا رأيكم فيه فأنزل الله تعالى سورة الكهف وفيها الجواب عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وأنزل هذه الآية: ﴿يسألونك عن الروح﴾.

(٢) يطلق الروح على ملَك من الملائكة عظيم ويطلق على جبريل ويطلق على هذا الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير وهو المسؤول عنه في هذه الآية، وسؤالهم كان عن بيان حقيقته وماهيته

(٣) لفظ الآية عام وإن كان سبب نزولها خاصاً إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإنه ما أوتي أحد علماً إلاّ وهو إلى جانب علم الله تعالى قليل.

(٤) روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قوله: إنّ هذا القرآن الذي أظهركم يوشك أن ينزع منكم. قالوا: كيف ينزع منا وقد أثبته الله في قلوبنا وكتبناه في المصاحف قال: يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثمّ قرأ: ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ﴾ الآية.

عمـوم رسـالته، كونه خاتم الأنبياء، العروج به إلى الملكوت الأعلى، إمامته للأنبياء الشفاعة العظمى، والمقام المحمود.

وقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1] لاشك أن هذا الذي علم الله رسوله أن يقوله له سبب وهو ادعاء بعضهم أنه في إمكانه أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي هو آية صدق نبوة محمد ﷺ، وبذلك تبطل الدعوى، وينتصر باطلهم على الحق. فأمر تعالى رسوله أن يرد على هذا الزعم الباطل بقوله: قل يارسـولنـا لهؤلاء الـزاعمين الإتيان بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متظاهرين على الاتيان بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ذلك لأنه وحي الله وكتابه، وحجته على خلقه. وكفى. فكيف إذا يمكن للإنس والجن أن يأتوا بمثله؟!

وقوله: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي بينا مثلاً من جنس كل مثل من أجل هداية الناس وإصلاحهم علهم يتذكرون فيتعظون، فيؤمنون ويوحدون فأبى أكثر الناس إلا كفوراً أي جحوداً بالحق، وإنكاراً للقرآن وتكذيبا به وبما جاء فيه من الحق والهدى والنور، لما سبق القضاء الإلهي من امتلاء جهنم بالغاوين وجنود إبليس أجمعين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ علم الروح مما استأثر الله تعالى به.

٢ ـ ما علم أهل العلم إلى علم الله تعالى إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من ماء المحيط.

٣ ـ حفظ القرآن في الصدور والسطور إلى قرب الساعة.

٤ ـ عجز الإنس والجن عن الإتيان بقرآن كالقرآن الكريم.

٥ ـ لما سبق في علم الله من شقاوة الناس تجد أكثرهم لا يؤمنون.

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

(١) نزلت هذه الآية رداً على كفار قريش عندما قال النضر بن الحارث وغيره لو نشاء لقلنا مثل هذا. ومعنى ظهيراً: أي: عوناً ونصيراً كما يتعاون الشعراء على قصيد الشعر.

﴿زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

شرح الكلمات:

ينبوعاً : عيناً لا ينضب ماؤها فهي دائمة الجريان.

جنة : بستان كثير الأشجار.

كسفاً : قطعاً جمع كسفة كقطعة.

قبيلا : مقابلة لتراهم عياناً

من زخرف : من ذهب.

ترقى : تصعد في السماء

مطمئنين : ساكنين في الأرض لا يبرحون منها.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والبعث وتقرير ذلك. فقال تعالى مخبراً عن قيلهم لرسول الله وهم يجادلون في نبوته: فقالوا: ﴿لن[1] نؤمن لك﴾ أي لن نتابعك على ماتدعو إليه من التوحيد والنبوة لك والبعث والجزاء لنا ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ أي

(١) نزلت هذه الآية في رؤساء قريش مثل: عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأبي جهل وأمية بن خلف وغيرهم حيث اجتمعوا حول الكعبة ليلا وبعثوا إلى الرسول ﷺ وكان حريصاً على هدايتهم فأتاهم فقالوا له كلاماً طويلاً ثم خلصوا إلى ما ذكر تعالى في هذه الآية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ .

عيناً يجري ماؤها على وجه الأرض لا ينقطع ﴿أو تكون لك جنة﴾ أي بستان من نخيل وعنب، ﴿فتفجر الأنهار خلالها﴾ أي خلال الأشجار تفجيراً، ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾[1] أي قطعاً، ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾[2] أي مقابلة نراهم معاينة، ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي من ذهب تسكنه بيننا ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد بسلم ذي درج في السماء، ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾[3] إن أنت رقيت ﴿حتى تنزل علينا كتاباً﴾ من عند الله ﴿نقرأه﴾ يأمرنا فيه بالإيمان بك واتباعك! هذه ست طلبات كل واحدة اعتبروها آية متى شاهدوها زعموا أنهم يؤمنون، والله يعلم أنهم لا يؤمنون، فلذا لم يستجب لهم وقال لرسوله: قل يامحمد لهم: ﴿سبحان الله﴾ متعجباً من طلباتهم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾؟! أي هل كنت غير بشر رسول؟ وإلا كيف يطلب مني هذا الذي طلبوا، إن ماتطلبونه لا يقدر عليه عبد مأمور مثلي، وإنما يقدر عليه رب عظيم قادر، يقول للشيء كن. . . . فيكون! وأنا ما ادعيت ربوبية، وإنما أصرح دائماً بأني عبدالله ورسوله إليكم لأبلغكم رسالته بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به سواه وتؤمنوا بالبعث الآخر وتعملوا له بالطاعات وترك المعاصي. وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أي ومامنع أهل مكة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى[4] على يد رسولهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾؟ منكرين على الله أن يبعث رسولاً من البشر!

وقوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين أن يكون الرسول بشراً، المتعجبين من ذلك، قل لهم: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ساكنين في الأرض لايغادرونها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يهديهم بأمرنا ويعلمهم ما يطلب منهم فعله بإذننا لأنهم يفهمون عنه لرابطة الجنس بينهم والتفاهم الذي يتم لهم. ولذا بعثنا إليكم رسولاً من جنسكم تفهمون مايقول لكم يقدر على إفهامكم والبيان لكم فكيف إذاً تنكرون الرسالة للبشر وهي أمر لا بد منه؟!

---

(١) الكسف: بفتح السين جمع كسفة بإسكانها، قرأ نافع كسفاً بفتح السين وكذا عاصم وقرأ غيرهما كسفاً بإسكان السين أي: قطعة.

(٢) فسر قبيلاً بعدة تفسيرات قال ابن عباس: كفيلا، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل ضمناء يضمنون لنا إتيانك به وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية.

(٣) الرقي: مصدر رقى يرقى رقياً ورُقيا أي: صعد المنبر ونحوه.

(٤) الهدى: أي ما يحقق الهداية من الكتب والرسل من عند الله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ.

٢ ـ بيان شدة عناد مشركي قريش، وتصلبهم وتحزبهم إزاء دعوة التوحيد.

٣ ـ بيان سخف عقول المشركين برضاهم للألوهية بحجر وإنكارهم الرسالة للبشر!

٤ ـ تقرير أن التفاهم حسب سنة الله لايتم إلا بين المتجانسين فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله فلا يتفاهم انسان مع حيوان أو جان.

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات:

شهيداً : على أني رسول الله إليكموقد بلغتكم وعلى أنكم كفرتم وعاندتم.

فلن تجد لهم أولياء : أي يهدونهم.

على وجوههم : أي يمشون على وجوههم.

عمياً وبكماً وصماً : لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون.

كلما خبت	: أي سكن لهبها زدناهم سعيراً أي تلهباً واستعاراً.
وقالوا	: أي منكرين للبعث.
مثلهم	: أي أناساً مثلهم.
أجلاً	: وقتا محدداً.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة المحمدية إذ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: قل لأولئك المنكرين أن يكون الرسول بشراً، ﴿كفى[1] بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على أني رسوله وأنتم منكرون عليّ ذلك.

إنه تعالى كان ومازال ﴿بعباده خبيراً﴾ أي ذا خبرة تامة بهم ﴿بصيراً﴾ بأحوالهم يعلم المحق منهم من المبطل، والصادق من الكاذب وسيجزي كلاً بعدله ورحمته.

وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد[2]﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده تعالى فمن يهده الله فهو المهتدي بحق، ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم[3] أولياء من دونه﴾ أي يهدونهم بحال من الأحوال، وفي هذا الكلام تسلية للرسول وعزاء له في قومه المصرّين على الجحود والانكار لرسالته.

وقوله: ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ أي أولئك المكذبين الضالين الذين ماتوا على ضلالهم وتكذيبهم فلم يتوبوا نحشرهم يوم القيامة، يمشون على وجوههم[4] حال كونهم عمياً لايبصرون، بكماً لاينطقون، صماً[5] لايسمعون وقوله تعالى: ﴿مأواهم جهنم﴾ أي محل استقرارهم في ذلك اليوم جهنم الموصوفة بأنها ﴿كلما خبت﴾ أي سكن لهبها عنهم زادهم الله سعيراً أي تلهباً

---

(١) روي أن نفراً من قريش قالوا حين سمعوا قوله: ﴿هل كنت إلاّ بشرا رسولا﴾ فمن يشهد لك أنك رسول الله؟ فنزل: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيرا﴾.

(٢) حذفت الياء ليوقف على الدّال بالسكون وهي لغة فصيحة وفي حال الوصل يؤتى بالياء نطقا بها.

(٣) جمع الضمير (لهم) مراعاة إلى أن (من) تكون للواحد والمتعدد.

(٤) أي: يسحبون على وجوههم إهانة لهم كما يفعل في الدنيا بمن ينتقم منه حيث يسحبونه على وجهه في الأرض إهانة، ومن سورة القمر قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر﴾ وجائز أن يمشوا على وجوههم عند حشرهم إلى جهنم فإذا دخلوها سحبوا على وجوههم لحديث أنس: (أليس الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه؟) في جواب سائل قال أفيحشر الكفّار على وجوههم؟

(٥) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصرّحة بذلك منها: ﴿ورأى المجرمون..﴾ ومنها: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيرا﴾ ومنها: ﴿وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك..﴾

واستعماراً. وقوله تعالى: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ أي ذلك العذاب المذكور جزاؤهم بأنهم كفروا بآيات الله أي بسبب كفرهم بآيات الله. وقولهم إنكاراً للبعث الآخر واستبعاداً له: ﴿أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً﴾ أي تراباً ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ ورد الله تعالى على هذا الاستبعاد منهم للحياة الثانية فقال: ﴿أو لم يروا﴾ أي أينكرون البعث الآخر؟ ولم يروا بعيون قلوبهم ﴿أن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾؟؟! بلى إنه لقادر لو كانوا يعلمون!

وقوله تعالى: ﴿وجعل لهم أجلاً﴾[1] أي وقتاً محدوداً معيناً لهلاكهم وعذابهم ﴿لاريب فيه﴾ وهم صائرون إليه لا محالة، وقوله: ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ أي مع هذا البيان والاستدلال العقلي أبى الظالمون إلا الجحود والكفران ليحق عليهم كلمة العذاب فيذوقوه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - عظم شهادة الله تعالى ووجوب الاكتفاء بها.

٢ - الهداية والاضلال بيد الله فيجب طلب الهداية منه والاستعاذة به من الضلال.

٣ - فظاعة عذاب يوم القيامة إذ يحشر الظالمون يمشون على وجوههم كالحيات وهم صم بكم عمي والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

٤ - جهنم جزاء الكفر بآيات الله والانكار للبعث والجزاء يوم القيامة.

٥ - دليل البعث عقلي كما هو نقلي فالقادر على البدء، قادر عقلاً على الإعادة بل الاعادة - عقلاً - أهون من البدء للخلق من لا شيء.

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ

(١) جملة: ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ معطوفة على جملة ﴿أو لم يروا﴾ لتأويلها بمعنى: قد رأوا ذلك لو كانوا يعقلون. الأجل: الزمن المجعول غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال والمراد به هنا مدّة حياتهم.

هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

شـرح الكلمـات :

خزائن رحمة ربي : أي من المطر والأرزاق

لأمسكتم : أي منعتم الانفاق.

خشية الإنفاق : خوف النفاد.

قتوراً : أي كثير الاقتار أي البخل والمنع للمال.

تسع آيات بينات : أي معجزات بينات أي واضحات وهو اليد والعصا والطمس إلخ.

مسحوراً : أي مغلوباً على عقلك، مخدوعاً.

ما أنزل هؤلاء : أي الآيات التسع.

مثبوراً : هالكاً بانصرافك عن الحق والخير.

فأراد أن يستفزهم : أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر.

اسكنوا الأرض : أي أرض القدس والشام.

الآخرة : أي الساعة.

لفيفاً : أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ، قل يامحمد لأولئك الذين يطالبون بتحويل جبل الصفا إلى ذهب، وتحويل المنطقة حول مكة إلى بساتين من نخيل وأعناب تجري الأنهار من خلالها، قل لهم، لو كنتم أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال والأرزاق لأمسكتم بخلا بها ولم تنفقوها خوفاً من نفادها إذ هذا طبعكم، وهو البخل، ﴿وكان الإنسان﴾ قبل هدايته وإيمانه ﴿قتوراً﴾ أي كثير التقتير بخلاً وشحاً نفسياً ملازماً له حتى يعالج هذا الشح بما وضع الله تعالى من دواء نافع جاء بيانه في سورة المعارج[1] من هذا

(١) هو قوله تعالى: ﴿إنّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلاّ المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

الكتاب الكريم.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات[1]﴾ أي، ولقد أعطينا موسى بن عمران نبي بني إسرائيل تسع آيات وهي: اليد، والعصا والــدم[2]، وانفلاق البحر، والطمس على أموال آل فرعون، والطوفان والجراد والقمل والضفادع، فهل آمن عليها آل فرعون؟! لا، إذاً، فلو أعطيناك ما طالب به قومك المشركون من الآيات الست التي اقترحوها وتقدمت في هذه السياق الكريم مبينة، ما كانوا ليؤمنوا بها، ومن هنا فلا فائدة من إعطائك إياها.

وقوله تعالى: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي سل يانبينا علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره، إذ جاءهم موسى يطالب فرعون بإرسالهم معه ليخرج بهم إلى بلاد القدس، وأرى فرعون الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته وأحقية مايطالب به فقال له فرعون: ﴿إني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾ أي ساحراً لإظهارك ما أظهرت من هذه الخوارق، ومسحوراً بمعنى مخدوعاً مغلوباً على عقلك فتقول الذي تقول مما لا يقوله العقلاء فرد عليه موسى بقوله بما أخبر تعالى به في قوله ﴿لقد علمت﴾ أي فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلا رب السماوات أي خالقها ومالكها والمدبر لها ﴿بصائر﴾ أي آيات واضحات مضيئات هاديات لمن طلب الهداية، فعميت عنها وأنت تعلم صدقها ﴿وإني لأظنك يافرعون مثبوراً[3]﴾! أي من أجل هذا أظنك يافرعون ملعوناً، من رحمة الله مبعداً مثبوراً هالكاً. فلما أعيته أي فرعون الحجج والبينات لجأ إلى القوة، ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ أي يستخفهم من أرض مصر بالقتل الجماعي استئصالاً لهم، أو بالنفي والطرد والتشريد، فعامله الرب تعالى بنقيض، قصده فأغرقه الله تعالى هو وجنوده أجمعين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فأغرقناه ومن معه﴾ أي من الجنود ﴿أجمعين﴾ وقوله تعالى:

---

(١) روى الترمذي وصححه والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي: أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي فإنه إن سمعنا كان له أربعة أعين، فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات﴾ فقال: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم يا معشر يهود خاصة ألّا تعدوا في السبت فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي قال: ما يمنعكما أن تؤمنا؟ قالا: إن داود دعا الله ألّا يزال في ذريته نبي وإنّا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود). وعليه فالمراد بالآيات: آيات التشريع في التوراة، وهذا وجه. ولا منافاة مع تفسير الآيات بالمعجزات التسع كما في التفسير.

(٢) لا خلاف في اليد والعصا والطوفان والجراد والقمّل والدم وإنما الخلاف في الثلاث الباقية وانفلاق البحر مجمع عليه وإنما في الطمس والحجر لأن الحجر كان في التيه بعد نجاة بني اسرائيل.

(٣) الظنّ هنا بمعنى التحقيق، وذكر لكلمة مثبور عدة معان كلها صحيحة منها: الهلاك والخسران والخبال والمنع من الخير، قال ابن الزّبعرى:

إذ أجاري الشيطان في سنن الغيّ ومَنْ مال مَيْلَهُ مثبورُ — أي هالك وخاسر.

﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام ﴿اسكنوا الأرض﴾ أي أرض القدس والشام إلى نهاية آجالكم بالموت. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي يوم القيامة بعثناكم أحياء كغيركم، ﴿وجئنا بكم لفيفاً﴾ أي مختلطين من أحياء وقبائل وأجناس شتى لا ميزة لأحد على آخر، حفاة عراة لفصل القضاء ثم الحساب والجزاء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - الشح من طبع الانسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه.[1]

٢ - الآيات وحدها لا تكفي لهداية الإنسان بل لا بد من توفيق إلهي.

٣ - مظاهر قدرة الله تعالى وانتصاره لأوليائه وكبت أعدائه.

٤ - بيان كيفية حشر الناس يوم القيامة لفيفاً أخلاطاً من قبائل وأجناس شتى.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات:

وبالحق أنزلناه	: أي القرآن.
وبالحق نزل	: أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم والأحكام
وقرآناً فرقناه	: أن نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك.
على مكث	: أي على مهل وتؤده ليفهمه المستمع إليه.

(١) قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولائك هم المفلحون﴾.

ونزلناه تنزيلاً : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكمل به ولتسعد عليه.
أوتوا العلم من قبله : أي مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي.
للأذقان سجداً : أي سجداً على وجوههم، ومن سجد على وجهه فقد خرَّ على ذقنه ساجداً.
إن كان وعد ربنا لمفعولاً: منجزاً، واقعاً، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت به كتبه وأنزل عليه كتابه.

معنى الآيات:

يقول تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي ذلك الكتاب الذي جحد به الجاحدون، وكذب به المشركون أنزلناه بالحق الثابت حيث لا شك أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله، و﴿بالحق نزل﴾ فكل ماجاء فيه ودعا إليه وأمر به. وأخبر عنه من عقائد وتشريع وأخبار ووعد ووعيد كله حق ثابت لا خلاف فيه ولا ريبة منه. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك لخلق الهداية في قلوب عبادنا ولا لإجبارهم بقوة السلطان على الإيمان بنا و توحيدنا، وإنما أرسلناك للدعوة والتبليغ ﴿مبشراً﴾ من أطاعنا بالجنة ومنذراً من عصانا مخوفاً من النار. وفي هذا تقرير لرسالته ﷺ ونبوته وقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي أنزلنا القرآن وفرقناه في خلال ثلاث وعشرين سنة لحكمة منا اقتضت ذلك وقوله ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ [1] آيات بعد آيات ليكون ذلك أدْعَى إلى فهم من يسمعه ويستمع إليه، وقوله تعالى: ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ أي شيئاً فشيئاً حسب [2] مصالح العباد وما تتطلبه تربيتهم الروحية والانسانية ليكملوا به، عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ويسعدوا به في الدارين وقوله تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ أي قل يارسولنا للمنكرين للوحي القرآني مِنْ قومك، آمنوا به أولا تؤمنوا فإن إيمانكم به كعدمه لا يغير من واقعه شيئاً فسوف يؤمن به ويسعد عليه غيركم إن لم تؤمنوا أنتم به وهاهم أولاء الذين أوتوا العلم من قبله من علماء أهل الكتابين اليهود والنصارى قد آمنوا به، يريد أمثال عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي أصحم الحبشي وانهم ﴿إذا يتلى عليهم﴾ أي يُقرأ عليهم ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ أي يخرون ساجدين على أذقانهم ووجوههم ويقولون حال سجودهم [3] ﴿سبحان ربنا﴾

---

(١) قال القرطبي: لا خلاف في أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة.

(٢) ﴿تنزيلا﴾: مصدر مؤكد لنزوله نجما بعد نجم وهو معنى مفرّقا آية بعد آية وسورة بعد سورة حتى اكتمل نزوله.

(٣) في الآية دليل على مشروعية التسبيح في السجود وشاهده من السنة رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده وركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي) وورد أنه فعله استجابة لقول الله تعالى ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره﴾ آخر سورة النصر.

أي تنزيهاً له أن يخلف وعده إذ وعد أنه يبعث نبي آخر الزمان وينزل عليه قرآناً، ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ إقراراً منهم بالنبوة المحمدية والقرآن العظيم، أي ناجزاً إذ وعد بإرسال النبي الخاتم وإنزال الكتاب عليه فأنجز ما وعد، وهكذا وعد ربنا دائماً ناجز لا يتخلف. وقوله ﴿ويخرون للأذقان[1] يبكون[2]﴾ أي عندما يسمعون القرآن لايسجدون فحسب بل يخرون يبكون ويزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم واطمئناناً في جوارحهم لأنه الحق سمعوه من ربهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ القرآن حق من الله وما نزل به كله حق.

٢ ـ الندب إلى ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس لدعوتهم إلى الله تعالى.

٣ ـ تقرير نزول القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

٤ ـ تقرير النبوة المحمدية بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب.

٥ ـ بيان حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض.

٦ ـ مشروعية السجود للقارىء أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة هذه الآية وهي ﴿يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ فيخر ساجداً مكبراً في الخفض وفي الرفع قائلا: الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

---

(١) ﴿الأذقان﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والسجود على الجبهة والأنف وإنما ذكر الأذقان هنا لأنّ اللحية تصل إلى الأرض قبل الجبهة والأنف إذا كانت طويلة كما هي السنة.

(٢) دلت الآية على أن البكاء في الصلاة لا يقطعها، والخلاف في النفخ والأنين والتنحنح والصحيح أنّ ما كان بحروف تسمع كان كلاماً ويقطع الصلاة وما لم يكن بحرف فلا فقد كان النبي ﷺ يبكي في صلاته ويسمع له أزيز كأزيز المرجل.

شــرح الكلمـات :

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما الله أو الرحمن.

أياما تدعوا : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنى وهذان منها.

ولا تجهر بصلاتك : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله.

ولا تخافت بها : أي ولا تسر به إسراراً حتى ينتفع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك بصلاتك.

وابتغ بين ذلك سبيلا : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً.

لم يتخذ ولداً : كما يقول الكافرون.

ولم يكن له شريك : كما يقول المشركون.

ولم يكن له ولي من الذل : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك الملك ذو الجلال والاكرام.

وكبره تكبيرا : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد والشريك والولي من الذل.

معنى الآيات :

كان ﷺ يقول في دعائه يا الله. يارحمن، يارحمن يارحيم فسمعه المشركون وهم يتصيدون له أية شبهة ليثيروها ضده فلما سمعوه يقول: ياالله، يارحمن قالوا: أنظروا إليه كيف يدعو إلهين وينهانا عن ذلك فأنزل الله تعالى:[1] ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي قل لهم يانبينا أدعوا الله او أدعوا الرحمن فالله هو الرحمن الرحيم ﴿فأياما تدعوا﴾ منهما الله أو الرحمن فهو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى وقوله تعالى: ﴿ولا تجهر[2] بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ أي وسطاً بين السر والجهر، وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبُّوا قارئه ومن أنزله، فأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون تابعون له إذا قرأوا في صلاتهم أن لا يجهروا حتى لا

---

(١) فنزلت الآية مبيّنة أنهما الله والرحمن اسمان لمسمى واحد فإن دُعي يا الله فهو ذاك وإن دعي يا رحمن فهو ذاك.

(٢) روى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الخ قوله نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به). فقال الله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك أي: اسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ أي: بين الجهر والمخافتة كان هذا في مكة ثمّ استقرّت السنة بالجهر في صلاة الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين الأولتين والسر في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من صلاة العشاء.

يسمع المشركون قراءتهم ولا يسروا حتى لا يحرم سماع القرآن من يصلي وراءهم فأمر رسول الله بالتوسط بين الجهر والسر.

وقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي[1] لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾. أي أمر الله تعالى الرسول أن يحمد الله الذي لم يتخذ ولداً كما زعم ذلك بعض العرب، إذ قالوا الملائكة بنات الله! وكما زعم ذلك اليهود إذ قالوا عزير بن الله والنصارى إذ قالوا عيسى بن الله! ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كما قال المشركون من العرب: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!

﴿ولم يكن له وليّ من الذل﴾ كما قال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله!

﴿وكبره﴾ أنت أو عظمه يارسولنا تعظيماً عن[؟] أن يكون له وصف النقص والافتقار والعجز.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - إن لله الأسماء الحسنى وهي مائة اسم إلا اسماً واحداً[2] فيدعى الله تعالى وينادى بأيّها، وكلها حسنى كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾

٢ - بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للرسول والقرآن والمؤمنين..

٣ - مشروعية الأخذ بالاحتياط للدين كما هو للدنيا.

٤ - وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه وتنزيهه عن كل عجز ونقص.

٥ - هذه الآية ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل﴾ تسمى آية العز هكذا سماها رسول الله ﷺ.

---

(١) روي عن عمر أنه قال: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها، وورد أنّ هذه الآية ﴿وقل الحمد لله﴾ الخ خاتمة التوراة وفاتحتها أوّل سورة الأنعام.

(٢) الإجماع على أنه لا يصح وضع اسم لله تعالى بالنظر والاجتهاد وإنما أسماؤه وصفاته توقيفية مصدرها الوحي الإلهي: الكتاب والسنة.

سُورَةُ الْكَهْفِ[1]

مكـــية

وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

شـــرح الكلمـات :

الحمد لله	: الحمد الوصف بالجميل، والله عَلَم على ذات الرب تعالى.
الكتاب	: القرآن الكريم.
ولم يجعل له عوجاً	: أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه.
قيما	: أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه من التوحيد والعبادة والآداب والشرائع والأحكام.
بأساً شديداً	: عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة.

(١) روى مسلم: ﴿من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال﴾ وروى الدرامي في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق).. وروي أيضاً: أن من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال).

من لدنه	: من عنده سبحانه وتعالى.
أجراً حسنا	: أي الجنة إذ هي أجر المؤمنين العاملين بالصالحات.
كبرت كلمة	: أي عظمت فريه وهي قولهم الملائكة بنات الله.
إن يقولون إلا كذباً	: أي مايقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج.
باخع نفسك	: قاتل نفسك كالمنتحر.
بهذا الحديث أسفاً	: أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن الشديد.

معنى الآيات:

أخبر تعالى في فاتحة سورة الكهف[1] بأنه المستحق للحمد، وأن الحمد لله وذكر موجب ذلك، وهو إنزاله على عبده ورسوله محمد ﷺ الكتاب الفخم العظيم وهو القرآن العظيم الكريم فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وقوله تعالى، ﴿ولم يجعل له عوجاً[2]﴾ أي ولم يجعل لذلك الكتاب العظيم عوجاً أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه فهو كلام مستقيم محقق للآخذ به كل سعادة وكمال في الحياتين. وقوله ﴿قيماً﴾ أي معتدلا خاليا من الإفراط والتفريط قيما على الكتب السابقة مهيمناً عليها الحق فيها ما أحقه والباطل ما أبطله.

وقوله ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ أي أنزل الكتاب الخالي من العوج القيم من أجل أن ينذر الظالمين من أهل الشرك والمعاصي عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ينزل بهم من عند ربهم الذين كفروا به وأشركوا وعصوه وكذبوا رسوله وعصوه. ومن أجل أن يبشر بواسطته أيضاً ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يخبرهم بما يسرهم ويفرح قلوبهم وهو أن لهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقوله تعالى: ﴿وينذر﴾ بصورة خاصة أولئك المتقولين على الله المفترين عليه بنسبتهم الولد إليه فقالوا: ﴿ اتخذ الله ولداً﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله! هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهو قول تَوَارَثُوهُ لا علم لأحد منهم به، وإنما هو مجرد كذب يتناقلونه

---

(١) روى ابن اسحق في سبب نزول سورة الكهف حديثاً طويلاً خلاصته أنّ وفداً من قريش أتوا اليهود بالمدينة وقالوا لهم أنتم أهل الكتاب فأخبرونا عن صاحبنا هذا ـ محمد ﷺ ـ فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل فإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوافة قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟؛ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فانظروا في أمره ما بدالكم وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله ﷺ فقال: (أخبركم بما سألتم عنه غداً؛ ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله فانقطع الوحي نصف شهر ثم نزلت سورة الكهف وفيها جواب ما سألوا.

(٢) العوج: ضد الاستقامة وهو الانحراف في الذوات والمعاني وتكسر عينه وتفتح، وقيل: الكسر في المعاني والفتح في الذوات.

بينهم لذا قبح الله قولهم هذا وعجّب منه العقلاء، فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ أي عظم قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ كلمة قالوها تخرج من أفواههم لاغير إذ لا واقع لها أبداً، وقرر الانكار عليهم فقال: ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ أي ما يقولون إلا الكذب البحت الذي لا يعتمد على شيء من الصحة البتة. وقوله: ﴿فلعلك باخع[1] نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ يعاتب الله تعالى رسوله ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب وما يقترحونه عليه من الآيات أي فلعلك يارسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وماجئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم، فلا تفعل واصبر لحكم ربك فإنه منجز وعده لك بالنصر على قومك المكذبين لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب حمد الله تعالى على آلائه وعظيم نعمه.

٢ ـ لا يحمد إلا من له مايقتضي حمده، وإلا كان المدح كذباً وزوراً.

٣ ـ عظم شأن القرآن الكريم وسلامته من الافراط والتفريط والانحراف في كل ما جاء به.

٤ ـ بيان مهمة القرآن وهي البشارة لأهل الإيمان والإنذار لأهل الشرك والكفران.

٥ ـ التنديد بالكذب على الله ونسبة ما لا يليق بجلاله وكماله إليه كالولد ونحوه.

٦ ـ تحريم الانتحار وقتل النفس من الحزن أو الخوف ونحوه من الغضب والحرمان.

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى

---

(١) ﴿باخع﴾ مهلك نفسك، قال ذو الرّمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه   بشيء نحته عن يديه المقادر

وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما الباخع بقاتل نفسه من شدّة الحزن.

ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات:

صعيداً جرزاً[1]	: أي تراباً لا نبات فيه، فالصعيد هو التراب والجرز الذي لا نبات فيه.
الكهف	: النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له «غار»
والرقيم	: لوح حجري رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف.
أوى الفتية إلى الكهف	: اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه.
الفتية	: جمع فتى وهم شبان مؤمنون.
هيىء لنا من أمرنا رشداً	: أي ييسر لنا طريق رشد وهداية.
فضربنا على آذانهم	: أي ضربنا على آذانهم حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات.
سنين عددا	: أي أعواماً عدة.
ثم بعثناهم	: أي من نومهم بمعنى أيقظناهم.
أحصى لما لبثوا	: أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف.
أمــداً	: أي مدة محدودة معلومة.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ من حيوان وأشجار ونبات وأنهار وبحار، وقوله ﴿لنبلوهم﴾ أي لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملا﴾ أي أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا وقوله: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ أي وإنا لمخربوها في يوم، من الأيام بعد عمارتها ونضارتها وزينتها نجعلها ﴿صعيداً جرزاً﴾[2] أي تراباً لا نبات فيه، إذاً فلا تحزن يارسولنا ولا تغتم مما تلاقيه من قومك فإن مآل الحياة التي من أجلها عادوك وعصونا إلى أن

---

(١) الجرز: القاحل الأجرد الذي لا نبات فيه.

(٢) الصعيد: وجه الأرض والجمع صُعُد، والصعيد: الطريق أيضاً لحديث الصحيح: (إياكم والقعود على الصعدات) أي: الطرق، وجمع الجرز: أجراز يقال سنين أجراز لا مطر فيها ولا عشب ولا نبات.

تصبح صعيداً جرزاً. وقوله تعالى: ﴿أم حسبت[1] أن أصحاب الكهف والرقيم[2] كانوا من آياتنا عجباً﴾ أي أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي الغار في الكهف والرقيم وهو اللوح الذي كتبت عليه ورقم أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم وقصتهم ﴿كانوا من آياتنا عجباً[3]﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق ومخلوقات، السموات والأرض بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير. وقوله: ﴿ إذْ أوى الفتية إلى الكهف﴾ هذا شروع في ذكر قصتهم العجيبة، أي اذكر للسائلين لك عن قصة هؤلاء الفتية، إذ أووا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنوهم في دينهم وهم سبعة شبان ومعهم كلب لهم فقالوا سائلين ربهم: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا﴾ أي أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين ﴿وهيء لنا من أمرنا رشداً﴾ أي ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا ﴿رشداً[4]﴾ أي سداداً وصلاحاً ونجاة من أهل الكفر والباطل، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآيات وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه في الكهف وقوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ أي فضربنا على آذانهم حجاباً[5] يمنعهم من سماع الأصوات والحركات فناموا في كهفهم سنين معدودة أي ثلاثمائة وتسع سنين، وكانوا يتقلبون بلطف الله وتدبيره لهم من جنب إلى جنب حتى بعثهم من نومهم وهذا استجابة الله تعالى لهم إذ دعوه قائلين: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي من نومهم ورقادهم ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا﴾ أي في الكهف ﴿أمداً﴾ أي لنعلم عِلْمَ مشاهدة ولينظر عبادي فيعلموا أي الطائفتين[6] اللتين اختلفتا في قدر لبثهم في الكهف كانت أحصى لمدة لبثهم في الكهف حيث اختلف الناس إلى حزبين حزب يقول لبثوا في كهفهم كذا سنة وآخر يقول لبثوا إلى مدى أي غاية كذا من السنين.

---

(١) (أم) هذه هي المنقطعة التي تقدّر ببل والاستفهام للتعجيب.

(٢) ويجمع الرقيم على رُقُم، والرقيم: فعَيل بمعنى مفعول أي: مرقوم بمعنى مكتوب.

(٣) إنّ إماتة الأحياء أعجب من إماتة أصحاب الكهف.

(٤) الرشد: بفتحتين: الخير، وإصابة الحق والنفع والصلاح أيضاً.

(٥) أي: حائلا كغشاوة ونحوها مما يحول دون السمع، ومعنى ضربنا، جعلنا أو وضعنا كقوله: ﴿ضربت عليهم الذلّة﴾ أي: جعلت وألصقت بهم.

(٦) يبعد أن يكون المراد بالحزبين: هم أصحاب الكهف أنفسهم بل الذين اختلفوا فيهم حزبان من الأمة التي اكتشفتهم بعد مضيّ سنين عديدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان العلة في وجود الزينة على هذه الأرض، وهي الابتلاء والاختبار للناس ليظهر الزاهد فيها، العارف بتفاهتها وسرعة زوالها، وليظهر الراغب فيها المتكالب عليها الذي عصى الله من أجلها.

٢ ـ تقرير فناء كل ما على الأرض حتى تبقى صعيداً جرزاً وقاعاً صفصفاً لا يرى فيها عوج ولا أمت.

٣ ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ بإجابة السائلين عن أصحاب الكهف بالايجاز والتفصيل.

٤ ـ تقرير التوحيد ضِمْنَ قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفاً من الشرك والكفر.

٥ ـ استجابة الله دعاء عباده المؤمنين الموحدين حيث استجاب للفتية فآواهم الغار ورعاهم حتى بعثهم بعد تغير الأحوال وتبدل العباد والبلاد.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

شـرح الكلمـات :

نبأهم بالحق : أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.

وزدناهم هدى : أي إيماناً وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى صبروا على الهجرة.

وربطنا على قلوبهم : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.

لن ندعوا من دونه إلها : لن نعبد من دونه إلهاً آخر.

لولا يأتون عليهم بسلطان : أي هلا يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.

على الله كذباً : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها.

فأووا إلى الكهف : أي انزلوا في الكهف تستترون به على أعين أعدائكم المشركين.

ينشر لكم ربكم من رحمته : أي يبسط من رحمته عليكم بنجاتكم مما فررتم منه.

ويهيء لكم من أمركم : وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب.

مرفقا : أي ما ترتفقون به وتنتفعون من طعام وشراب وإواء.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى موجز قصة أصحاب الكهف أخذ في تفصيلها فقال ﴿نحن نقص عليكم نبأهم بالحق﴾[1] أي نحن رب العزة والجلال نقص عليك أيها الرسول خبر أصحاب الكهف بالحق الثابت الذي لا شك فيه ﴿إنهم فتية﴾[2]، جمع فتى ﴿آمنوا بربهم﴾ أي صدقوا بوجوده ووجوب عبادته وتوحيده فيها وقوله ﴿وزدناهم هدى﴾ أي هداية إلى معرفة الحق من محاب الله تعالى ومكارهه.

وقوله تعالى: ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي قوّينا عزائمهم بما شددنا على قلوبهم حتى قاموا وقالوا على رؤوس الملأ وأمام ملك كافر ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ أي ليس لنا رب سواه، لن ندعوا من دونه إلهاً مهما كان شأنه، إذ لو اعترفنا بعبادة غيره لكنا قد قلنا إذاً شططاً من القول وهو الكذب والغلو فيه وقوله تعالى: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ يخبر تعالى عن قيل الفتية لما ربط الله على قلوبهم إذ قاموا في وجه المشركين الظلمة وقالوا: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من[3] دون الله آلهة، لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ أي هلا يأتون عليهم بسلطان بيّن أي بحجة واضحة تثبت عبادة هؤلاء الأصنام من دون الله؟ ومن أين ذلك والحال أنه لا إله إلا الله؟!

وقوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن[4] افترى﴾ ينفي الله عز وجل أن يكون هناك أظلم ممن افترى

---

(١) الحق هنا بمعنى الصدق في الإخبار والباء في قوله ﴿بالحق﴾ للملابسة أي: القصص المصاحب للصدق والنبأ: الخبر ذو الشأن والأهمية.

(٢) الجملة بيانية أي: مبينة للقصص.

(٣) ﴿من﴾ ابتدائية، أي آلهة ناشئة من غير الله تعالى.

(٤) ﴿من﴾ اسم استفهام، ومعناه الإنكار والنفي، الانكار على من اتخذ آلهة دون الله تعالى، والنفي لوجود آلهة حق مع الله تعالى.

على الله كذباً باتخاذ آلهة يعبدها معه باسم التوسل بها وشعار التشفع والتقرب إلى الله زلفى بواسطتها !! وقوله تعالى عن قيل أصحاب الكهف لبعضهم[1]: ﴿وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي فصيروا إلى غار الكهف المسمى «بنجلوس» ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي يبسط لكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي رميتم به من الكافر «دقينوس» ﴿ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ أي ما ترتفقون به من طعام وشراب وأمن في مأواكم الجديد الذي أويتم إليه فراراً بدينكم واستخفائكم من طالبكم المتعقب لكم ليفتنكم في دينكم أو يقتلكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بذكر قصة أصحاب الكهف.

٢ ـ تقرير زيادة الإيمان ونقصانه.

٣ ـ فضيلة الجرأة في الحق والتصريح به ولو أدى إلى القتل أو الضرب أوالسجن.

٤ ـ تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله على لسان أصحاب الكهف.

٥ ـ بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها.

٦ ـ الشرك ظلم وكذب والمشرك ظالم مفتر كاذب.

٧ ـ تقرير فرض الهجرة في سبيل الله.

٨ ـ فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته لعبده وكفاية الله من لجأ إليه في صدق.

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم

---

(١) أي: قالوا ما قالوه على سبيل النصح والمشورة الصائبة.

بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

شــرح الكلمـات :

تزاور	: أي تميل.
تقرضهم	: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم.
في فجوة منه	: متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها.
من آيات الله	: أي دلائل قدرته.
أيقاظاً	: جمع يقظ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة.
بالوصيد	: فناء الكهف.
رُعباً	: منعهم الله بسببه من الدخول عليهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في عرض قصة أصحاب الكهف يقول تعالى في خطاب رسوله ﷺ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور[1] عن كهفهم﴾ أي تميل عنه ذات اليمين ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ذات الشمال. وقوله تعالى: ﴿وهم في فجوة[2] منه﴾ أي متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها، وقوله ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي وذلك المذكور من ميلان الشمس عنهم إذا طلعت وقرضها لهم إذا غربت من دلائل قدرة الله تعالى ورحمته بأوليائه ولطفه بهم.[3] وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المُهْتَدِ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده وكذلك الإضلال فليطلب العبد من ربه الهداية إلى صراطه المستقيم، وليستعذ به من الضلال المبين، إذ من يضلله الله لن يوجد له ولي يرشده بحال من الأحوال، وقوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود[4]﴾ أي انك إذا نظرت إليهم تظنهم أيقاظاً

---

(١) ﴿تزاور﴾: تتنحى أو تميل من الازورار والزور: الميل، والأزور من الناس: المائل النظر إلى ناحية وازورّ: مال ومنه قول عنترة:

فازورّ من وقع القنا بلبانه　　وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

اللَّبان: الصدر، والتحمحم: صوت دون الصهيل.

(٢) الفجوة: والجمع فجوات وفجاء وهو المتسع

(٣) والمقصود بيان حفظهم من تطرق البلاء، وتغير الأبدان والألوان والتأذي بحرّ أو برد.

(٤) ﴿رقود﴾ جمع راقد كراكع وركوع، وساجد وسجود، والتقليب: تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه وفعل الله تعالى هذا لحكمة وهي: حتى لا تؤثر الأرض على أجسامهم فتبلى، ولم يعرف كم مرّة يقلبون فيها في الشهر أو العام أو في أقل أو أكثر.

أي منتبهين لأن أعينهم متفتحة وهم رقود نائمون لايحسّون بأحد ولا يشعرون، وقوله تعالى: ﴿ونقلبهم ذات اليمين﴾ أي جهة اليمين ﴿وذات الشمال﴾ أي جهة الشمال حتى لا تعْدو التربة على أجسادهم فتبليها. وقوله: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ أي: وكلبهم الذي خرج معهم، وهو كلب صيد ﴿باسط ذراعيه بالوصيد﴾[1] أي: بفناء الكهف. وقوله تعالى: ﴿لو اطلعت عليهم﴾ أي لو شاهدتهم وهم رقود وأعينهم مفتحة ﴿لوليت منهم فراراً﴾ لرجعت فاراً منهم ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ أي خوفاً وفزعاً، ذلك أن الله تعالى ألقى عليهم من الهيبة والوقار حتى لا يدنو منهم أحد ويمسهم بسوء إلى أن يوقظهم عند نهاية الأجل الذي ضرب لهم، ليكون أمرهم آية من آيات الله الدالة على قدرته وعظيم سلطانه وعجيب تدبيره في خلقه.

من هداية الآيات:

١ ـ بيان لطف الله تعالى بأوليائه بإكرامهم في هجرتهم إليه.

٢ ـ تقرير أن الهداية بيد الله فالمهتدي من هداه الله والضال من أضله الله ولازم ذلك طلب الهداية من الله، والتعوذ به من الضلال لأنه مالك ذلك.

٣ ـ بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه في مخلوقاته فسبحانه من إله عظيم عليم حكيم.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ

---

(١) فناء عند مدخل الكهف فشبّه بالباب الذي هو الوصيد لأنه يوصد ويغلق.

ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

شــرح الكلمـات :

كذلك بعثناهم : أي كما أنمناهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم[1] من رقادهم بعثاً خارقاً للعادة أيضاً فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم آية.

كم لبثتم : أي في الكهف نائمين.

يوماً أو بعض يوم : لأنهم دخلوا الكهف صباحاً واستيقظوا عشية.

بورقكم : بدراهم الفضة التي عندكم.

إلى المدينة : أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم.

أزكى طعاماً : أي أيُّ أطعمة المدينة أحلُّ أي أكثر حِلِّيَّةً.

وليتلطف : أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء.

يرجموكم : أي يقتلوكم رمياً بالحجارة.

أعثرنا عليهم : أطلعنا عليهم أهل بلدهم.

ليعلموا : أي قومهم أن البعث حق للأجساد والأرواح معا.

إذ يتنازعون : أي الكفار قالوا ابنوا عليهم أي حولهم بناء يسترهم.

فقالوا : أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم.

وقال الذين غلبوا على أمرهم : وهم المؤمنون لنتخذن حولهم مسجداً يصلى فيه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن أصحاب الكهف فقوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ أي كما أنمنــاهــم ثلاثمائة ســنةوتسعا وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى

(١) البعث: التحريك من سكون أي: كما ضربنا على آذانهم وزدناهم هدىً وقلبناهم بعثناهم أيضاً أي: ايقظناهم من رقادهم على ما كانوا عليه من ثيابهم وأحوالهم.

ومنعناهم من وصول أحد إليهم، وهذا من مظاهر قدرتنا وعظيم سلطاننا بعثناهم من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم فقال قائل منهم مستفهماً كم لبثتم يا إخواننا فأجاب بعضهم قائلاً ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم آووا إلى الكهف في الصباح وبعثوا من رقادهم في المساء وأجاب بعض آخر بقول مُرْضٍ للجميع وهو قوله: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فسلموا الأمر إليه، وكانوا جياعاً فقالوا لبعضهم ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم[1] هذه﴾ يشيرون إلى عملة من فضة كانت معهم ﴿إلى المدينة﴾ وهي أفسوس التي خرجوا منها هاربين بدينهم. وقوله: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ أي فلينظر الذي تبعثونه لشراء الطعام أي أنواع الأطعمة أزكى أي أطهر من الحرام والاستقذار ﴿فليأتكم[2] برزق منه﴾ لتأكلوه سداً لجوعكم وليتلطف[3] في شرائه وذهابه وإيابه حتى لا يُشعر بكم أحداً وعلل لقوله هذا بقوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يطلعوا ﴿يرجموكم﴾ أو يقتلوكم رجماً بالحجارة[4] ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ ملة الشرك بالقسر والقوة. ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ أي ولن تفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة إذا أنتم عدتم للكفر والشرك .. فكفرتم وأشركتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم تلك المدة الطويلة وبعثناهم ليتساءلوا بينهم فيزدادوا إيماناً ومعرفة بولاية الله تعالى وحمايته لأوليائه ﴿أعثرنا عليهم[5]﴾ أهل مدينتهم الذين انقسموا إلى فريقين فريق يعتقد أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح، وفريق يقول البعث الآخر للأرواح دون الأجسام كما هي عقيدة النصارى إلى اليوم، فأنام الله الفتية وبعثهم وأعثر عليهم هؤلاء القوم المختلفين فاتضح لهم أن الله قادر على بعث الناس أحياء أجساماً وأرواحاً كما بعث أصحاب الكهف وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا﴾ أي أولئك المختلفون في شأن البعث أن وعد الله حق وهو ما وعد به الناس من أنه سيبعثهم بعد موتهم يوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم. ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ وقوله تعالى: ﴿إذ

---

(١) قال ابن عباس كان معهم دراهم فضة عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم والورق: الفضة، وقرىء بكسر الراء وقرىء بسكونها.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز الوكالة في كل مباح مأذون فيه وسواء كان الموكل عاجزاً أو قادراً ورأى بعضهم أنّ القادر لا يوكل، والصحيح جوازه، وقد وكّل النبي ﷺ وهو صحيح حاضر، ووكّل عليّ رضي الله عنه ووكل كثير من الصحابة من ينوب عنهم في أمورهم.

(٣) الجمهور على أن نصف حروف القرآن التاء من قوله: ﴿وليتلّطف﴾ أي: نصف القرآن من الفاتحة إلى ﴿وليتلطّف﴾ والنصف الآخر والأخير منها إلى الناس.

(٤) القتل بالرجم بالحجارة أشفى لصدور أهل الدين لأنهم يشاركون في القتل بالرجم.

(٥) اطلعنا عليهم. يقال عثر على كذا: وقف عليه برجله ومنه العثار للرجل وأعثر عليه: جعل غيره يعثر عليه بمعنى يقف عليه مطلعاً عليه ظاهراً.

يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أي أعثرناهم عليهم في وقت كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة الآخرة هل هي بالأجسام والأرواح أو بالأرواح دون الأجسام. فتبين لهم بهذه الحادثة أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معاً. وقوله تعالى: ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ واتركوهم في الكهف أي سدوا عليهم باب الكهف واتركوهم فيه لأنهم بعد أن عثروا عليهم ماتوا ﴿ربهم أعلم بهم﴾ وبحالهم.

وقوله تعالى: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ أي قال الذين غلبوا على أمر الفتية لكون الملك كان مسلماً معهم ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾[1] أي للصلاة فيه وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.

٢ ـ وجوب طلب الحلال في الطعام والشراب وغيرهما.

٣ ـ الموت على الشرك والكفر مانع من الفلاح يوم القيامة أبداً.

٤ ـ تقرير معتقد البعث والجزاء الذي ينكره أهل مكة.

٥ ـ مصداق قول الرسول ﷺ «لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وقوله «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة» (في الصحيحين).

٦ ـ مصداق قول الرسول ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع». إذ قد بنى[2] المسلمون على قبور الأولياء والصالحين المساجد. بعد القرون المفضلة حتى أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور.[3]

(١) اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب قبل هذه الأمّة، وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ وحذّر منه وحرّمه على أمته لما يفضي به إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال ﷺ إنّ أولائك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوّروا تلك الصور أولائك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). وروى مسلم: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) وفي الصحيحين: (لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا).

(٢) روى الترمذي وصححه عن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها أو يبنى عليها وأن توطأ) وروى أبو دواود والترمذي وغيرهما أنّ عليا قال لأحد رجاله أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألاّ تدع تمثالا إلاّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته ولا صورة إلاّ طمستها) والمراد بالمشرف: العالي المرتفع أما تسنيم القبر شبرا وأكثر ليعرف فلا بأس به.

(٣) ذكر القرطبي هنا أنّ الدفن في التابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة وقال: روي أنّ دانيال عليه السلام كان في تابوت من حجر وأنّ يوسف عليه السلام أوصى بأن يتخذ له تابوت من زجاج.

سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

شـــرح الكلمـات :

رجماً بالغيب	: أي قذفاً بالظن غير يقين علم.
ما يعلمهم إلا قليل	: أي من الناس.
فلا تمار فيهم	: لا تجادل في عدتهم.
ولا تستفت فيهم منهم أحداً	: أي من أهل الكتاب، الاستفتاء: الاستفهام والسؤال.
إلا أن يشاء الله	: أي إلا أن تقول إن شاء الله.
لأقرب من هذا رشداً	: هداية وأظهر دلالة على نبوتي من قصة أصحاب الكهف.
له غيب السموات والأرض	: أي علم غيب السموات والأرض وهو ما غاب فيهما
أبصر به وأسمع	أي أبصر بالله واسمع به صيغة تعجب! والأصل ما أبصره وما أسمعه
ما لهم من دونه من ولي	: أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله أي من ناصر.

ولا يشرك في حكمه أحداً : لأنه غني عما سواه ولا شريك له.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الكهف يخبر تعالى بأن الخائضين في شأن أصحاب الكهف سيقول بعضهم بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعض آخر هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رجماً بالغيب﴾[1] أي قذفاً بالغيب من غير علم يقيني، ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأصحابه تلك الأقوال: ﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس قال ابن عباس أنا من ذلك القليل فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم ولعله فهم ذلك من سياق الآية إذ ذكر تعالى أن الفريقين الأول والثاني قالوا ما قالوه من باب الرجم بالغيب لا من باب العلم والمعرفة، وسكت عن الفريق الثالث، فدل ذلك على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً﴾[2] أي ولا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً بيناً ليناً بذكرك ما قصصنا عليك دون تكذيب لهم، ولا موافقة لهم. وقوله تعالى ﴿ولا تستفت[3] منهم﴾ أي في أصحاب الكهف «منهم» أي من أهل الكتاب أحداً وذلك لأنهم لا يعلمون عدتهم وإنما يقولون بالخرص والتخمين لا بالعلم واليقين. وقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء[4] إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ أي لا تقل يامحمد في شأن تريد فعله مستقبلاً أي سأفعل كذا إلا أن تقول إن شاء الله،[5] وذلك أنه ﷺ لما سأله وفد قريش بإيعاز من اليهود عن المسائل الثلاث: الروح، وأصحاب الكهف وذي القرنين، قال لسائليه: أجيبكم غداً انتظاراً للوحي ولم يقل إن شاء الله، فأدبه ربه تعالى بانقطاع الوحي عنه نصف شهر، وأنزل هذه السورة وفيها هذا التأديب له ﷺ وقوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج.

أما الكفارة فلازمة إلا أن يكون الاستثناء متصلاً بالكلام وقوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي وقل بعد النسيان والاستثناء المطلوب منك ﴿عسى أن يهديني

---

(١) أصل الرجم هو الرجم بالحجارة ونحوها والمراد به هنا، رمي الكلام من غير روّية ولا تثبّت، والمراد أنّ ما قالوه في بيان عددهم هو من باب القول بالظن بدون علم.

(٢) المراد: بالظاهر هو الذي لا سبيل إلى انكاره ولا يطول الخوض فيه.

(٣) الاستفتاء: طلب الفتيا وهي الخبر عن أمر لا يعلمه إلاّ ذوو العلم روي أنّ النبي ﷺ سأل بعض نصارى نجران فنهي عن ذلك.

(٤) لشيء أي: في شيء أو لأجل شيء.

(٥) أي: إلاّ أن تذكر مشيئة الله تعالى.

ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي لعل الله تعالى أن يهديني فيسددني لأسَدَّ ما وعدتكم أن أخبركم به مما هو أظهر دلالة على نبوتي مما سألتموني عنه اختباراً لي. وقوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا﴾[1] يخبر تعالى أن الفتية لبثوا في كهفهم رقوداً من ساعة دخلوه إلى أن أعثر الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين بالحساب القمري.

وقوله: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ رد به على من قال من أهل الكتاب إن الثلاثمائة والتسع سنين هي من ساعة دخولهم الكهف إلى عهد النبي ﷺ فأبطل الله هذا بتقرير الثلثمائة والتسع أولاً وبقوله ﴿الله أعلم بما لبثوا﴾ ثانيا وبقوله: ﴿له غيب السموات والأرض﴾ أي ما غاب فيهما، ثالثاً، وبقوله: ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي ما أبصره بخلقه وما أسمعه لأقوالهم حيث لا يخفى عليه شيء من أمورهم وأحوالهم خامساً، وقوله ﴿ليس لهم﴾ أي لأهل السموات والأرض من دونه تعالى ﴿من ولي﴾ أي ولا ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ لغناه عما سواه ولعدم وجود شريك له بحال من الأحوال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان اختلاف أهل الكتاب وعدم ضبطهم للأحداث التاريخية.

٢ ـ بيان عدد فتية أصحاب الكهف وأنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

٣ ـ من الأدب مع الله تعالى أن لا يقول العبد سأفعل كذا مستقبلاً إلا قال بعدها إن شاء الله.

٤ ـ من الأدب من نسي الاستثناء أن يستثني ولو بعد حين فإن حلف لا ينفعه الاستثناء إلا إذا كان متصلاً بكلامه.

٥ ـ تقرير المدة التي لبثها الفتية في كهفهم وهي ثلاث مائة وتسع سنين بالحساب القمري.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ

---

(١) قرأ الجمهور ﴿ثلثمائةٍ﴾ بالتنوين و﴿سنين﴾ منصوب على التمييز أو على البدلية، فهو مجرور، وقرأ خلافهم بإضافة ثلثمائة إلى سنين.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

شـرح الكلمـات :

واتل ما أوحي إليك من الكتاب : أي اقرأ القرآن تعبداً ودعوة وتعليماً.

لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.

ملتحداً : أي ملجأ تميل إليه إحتماءاً به.

واصبر نفسك : أي إحبسها.

يريدون وجهه : أي طاعته ورضاه، لاعرضاً من عرض الدنيا.

ولا تعد عيناك عنهم : أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا.

تريد زينة الحياة الدنيا : أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر.

من أغفلنا قلبه : أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا.

وكان أمره فرطاً : أي ضياعاً وهلاكاً.

أحاط بهم سرادقها : حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار.

بماء كالمهل : أي كعكر الزيت أي الدردي وهو مايبقى في أسفل الإناء ثخناً رديئاً.

من سندس واستبرق : أي مَارَقَّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه أي من الديباج.

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث عن أصحاب الكهف أمر تعالى رسوله بتلاوة كتابه فقال: ﴿واتل﴾[1] أي واقرأ ﴿ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ تعبداً به ودعوة للناس إلى ربهم به وتعليماً للمؤمنين بما جاء فيه من الهدى.

وقوله : ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا تتركن تلاوته والعمل به والدعوة إليه فتكون من الهالكين فإن ما وعد ربك به المعرضين عنه المكذبين به كائن حقاً وواقع صدقاً فإن ربك ﴿لا مبدل لكلماته﴾ المشتملة على وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه ممن كفروا به وكذبوا بكتابه فلم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه.

وقوله تعالى : ﴿ ولن تجد من دون ملتحداً﴾ أي انك إن لم تتل كتابه الذي أوحاه إليك وتعمل بما فيه فَنَالَكَ ما أوعد به الكافرين المعرضين عن ذكره. ﴿لن تجد من دون الله ملتحداً﴾ أي موئلاً تئل إليه وملجأ تحتمي به وإذا كان مثل هذا الوعيد الشديد يوجه إلى رسول الله ﷺ وهو المعصوم فغيره ممن تركوا تلاوة القرآن والعمل به فلا أقاموا حدوده ولا أحلوا حلاله ولا حرموا حرامه أولى بهذا الوعيد وهو حائق بهم لا محالة إن لم يتوبوا قبل موتهم وقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ نزل هذا التوجيه للرسول ﷺ عندما عرض عليه المشركون إبعاد أصحابه الفقراء كبلال وصهيب وغيرهما ليجلسوا إليه ويسمعوا منه فنهاه ربه عن ذلك وأمره أن يحبس نفسه مع أولئك الفقراء المؤمنين ﴿الذين يدعون﴾ ربهم في صلاتهم في الصباح والمساء لا يريدون بصلاتهم وتسبيحهم ودعائهم عرضاً من أعراض الدنيا وإنمايريدون رضا الله ومحبته بطاعته في ليلهم ونهارهم.

وقوله تعالى : ﴿ولا تعد عيناك[2] عنهم﴾ أي لا تتجاوز ببصرك هؤلاء المؤمنين الفقراء إلى أولئك الأغنياء تريد مجالستهم للشرف والفخر وقوله ﴿ولا تطع[3] من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ فجعلناه غافلاً

---

(١) تضمنت هذه الآية: ﴿واتل﴾ الخ الرد على المشركين إذ المعنى: لا تعبأ بهم إن كرهوا تلاوة بعض القرآن لان فيها التعريض بآلهتهم والتنديد بها حتى طالبوك بأن تجعل بعض القرآن للثناء عليها أو عليهم.

(٢) لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة.

(٣) روي أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي لأنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه وهو إبعاد الفقراء وتقريب صناديد قريش.

عن ذكرنا وذكر وعدنا ووعيدنا ليكون من الهالكين لعناده وكبريائه وظلمه. ﴿وكان أمره فرطاً﴾[1] أي ضياعاً وهلاكاً، وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2] أي هذا الذي جئت به وأدعو إليه من الايمان والتوحيد والطاعة لله بالعمل الصالح هو ﴿الحق من ربكم﴾ أيها الناس. ﴿فمن شاء﴾ الله هدايته فآمن وعمل صالحاً فقد نجاه ومن لم يشأ الله هدايته فَبَقِي على كفره فلم يؤمن فقد خاب وخسر.

وقوله: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ أي جدرانها النارية. ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ رديئاً ثخناً ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا أدناه الشارب من وجهه ليشرب شوى جلده ووجهه ولذا قيل فيه ذم له. ﴿بئس الشراب وساءت﴾ أي جهنم ﴿مرتفقاً﴾ في منزلها وطعامها وشرابها إذ كله سوء وعذاب هذا وعيد من اختار الكفر على الإيمان وأما وعد من آمن وعمل صالحاً وقد تضمنته الآيتان (٣١-٣٢) إذ قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ هذا حكمنا الذي لا تبديل له وبين تعالى أجرهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم فقال: ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي إقامة دائمة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق، متكئين فيها على الآرائك﴾ وهي الأسرة بالحجلة[3]. ثم أثنى الله تعالى على نعيمهم الذي أعده لهم بقوله: ﴿نعم الثواب﴾ الذي أثيبوا به ﴿وحسنت﴾ الجنة في حليها وثيابها وفرشها وأسرتها وطعامها وشرابها وحورها ورضوان الله فيها ﴿حسنت مرتفقاً﴾[4] يرتفقون فيه وبه، جعلنا الله من أهلها

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان خيبة وخسران المعرضين عن كتاب الله فلم يتلوه ولم يعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام.

---

(١) الفرط: الظلم والاعتداء وهو مشتق من الفروط وهو السبق لأنّ الظلم سبق في الشر والظلم يؤدي إلى الهلاك والضياع والخسران.

(٢) الأمر في قوله ﴿فليؤمن﴾ و﴿فليكفر﴾ للتسوية بينهما وليس في هذا إذن لهم بالكفر وإنما الخطاب للتهديد والوعيد لمن اختار الكفر على الإيمان بدليل الجملة التعليلية: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ الخ، والمراد بالظالمين المشركون لقوله تعالى: ﴿إنّ الشرك لظلم عظيم﴾.

(٣) ﴿الأرائك﴾: جمع أريكة وهي مجموع سرير وحجلة، والحجلة: قبة من ثياب تكون في البيت تجلس فيها المرأة أو تنام فيها ولذلك يقال للنساء ربات الحجال فإذا وضع فيها سرير فهي أريكة يجلس فيها وينام.

(٤) (المرتفق): محل الارتفاق، وإطلاق المرتفق على النار تهكّم، إذ النار لن تكون محل راحة وارتفاق أبداً بل هي دار شقاء وعذاب.

٢ ـ الترغيب في مجالسة أبناء الآخرة وهم الفقراء الصابرون وترك أبناء الدنيا والإعراض عما هم فيه.

٣ ـ على الداعي إلى الله تعالى أن يبين الحق، والناس بعد بحسب ما كتب لهم أو عليهم.

٤ ـ الترغيب والترهيب بذكر جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين.

٥ ـ عذاب النار شر عذاب، ونعيم الجنة، نعم النعيم ولا يهلك على الله إلا هالك.

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات:

واضرب لهم مثلاً	: أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين . . . الخ
جنتين	: أي بستانين.
وحففناهما بنخل	: أي أحطناهما بنخل.
آتت أكلها	: أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل.
ولم تظلم منهم شيئاً	: أي وَلَمْ تنقص منه شيئاً بل أتت به كاملاً ووافياً.

خلالهما نهراً	: أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً.
وهو يحاوره	: أي يحادثه ويتكلم معه.
وأعز نفراً	: أي عشيرة ورهطاً.
تبيد	: أي تفنى وتذهب.
خيراً منها منقلباً	: أي مرجعاً في الآخرة.
أكفرت بالذي خلقك من تراب؟!	: الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب باعتبار الأصل هو آدم.
من نطفة	: أي مني.
ثم سواك	: أي عدلك وصيرك رجلاً.
لكنا	: أي لكن أنـا، حذفت الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكنا.
هو الله ربي	: أي أنا أقول الله ربي.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: واضرب لأولئك المشركين المتكبرين الذين اقترحوا عليك أن تطرد الفقراء المؤمنين من حولك حتى يجلسوا إليك ويسمعوا منك ﴿اضرب[1] لهم﴾ أي اجعل لهم مثلاً: ﴿رجلين﴾ مؤمناً وكافراً ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ أي أحطناهما بنخل، ﴿وجعلنا بينهما﴾ أي بين الكروم والنخيل ﴿زرعاً﴾ ﴿كلتا الجنتين[2] آتت أكلها ولم تظلم منـه شيئاً﴾ أي لم تنقص منه شيئاً ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ ليسقيهما. ﴿وكان[3] له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي في الكلام يراجعه، ويُفاخره: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً[4]﴾ أي عشيرة ورهطاً، قال هذا فخراً وتعاظماً. ﴿ودخل جنته﴾ والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ بالكفر والكبر وقال: ﴿ما أظن[5] أن تبيد هذه﴾ يشير إلى جنته ﴿أبداً﴾ أي لا تفنى. ﴿وما أظن الساعة

---

(١) اختلف في تحديد الفريقين الذين ضرب لهما المثل، وفي الرجلين اللّذين ضرب بهما المثل، والظاهر انّ الفريقين اللّذين ضرب لهما المثل هم المؤمنون والكافرون المستنكفون عن مجالسة المؤمنين، وأما الرجلان فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما من بني اسرائيل وهو الظاهر والله أعلم.

(٣) قال سيبويه: أصل كلا كِلْوَ وأصل كلتا كلوا فحذفت لام الفعل من كلتا وعوضت التاء عن اللام المحذوفة لتدل التاء على التأنيث.

(٣) ﴿وكان له ثمر..﴾ الجملة في محل نصب على الحال، والثمر بضم الثاء والميم المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع مأخوذ من: ثمر ماله: إذا كثر، وقرأ الجمهور بضم الثاء والميم وقرأ حفص بفتحهما.

(٤) أعزّ أي أشد عزّة، والنفر: عشيرة الرجل الذين ينفرون معه للدفاع أو القتال والمراد بالنفر هنا أولاده.

(٥) الظنّ هنا بمعنى الاعتقاد ومعنى تبيد: تفنى وتهلك.

قائمة ولئن رددت إلى ربي﴾ كما تقول أنت ﴿لأجدن خيراً منها﴾[1] أي من جنتي ﴿منقلباً﴾ أي مرجعاً إن قامت الساعة وبعث الناس وبعثت معهم. هذا القول من هذا الرجل هو ما يسمى بالغرور النفسي الذي يصاب به أهل الشرك والكبر. وهنا قال له صاحبه المسلم ﴿وهو يحاوره﴾ أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾؟ وهو الله عز وجل حيث خلق أباك آدم من ﴿تراب ثم من نطفة﴾[2] أي ثم خلقك أنت من نطفة أي من مني ﴿ثم سواك رجلاً﴾ وهذا توبيخ من المؤمن للكافر المغرور ثم قال له: ﴿لكنا هو الله ربي﴾ أي لكن أنا أقول هو الله ربي، ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾ من خلقه في عبادته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ استحسان ضرب الأمثال للوصول بالمعاني الخفية إلى الأذهان.

٢ ـ بيان صورة مثالية لغرس بساتين النخل والكروم.

٣ ـ تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء.

٤ ـ التنديد بالكبر والغرور حيث يفضيان بصاحبهما إلى الشرك والكفر.

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ

---

(١) قرأ الجمهور (منهما) بالتثنية وقرأ عاصم (منها) بالإفراد.

(٢) النطفة: ماء الرجال مشتقة من النطف الذي هو السيلان.

فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات:

ما شاء الله : أي يكون وما لم يشأ لم يكن.

حسباناً من السماء : أي عذاباً ترمى به فتؤول إلى أرض ملساء دحضاً لايثبت عليها قدم.

أو يصبح ماؤها غوراً : أي غائراً في أعماق الأرض فلا يَقْدِرُ عَلَى استنباطِه وإخراجه.

وأحيط بثمره : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء.

يقلب كفيه : ندماً وحسرة على ما أنفق فيها من جهد كبير ومال طائل.

وهي خاوية على عروشها :أي ساقطة على أعمدتها التي كَان يُعرش بها للكرم، وعلى جدران مبانيها.

فئة : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه.

هنالك : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة.

الولاية : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى.

خير ثواباً وخير عقباً : أي الله تعالى خير من يثيب وخير من يُعقب أي يجزي بخير.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في المثل المضروب للمؤمن الفقير والكافر الغني فقد قال المؤمن للكافر ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي هلا إذْ دخلت بستانك قلت عند تعجبك من حسنه وكماله ﴿ماشاء الله أي كان[1] ﴿لا قوة إلا بالله[2]﴾ أي لا قوة لأحد على فعل شيء

---

(١) هذا وجه في إعراب (ما شاء الله) ما: مبتدأ والخبر كان، وهناك وجه آخر حسّنه بعضهم وهو: هذه الجنة ما شاء الله. فما خبر عن مبتدإ محذوف ويجوز تقديره أيضاً: الأمر الذي شاء الله إعطاءه.

(٢) قال مالك: ينبغي لكل من دخل داره أو بستانه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وروي أنه كان مكتوباً على باب وهب بن منبّه ما شاء الله لا قوّة إلا بالله، وروى مسلم أنّ: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة وورد استحباب قول بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا قوة إلاّ بالله.

أو تركه إلا بإقدار الله تعالى له وإعانته عليه قال هذا المؤمن نصحاً للكافر وتوبيخاً له. ثم قال له ﴿إن ترن أنا[1] أقل منك مالاً وولداً﴾ اليوم ﴿ فعسى[2] ربي﴾ أي فرجائي في الله ﴿أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها﴾ أي على جنة الكافر ﴿ حسبانا من[3] السماء﴾ أي عذاباً ترمى به. ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾: أي تراباً أملس لا ينبت زرعاً ولا يثبت عليه قدم. ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ الذي تسقى به غائراً في أعماق الأرض فلن تقدر على إستخراجه مرة أخرى، وهو معنى ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾.

وقوله تعالى :في الآيات(٤٠)، (٤١) ، (٤٢) يخبر تعالى أن رجاء المؤمن قد تحقق إذ قد أحيط فعلاً ببستان الكافر فهلك بكل مافيه من ثمر ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾ من جهد ومال في جنته ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ أي ساقطة على أعمدة الكرم التي كان يعرشها للكرم أي يحمله عليها كما سقطت جدران مبانيها على سقوفها وهو يتحسر ويتندم ويقول: ﴿ياليتني لم أشرك بربي أحداً، ولم تكن له﴾ جماعة قوية تنصره ﴿من دون الله وما كان﴾ المنهزم ﴿منتصراً﴾ لأن من خذله الله لا ناصر له. قال تعالى: في نهاية المثل الذي هو أشبه بقصة ﴿هنالك﴾ أي يوم القيامة ﴿الولاية﴾ أي القوة والملك والسلطان ﴿لله﴾ أي المعبود ﴿الحق﴾ لا لغيره من الأصنام والأحجار ﴿هو﴾ تعالى ﴿خير ثواباً﴾ أي خير من يثيب على الإيمان والعمل الصالح. ﴿وخير عقباً[4]﴾ أي خير من يعقب أي يجزي بحسن العواقب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان مآل المؤمنين كصهيب وسلمان وبلال، وهو الجنة ومآل الكافرين كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وهو النار.

٢ - استحباب قول من أعجبه شيء: ﴿ما شاء الله، لا قوة إلا بالله﴾ فإنه لا يرى فيه مكروهاً إن شاء الله.

---

(١) أنا: ضمير فصل وأقل: مفعول ثانٍ لترن وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفاً.

(٢) (عسى) للرجاء وهو طلب الأمر القريب الحصول وأراد به هنا الدعاء لنفسه وعلى صاحبه الكافر المشرك.

(٣) الحسبان: مصدر كالغفران وهو هنا وصف لمحذوف تقديره: هلاكاً حسباناً أي: مقدّراً من الله تعالى، وقيل هو اسم جمع حسبانة أي: صاعقة، وقيل: اسم للجراد وهو محتمل لكل ما ذكر.

(٤) العقب: بمعنى العاقبة وقرىء: بضمتين عُقُب وقرىء بضم العين وسكون القاف بمعنى: عاقبة وهي آخرة الأمر وما يرجوه المرء من سعيه وعمله ولذا فسرت الآية بهو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به، يقال: هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه: أي آخره.

٣ ـ استجابة الله تعالى لعباده المؤمنين وتحقيق رجائهم فيه سبحانه وتعالى.

٤ ـ المخذول من خذله الله تعالى فإنه لاينصر أبداً.

٥ ـ الولاية[1] بمعنى الموالاة النافعة للعبد هي موالاة الله تعالى لا موالاة غيره.

٦ ـ الولاية بمعنى الملك والسلطان لله يوم القيامة ليست لغيره إذ الملك والأمر كلاهما لله تعالى.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

المثل	: الصفة المعجبة.
هشيماً	: يابساً متفتتاً.
تذروه الرياح	: أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويبوسته.
مقتدراً	: أي كامل القدرة لايعجزة شيء.
زينة الحياة الدنيا	: أي يتجمل بما فيها.
والباقيات الصالحات	: هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات.
وخير أملاً	: أي ما يأمله الإنسان وينتظره من الخير.

معنى الآيات:

هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخدعتهم فصرفتهم عن الله تعالى ربهم فلم يذكروه ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه.

---

(١) ﴿الولاية﴾. بفتح الواو: الموالاة، وبكسرها: الملك والسلطان.

قال تعالى: في خطاب رسوله محمد ﷺ: ﴿واضرب لهم﴾ أي لأولئك المغرورين بالمال والسلطان ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ أي صفتها الحقيقية التي لا تختلف عنها بحال ﴿كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض﴾[1] فزَهَا وازدهر واخضرّ وأنظر، فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه. وفجأة أتاه أمر الله برياح لاحِقَة، محرقة، ﴿فأصبح هشيماً﴾[2] أي يابساً متهشماً متكسراً ﴿تذروه الرياح﴾ هنا وهناك ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أي قادراً كامل القدرة، فأصبح أهل الدنيا مبلسين آيسين من كل خير.

وقوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ إنه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها فأوردتهم موارد الهلاك أخبر بحقيقة أخرى، يعلم فيها عباده لينتفعوا بها، وهي أن ﴿المال والبنون﴾ أو الأولاد ﴿زينة الحياة الدنيا﴾[3] لا غير أي يتجمل بهما ساعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحان همَّ الإنسان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال، هذا جزء الحقيقة في هذه الآية، والجزء الثاني هو أن ﴿الباقيات الصالحات﴾ والمراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سبحان الله،[4] والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي هذه ﴿خير ثواباً﴾ أي جزاءً وثماراً، يجنيه العبد من الكدح المتواصل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة، ﴿وخير أملاً﴾ يأمله الإنسان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله.

---

(١) بعض الحكماء شبّه الحياة الدنيا بالماء للاتصالات الآتية:

١ـ الماء لا يستقر في موضع والحياة كذلك

٢ـ الماء يتغيّر والدنيا كذلك.

٣ـ الماء لا يبقى والدنيا كذلك.

٤ـ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل والدنيا لا يدخلها أحد ويسلم من فتنها وآفاتها

٥ـ الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتا وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر. وفي الصحيح (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه) رواه مسلم.

(٢) يقال: هشمه يهشمه إذا كسره وفتّه وهشيم بمعنى: مهشوم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وهشم الثريد إذا فتّه وبه سمي هاشم بن بن مناف وكان اسمه عمرو وفيه يقول عبدالله بن الزبعري:

عمر العُلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

(٣) قيل: في المال والبنين زينة الحياة الدنيا: لأنّ في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً والمثل مضروب لحقارة الدنيا وسرعة زوالها ولذا قيل: لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك.

(٤) روى مالك في الموطأ: أن الباقيات الصالحات هنّ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان حقارة الدنيا وسوء عاقبتها.

٢ ـ تقرير أن المال والبنين لا يعدوان كونهما زينة، والزينة سريعة الزوال وهما كذلك فلا يجوز الاغترار بهما، وعلى العبد أن يطلب ما يبقى على ما يفنى وهو الباقيات الصالحات من أنواع البر والعبادات من صلاة وذكر وتسبيح وجهاد. ورباط، وصيام وزكاة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾

شـرح الكلـمات :

نُسير الجبال	: أي تقتلع من أصولها وتصير هباءً منبثاً.
بارزة	: ظاهرة إذ فنى كل ما كان عليها من عمران.
فلم نغادر	: لم نترك منهم أحداً.
موعداً	: أي ميعاداً لبعثكم أحياء للحساب والجزاء.
ووضع الكتاب	: كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله.
مشفقين	: خائفين.
ياويلتنا	: أي ياهلكتنا احضري هذا أوان حُضورك.
لا يغادر صغيرة	: أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها عَدّاً.

ما عملوا حاضراً : مثبتاً في كتابهم، مسجلاً فيها.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى مآل الحياة الدنيا وإنه الفَناء والزوال ورغَّب في الصالحات وثوابهاالمرجوايوم القيامة، ناسب ذكر نبذة عن يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الكسب في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال﴾ أي اذكر ﴿يوم نسير﴾ أي تقتلع[1] من أصولها وتصير هباءً منبثاً، ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس عليها شيء فهي قاع صفصف ﴿وحشرناهم﴾ أي جمعناهم من قبورهم للموقف ﴿فلم نغادر منهم[2] أحداً﴾ أي لم نترك منهم أحداً كائناً من كان، ﴿وعرضوا على ربك﴾ أيها الرسول صفاً وقوفاً أذلاء، وقيلَ لهم توبيخاً وتقريعاً : ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة[3]﴾ لا مال معكم ولا سلطان لكم بل حفاة عراة غُرلاً[4]، جمع أغرل، وهو الذي لم يختتن.

وقوله تعالى: ﴿بل زعمتم[5]﴾ أي ادعيتم كذباً أنا لا نجمعكم ليوم القيامة، ولن نجعل لكم موعداً فها أنتم مجموعون لدينا تنتظرون الحساب والجزاء، وفي هذا من التوبيخ والتقريع ما فيه، وقوله تعالى في الآية ﴿ووضع الكتاب﴾ يخبر تعالى عن حال العرض عليه فقال: ﴿ووضع الكتاب[6]﴾ أي كتاب الحسنات والسيئات وأعطى كل واحدٍ كتابه فالمؤمن يأخذه بيمينه والكافر بشماله، ﴿فترى المجرمين﴾ في تلك الساعة ﴿مشفقين﴾ أي خائفين ﴿مما فيه﴾ أي في الكتاب من السيآت ﴿ويقولون: ياويلتنا[7]﴾ ندماً وتحسراً ينادون ياويلتهم وهي هلاكهم قائلين:

---

(١) هذا على قراءة تُسير بالتاء المضمومة للبناء للمفعول وقراءة الجمهور ﴿نُسير الجبال﴾ والفاعل هو الله تعالى، وقرىء أيضاً: تسير الجبال بفتح التاء مضارع سار يسير كقوله تعالى: ﴿وتسير الجبال سيراً﴾.

(٢) المغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء، وسمي الغدير من الماء غديراً لأنه ترك بعد السيل، ومنه غدائر المرأة وهو شعرها تضفره وتتركه خلفها

(٣) أخرج الحافظ أبو القاسم بن مندة في كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رقيع غير فظيع: يا عبادي أنا الله لا إله إلاّ أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أنامل أقدامهم للحساب) تضمن هذا الحديث تفسيراً كاملاً لهذه الآيات.

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً﴾ «غير مختونين».

(٥) هذا الخطاب لمنكري البعث والجزاء من أهل الكفر والشرك.

(٦) ﴿الكتاب﴾: اسم جنس يشمل كل الكتب التي يُعطاها العباد في المحشر.

(٧) الويلة: مؤنث الويل للمبالغة وهي سوء الحال والهلاك كما أنّث الدار على دارة للدلالة على سعة المكان، ونداء الويلة معناه: الدعاء على أنفسهم بالهلاك لمشاهدتهم عظائم الأهوال وما ينتظرهم من صنوف العذاب نادوا ويلتهم طالبين حضورها.

﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة[1] ولا كبيرة ﴾ من ذنوبنا ﴿إلا أحصاها﴾ أي أثبتها عَدّاً.

وقوله تعالى: في آخر العرض ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ أي من خير وشر مثبتاً في كتابهم، وحوسبوا به، وجوزوا عليه ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ بزيادة سيئة على سيئاته أو بنقص حسنة من حسناته، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرضها على مسامع المنكرين لها.

٢ ـ يبعث الانسان كما خلقه الله ليس معه شيء، حافياً عارياً لم يقطع منه غلفة الذكر.

٣ ـ تقرير عقيدة كتب الأعمال في الدنيا وإعطائها أصحابها في الآخرة تحقيقاً للعدالة الإلهية.

٤ ـ نفي الظلم عن الله تعالى وهو غير جائز عليه لغناه المطلق وعدم حاجته إلى شيء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات:

اسجدوا لآدم : أي حيّوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي.

إلا إبليس : أي الشيطان أبى السجود ورفضه وهو معنى ﴿فسق عن أمر ربه﴾ أي

---

(١) أصغر الصغائر: النظر بغير قصد وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ولا ضابط حتى الكبيرة إلا أن هناك ضابطاً يستأنس به وهو: ما توعد عليه أو لعن عليه أو وضع حدّ له في الكتاب أو السنة فهو كبيرة.

خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه !

أفتتخذونه وذريته أولياء؟ : الاستفهام للاستنكار، ينكر تعالى على بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك !؟.

بئس للظالمين بدلاً : قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله.

المضلين عضداً : أي ما كنت متخذ الشياطين من الانس والجن أعواناً في الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصونني.

موبقاً : أي وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق، حاجز بين المشركين، وما كانوا يعبدون بدليل قوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾.

مواقعوها : أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبداً.

ولم يجدوا عنها مصرفاً : أي مكاناً غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في إرشاد بني آدم وتوجيههم إلى ما ينجيهم من العذاب ويحقق لهم السعادة في الدارين، قال تعالى في خطاب رسوله واذكر لهم ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ وهم عبادنا المكرمون ﴿اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا وسجدوا إلا إبليس. لكن ابليس الذي يطيعه الناس اليوم كان من الجن وليس من الملائكة لم يسجد، ففسق[1] بذلك عن أمرنا وخرج عن طاعتنا. ﴿أفتتخذونه[2]﴾ أي أيصح منكم يابني آدم أن تتخذوا عدو أبيكم وعدو ربكم وعدوكم أيضاً ولياً توالونه وذريته[3] بالطاعة لهم والاستجابة لما يطلبون[4] منكم من أنواع الكفر والفسق ﴿بئس للظالمين﴾ أنفسهم ﴿بدلاً﴾ طاعة الشيطان وذريته وولايتهم عن

---

(١) الفسق: مشتق من: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرتها، والفارة من جحرها، وفسق العبد: خرج عن طاعة ربه متجاوزاً الطاعة إلى المعصية، فكل من ترك واجباً وفعل حراماً فقد فسق بذلك عن طاعة ربه أي خرج عنها.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والانكار، وذرية الشيطان بيّنت السنة كيفية وجودهم فقد صح عن النبي ﷺ قوله: (لاتكن أوّل من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرّخ)، فهذا دال على أن للشيطان ذرية من صلبه.

(٣) في مسلم: ﴿إنّ للصلاة شيطاناً يسمى خنزب مهمته الوسوسة فيها) وروى الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان يوسوس فيه.

(٤) روى مسلم رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئا قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين أهله قال: فيدنيه أو قال: فيلتزمه ويقول: نعم أنت!!).

طاعة الله ورسوله وولايتهما.

وقوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم[1] خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ يخبر تعالى بأنه المنفرد بالخلق والتدبير ليس له وزير معين فكيف يُعْبَدُ الشيطان وذريته، وأنـا الذي خلقتهم وخلقت السموات والأرض[2] وخلقت هؤلاء الذين يعبدون الشيطان، ولم أكن ﴿متخذ المضلين﴾ وهم الشياطين من الجن والإنس الذين يضلون عبادنا عن طريقنا الموصل إلى رضانا وجنتنا، أي لم أكن لأجعل منهم معيناً لي يعضدني ويقوي أمري وخلاصة ما في الآية أن الله تعالى ينكر على الناس عبادة الشياطين وهي طاعتهم وهم مخلوقون وهو خالقهم وخالق كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ أي أذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إلى عبادة عدوه الشيطان، أذكر لهم يوم يقال لهم في عرصات القيامة ﴿نادوا شركائي الذين﴾ أشركتموهم في عبادتي زاعمين أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم فيخلصونكم من عذابنا.

قال تعالى ﴿فدعوهم[3]﴾ يافلان!! يافلان... ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذ لا يجرؤ أحد ممن عبد من دون الله أن يقول رب هؤلاء كانوا يعبدونني. قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً[4]﴾ أي حاجزاً وفاصلاً من عداوتهم لبعضهم. وحتى لا يتصل بعضهم ببعض في عرصات القيامة. وقوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي يؤتى بها تُجَرُّ بالسلاسل حتى تبرز لأهل الموقف فيشاهدونها وعندئذ يظن[5] المجرمون أي يوقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي داخلون فيها. ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً[6]﴾ أي مكاناً ينصرفون إليه لأنهم محاطون بالزبانية، والعياذ بالله من النار وعذابها.

---

(١) أي: ما أحضرتهم لأستعين بهم على خلق السموات والأرض ولا أحضرت بعضهم لأستعين به على خلق البعض الآخر.

(٢) في الآية رد على أهل الضلال كافة من شيطان وكاهن ومنجم وطبعيّ وملحد إذ الجميع مخلوق مربوب والله خالق كل شيء ومليكه وربّه ومدبّره.

(٣) أي: امتثلوا الأمر ودعوهم فلم يستجيبوا لهم.

(٤) فسّر الموبق ابن عباس رضي الله عنهما. بالحاجز، وفسره أنس بن مالك رضي الله عنه بواد في جهنم من قيح ودم، وفسّر بالمهلك والتفسير بالمهلك يدخل فيه كل ماذكر، ومن الجائز أن يتعدد الحاجز ويكون أنواعاً منها: عداوة بعضهم لبعض فإنها حاجز والنار نفسها أعظم موبق ولعلها هي المراد بالموبق.

(٥) ﴿ظنوا﴾ أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين وهو كثير في القرآن الكريم. قال الشاعر.

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجّج سراتهم في الفارسيّ المسرد

(٦) ﴿مصرفا﴾: أي: مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير عداوة إبليس وذريته لبني آدم .

٢ - العجب من بني آدم كيف يطيعون عدوهم ويعصون ربهم!!

٣ - لا يستحق العبادة أحد سوى الله عز وجل لأنه الخالق لكل معبود مما يعبد غيره من سائر المخلوقات .

٤ - بيان خزي المشركين يوم القيامة حيث يطلب إليهم أن يدعوا شركاءهم لاغاثتهم فيدعونهم فلايستجيبون لهم .

٥ - جمع الله تعالى المشركين وماكانوا يعبدون من الشياطين في موبق واحد في جهنم وهو وادي من شر أودية جهنم وأسوأها .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

شــرح الكلمــات :

صرفنا : أي بيّنا وكررنا البيان.

من كل مثل : المثل الصفة المستغربة العجيبة.

جدلاً : أي مخاصمة بالقول.

سنة الأولين : أي العذاب بالإبادة الشاملة والاستئصال التام.

قبلا : عياناً ومشاهدة.

ليدحضوا به الحق : أي يبطلوا به الحق.

هزواً : أي مهزوءاً به.

أكنة : أغطية.

وفي آذانهم وقراً : أي ثقلاً فهم لا يسمعون.

موئلاً : أي مكاناً يلجأون إليه.

لمهلكهم موعداً : أي وقتاً معيناً لإهلاكهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في بيان حجج الله تعالى على عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فينجوا من عذابه ويدخلوا دار كرامته فقال تعالى : ﴿ولقد صرّفنا[1] في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي ضربنا فيه الأمثال الكثيرة وبيّنا فيه الحجج العديدة، ﴿وصرفنا فيه﴾ من الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً، وقابلوا كل ذلك بالجحود والمكابرة، ﴿وكان الإنسان[2] أكثر شيء جدلاً﴾ فأكثر هم الإنسان يصرفه في الجدل والخصومات حتى لا يذعن للحق ويسلم به ويؤديه إن كان عليه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى : (٥٤) أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن الناس مامنعهم ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم

(١) قال القرطبي : يحتمل أي : هذا الكلام وجهين : أحدهما ماذكره لهم من العبر والقرون الخالية والثاني : ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية وما في التفسير لم يخرج عن هذا فتأمله.

(٢) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى : ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ ويحتمل المسلم إلاّ أنه في الكافر أظهر وأكثر وروى مسلم عن علي رضي الله عنه (أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة فقال: ألا تصلون؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثمّ سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾

الهدى﴾ وهو بيان[1] طريق السعادة والنجاة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الكفر والشرك وسوء الأعمال ﴿ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ بعذاب الاستئصال والإبادة الشاملة، ﴿أو يأتيهم﴾ عذاب يوم القيامة معاينة[2] وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً[3]﴾ وحينئذ لا ينفع الإيمان. وقوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ أي دعاة هداة يبشرون من آمن وعمل صالحاً بالجنة وينذرون من كفر، وعمل سوءاً بالنار. فلم نرسلهم جبارين ولم نكلفهم بهداية الناس أجمعين، لكن الذين كفروا يتعامون عن هذه الحقيقة ويجادلون ﴿بالباطل ليدحضوا به الحق﴾. ﴿واتخذوا﴾ آيات الله وحججه ﴿وما أنذروا﴾ به من العذاب اللازم لكفرهم وعنادهم اتخذوه سخرية وهزءاً يهزءون به ويسخرون منه وبذلك أصبحوا من أظلم الناس. وهو ما قررته الآية (٥٧) إذ قال تعالى فيها: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ أي من الإجرام والشر والشرك. اللهم إنه لا أحد أظلم من هذا الإنسان الكافر العنيد. ثم ذكر تعالى سبب ظلم وإعراض ونسيان هؤلاء الطاغة المعرضين الناسين وهو أنه تعالى حسب سنته فيمن توغل في الشر والظلم والفساد يجعل على قلبه كناناً يحيطه به فيصبح لا يفقه شيئاً. ويجعل في أذنيه ثقلاً فلا يسمع الهدى. ولذا قال لرسوله ﷺ: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً﴾ أي بعد ما جعل على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر ﴿أبداً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ أي لو يؤاخذ هؤلاء الظلمة المعرضين ﴿لعجل لهم العذاب﴾، ولكن مغفرته ورحمته تأبيان ذلك وإلا لعجل لهم العذاب فأهلكهم أمامكم وأنتم تنظرون. ولكن ﴿لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً[4]﴾ يئلون إليه ولا ملجأ يلجأون إليه. ويرجح أن يكون ذلك يوم بدر لأن السياق في الظلمة المعاندين المحرومين من هداية الله كأبي جهل وعقبة ابن أبي معيط والأخنس بن شريق، هذا أولاً. وثانياً قوله تعالى: ﴿وتلك[5] القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

---

(١) أي: بواسطة القرآن والرسول ﷺ.

(٢) أي: عياناً، وفسّره بعضهم بعذاب السيف يوم بدر.

(٣) قراءة الجمهور: (قِبلا) بكسر القاف أي: المقابل الظاهر، وقرىء (قُبلا) بضم القاف والباء وهو جمع قبيل أي: يأتيهم العذاب أنواعاً متعدّدة.

(٤) ﴿موئلا﴾: أي: منجىً أو محيصاً يقال: وأل يئل وألاً ووؤولاً أي: لجأ تقول العرب: لا وألت نفسه أي: لا نجت ومنه قول الشاعر:

لا وألت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلّم

(٥) تلك: مبتدأ وأهلكناهم الخبر، ويصح أن تكون تلك في محل نصب والعامل: أهلكنا نحو: زيداً ضربته.

﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي لهلاكهم موعداً محدداً فكذلك هؤلاء المجرمون من قريش، وقد أهلكهم ببدر ولعنهم إلى الأبد.

هداية الآيات

١ ـ لقد أعذر الله تعالى إلى الناس بما يبين في كتابه من الحجج وما ضرب فيه من الأمثال.

٢ ـ بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة.

٣ ـ بيان مهمة الرسل وهي البشارة والنذارة وليست إكراه الناس على الإيمان.

٤ ـ بيان عظم ظلم من يُذَكَّرُ بالقرآن فيعرض ويواصل جرائمه ناسياً ما قدمت يداه.

٥ ـ بيان سنة الله في أن العبد إذا واصل الشر والفساد يحجب عن الإيمان والخير ويحرم الهداية أبداً حتى يهلك كافراً ظالماً فيخلد في العذاب المهين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾

شـــرح الكلمـات :

وإذ قال موسى لفتاه : أي أذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام.

مجمع البحرين : أي حين التقى البحران بحر فارس وبحر الروم.

حقبا : الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب.

سبيله في البحر سرباً: أي طريقه في البحر سرباً أي طريقاً كالنفق.

فلما جاوزا : أي المكان الذي فيه الصخرة ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سرباً.

في البحر عجباً : أي عجباً لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر طريقاً كالنفق في الجبل

قصصاً : أي يتتبعان آثار أقدامهما.

عبداً من عبادنا : هو الخضر عليه السلام.

مما علمت رشداً : أي ما هو رشاد إلى الحق ودليل على الهدى.

ما لم تحط به خبراً : أي علماً.

ولا أعصي لك أمراً : أي انتهى إلى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقاً هواي.

معنى الآيات:

هذه قصة موسى[1] مع الخضر عليهما السلام وهي تقرر نبوة محمد ﷺ وتؤكدها. إذ مثل هذا القصص الحق لايتأتى لأحد أن يقصه مالم يتلقه وحياً من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وإذ قال موسى﴾ أي أذكر يارسولنا تدليلاً على توحيدنا ولقائنا ونبوتك. إذ قال موسى بن عمران نبينا إلى بني إسرائيل لفتاه[2] يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي سائراً ﴿حتى أبلغ مجمع[3] البحرين﴾ حيث أرشدني ربي إلى لقاء عبدٍ هناك من عباده هو أكثر مني علماً حتى

---

(١) ذهب نوف البكالي إلى أنّ موسى هذا هو موسى بن مشا بن يوسف عليه السلام وردّ هذا عليه ابن عباس رضي الله عنهما ردًا عنيفا كما في البخاري فالصحيح أنه موسى بن عمران رسول الله إلى بني اسرائيل.

(٢) اختلف في فتى موسى مَنْ هو؟ قيل: إنه كان شاباً يخدمه ولذا أطلق عليه لفظ الفتى على جهة حسن الأدب، قال ابن العربي. ظاهر القرآن أنه عبد وما دام صح الحديث بأنه يوشع بن نون فلا حاجة إلى البحث والتنقيب.

(٣) أي ملتقاهما. وهما بحر الأردن وبحر القلزم على الراجح الصحيح.

اتعلم منه علماً أزيده على علمي، ﴿أو أمضي حقباً﴾[1] أي أواصل سيري زمناً طويلاً حتى أظفر بهذا العبد الصالح لأتعلم عنه. قوله تعالى: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين وهما بحر الروم وبحر فارس عند باب المندب حيث التقى البحر الأحمر والبحر الهندي. أو البحر الأبيض والأطلنطي عند طنجة والله أعلم بأيهما أراد. وقوله ﴿نسيا حوتهما﴾ أي نسي الفتى الحوت، إذ هو الذي كان يحمله، ولكن نسب النسيان إليهما جرياً على المتعارف من لغة العرب[2]، وهذا الحوت قد جعله الله تعالى علامة لموسى على وجود الخضر حيث يفقد الحوت، إذ القصة كما في البخاري تبتدىء بأن موسى خطب يوماً في بنى إسرائيل فأجاد وأفاد فأعجب به شاب من بني إسرائيل فقال له: هل يوجد من هو أعلم منك ياموسى؟ فقال: لا. فأوحى إليه ربه فوراً بلى عبدنا خضر، فتاقت نفسه للقياه للتعلم عنه، فسأل ربه ذلك، فأرشده إلى مكان لقياه وهو مجمع البحرين، وجعل له الحوت علامة فأمره أن يأخذ طعامه حوتاً وأعلمه أنه إذا فقد الحوت فثم يوجد عبدالله خضر ومن هنا لما بلغا مجمع البحرين واستراحا فنام موسى[3] والفتى شبه نائم وإذا بالحوت يخرج من المكتل «وعاء» ويشق طريقه إلى البحر فينجاب عنه البحر فيكون كالطاق أو النفق آية لموسى. ويغلب النوم على يوشع فينام فلما استراحا قاما مواصلين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من المكتل ودخوله في البحر لغلبة النوم فلما مشيا مسافة بعيدة وشعرا بالجوع وقد جاوزا المنطقة التي هي مجمع البحرين[4] قال موسى للفتى ﴿آتنا غداءنا﴾[5] وعلل ذلك بقوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي تعباً. هنا قال الفتى لموسى ما قصّ الله تعالى: قال مجيباً لموسي ﴿أرأيت﴾ أي أتذكر ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ التي استراحا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ وقال كالمعتذر، ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾[6] واتخذ سبيله﴾ أي طريقه ﴿في البحر عجباً﴾ أي حي بعد موت

---

(١) قال النحاس: الحقب: زمان من الدهر مبهم غير محدود وجمعه أحقاب وورد الحقب مقدراً بثمانين سنة، إلاّ أنه في قول موسى هذا مراده الأوّل وهو زمن غير محدود.

(٢) نحو قوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ مع أنه لا يخرج إلاّ من البحر الملح ونحو قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس الم يأتكم رسل منكم﴾ مع العلم أن الرسل من الإنس فقط.

(٣) في البخاري: أن موسى عليه السلام قال ليوشع لا أكلفك إلاّ أن تخبرني حيث يفارقك الحوت قال الفتى: ما كلّفت كثيراً.

(٤) هذا يُرجح أن يكون البحران: نهر الأردن وبحيرة طبرية.

(٥) في الآية دليل على وجوب حمل الزاد في السفر ففي هذا رد على المتصوفة الذين يخرجون بلا زاد بدعوى التوكل ثمّ هم يسألون الناس، وشاهد هذا آية البقرة إذ نزلت في أناس من اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون فنزل قوله تعالى: ﴿وتزوّدوا..﴾ الآية.

(٦) أن: وما دخلت عليه تسبك بمصدر فيقال: وما أنساني ذكره إلا الشيطان.

ومشى حتى انتهى إلى البحر وانجاب له البحر فكان كالسرب فيه أي النفق فأجابه موسى بما قص تعالى : ﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾ وذلك لأن الله تعالى جعل لموسى فقدان الحوت علامة على مكان الخضر الذي يوجد فيه ﴿فارتدا﴾ أي رجعا ﴿على آثارهما قصصا﴾ أي يتتبعان آثار أقدامهما ﴿فوجدا﴾ خضراً كما قال تعالى : ﴿فوجدا عبداً[1] من عبادنا﴾ وهو خضر آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وعلمناه من لدنا علما وهو علم غيب خاص به ﴿قال له موسى﴾ مستعطفاً له ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾ أي مما علمك الله رشداً أي رشاداً يَدُلّني على الحق وتحصل لي به هداية فأجابه خضر بما قال تعالى : ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يريد أنه يرى منه أموراً لايقره عليها وخضر لابد يفعلها فيتضايق موسى لذلك ولا يطيق الصبر، وعلل له عدم استطاعته الصبر بقوله ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي علماً كاملاً. فأجابة موسى وقد صمم على الرحلة لطلب العلم مهما كلفه الثمن فقال ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ أي سأنتهي إلى ما تأمرني وإن لم يكن موافقاً لما أحب وأهوى.

هداية الآيات :

١ ـ عتب الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام عندما سئل هل هناك من هو أعلم منك فقال لا وكان المفروض أن يقول على الأقل الله أعلم. فعوقب لذلك فكلف هذه الرحلة الشاقة.

٢ ـ استحباب الرفقة في السفر، وخدمة التلميذ للشيخ، إذ كان يوشع يخدم موسى بحمل الزاد.

٣ ـ طروء النسيان على الانسان مهما كان صالحاً.

٤ ـ مراجعة الصواب بعد الخطأ خير من التمادي على الخطأ ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾.

٥ ـ تجلي قدرة الله تعالى في إحياء الحوت بعد الموت، وانجياب الماء عليه حتى كان كالطاق فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وبه استدل موسى أي بهذا العجب على مكان خضر فوجده هناك.

٦ ـ استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالماً وهنا أورد الحديث التالي وهو خير من قنطار ذهباً لمن حفظه وعمل به وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال سأل موسى ربه : قال رب أي عبادك أحب إليك؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني، قال : فأي عبيدك أقضى؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال : أي رب أي عبادك أعلم؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى

---

(١) في البخاري : (فوجدا خضراً على طِنْفِسة خضراء على كبد البحر مسجىً بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلّم عليه موسى فكشف عن وجهه فقال : هل بأرضك من سلام؟ من أنت؟ قال : أنا موسى.) الخ.

علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى. وللأثر بقية ذكره ابن جرير عند تفسير هذه الآيات.

قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

شــرح الكلمات:

ذكراً : أي بياناً وتفصيلاً لما خفي عليك.

لقد جئت شيئاً إمراً : أي فعلت شيئاً منكراً.

لا ترهقني : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا أطيق حمله فتضيق علي صحبتي إياك.

نفساً زكية : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب.

بغير نفس : أي بغير قصاص.

نكراً : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكر! وهو المنكر الشديد النكارة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والعالم الذي أراد أن يصحبه لطلب العلم منه وهو خضر. قوله تعالى: ﴿قال﴾ أي خضر ﴿فإن اتبعتني﴾ مصاحباً لي لطلب العلم ﴿فلا تسألني[1] عن شيء﴾ أفعله مما لا تعرف له وجهاً شرعياً ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ أي حتى أكون أنا الذي يبين لك حقيقته وما جهلت منه. وقوله تعالى: ﴿فانطلقا﴾ أي

(١) في قول موسى: ﴿هل أتبعك﴾ من حسن الأدب والتلطف في السؤال وتواضع الطالب للشيخ الشيء الكثير، وفي الآية دليل على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت مرتبتهما، وما كان موسى إلاّ أفضل من خضر ولكنه بحكم أنه تابع للخضر العالم تواضع في لطف.

بعد رضا موسى بمطلب خضر انطلقا يسيران في الأرض[1] فوصلا ميناء من الموانى البحرية، فركبا سفينة كان خضر يعرف أصحابها فلم يأخذوامنهما أجر الإركاب فلما أقلعت السفينة، وتوغلت في البحر أخذ خضر فأسا فخرق السفينة، فجعل موسى يحشو بثوب له الخرق ويقول: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ على أنهما حملانا بدون نَوْل ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أتيت يا عالم منكراً فظيعاً فأجابه خضر بما قص تعالى: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ فأجاب موسى بما ذكر تعالى عنه: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي لا تعاقبني بالنسيان فإن الناسي لا حرج عليه. وكانت هذه من موسى[2] نسياناً حقاً ولا تغشني بما يعسر علي ولا أطيقه فاتضايق من صحبتي إياك.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ بعد نزولهما من البحر إلى البر فوجدا غلاماً جميلاً وسيماً يلعب مع الغلمان فأخذه خضر جانباً وأضجعه[3] وذبحه فقال له موسى بما أخبر تعالى عنه: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ زاكية طاهرة لم يذنب صاحبها ذنباً تتلوث به روحه ولم يقتل نفساً يستوجب بها القصاص ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي أتيت منكراً عظيماً بقتلك نفساً طاهرة لم تذنب ولم تكن هذه نسياناً من موسى بل كان عمداً إذ لم يطق فعل منكر كهذا لم يعرف له[4] وجهاً ولا سبباً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات :

١ ـ جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.

٢ ـ جواز ركوب السفن في البحر.

٣ ـ مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.

٤ ـ رفع الحرج عن الناس.

٥ ـ مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس.

---

(١) في البخاري: (فانطلقا يسيران على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول أي «أجرة»).

(٢) في البخاري: (قال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى نسياناً قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة في البحر فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلاّ مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر). حرف السفينة: طرفها، وحرف كل شيء طرفه.

(٣) في الترمذي: (أنه أخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله) وفي بعض الروايات (أنه أخذ حجراً فضرب بها رأس الغلام فقتله) وما في التفسير أصح وأوضح.

(٤) سيأتي بيان علّة القتل وأنها حق والقتل كان بإذن الله تعالى وما مات أحد ولا قتل إلاّ بإذن الله تعالى.

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات:

قال ألم أقل لك : أي قال خَضِرٌ لموسى عليهما السلام.

بعدها : أي بعد هذه المرة.

فلا تصاحبني : أي لا تتركني أتبعك.

من لدني عذراً : أي من قبلي (جهتي) عذراً في عدم مصاحبتي لك.

أهل قرية : مدينة أنطاكية.

استطعما أهلها : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف.

يريد أن ينقض : أي قارب السقوط لميلانه.

فأقامه : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط.

أجرا : أي جعلا على إقامته وإصلاحه.

هذا فراق بيني وبينك : أي قولك هذا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية المفارقة.

بتأويل : أي تفسير ماكنت تنكره على حسب علمك.

معنى الآيات :

مازال السياق في محاورة الخضر مع موسى عليهما السلام، فقد تقدم إنكار موسى على

الخضر قتله الغلام بغير نفس، ولا جرم إرتكبه، وبالغ موسى في إنكاره إلى أن قال: ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾[1] فأجابه خضرٌ بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لما سألتني الصحبة للتعليم، فأجاب موسى بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي اترك صحبتي فإنك ﴿قد بلغت من لدني﴾[2] أي من جهتي وقبلي عذرا في تركك إياي.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ في سفرهما ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ (أي مدينة) قيل إنها انطاكية ووصلاها في الليل والجو بارد فاستطعما أهلها أي طلبا منهم طعام الضيف الواجب له ﴿فأبوا أن يضيفوهما[3]، فوجدا فيها﴾ أي في القرية ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ أي يسقط فأقامه الخضر وأصلحه فقال موسى له: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ أي جعل مقابل إصلاحه، لاسيما أن أهل هذه القرية لم يعطونا حقنا من الضيافة. وهنا قال الخضر لموسى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ لانك تعهدت إنك إذا سألتني بعد حادثة قتل الغلام عن شيء أن لاتطلب صحبتي وها أنت قد سألتني، فهذا وقت[4] فراقك إذاً ﴿سأنبئك﴾ أي أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الوفاء بما التزم به الإنسان لآخر.

٢ ـ وجوب الضيافة لمن استحقها.

٣ ـ جواز التبرع بأي خير أو عمل إبتغاء وجه الله تعالى.

---

(١) اختلف في أيهما أبلغ: إمراً أو نكراً، ورجّح بعضهم أن إمراً فيما لم يحدث من فعل منكر فيكون خاصاً بالمستقبل، ومعناه: أمر فظيع مهيل ونكراً: يكون فيما وقع فهو بيّن الفساد بالغ في النكر واجب الإنكار.

(٢) قرىء: ﴿من لدني﴾ بتخفيف الدال وقرىء في السبع بتشديدها وقرىء عذراً بسكون الذال وقرىء في السبع أيضاً بضمهما، وضمّ العين قبلها كنُذُر ونُذّر.

(٣) في الحديث: (إنهم كانوا لئاماً بخلاء) وهو تعليل لعدم استضافة موسى والخضر.

(٤) في البخاري: هنا قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما).

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

شــرح الكلـات :

المساكين : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب.

يعملون في البحر : أي يؤجرون سفينتهم للركاب.

أعيبها : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها.

غصباً : أي قهراً.

أن يرهقهما طغياناً وكفراً : أي يغشاهما : ظلما وجحوداً

وأقرب رحما : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى واحد.

وما فعلته عن أمري : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي جل جلاله و عظم سلطانه.

معنى الآيات :

هذا آخر حديث موسى والخضر عليهما السلام، فقد واعد الخضر موسى عندما أعلن له عن فراقه أن يبين له تأويل مالم يستطع عليه صبراً، وهذا بيانه، قال تعالى (حكاية عن

الخضر) ﴿أما السفينة﴾ التي خرقتُها وأنكرتَ عليَّ ذلك ﴿فكانت لمساكين[1] يعملون في البحر﴾ يؤجرون سفينتهم بما يحصل لهم بعض القوت ﴿فأردت أن أعيبها[2]﴾ لا لأغرق أهلها، ﴿وكان وراءهم[3] ملك[4]﴾ ظالم ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صالحة ﴿غصباً﴾ أي قهراً وإنما أردت أن أبقيها لهم إذ الملك المذكور لا يأخذ إلا السفن الصالحة ﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلتُ وأنكرتَ عليَّ قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ إن كبر ﴿أن يرهقهما[5]﴾ أي يُغشيهما ﴿طغياً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ أي طهراً وصلاحاً ﴿وأقرب رحماً[6]﴾ أي رحمة وبراً بهما فلذا قتلته، ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما[7]، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي سن الرشد ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ أي كان ذلك رحمة ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي عن إرادتي وإختياري بل كان بأمر ربي وتعليمه. ﴿ذلك﴾ أي هذا ﴿تأويل ما لم تسطع[8] عليه صبراً﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات :

١ ـ بيان ضروب من خفي ألطاف الله تعالى فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وإن كان ظاهره ضاراً.

٢ ـ بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه بما ظاهره عذاب ولكن في باطنه رحمة.

٣ ـ مراعاة صلاح الأباء في إصلاح حال الأبناء.

---

(١) بهذه الآية استدل من قال من الفقهاء بأنّ المسكين أقلّ فقراً من الفقير لأنّ من ملك سفينة لا يعتبر فقيراً، وردّ هذا بأنّ أصحاب السفينة كانوا سبعة أفراد، وخمسة منهم زمنى ورثوا السفينة من أبيهم وبذا هم فقراء مساكين.

(٢) أعيبها: أي أجعلها ذات عيب، يقال: عبت الشيء فعاب أي: صار ذا عيب فهو معيب.

(٣) جائز أن يكون الوراء على حقيقته أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى امام، ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿وكان أمامهم ملك﴾.

(٤) قيل: اسم الملك هو هدد بن بدد، واسم الغلام المقتول: جيسور.

(٥) وفسّر أيضاً: يجشمهما ويحملهما على الرهق وهو الجهل والمعنى: أنه يحملهما حبه على الغلو فيه فيطغيان ويكفران.

(٦) الرحم والرحمة بمعنى واحد قال الشاعر:

وكيف بظلم جارية   ومنها اللّين والرُّحم

(٧) قيل: اسم الغلامين: أصرم وصريم، وكان الكنز ذهباً وفضة لحديث الترمذي عن أبي الدرداء، وشاهده من اللغة فإنّ الكنز: المال المدفون المدّخر، وجائز أن يكون مع المال كتاب فيه علم.

(٨) تسطع وتستطيع بمعنى

٤ ـ كل ما أتاه الخضر كان بوحي إلهي وليس هو مما يدعيه جُهال الناس ويسمونه بالعلم اللّدنّي وأضافوه إلى من يسمونهم الأولياء، وقد يسمونه كشفاً، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن الخضر قال لموسى: أنا على علم مما علمني ربي وأنت على علم مما علمك الله وإن علمي وعلمك إلى علم الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

شـــرح الكلمات:

ويسألونك : أي كفار قريش بتعليم يهود لهم.

ذي القرنين : الإسكندر باني الاسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التبابعة وكان عبداً صالحاً

سأتلوا عليكم منه ذكراً : سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلمًا.
مكنا له في الأرض : بالحكم والتصرف في ممالكها.
من كل شيء سببا : أي يحتاج إليه سبباً موصلا إلى مراده.
فأتبع سببا : أي فأتبع السبب سبباً آخر حتى انتهى إلى مراده.
تغرب في عين حمئة : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض.
قوماً : أي كافرين.
عذاباً نكرا : أي عظيما فظيعا.
يسرا : أي ليناً من القول سَهْلا من العمل.
مطلع الشمس : أي مكاناً تطلع منه.
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا : القوم هم الزَّنْج ولم يكن لهم يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها.
كذلك : أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا.
بين السدين : السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك سد ذو القرنين مابينهما فقيل فيهما سدان.
قوماً لايكادون يفقهون قولا : لايفهمون كلام من يخاطبهم إلا بشدة وبطء وهم يأجوج ومأجوج.

معنى الآيـات :

هذه قصة العبد الصالح ذي القرنين الحِمْيَري التُّبعي على الراجح من أقوال العلماء، وهو الأسكندر باني الأسكندرية المصرية، ولأمر ما لقِّب بذي القرنين[1]، وكان قد تضمن سؤال قريش النبي ﷺ بإيعاذ من يهود المدينة ذا القرنين إذ قالوا لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فإن أجابكم عنها فإنه نبي، وإلا فهو غير نبي فَرَوْا رأيكم فيه فكان الجواب عن الروح في سورة الإسراء وعن الفتية وذي القرنين في سورة الكهف هذه وقد تقدم

(١) اختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال هي: عبدالله أو الاسكندر أو عبّاس أو جابر، كما اختلفوا في تلقيبه بذي القرنين على عشرة أقوال أمثلها أنه ملك فارس والروم أو أنه كان له ضفيرتانمن شعر رأسه فلقب لذلك بذي القرنين، واختلف في نبوته، والظاهر أنه كان نبيًّا يوحى إليه وكان ملكاً حاكماً.

الحديث التفصيلي عن أصحاب الكهف في أول السورة وهذا بدء الحديث المتضمن للإجابة عن الملك ذي القرنين عليه السلام قال تعالى: ﴿ويسألونك﴾ يانبينا ﴿عن ذي القرنين قل﴾ للسائلين من مشركي قريش ﴿سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾[1] أي سأقرأ عليكم من أمره وشأنه العظيم ذكراً خبراً يحمل الموعظة والعلم والمعرفة: وقوله تعالى: ﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً. ﴾ هذه بداية الحديث عنه فأخبر تعالى أنه مكن له في الأرض بالملك السلطان، وأعطاه من كل شيء يحتاج إليه في فتحه الأرض ونشر العدل والخير فيها سبباً يوصله إلى ذلك، وقوله ﴿فأتبع سبباً﴾[2] حسب سنة الله في تكامل الأشياء فمن صنع إبـرة وتابع الأسباب التي توصل بها إلى صنع الإبرة فإنه يصنع المسلة، وهكذا تابعه بين أسباب الغزو والفتح والسير في الأرض ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي على ساحل المحيط الأطلنطي، وكونها تغرب فيها هو بحسب رأي العين، وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة[3] والمحيط إلى جنبها في الأرض وقوله تعالى: ﴿ووجد عندها﴾ أي عند تلك العين في ذلك الإقليم المغربي ﴿قوماً﴾ أي كافرين غير مسلمين فأذن الله تعالى له في التحكم والتصرف فيهم إذ يسر له أسباب الغلبة عليهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿قلنا ياذا القرنين﴾ وقد يكون نبياً ويكون قوله الله تعالى هذا له وحياً وهو ﴿إما أن تعذب﴾ بالأسر والقتل، ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ وهذا بعد حربهم والتغلب عليهم فأجـاب ذو القرنين ربه بما أخبر تعالى به: ﴿أما من ظلم﴾[4] أي بالشرك والكفر ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل والأسر، ﴿ثـم يرد إلى ربه﴾ بعد موته ﴿فيعذبه عذاباً نكرا﴾ أي فظيعاً أليما. ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً﴾ أي أسلم وحسن اسلامه ﴿فله جزاء[5]﴾ على إيمانه وصالح أعماله ﴿الحسنى﴾ أي الجنة في الآخرة ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ اليوم فلا نغلظ له في

---

(١) ﴿ذكراً﴾ أي: خبراً يتضمن ذكره.

(٢) أصل: السبب: الحبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فتوصّل إلى فتح البلاد وقهر الأعداء وقرىء فأتبع سببا بقطع الهمزة وقرأ أهل المدينة فاتّبع سببا بهمزة وصل وتشديد التاء.

(٣) قرأ الجمهور: (حمئة) من الحمأة أي كثيرة الحمأة وهي الطين الأسود وقرأ بعضهم حامية أي: حارة وجائز أن تكون حامية من الحمأة فخففت الهمزة وقلبت ياء.

(٤) أي: قال لاولائك القوم أمّا مَنْ ظلم.. الخ.

(٥) قراءة أهل المدينة (فله جزاءُ الحسنى) برفع جزاء بدون تنوين والحسني مضاف إليه والخبر تقديره: عند الله. وقرأ غيرهم بنصب جزاء على التمييز أي: فله الحسنى جزاءً ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية.

القول ولا نكلفه ما يشق عليه ويرهقه.

وقوله تعالى: ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدمه في مواصلة الغزو والفتح في المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع[1] الشمس وجدها تطلع على[2] قوم﴾ بدائيين لم تساعدهم الأرض التي يعيشون عليها على التحضر فلذا هم لايبنون الدور ولا يلبسون الثياب، ولكن يسكنون الكهوف والمغارات والسراديب وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي الشمس ﴿سترا﴾. وقوله تعالى: ﴿كذلك[3]﴾ أي القول الذي قلنا والوصف الذي وصفنا لك من حال ذي القرنين ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من قوة وأسباب مادية وروحية ﴿خبرا﴾ أي علماً كاملا. وقوله تعالى: ﴿ثم أتبع﴾ أي ذو القرنين ﴿سببا﴾ أي واصل طريقه في الغزو والفتح ﴿حتى إذا بلغ بين السدين[4]﴾ وهما جبلان بأقصى الشمال الشرقي للأرض بنى ذو القرنين بينهما سداً عظيما حال به دون غزو يأجوج ومأجوج للإقليم المجاور لهم، وهم القوم الذين قال تعالى عنهم ﴿وجد من دونهما[5] قوماً لايكادون يفقهون قولاً﴾ فلا يفهمون ما يقال لهم ويخاطبون به إلا بشدة وبطء كبير.

هـداية الآيات:

من هـداية الآيات:

١ - تقرير نبوة النبي محمد ﷺ إذ هذا جواب آخر أسئلة قريش الثلاثة. قرأه عليهم قرآنا موحى به إليه.

٢ - إتباع السبب السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات.

٣ - قول: ذو القرنين: ﴿أما من ظلم . . . . . الخ﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه، ومن الأسف أن

---

(١) المطلع: يجوز فيه كسر الميم وفتحها مثل المنسك والمجزر والمسكن والمنبت هذه يجوز فيها وجهان الكسر والفتح في ميمها.

(٢) قال صاحب التنوير: والظاهر أنه بلغ ساحل اليابان في حدود منشوريا أو كوريا شرقاً.

(٣) جائز أن يكون المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك.

(٤) قرأ حفص بفتح السين، وقرأ نافع بضمها، ونظير السد في الفتح والضم الضعف والقر والقر.

(٥) قوله: من دونهما يعني أمام السدين لا خلفهما إذ خلفهما يأجوج ومأجوج.

يعكس هذا القول السديد والحسم الرشيد فيصبح أهل الظلم مكرمين لدى الحكومات، وأهل الإيمان والإستقامة مهانين!!

٤ ـ بيان وجود أمم بدائية إلى عهد ما بعد ذي القرنين لايلبسون ثيابا ولا يسكنون سوى الكهوف والمغارات ويوجد في البلاد الكينية إلى الآن قبائل لايرتدون الثياب، وإنما يضعون على فروجهم خيوط وسيور لاغير.

٥ ـ تقرير أن هذا الملك الصالح قد ملك الأرض فهو أحد أربعة[١] حكموا الناس شرقاً وغرباً.

قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾

---

(١) هم: مسلمان وهما ذو القرنين وسليمان عليهما السلام، وكافران وهما: النمرود وبختنصر. كذا قيل والله أعلم.

شـــرح الكلمـات :

يأجوج ومأجوج : قبيلتان من أولاد يافث بن نوح عليه السلام والله أعلم.

نجعل لك خرجاً : أي جعلاً مقابل العمل.

ســـــداً : السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين.

ردْمــاً : حاجزاً حصيناً وهوالسد.

زبر الحديد : جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجرة التي يبنى بها.

بين الصدفين : أي صدف الجبلين أي جانبيها.

قطرا : القطر النحاس المذاب.

فما اسطاعوا أن يظهروه : أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته.

نقبـــا : أي فتح ثغرة تحت تحته ليخرجوا معها.

جعله دكـــا : أي تراباً مساوياً للأرض.

وتركنا بعضهم : أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون ويجيئون في اضطراب كموج البحر.

أعينهم في غطاء عن ذكري : أي عن القرآن لايفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضا له أو أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لاتبصر الحق ولا تعرفه.

لايستطيعون سمعاً : لبغضهم للحق والداعي إليه.

معنى الآيات :

مازال السياق في حديث ذي القرنين إذْ شكا إليه سكان المنطقة الشمالية الشرقية من الأرض، بمـا أخبـر تعالى به عنهم إذ قال: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج[1] ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي بالقتل والأكل والتدمير والتخريب، ﴿فهل نجعل لك خرجاً[2]﴾ أي أجرا ﴿على

---

(١) يأجوج ومأجوج: اسمان اعجميان يهمزان ولا يهمزان ولذا قرىء في السبع بهما وهما ابنا يافث بن نوح عليه السلام ورد وصفهم أن صنفاً منهم يفرش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، ومن مات منهم أكلوه مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، وذلك يوم يفتح سدهم ويهدم، وخروجهم من أشراط الساعة الكبرى.

(٢) الخـرج والخراج: لغتان، وقيل الخرج: ما يعطى تطوعاً والخراج: ما يلزم عطاؤه والمراد به هنا الأجر مقابل العمل المطلوب من إقامة السدّ.

أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ أي حاجزاً قوياً لايصلون معه إلينا. فأجابهم ذو القرنين بما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿قال ما مكني فيه ربي﴾ من المال القوة والسلطان ﴿خير﴾ أي من جعلكم وخرجكم ﴿فأعينوني[1] بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً[2]﴾ أي أي سداً قوياً وحاجزاً مانعاً ﴿آتوني زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد كل قطعة كاللَّبِنَة المضروبة، فجاءوا به إليه فأخذ يضع الحجارة وزبر الحديد ويبْني حتى ارتفع البناء فساوى بين الصدفين جانبي الجبلين، وقال لهم ﴿انفخوا﴾ أي النار على الحديد ﴿حتى إذا جعله نارا﴾ قال آتوني بالنحاس المذاب أفرغ عليه قطرا[3] فأتوه به فأفرغ عليه من القطر ما جعله كأنه صفيحة واحدة من نحاس ﴿فما اسطاعوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ أي يعلوا فوقه، ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ أي خرقا فلما نظر إليه وهو جبل شامخ وحصن حصين قال هذا من رحمة ربي أي من أثر رحمة ربي عليَّ وعلى الناس وأردف قائلا ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ وهو خروج يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة ﴿جعله دكا﴾ أي تراباً مساويا للأرض، ﴿وكان وعد ربي حقا﴾ وهذا مما وعد به وانه كائن لامحالة قال تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ أي مختلطين مضطربين إنسهم[4] وجنهم ﴿ونفخ في الصور﴾ نفخة البعث ﴿فجمعناهم﴾ للحساب والجزاء ﴿جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ حقيقياً يشاهدونها فيه من قرب، ثم ذكر ذنب الكافرين وعلة عرضهم على النار فقال: وقوله الحق: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ أي أعين قلوبهم وهي البصائر فلذا هم لاينظرون في آيات الله الكونية فيستدلون بها على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، ولا في آيات الله القرآنية فيهتدون بها إلى أنه لا إله إلا الله ويعبدونه بما تضمنته الآيات القرآنية، ﴿وكانوا لايستطيعون سمعاً﴾ للحق ولما يدعوا إليه رسل الله من الهدى والمعروف.

---

(١) القوة: الرجال والمال.
(٢) الردم أعظم من السدّ.
(٣) جائز أن يكون المراد بالقطر النحاس المذاب وهذا الظاهر، وجائز أن يكون الحديد المذاب والثالث: أنه الصفر والرابع أنه الرصاص. روى أحمد عن النبي ﷺ ما خلاصته أنّ يأجوج ومأجوج يحفران يومياً السدّ حتى إذا كادوا يخرقونه يقولون غدا نتم حفره وإذا جاء الغد حفروا ولم يقولوا إن شاء الله حتى إذا جاء وعد الله قالوا: إن شاء الله ففتح لهم.
(٤) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض: يأجوج ومأجوج وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال.

٢ ـ فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي

٣ ـ مشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر.

٤ ـ تقرير وجود أمة يأجوج ومأجوج، وأن خروجهم من أشراط الساعة.

٥ ـ تقرير البعث والجزاء.

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

أفحسب الذين كفروا : الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

أن يتخذوا عبادي : كالملائكة وعيسى بن مريم والعزير وغيرهم.

أولياء : أرباباً يعبدوهم بأنواع من العبادات.

نزلا : النزل : مايعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه.

ضل سعيهم : أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم ينتفعوا به.

يحسنون صنعا : أي يعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء.

بآيات ربهم : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية.

ولقائه : أي كفروا بالبعث والجزاء.

وزناً : أي لانجعل لهم قدراً ولا قيمة بل نزدريهم ونذلهم.

ذلك : أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك، لأنهم بكفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل لا خير فيه ولا وزن له فحسن أن يشار إليه بذلك.

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المشركين شركهم ويوبخهم مقرعاً لهم على ظنهم أن اتخاذهم[1] عبادَه من دونه أولياء يعبدونهم كالملائكة حيث عبدهم بعض العرب والمسيح حيث عبده النصارى، والعزير حيث عبده بعض اليهود، لايغضبه تعالى ولايعاقبهم عليه. وكيف لايغضبه ولايعاقبهم عليه وقد أعد جهنم للكافرين نزلا أي دار ضيافة لهم فيها طعامهم وفيها شرابهم وفيها فراشهم كما قال تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٢) وهي قوله تعالى ﴿أفحسب[2] الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء[3]. إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٣) يخبر تعالى بأسلوب الاستفهام للتشويق للخبر فيقول ﴿قل هل ننبئكم﴾ أيها المؤمنون ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ إنهم ﴿الذين ضل سعيهم[4] في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي عملا، ويعرفهم فيقول ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ فلم يؤمنوا بها، وبلقاء ربهم فلم يعملوا العمل الذي يرضيه عنهم ويسعدهم به وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله لعباده المؤمنين به يتقربون به إليه. فلذلك حبطت أعمالهم لأنها شرك وكفر وشر وفساد، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[5]﴾ إذ لا قيمة لهم ولا لأعمالهم الشركية الفاسدة الباطلة فإن أحدهم لايزن جناح بعوضة لخفته.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم الشياطين. وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعوهم إلى عبادتهم.

(٢) قرىء: (أفحسب) بإسكان السين وضم الباء أي. أفيكفيهم أن يتخذوهم أولياء؟

(٣) جواب الاستفهام محذوف تقديره: كلا بل هم أعداء يتبرؤن منهم وجائز أن يكون: ولا أغضب ولا أعاقبهم، وكلا المعنيين يراد.

(٤) يدخل في هذا كل من المشركين واليهود والنصارى والحرورية والمراءون بأعمالهم، وكل من يعمل الأعمال، وهو يظن أنه محسن وقد حبطت أعماله لفساد اعتقاده ولمراءاته أو لعمله بغير ما شرع الله كأنواع البدع المكفّرة.

(٥) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾.

وأخيراً أعلن تعالى عن حكمه فيهم وعليهم فقال ﴿ذلك﴾[1] أي المذكور من غثاء الخلق ﴿جزاؤهم جهنم.﴾ وعلل للحكم فقال: ﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ أي بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات ربهم وبرسله فكان الحكم عادلاً، والجزاء موافقاً والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير شرك من يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء آلهة يعبدوهم تحت شعار التقرب إلى الله تعالى والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله تعالى بحبهم والتقرب إليهم.

٢ ـ تقرير هلاك أصحاب الأهواء الذين يعبدون الله تعالى بغير ماشرع ويتوسلون إليه بغير ماجعله وسيلة لرضاه وجنته. كالخوارج والرهبان من النصارى والمبتدعة الروافض والإسماعيلية، والنصيرية والدروز ومن إليهم من غلاة المبتدعة في العقائد والعبادات والأحكام الشرعية.

٣ ـ لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه، وإن مات خوفا من الله أو شوقاً إليه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ

(١) وجائز أن تكون الإشارة بذلك إلى ترك الوزن وخسة القدر والخبر: جزاؤهم جهنم. و(جهنم) بدل من (جزاؤهم) بدلا مطابقاً فيه زيادة توكيد.

إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

شـــرح الكلمـات :

كانت لهم : أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح .

الفردوس نزلاً : هو وسط الجنة وأعلاها ونزلاً منزل إكرام وإنعام .

لايبغون عنها حولا : أي لايطلبون تحولاً منها لأنها لا خير منها أبداً .

لو كان البحر : أي ماؤه مداداً .

قبل أن تنفد كلمات ربي : أي قبل أن تفرغ .

لنفد البحر : أي ولم تنفد هي أي لم تفرغ .

يرجو لقاء ربه : يأمل وينتظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقى ربه تعالى .

ولايشرك بعبادة ربه أحدا : أي لا يرائي بعمله أحدا ولايشرك في عبادة الله تعالى غيره تعالى .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الشرك والأهواء وأنه جهنم ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان والتقـوى التي هي عمل الصالحات واجتناب المحرمات فقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله ، ووعده لأوليائه ، ووعيده لأعدائه من أهل الشرك والمعاصي، وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض والواجبات وسارعوا في النوافل والخيرات هؤلاء ﴿كانت لهم﴾ في علم الله وحكمه ﴿جنات الفردوس[1]﴾ أي بساتين الفردوس منزلا ينزلونه ودار كرامة يكرمون فيها وينعمون، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها قال رسول الله ﷺ واصفاً لها ومرغبا فيها وقد ارتادها وانتهى إلى مستوى فوقها ليلة الإسراء والمعراج قال: «إن سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى، ومنه تفجر أنهار الجنة»، كما في الصحيح[2]، وقوله تعالى ﴿خالدين فيها لايبغون

(١) روى الشيخان من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (جنان الفردوس أربع : ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهماوليس بين القوم وبين ان ينظروا إلى ربّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)

(٢) وروى البخاري وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس).

عنهـا حولا﴾ أي ماكثـين فيهـا أبـداً لا يطلبون متحولاً عنها إذ نعيمها لايمل وسعادتها لاتنقص، وصفْوها لايكدر وسرورها لاينغص بموت ولا بمرض ولا نصب ولا تعب جعلني الله ومن قال آمين من أهلها. آمين. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا[1] لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ تضمنت هذه الآية رداً على اليهود الذين لما نزل قول الله تعالى ﴿وماأوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ في الرد عليهم لما سألوا عن الروح بواسطة وفد قريش إليهم. فقالوا: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مداداً الآية رداً عليهم وإبطالاً لمزاعمهم فأعلمهم وأعلم كل من يدعي العلم الذي مافوقه علم بأنه لو كان ماء البحر مدادا وكان كل غصن وعود في أشجار الدنيا كلها قلمًا، وكتب بهما لنفد ماء البحر وأغصان الشجر ولم تنفد كلمات ربي التي تحمل العلوم والمعـارف الإلهية وتـدل عليهـا وتهدي إليها فسبحان الله وبحمده، سبحانه الله العظيم سبحان الله الذي انتهى إليه علم كل شيء وهو على كل شيء قدير. وقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر[2] مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾. يأمر تعالى رسوله بأن يقول للمشركين الذين يطلبـون منـه المعجزات كالتي أوتى موسى وعيسى: إنما أنا بشر مثلكم لا أقدر على ما لاتقدرون عليه أنتم، والفرق بيننا هو أنه يوحى إلي الأمر من ربي وأنتم لا يوحى إليكم يوحى إلي أنما إلهكم أي معبودكم الحق وربكم الصدق هو إله واحد الله ربكم ورب آبائكم الأولـين. وقـولـه ﴿فمن[3] كان يرجو[4]﴾ أي يأمل وينتظر ﴿لقاء ربه﴾ خوفاً منه وطمعاً فيه ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ وهو مؤمن موقن، ﴿ولايشرك بعبادة[5] ربه أحداً﴾ فإن الشرك محبط للعمل مبطل له، وبهذا يكون رجاءه صادقاً وانتظاره صالحاً صائباً.

(١) المداد في أوّل الآية والمداد في آخرها بمعنى واحد واشتقاقها لا يختلف.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما علّم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقرّ على نفسه بأنّه آدميّ كغيره إلاّ أنه أكرم بالوحي.

(٣) روي في سبب نزول هذه الآية ما يلي: أتى جندب بن زهير الغامدي رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إني أعمل لله تعالى فإذا اطّلع عليه سرّني فقال رسول الله ﷺ: إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا ولا يقبل ما روئي فيه. فنزلت هذه الآية.

(٤) فسر ﴿يرجو﴾ بمعنى: يأمل وبمعنى يخاف وكلاهما مطلوب الخوف من الله ومن عذاب الآخرة، والأمل في فضل الله وإحسانه وثوابه في الدنيا والآخرة.

(٥) فسّر سعيد بن جبير رحمه الله ﴿ولا يشرك﴾ بأن لا يرائي. وهو صحيح ولفظ الشرك أعم من الرياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ - بيان أفضل الجنان وهو الفردوس الأعلى.

٣ - علم الله غير متناهي لأن كلماته غير متناهية.

٤ - تقرير صفة الكلام لله تعالى.

٥ - تقرير بشرية النبي ﷺ وأنه ليس روحاً ولا نوراً فحسب كما يقول الغلاة الباطنية.

٦ - تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.

٧ - تقرير أن الرياء شرك لما ورد أن الآية نزلت في بيان حكم المرء يجاهد[1] يريد وجه الله ويرغب أن يرى مكانه بين الناس، يصلي ويصوم ويحب أن يثنى عليه بذلك.

سورة مريم

مكية

وآياتها ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

(١) قال ابن عباس وطاووس. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يُرى مكاني فنزلت هذه الآية وجائز تعدد النزول من أجل أن يجاب السائل بنفس الآية التي كانت جواباً لسؤال مماثل.

شرح الكلمات :

كٓهيعٓصٓ[1] : هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص وتُقرأ كاف، هاء يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذكر رحمة ربك : أي هذا ذكر رحمة ربك.

نادى ربه : أي قال: يارب ليسأله الولد.

نداءً خفيا : أي سر بعداً عن الرياء.

وهن العظم مني : أي رق وضعف لكبر سني

واشتعل الرأس شيبا : أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب.

ولم أكن بدعائك رب شقيا : أي إنك لم تخيبني فيما دعوتك فيه قبل فلا تخيبني اليوم فيما أدعوك فيه.

وإني خفت الموالي : أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي.

إمرأتي عاقراً : لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم.

فهب لي من لدنك وليا : أي ارزقني من عندك ولداً.

ويرث من آل يعقوب : أي جدي يعقوب العلم والنبوة.

واجعله رب رضيا : أي مرضياً عندك.

سميا : أي مسمى يحيى.

معنى الآيات :

أما قوله تعالى: كٓهيعٓصٓ[2] فإن هذا من الحروف المقطعة والراجح أنها من المتشابه الذي نؤمن به ونفوض فهم معناه لمنزله سبحانه وتعالى فنقول: ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده به.

وأما قوله تعالى: ﴿ ذكر[3] رحمة ربك عبده زكريا﴾ فإن معناه: مما تتلو[4] عليك في هذا القرآن يانبينا

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الكاف من كافٍ والهاء من هادٍ والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق. وعن قتادة أنه اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم للسورة وقيل: هي اسم الله الأعظم، وكان علي يقول: يا كهيعص اغفر لي.

(٢) كهيعص: هذه حروف هجاء مكتوبة بمسمياتها مقروءة بأسمائها.

(٣) (ذكر) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا ذكر رحمة ربك وعبده: منصوب بالمصدر الذي هو ذكر.

(٤) بناء على أن ذكر رحمة ربك: خبر والمبتدأ محذوف فإنه يصح تقديره. هذا ذكر وذكر رحمة ربك، وهذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك.

فيكـــون دليلاً على نبـــوتـــك ذكـــر رحمـــة ربـك التي رحم بهـا عبـده زكـريا حيث كبـرت سنـه، وامرأته عاقر لايولد لها ورغب في الولد لمصلحة الدعوة الإسلامية إذ لايوجد من يخلفه فيها إذا مات نظراً إلى أن الموجود من بني عمه ومواليه ليس بينهم كفؤ لذلك بل هم دعاة إلى السوء فنادى[1] ربه نداء خفيا قائلا: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾ أي رق وضعف، ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ أي شاب شعر رأسي لكبر سني، ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أي في يوم من الأيام بمعنى أنك عودتني الاستجابة لما أدعوك له ولم تحرمني استجابة دعائي فأشقى به دون الحصول على رغبتي. ﴿وإني﴾ ياربي قد ﴿خفت الموالي[2]﴾ أن يضيعوا هذه الدعوة دعوة الحق التي هي عبادتك بما شرعت وحدك لا شريك لك، وذلك بعد موتي ﴿فهب لي من لدنك﴾ أي من عندك تفضلا به علي إذ الأسباب غير متوفرة للولد: المرأة عاقر وأنا شيخ كبير هرم، ﴿ولياً﴾ أي ولداً يلي أمر هذه الدعوة بعد وفاتي فيرثني فيها ﴿ويرث[3] من آل يعقوب﴾ جدي ما تركوه بعدهم من دعوة أبيهم إبراهيم وهي الحنيفية عبادة الله وحده لا شريك له ﴿واجعله رب رضيا﴾ أي واجعل الولد الذي تهبني ياربي ﴿رضيا﴾ أي عبداً صالحا ترضاه لحمل رسالة الدعوة إليك، فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله: ﴿يازكريا[4] إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى[5]، لم نجعل له من قبل سميا﴾ أي من سمي باسمه يحيى قط.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام.

٢ ـ استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة.

---

(١) النداء هنا: الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، وفيه استحباب دعاء السرّ والمناجاة الخفية، وقد أسرّ مالك القنوت وجهر به الشافعي لأنّ الرسول ﷺ جهر به.

(٢) الموالي هنا: الأقارب وبنوا العم والعصبة الذين يلونه في النسب لأنّ العرب تسمّي بني العم موالي قال شاعرهم:

مهلا بني عمّنا مهلا موالينا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(٣) المراد من الإرث هو: إرثه في دعوته لأنّ مواليه كانوا مهملين للدّين والدعوة فخاف ضياع ذلك فسأل ربه ولداً يقوم بذلك، أمّا المال فإنّ الأنبياء لا يورثون وما يتركونه فهو صدقة.

(٤) في الكلام حذف تقديره: فاستجاب الله دعاءه فقال: يا زكريا.. الخ.

(٥) تضمنت هذه البشرى ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة. الثاني: إعطاؤه الولد وهو قوّة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسمّ بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿من قبل﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسماً وذاتاً وحالاً وهو محمد ﷺ.

٣ ـ وجود العقم في بعض النساء.

٤ ـ قدرة الله تعالى فوق الأسباب إن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها.

٥ ـ تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيها يخلفون من المال كالشاه والبعير[1] وإنها يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة.

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

شـــرح الكلمـات :

أنى يكون لي غلام؟: أي من أي وجهٍ وَجِهَةٍ يكون لي ولد.

عتيــا : أي يبست مفاصلي وعظامي.

آية : أي علامة تدلني على حمل امرأتي

ســويا : أي حال كونك سويّ الخَلْقِ مابك عليه خرس.

---

(١) والدينار والدرهم.

من المحراب[1] : المصلى الذي يصلى فيه وهو المسجد.

فأوحى إليهم : أومأ إليهم وأشار عليهم.

وآتيناه الحكم صبيا : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع.

وحنانا من لدنا : أي عطفاً على الناس موهوباً له من عندنا.

وزكاة : أي طهارة من الذنوب والآثام.

جبارا عصياً : أي متعاليا لايقبل الحق عصياً لايطيع أمر الله عز وجل وأمر والديه.

وسلام عليه : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم يولد، وأمان له من فتاني القبر يوم يموت، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر رحمة الله عبده زكريا إنه لما بشره ربه تعالى بيحيى قال: ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا[2]﴾ أي من أي وجه وجهة يأتيني الولد أمن إمرأة غير امرأتي، أم منها ولكن تهبني قوة على مباضعتها[3] وتجعل رحمها قادرة على العلوق[4]، لأني كما تعلم ياربي قد بلغت من الكبر حداً بس فيه عظمي ومفاصلي وهو العتى كما أن امرأتي عاقر لايولد لها. فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله عز وجل: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت يازكريا، ولكن ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أي إعطاؤك الولد على ما أنت عليه من الضعف والكبر وامرأتك من العقر سهل يسير لاصعوبة فيه ويدلك على ذلك أني ﴿قد خلقتك من[5] قبل ولم تك شيئا﴾، فكما قدر ربك على خلقك ولم تك شيئا فهو قادر على هبتك الولد على ضعفك وعقر امرأتك وهنا طالب زكريا ربه بأن يجعل له علامة تدله على وقت حمل امرأته بالولد فقال ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ فأعطاه تعالى علامة على وقت حمل امرأته بالولد وهي أنه يصبح يوم بداية الحمل لايقدر على الكلام

(١) المحراب: مكان مرتفع، ومن هنا كره مالك أن يصلي الإمام في مكان ارفع من المكان الذي يصلي فيه الناس وراءه خشية الكبر عليه، والكبر من كبائر الذنوب ولم يكره أحمد رحمه الله تعالى.

(٢) قرأ نافع (عُتيا) بضم أوله كما: بُكيًا وصليًا، ويكسرها قرأ حفص، والعتي: هو قحول العظم ويبوسته.

(٣) أي: جماعها من إدخال البضع في البضع.

(٤) أي: علوق النطفة في الرحم.

(٥) أي: فخلق الولد كخلقك

وهو سوي البدن مابه خرس ولا مرض يمنعه من الكلام، ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي المصلى الذي يصلي فيه ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أومأ وأشار[1] إليهم ﴿أن سبحوا[2] بكرة وعشياً[3]﴾ أي اذكروا الله في هذين الوقتين بالصلاة والتسبيح. وهنا علم بحمل امرأته إذ إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل. وقوله تعالى: ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾ هذا قول الله تعالى للغلام بعد بلوغه ثلاث سنين أمره الله تعالى أن يتعلم التوراة ويعمل بها بقوة جد وحزم وقوله ﴿وآتيناه الحكم[4] صبيا﴾ أي وهبناه الفقه في الكتاب ومعرفة أسرار الشرع وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام. وقوله تعالى: ﴿وحناناً[5] من لدنا وزكاة وكان تقياً﴾ أي ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبياً كما أنه عليه السلام كان ذا حنان على أبويه وغيرهما من المسلمين وقوله وزكاة أي طهارة من الذنوب بإستعمال بدنه في طاعة ربه عز وجل، وكان تقياً أي خائفا من ربه فلا يعصه بترك فريضة ولا يفعل حرام.

وقوله تعالى: ﴿وبرا بوالديه﴾ أي محسناً بهما مطيعاً لهما لايؤذيهما أدنى أذى وقوله ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي لم يكن عليه السلام مستكبراً ولا ظالماً، ولا متمرداً عاصياً لربه ولا لأبويه وقوله: ﴿وسلام عليه يوم[6] ولد﴾ أي أمان له من الشيطان يوم ولد، وأمان له من فتانى القبر يوم يموت، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً، فسبحان الله ما أعظم فضله وأجزل عطاءه على أوليائه، اللهم أمنا كما أمنته فإنك ذو فضل عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد، كسؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى.

---

(١) أو كتب إليهم كتابة.

(٢) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيا فلما حملت امرأته امرهم بالصلاة بالإشارة لأنه لم يقدر على الكلام إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.

(٣) بكرة وعشيا ظرفان في الصباح والمساء.

(٤) يروى أنه قال له الأولاد: هيا بنا نلعب فقال لهم: ما للعب خلقت، فهذا مما أوتيه من الحكم صبيًا.

(٥) الحنان: التعطف والترحم وأصله من حنين الناقة إلى فصيلها، ويقال: حنانك وحنانيك وهما بمعنى واحد. قال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(٦) وجائز أن يكون المراد بالسلام هنا: التحية منه تعالى وهي أشرف من غيرها.

٢ ـ جواز طلب العلامات الدالة على الشيء للمعرفة.

٣ ـ آية عجيبة أن يصبح زكريا لايتكلم فيفهم غيره بالإشارة فقط.

٤ ـ فضل التسبيح في الصباح والمساء.

٥ ـ وجوب أخذ القرآن بجد وحزم قراءة وحفظاً وعملاً بها فيه.

٦ ـ صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ماقبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبياً.

٧ ـ وجوب البر بالوالدين ورحمتهما والحنان عليهما والتواضع لهما.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

شــرح الكلمــات :

واذكر في الكتاب : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها.

مريم : هي بنت عمران والدة عيسى عليه السلام.

إذ انتبذت : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكاناً خاصاً تخلو فيه بنفسها.

شــرقيا : أي شرق الدار التي بها أهلها.

حجابا : أي ساتراً يسترها عن أهلها وذويها.

روحنا : جبريل عليه السلام.

بشرا سوياً : أي تام الخلق حتى لا تفزع ولا تروع منه.

إن كنت تقياً : أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابتعدعنى ولا تؤذني.

غلاما زكيا : ولداً طاهراً لم يتلوث بذنب قط.

ولم يمسسني بشر : أي لم أتزوج.

ولم أك بغياً : أي زانية.

قال كذلك : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب.

هو على هين : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد.

ولنجعله آية للناس : أي على عظيم قدرتنا.

ورحمة منا : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ماجاء به.

أمراً مقضياً : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتماً لامحالة.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿واذكر في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿مريم﴾ أي نبأها وخبرها ليكون ذلك دليلاً على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله ﴿إذ انتبذت﴾ أي اعتزلت ﴿من أهلها﴾ هذا بداية القصة وقوله ﴿مكاناً شرقياً﴾ أي موضعا شرقي دار قومها وشرق المسجد، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم في صلاتهم ولا حجة لهم في ذلك إلا الابتداع وإلا فقبلة كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام قوله تعالى : ﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي من دون أهلها ﴿حجاباً﴾ ساتراً لها عن أعينهم[1]، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريل في صورة بشر سوي الخلقة معتدلها، فدخل عليها فقالت ما قص الله تعالى في كتابه ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ أي أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمناً تقياً فاذهب عني ولا تروعني أو تمسني بسوء. فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب[2] لك غلاماً زكيا﴾ إي طاهراً لايتلوث بذنب قط. فأجابت بما أخبر تعالى عنها في قوله : ﴿أنى يكون لي

(١) قيل : استترت عن أهلها لتغتسل من حيضتها وتمتشط، وذلك لكمال حيائها.

(٢) قرأ ورش عن نافع : (ليهب) بالياء بغير همزة، وقرأ غيره : (لأهب) بالهمزة فعلى قراءة نافع المعنى : أرسلني ليهب لك، وعلى قراءة غيره أرسلني يقول لك أرسلت رسولي إليك لأهب لك.

غلام﴾ أي من أي وجه يأتيني الولد، ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي وأنا لم أتزوج، ﴿ولم أك بغيا﴾[1] أي ولم أك زانية، فأجابها جبريل بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت ولكن ربك قال: ﴿هو علي هين﴾ أي خلقه بدون أب من نكاح أو سفاح، لأنه هين علينا من جهة، ﴿ولنجعله[2] آية للناس﴾ دالة على قدرتنا على خلق آدم بدون أب ولا أم، والبعث الآخر من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿رحمة منا وكان أمراً مقضياً[3]﴾ أي ولنجعل الغلام المبشر به رحمة منا لكل من آمن به واتبع طريقته في الإيمان والاستقامة وكان هذا الخلق للغلام وهبته لك أمراً مقضياً أي حكم الله فيه وقضى به فهو كائن لا محالة ونفخ جبريل في جيب قميصها فسرت النفخة في جسمها فحملت به كما سيأتي بيانه في الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان شرف مريم وكرامتها على ربها.

٢ - فضيلة العفة والحياء.

٣ - كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم.

٤ - مشروعية التعوذ بالله من كل مايخاف من إنسان أو جان.

٥ - التقوى[4] مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم.

٦ - خلق عيسى آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأً وإعادة.

---

(١) لم تقل بغيّة لأنه وصف يغلب على النساء فقلّما تقول العرب رجل بغي فجرى بغيا مجرى حائض وعاقر، وقيل هو فعيل بمعنى فاعل والأوّل أولى.

(٢) (ولنجعله) متعلق بمحذوف تقديره: ونخلقه لنجعله.

(٣) أي: مقدرا في اللوح المحفوظ كتاب المقادير العام.

(٤) بخلاف الفجور فإنه مصدر كل ضرّ وشرّ.

۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

شــرح الكلمات :

فانتبذت به : فاعتزلت به .

مكاناً قصيا : أي بعيداً من أهلها .

فأجاءها المخاض : أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة .

إلى جذع النخلة : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة .

نسياً منسياً : أي شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر .

فناداها من تحتها : أي عيسى عليه السلام بعدما وضعته .

تحتك سريا : أي نهراً يقا له سري .

رطبا جنيا : الرطب الجني : ماطاب وصلح للإجتناء .

فكلي واشربي : أي كل من الرطب واشربي من السري .

وقري عينا : أي وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني .

نذرت للرحمن صوماً : أي إمساكاً عن الكلام وصمتاً .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة مريم إنه بعد أن بشرها جبريل بالولد وقال لها وكان أمراً مقضياً ونفخ في كم درْعها أو جيب قميصها فحملته[1] فوراً ﴿وانتبذت به مكاناً قصياً﴾ أي فاعتـزلت به في مكـان بعيد[2] ﴿فـأجاءها المخاض[3]﴾ أي ألجأها وجع النفاس ﴿إلى جذع النخلة﴾ لتعتمـد عليه وهي تعـاني من آلام الـطلق وأوجاعه، ولما وضعته قالت متأسفة متحسرة ما أخبر تعالى به: ﴿قالت ياليتني[4] مت قبل هذا﴾ أي الوقت الذي أصبحت فيه أم ولد، ﴿وكنت نسياً منسيا[5]﴾ أي شيئاً متروكا لايذكر ولا يعرف وهنا ﴿فنادها﴾ عيسى[6] عليه السلام ﴿من تحتها ألا تحزني﴾ يحملها على الصبر والعزاء وقوله تعالى: ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أي نهر ماء يقال له سري، ﴿وهزيء إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وقري عينا﴾ أي طيبي نفسا وافرحي بولدك، ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكلميه واكتفي بقولك ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ هذا كله من قول عيسى لها أنطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفسي من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلاّ أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأنّ الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل: ﴿فحملته فانتبذت به﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) انتحت بالحمل إلى مكان بعيد قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وادي بيت لحم بينه وبين إيلياء أربعة أميال وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها بالولادة من غير أب.

(٣) يقال: جاء به وأجاءه إلى موضع كذا: اضطره وألجأه.

(٤) تمني الموت لا يجوز لحديث: (لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به) الحديث وتمنّته مريم عليها السلام لا لصالح نفسها ولكن لله تعالى، وذلك أنها خافت أن يظنّ بها الشرّ في دينها وتُعيّر فتفتن بذلك، وهذا لله، وثانيا خافت أن يقع بعض الناس في البهتان والنسبة إلى الزنى فيهلكون. وهذا أيضاً لله لا لها.

(٥) النسي: الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يُتألم لفقده كالوتد والحبل ونحوهما، ويجمع النسي على أنساء قال الكميت رضي الله عنه:

أتجعلنا جسرا لكب قضاعة ولست بنسي في معدّ ولا دخل

والنسي أيضاً: خرق الحيض التي ترمى بدمها من الحيض.

(٦) قرأ نافع (مِن) بكسر الميم حرف جر، وقرأ حفص مَن بفتحها، اسم موصول والمراد بالموصول عيسى عليه السلام ناداها قبل أن ترضعه من تحتها تعجيلا للمسرة والبشرى لها به فأنْ في ألا تحزني تفسيرية لأنّ النداء قول.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار.

٢ ـ إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد يبسه.

٣ ـ تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لايمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب[1] الجني إذ هذا في استطاعتها.

٤ ـ مشروعية النذر إلا أنه بالامتناع[2] عن الكلام منسوخ في الإسلام.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّۭا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّۭا ﴿٣٣﴾﴾

---

(١) قالت العلماء: أكل الرطب للنفساء من أنفع الأغذية لها نظراً إلى أنّ الله تعالى اختاره لمريم عليها السلام.

(٢) قولها ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ فسر الصوم بالصمت كما في التفسير وأولى من هذا أن يكون صوم النذر في دينهم مستلزماً للصمت وعدم الكلام، والسياق دالّ عليه ظاهر فيه، وما زال النصارى يعتبرون الصمت عبادة فيصمتون دقائق على أرواح موتاهم ونسخ الإسلام هذا كما في الصحيح حيث أمر من نذر أن لايتكلم أن يتكلم، ومن سنن الهدى في الاسلام الامتناع عن الكلام القبيح في الصيام لحديث الصحيح: (إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرىء قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم) وهو كقول مريم: ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسيّاً﴾..

شـــرح الكلمـات :

فأتت به	: أي بولدها عيسى عليه وعليها السلام.
جئت شيئاً فريا[1]	: أي عظيما حيث أتيت بولد من غير أب.
يا أخت هارون	: أي يا أخت الرجل الصالح هارون.
امرأ سوء	: أي رجلاً يأتي الفواحش.
فأشارت إليه	: أي إلى عيسى وهو في المهد.
آتاني الكتاب	: أي الإنجيل باعتبار مايكون مستقبلاً.
مباركا أينما كنت	: أي حيثما وجدت كانت البركة فيّ ومعي ينتفع الناس بي.
وبرا بوالدتي	: أي محسناً بها مطيعاً لها لاينالها مني أدنى أذى.
جباراً شقيا	: ظالماً متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة مريم مع قومها: إنها بعد أن تماثلت للشفاء حملت ولدها وأتت به قومها وَما ان رأوها حتى قال قائلهم: ﴿يامريم لقد جئت شيئاً فريا﴾ أي أمرا عظيما وهو إتيانك بولد من غير أب. ﴿ياأخت هارون[2]﴾ نسبوها إلى عبد صالح يسمى هارون: ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سوء﴾ يأتي الفواحش ﴿وما كانت أمك﴾ «حنة» ﴿بغيا﴾ أي زانية فكيف حصل لك هذا وأنت بنت البيت الطاهر والأسرة الشريفة. وهنا أشارت إلى عيسى الرضيع في قماطته أي قالت لهم سلوه يخبركم الخبر وينبئكم بالحق، لأنها علمت أنه يتكلم لما سبق أن ناداها ساعة وضعه من تحتها وقال لها ما ذكر تعالى في الآيات السابقة.

---

(١) (فريًا): أي: مختلقاً مفتعلاً من الافتراء الذي هو الكذب يقال: فرى وأفرى: كذب ومن كراماتها أن امرأة مدّت لها يدها لتضربها اصيبت بالشلل الفوري فحملت كذلك وقالت لها: أخرى ما أراك إلاّ زنيت فأخرسها الله فوراً فصارت لا تتكلم ومن ثمّ الانوا لها الكلام واحترموها.

(٢) من الجائز ان يكون لمريم أخ صالح من أبيها او من أبويها نسبوها إليه ومن الجائز ان تنسب إلى هارون الرسول عليه السلام كقول العرب يا أخا تميم ويا أخا العرب، وما في التفسير إجمال يشمل الكلّ فتأمّل، وفي الآية دليل على جواز التسمية بالأنبياء والصالحين، ولا خلاف في ذلك.

هردوا عليهـا مستخفين بها منكرين عليها متعجبين منها: ﴿كيف نكلم من كان[1] في المهد صبيا؟﴾ فأنطق الله عيسى الرضيع فأجابهم بما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿قال إني[2] عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً[3] بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا[4]﴾ فأجابهم بكل ما كتب الله وأنطقه به، وكان عيسى كما أخبر عن نفسه لم ينقص من ذلك شيئا كان عبداً لله وأنزل عليه الإنجيل ونبأه وأرسله إلى بني إسرائيل وكان مباركاً يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله تنال البركة من صحبته وخدمته والإيمان به وبمحبته وكان مقيمًا للصلاة مؤدياً للزكاة طوال حياته وما كان ظالماً ولا متكبراً عاتيا ولا جباراً عصياً. فعليه كما أخبر السلام أي الأمان التام يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن في قبره ويوم يبعث حياً فلا يحزنه الفزع الأكبر، ويكون من الآمنين السعداء في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام.

٢ ـ آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات.

٣ ـ وجوب بر الوالدين بالاحسان بهما وطاعتهما والمعروف وكف الأذى عنهما.

٤ ـ التنديد بالتعالي والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ

---

(١) كان: هنا زائدة للتوكيد، ومن: مبتدأ والخبر في المهد وصبياً: حال من الموصول.

(٢) قيل: لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيراً بسبابته اليمنى: ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا ردّ على الذين ألّهوه وعبدوه من دون الله تعالى.

(٣) البَرّ: بمعنى البار وخص بهذه الصفة لأنّ قومهم قل فيهم البرور بالوالدين وكثر فيهم العقوق نظراً إلى فشو الباطل فيهم ورقة حبل الدين بينهم، والجبّار: المتكبر على الناس الغليظ في معاملتهم، والشقي ضدّ السعيد.

(٤) لما قال ما قال في المهد: إني عبدالله.. إلى قوله: ﴿ويوم أبعث حيًّا﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

شـــرح الكلمـات :

ذلك عيسى ابن مريم : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى بن مريم.

قول الحق : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به.

يمترون : يشكون.

ما كان لله أن يتخذ من ولد : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

سبحانه : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير.

صراط مستقيم : أي طريق مستقيم لايضل سالكه.

فاختلف الأحزاب : أي في شأن عيسى فقال اليهود هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى هو الله وابن الله تعالى الله عما يصفون.

من مشهد يوم عظيم : هو يوم القيامة.

أسمع بهم وأبصر : أي ما أسمعهم وماأبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب.

وأنذرهم يوم الحسرة : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما يشاهدون أهل الجنة فيورثوا منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار فتعظم الحسرة ويشتد الندم.

معنى الآيات:

بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجاباً معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشارت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال: إني عبد الله، فبين تعالى أن جبريل بشرها، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حمله وأنها وضعته تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها: أن لاتحزني، وأرشدها إلى القول الذي تقول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسألوه وسألوه فعلا فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً ومباركا وأوصاه بالصلاة والزكاة مادام حياً وأنه بر بوالدته، ولم يكن جباراً شقياً فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية (٣٤) ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو ﴿عيسى ابن مريم﴾، وما أخبرتكم به هو ﴿قول[1] الحق الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وانه ساحر وقال النصارى هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ ينفي تعالى عنه اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ماعداه، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمه الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[2]. وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنظير، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله: سبحانه أي تنزيها له عن صفات المحدثين وقوله تعالى: ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[3]. هذا من قول[4] عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم أنه عبد الله وليس بابن لله ولا بإله مع الله وأخبرهم

---

(١) قرأ الجمهور برفع قول وقرأ عاصم بنصبها، فأما الرفع فهو خبر ثانٍ عن اسم الإشارة أو وصف لعيسى أو بدل منه، وأمّا النصب فعلى الحال من اسم الإشارة.

(٢) في هذا ردّ على النصارى القائلين بأن المكوّن بأمر التكوين من غير سبب معتاد لا يكون إلاّ ابن الله تعالى فبيّنت الآية أنّ أصول الموجودات كلها كانت بأمر التكوين فهل يقال فيها أبناء الله؟! والجواب قطعاً لا، وعليه فقد بطل قولهم: عيسى ابن الله لأنّه كان بكلمة التكوين.

(٣) جملة: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ تذييل وفذلكة لما سبق من الكلام وإشارة إلى مضمون ما تقدّم على اختلاف وجوهه، في تقرير الحق وإبطال الباطل.

(٤) نعم الظاهر أنه من قول عيسى عليه السلام، والجمل قبله من قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ اعتراض بين قول عيسى الأوّل: ﴿إني عبدالله﴾ وبين قوله: ﴿وإنّ الله ربّي وربكم﴾.

أن الله تعالى هو ربه وربهم فليعبدوه جميعاً بما شرع لهم ولايعبدون معه غيره إذ لا إله لهم إلا هو سبحانه وتعالى، وأعلمهم أن هذا الاعتقاد الحق والعبادة بما شرع الله هو الطريق المفضي بسالكه إلى السعادة ومن تنكب عنه وسلك طريق الشرك والضلال أفضى به إلى الخسران وقوله تعالى في الآية (٣٧) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم[١]﴾ أي في شأن عيسى فمن قائل هو الله، ومن قائل هو ابن الله ومن قائل هو وامه الهين من دون الله والقائلون بهذه المقالات كفروا بها فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال ﴿فويل للذين كفروا﴾ بنسبتهم الولد والشريك لله، والويل واد في جهنم فهم إذا داخلوها لا محالة، وقوله ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعني به يوم القيامة وهو يوم ذو أهوال وشدائد لايقادر قدرها.

وقوله تعالى في الآية(٣٨) ﴿أسمع[٢] بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المتعامين اليوم عن الحق لايريدون أن يبصروا آثاره الدالة عليه فيؤمنوا ويوحدوا ويعبدوا ،والمتصاممين عن سماع الحجج والبراهين وتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد هؤلاء يوم يقدمون عليه تعالى في عرصات القيامة يصبحون أقوى مايكون أبصاراً وسمعا، ولكن حين لاينفعهم سمع ولا بصر، وقوله تعالى: ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يخبر تعالى أن أهل الشرك والكفر وهم الظالمون في ضلال مبين أي عن طريق الهدى وهو سبب عدم إبصارهم للحق وسماعهم لحججه التي جاءت بها رسل الله ونزلت بها كتبه.

وقوله تعالى في آية (٣٩) ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة[٣] إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن ينذر الكفار والمشركين أي يخوفهم عاقبة شركهم وكفرهم وضلالهم يوم القيامة حيث تشتد فيه الحسرة وتعظم الندامة وذلك عندما يتوارث الموحدون مع المشركين فالموحدون يرثون منازل المشركين في الجنة، والمشركون يرثون منازل

---

(١) (من): زائدة واختلاف الأحزاب، وجهه: أن اليهود قادحون والنصارى مادحون، فاليهود قالوا: ساحر وابن زنية، والنصارى فرقة: قالت هو الله وأخرى قالت: ابن الله، وثالثة قالت: ثالث ثلاثة، وهذه الفرق هي الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية ثم تشعبت وأشهرها الآن: الملكانية أي الكاثوليك واليعقوبية: أي أرثذوكس والاعتراضية أي: البروتستانت.

(٢) هذا الكلام ظاهر أنه أمر لحمل السامع على التعجب من حال المذكورين، ومعناه الخبر أي: لا أحد أسمع منهم ولا أبصر يوم يقفون في عرصات القيامة، ويشاهدون الناريسمعونزفيرها.

(٣) روي في مسند أحمد وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرونه ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح. قال. ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة..﴾ الآية.

الموحدين في النار، وعندما يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود فلا موت؟ ويا أهل النار خلود فلا موت عندها تشتد الحسرة ويعظم الندم هذا معنى قوله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ عما حكم عليهم به من الخلود في نار جهنم ﴿وهم لايؤمنون﴾ بالبعث ولا بما يتم فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم. وقوله تعالى: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها، وإلينا يرجعون﴾[1] يخبر تعالى عن نفسه بأنه الوارث للأرض ومن عليها ومعنى هذا أنه حكم بفناء، هذه المخلوقات وأن يوما سيأتي يفنى فيه كل من عليها، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه ويحاسبهم بما كتبت أيديهم ويجزيهم به، ولذا فلا تحزن أيها الرسول وامض في دعوتك تبلغ عن ربك ولا يضرك تكذيب المكذبين ولا شرك المشركين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس كما قال اليهود، ولا كما قالت النصارى.

٢ ـ استحالة اتخاذ الله الولد وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

٣ ـ تقرير التوحيد على لسان عيسى عليه السلام.

٤ ـ الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام.

٥ ـ بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به.

٦ ـ تقرير فناء الدنيا، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ

(١) هذه الجملة ذيّل بها الكلام السابق فتمت به القصة وضمير (نحن) للتأكيد والأرض: المراد بها ما فيها من غير العقلاء (ومن عليها) المراد بهم العقلاء وهم البشر.

إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

شـرح الكلمـات :

اذكر في الكتاب : أي في القرآن.

إنه كان صديقا : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه.

يا أبت : ياأبي وهو آزر.

صراطا سويا : أي طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة.

لاتعبد الشيطان : أي لاتطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام.

عصيا : أي عاصياً لله تعالى فاسقا عن أمره.

فتكون للشيطان وليا : أي قريباً منه قرينا له فيها أي النار.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده آزر عليه لعائن الرحمن قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ يانبينا ﴿في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿إبراهيم﴾ خليلنا ﴿إنه كان صديقا﴾ أي صادقا في أقواله وأعماله بالغاً مستوى عظيما في الصدق ﴿نبيا﴾ من أنبيائنا فهو جدير بالذكر في القرآن ليكون قدوة صالحة للمؤمنين. واذكره ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿ياأبت لم[1] تعبد﴾ أي تسأله بالدعاء والتقرب بأنواع القربات مالايسمع ولايبصر من الأصنام أي لايبصرك ولايسمعك ﴿ولايغني عنك شيئا﴾ لايدفع عنك ضراً ولا يجلب لك نفعا فأي حاجة لك إلى عبادته ﴿ياأبت إني قد جاءني من[2] العلم﴾ أي من قبل ربي تعالى ﴿مالم يأتك﴾ أنت ﴿فاتبعني﴾ فيما أعتقده وأعمله وأدعو إليه ﴿أهدك صراطا[3] سويا﴾ أي مستقيما يفضي

(١) الاستفهام للإنكار أي: لأيّ شيء تعبد.
(٢) أي: من اليقين والمعرفة بالله وبما يكون بعد الموت، وأنّ من عبد غير الله يعذّب ابداً.
(٣) أرشدك إلى دين قيّم فيه نجاتك وسعادتك.

بك إلى السعادة والنجاة، ﴿ياأبت لاتعبد الشيطان﴾ أي بطاعته فيما يدعوك إليه من عبادة غير الله تعالى من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع لأنها لاتسمع ولا تبصر ولا تعطي ولا تمنع، ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيّا﴾[1] أي عاصيا أمره فأبى طاعته وفسق عن أمره. ﴿ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾[2] إن أنت بقيت على شركك وكفرك ولم تتب منها حتى مت فيمسك عذاب من الرحمن ﴿فتكون﴾ أي بذلك ﴿للشيطان ولياً﴾ أي قريباً منه قرينا له في جهنم فتهلك وتخسر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير التوحيد بالدعوة إليه.

٢ - كمال إبراهيم بذكره في الكتاب.

٣ - بطلان عبادة غير الله تعالى.

٤ - عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير الله تعتبر عبادة للشيطان لأنه الآمر بها والداعي إليها.

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

---

(١) الجملة تعليلية للنهي عن عبادة الشيطان واتباع وسوسته وما يدعو إليه من الشرك.

(٢) أي: إني أخاف أن تموت على الكفر فيمسك العذاب الأليم.

شـرح الكلمـات

لئن لم تنته	: أي عن التعرض لها وعيبها.
لأرجمنك	: بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذرني.
واهجرني مليا[1]	: أي سليما من عقوبتي
سلام عليك	: أي أمنةٌ مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني.
إنه كان بي حفيا	: أي لطيفاً بي مكرماً لي يجيبني لما أدعوه له.
عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا	: بل يجيب دعائي ويعطني مسألتي.
فلما اعتزلهم	: بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم.
وهبنا له اسحق ويعقوب	: أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه.
ووهبنا لهم من رحمتنا	: خيراً كثيراً المال والولد بعد النبوة والعلم.
لسان صدق عليا	: أي رفيعاً بأن يُثنى عليهم ويذكرون بأطيب الخصال.

معنى الآيات :

مازال السياق في قصة إبراهيم مع أبيه آزر إنه بعد تلك الدعوة الرحيمة بالألفاظ الطيبة الكريمة التي وجهها إبراهيم لأبيه آزر ليؤمن ويوحد فينجو ويسعد قال آزر راداً عليه بعبارات خالية من الرحمة والأدب بل ملؤها الغلظة والفظاظة والوعيد والتهديدوهي،ما أخبر به تعالى عنه في قوله: في الآية (٤٦) ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي أكاره لها تعيبها، ﴿لئن لم تنتـه﴾ أي عن التعـرض لها بأي سوء[2] ﴿لأرجمنـك﴾ بأبشـع الألفـاظ وأقبحها، ﴿واهجـرني مليا﴾[3] أي وابعـد عني مادمت معـافى سليم البدن سويه قبل أن ينالك مني ماتكره. كان هذا رد آزر الكافر المشرك. فيما أجاب ابراهيم المؤمن الموحد أجاب بما أخبر تعالى به عنه في قوله في آية (٤٧) ﴿قال سلام[4] عليك[5]﴾ أي أمان لك مني يا أبتاه فلا أعاودك

---

(١) ﴿واهجرني مليا﴾ أي: اتركني وشأني وابعد عني طويلا تسـلم من عقوبتي.

(٢) أي: كعيبها وشتمها.

(٣) وقيل في معناه: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي، وقيل: اهجرني طويلا.

(٤) هذا يسمى سلام المتاركة، وليس هو بالتحية وهل يجوز بدء الكافر بالسلام؟ في المسألة خلاف، والراجح: جواز السلام إذا كان لغرض سليم ككونه جاراً لك أو رفيقاً أو مصاحباً لك في عمل أو لك إليه حاجة وما إلى ذلك إذ سلم الرسول ﷺ على جماعة فيهم مشركون كما في الصحيح، وأمّا حديث: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) فهو إذا لم يكن هناك غرض صحيح.

(٥) (سلام): نكرة وصح الابتداء بها لما فيها من معنى التخصيص فقاربت لذلك المعرفة وصحّ الابتداء بها. وعليك الخبر.

فيما كرهت مني قط وسأقابل إساءتك بإحسان ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي أطلب منه أن يهديك للإيمان والتوحيد فتتوب فيغفر لك ﴿إنه كان﴾ سبحانه وتعالى ﴿بي حفيا﴾ لطيفا بي مكرما لي لايخيبني فيما أدعوه فيه.

وقوله تعالى حكاية عن قيل ابراهيم: ﴿واعتزلكم وماتدعون من دون الله﴾ أي أذهب بعيداً عنكم تاركاً لكم ولما تعبدون من دون الله من أصنام وأوثان، ﴿وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾[1] أي رجائي في ربي كبير أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام. قال تعالى مخبراً عنه فلما حقق ماواعدهم به من هجرته لديارهم إلى ديار القدس تاركا أباه وأهله وداره كافأه بأحسن حيث أعطيناه ولدين يأنس بهما في وحشته وهما إسحق ويعقوب وكلا منهما جعلناه نبيا رسولا، ووهبنا لجميعهم وهم ثلاثة الوالد ابراهيم وولداه اسحق ويعقوب بن اسحق عليهم السلام من رحمتنا الخير العظيم من المال والولد والرزق الحسن هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب﴾ وهو ابن ولده إسحق ﴿وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا﴾. وقوله تعالى عنهم ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله حيث جعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الأديان الإلهية يثنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء وأحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظي به إبراهيم وولديه إكراما من الله تعالى وإنعاما عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان الفرق بين مايخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام، وبين مايخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفظاظة الكلام.

٢ ـ مشروعية سلام المتاركة والموادعة وهو أن يقال للسيء من الناس سلام عليك وهو لايريد

(١) أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلاً وولداً يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال، وفي قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم﴾ وهنا له دليل يرجح هذا القول. والله أعلم.

بذلك تحيته ولكن تركه وماهو فيه.

٣ ـ مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض.

٤ ـ الترغيب في حسن الأحدوثة بأن يكون للمرء حسن ثناء بين الناس لما يقدم من جميل ومايورث من خير وإفضال.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾﴾

شـرح الكلمـات :

واذكر في الكتاب: أي في القرآن تشريفا وتعظيما.

موسى : أي ابن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام.

مخلصا : أي مختاراً مصطفى على قراءة فتح اللام «مخلَصاً» وموحداً لربه مفردا اياه بعبادته بالغا في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام.

جانب الطور : الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر.

وقربناه نجيا : أي أدنيناه إدناء تشريف وتكريم مناجياً لنا مكلما من قبلنا.

أخاه هارون نبيا : إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبّأهُ وأرسله معه إلى فرعون.

معنى الآيات :

هذا موجـز قصـة موسى عليه السـلام قال تعالى في ذلك وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ في هذه السلسلة الذهبية من عباد الله الصالحين أهل التوحيد واليقين موسى ابن عمران انه جدير بالذكر في القرآن وعلة ذلك في قوله تعالى: ﴿إنه كان مخلصا﴾ أي مختاراً مصطفى للإبلاغ عنا عبادنا ماخلقناهم لأجله وهو ذكرنا وشكرنا ذكرنا بالسنتهم وقلوبهم وشكرهم لنا بجوارحهم وذلك بعبادتنا وحدنا دون مَن سوانا، وكان موسى كذلك، وقوله تعالى: ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أي ومن افضالنا عليه وإكرامنا له أن جعلناه نبياً رسولا نبأناه

وأرسلناه إلى فرعون وملائه، ﴿وناديناه﴾[1] وهو في طريقه من مدين إلى مصر في جانب الطور الأيمن[2] حيث نبأناه وأرسلناه وبذلك ﴿وقربناه نجيا﴾ فصار يناجينا فنُسمعه كلامنا ونسمع[3] كلامه وأعظم بهذا التكريم من تكريم، وقوله: ﴿ووهبنا له من[4] رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ هذا إنعام آخر من الله تعالى على موسى النبي إذ سأل ربه أن يرسل معه أخاه هارون إلى فرعون فبرحمة من الله تعالى استجاب له ونبأ هارون وأرسله معه رسولا وماكان هذا إلا برحمة خاصة إذ النبوة لا تطلب ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة ولا بالدعاء والضراعة إذ هي هبة إلهية خاصة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ فضيلة الإخلاص، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهراً وباطناً.

٢ ـ إثبات صفة الكلام والمناجاة لله تعالى.

٣ ـ بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه مالم يعط أحداً من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولاً نبياً.

٤ ـ تقرير أن كل رسول نبياً والعكس لا أي ليس كل نبي رسولا.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) قيل: كان هذا الكلام والمناجاة ليلة الجمعة. ذكره القرطبي.

(٢) هو بالنسبة إلى يمين موسى عليه السلام أما الجبل فلا يمين له ولا شمال «ابن جرير الطبري».

(٣) أي: من غير وحي بل كفاحاً وجهاً لوجه بلا واسطة.

(٤) وذلك حين سأل ربه قائلا: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ الآية.

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)

شـــرح الكلمـات :

واذكر في الكتاب اسماعيل : أي اذكر في القرآن تشريفا وتعظيما اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام.

صادق الوعـــد : لم يخلف وعد قط.

بالصلاة والزكاة : أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

مرضيا : أي رضى الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه.

إدريس : هو جد أبي نوح عليه السلام.

ورفعناه مكاناً عليا : إلى السماء الرابعة.

إسرائيل : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام.

وممن هدينا واجتبينا : أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبيناهم بنبوتنا.

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن: أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها.

سجداً وبكيا : جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يبكون.

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما ذكرت من ذكرت من مريم وابنها وابراهيم وموسى اذكر كذلك اسماعيل[1] فإنه ﴿كان صادق الوعد﴾[2] لم يخلف وعداً قط وكان ينتظر الموعود الليالي حتى يجيء وهو قائم في مكانه ينتظره، ﴿وكان رسولا نبيا﴾ نبأه تعالى بمكة المكرمة إذ عاش بها وأرسله إلى قبيلة جرهم العربية ومنها تزوج وأنجب وكان من ذريته محمد ﷺ وقوله تعالى:

(١) هو إسماعيل بن ابراهيم والذي أمه هاجر عليهما السلام ولا التفات إلى قول من قال: إنه إسماعيل بن حزقيل الذي بعثه الله إلى قوم فسلخوا جلد رأسه. الخ كما في القرطبي.

(٢) في الآية دليل على وجوب صدق الوعد وفي الحديث: (إنّ الخُلف من آيات النفاق). وقد انتظر النبي ﷺ ثلاثة أيام وهو مقيم في مكان ينتظر من واعده اللقاء فيه وذلك قبل بعثته ﷺ رواه أبو داود والترمذي، والرجل هو: أبو الحمساء وقال له: يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك!!

﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ المراد من الأهل أسرته وقومه من قبيلة جرهم والمراد من الصلاة إقامتها ومن الزكاة أداؤها، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم، وقوله: ﴿كان عند ربه مرضيا﴾ موجب آخر لإكرامه والإنعام عليه بذكره في القرآن الكريم في سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومعنى ﴿كان عند ربه مرضيا﴾ أي أقواله وأفعاله كلها كانت مقبولة مرضية فكان بذلك هو مرضيا[1] من قبل ربه عز وجل. وقوله تعالى ﴿و اذكر في الكتاب إدريس﴾[2] وهو جد أبي نوح واستوجب الذكر في القرآن لأنه ﴿كان صديقا﴾ كثير الصدق مبالغا فيه حتى إنه لم يجر على لسانه كذب قط، وصديقا في أفعاله ومايأتيه فلم يعرف غير الصدق في قول ولا عمل وكان نبيا من أنبياء الله، وقوله ﴿ورفعناه مكاناً عليا﴾ إلى السماء[3] الرابعة في حياته كما رفع تعالى عيسى ورفع محمد إلى مافوق السماء السابعة. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ كأدريس[4]، ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أي في الفلك كابراهيم، ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ كاسحق واسماعيل، ﴿واسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وممن هدينا﴾ لمعرفتنا وطريقنا الموصل إلى رضانا وذلك بعبادتنا والاخلاص لنا فيها ﴿واجتبينا﴾ لوحينا وحمل رسالتنا. وقوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾[5] أي أولئك الذين هديناهم واجتبينا من اجتبينا منهم. والاجتباء الأختيار والاصطفاء بأخذ الصفوة ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ الحاملة للعظات والعبر والدلائل والحجج ﴿خروا سجدا﴾ لله ربهم ﴿وبكياً﴾ عما يرون من التقصير أو التفريط في جنب ربهم جل وعظم سلطانه.

---

(١) قيل: إنّ اسماعيل عليه السلام لم يعد شيئا إلاّ وفّى به وهو صحيح يقتضيه ظاهر الآية الكريمة، وقد قيل العِدة دَين، وفي الأثر: وأي المؤمن واجب. والوأي. الوعد. قال الشاعر:

متى يقل حرّ لصاحب حاجة   نعم يقضها والحر للوأي ضامن

وقال مالك: إذا سأل الرجل الرجل شيئا فوعده ثمّ بدا له عدم إنجاز ما وعد لا شيء عليه ولا يقضي عليه بذلك لأنّ العدة بخير من باب الإحسان وليس على المحسنين من سبيل.

(٢) قيل: إنّ إدريس هو أوّل من خط بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

(٣) كما في حديث المعراج في رواية مسلم وجاء فيه: (لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة.)

(٤) فنال ادريس الشرف بالقرب من آدم، ونال ابراهيم الشرف بالقرب من نوح ونال إسماعيل الشرف واسحق ويعقوب بالقرب من ابراهيم عليهم السلام أجمعين.

(٥) البكيّ: مصدر من مصادر بكى يبكي بكاه وبكىً وبكيًا، ويكون البكي جمع باكٍ نحو: قعود، وقاعد وسجود جمع ساجد وأصل بكي: بكوي على وزن فعول فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة إذ الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لاينكر عليه أن ينبىء محمداً ويرسله.

٢ ـ فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة.

٣ ـ فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل.

٤ ـ سُنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها. ﴿خروا سجدا وبكيا﴾

٥ ـ فضيلة البكاء حال السجود فقدكان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكيُّ يعني البكاء.

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾

شــرح الكلمـات :

خلف [1] : أي عقب سوء.

أضاعوا الصلاة : أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين.

اتبعوا الشهوات : انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر.

يلقون غياً : أي وادياً في جهنم يلقون فيه.

ولايظلمون شيئا: أي لاينقصون شيئا من ثواب حسناتهم.

(١) الخلف: بإسكان اللام خلف سوء وبفتحها خلف خير وصلاح.

جنات عدن : أي إقامة دائمة.

بالغيب : أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم عنها إذ هي في السماء وهم في الأرض.

مأتياً : أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتياً لا محالة.

لغواً : أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه.

بكرةً وعشياً : أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل.

من كان تقياً : أي من كان في الحياة الدنيا تقياً لم يترك الفرائض ولم يغش المحارم.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممن اجتبى وهدى من النبيين وذرياتهم، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم ﴿أضاعوا الصلاة﴾[1] فمنهم من أخرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿واتبعوا الشهوات﴾[2] فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلوا الحرام ولهوا ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين، فهؤلاء الخلف السوء يخبر تعالى أنهم ﴿فسوف يلقون غياً﴾ بعد دخولهم نار جهنم. والغي: ورد عن النبي ﷺ أنه بئر في جهنم وعن ابن مسعود أنه واد في جهنم[3] والكل صحيح إذ البئر توجد في الوادي وكثيراً ماتوجد الآبار في الأودية.

وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ أي لكن من تاب من هذا الخلف السوء وآمن أي حقق إيمانه وعمل صالحا فأدى الفرائض وترك غشيان المحارم. فأولئك أي فهؤلاء التائبون المنيبون ﴿يدخلون الجنة﴾ مع سلفهم

---

(١) جائز أن يراد بهذا الخلف السيء كل من أضاع الصلاة بتركها أو بعدم إقامتها بإخلاله بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، واتبع الشهوات من أهل الكتاب ومن المسلمين.

(٢) اتباع الشهوات لازم لإضاعة الصلاة لقول عمر: مَن أضاعها فهو لما سواها أضيع، ولأنّ اقام الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: غيّ: واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعدّ الله تعالى ذلك الوادي للزاني المصرّ على الزنى ولشارب الخمر المدمن عليه ولآكل الربا لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولداً ليس منه.

الصالح، ﴿ولايظلمون شيئا﴾ أي ولا ينقصون ولا يبخسون شيئا من ثواب أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة أبدية ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أي وعدهم بها وهي غائبة عنهم لم يروها لأنها في السماء وهم في الأرض.

وقـولـه: ﴿إنـه كان وعـده مأتيا﴾ أي كونهم مارأوها غير ضار لأن ماوعد به الرحمن لايتخلف أبداً لابد من الحصول عليه ومعنى مأتياً يأتيه صاحبه قطعاً.

وقوله تعالى في الآية (٦٢) ﴿لايسمعون فيها لغوا﴾ يخبر تعالى أن أولئك التائبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودخلوا الجنة لايسمعون فيها أي في الجنة لغواً وهو الباطل من القول وما لاخير فيه من الكلام اللهم إلا السلام فإنهم يتلقونه من الملائكة فيسمعونه منهم وهو من النعيم الروحاني في الجنة دار النعيم.

وقـولـه تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أي ولهم طعامهم فيها وهو ماتشتهيه أنفسهم من لذيذ الطعام والشراب ﴿بكرة وعشيا﴾ أي في وقت الغداة في الدنيا وفي وقت العشي في الدنيا إذ لا ليل في الجنة ولا نهار،[1] وإنما هي أنوار وجائز إذا وصل وقت الغداء أو العشاء تغير الأنوار من لون إلى آخر أو تغلق الأبواب وترخى الستائر ويكون ذلك علامة على وقت الغداء والعشاء.

وقوله تعالى: ﴿تلك الجنة﴾[2] آية (٦٣) يشير تعالى إلى الجنة دار السلام تلك الجنة العالية ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ منهم، أما الفاجر فإن منزلته فيها نورثها المتقي كما أن منزل التقي في النار نورثه فاجراً من الفجار، إذ هذا معنى التوارث: هذا يرث هذا وذاك يرث ذا، إذ ما من إنسان إلا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فمن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة ونزل في منزلته، ومن كفر وأشرك وعمل سوءاً دخل النار ونزل في منزله فيها، ويورث الله تعالى الأتقياء منازل الفجار التي كانت لهم في الجنة.

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ قال: (ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنّما هم في نور أبدا وإنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب). ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، والمهدوي وغيرهما «القرطبي».

(٢) الجملة مستأنفة، واسم الإشارة فيها للتنويه بها وبعلو مقامها وعظم الكرامة فيها لأهل التقوى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات .

٢ ـ الوعيد الشديد لمن ينغمس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك .

٣ ـ باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب .

٤ ـ بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار .

٥ ـ تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار .

٦ ـ بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء ، وأن ورثة النار هم الفجار .

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

شــرح الكلمـات :

وما نتنزل : التنزل النزول وقتا بعد وقت .

إلا بأمر ربك : أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء .

له مابين أيدينا : أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة .

وما خلفنا : أي ما مضى من الدنيا .

وما بين ذلك : مما لم يمض من الدنيا إلى يوم القيامة أي له علم ذلك كله .

وما كان ربك نسيا : أي ذا نسيان فإنه تعالى لاينسى فكيف ينساك ويتركك؟ .

رب السموات والأرض : أي مالكهما والمتصرف فيهما .

واصطبر لعبادته : أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت .

هل تعلم له سمياً : أي لاسميَّ له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد ، لم يكن له كفوا أحد .

معنى الآيتين :

لنزول هاتين الآيتين سبب وهو ماروى واستفاض أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ والذي يأتي بالوحي جبريل عليه السلام فلما جاء بعد بطءٍ قال له النبي ﷺ مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله تعالى قوله : جوابا لسؤال النبي ﷺ : ﴿ومانتنزل﴾[1] أي نحن الملائكة وقتا بعد وقت على من يشاء ربنا ﴿إلا بأمر ربك﴾ أيها الرسول أي إلا بإذنه لنا فليس لأحد منا أن ينزل من سماء إلى سماء أو إلى أرض إلا بإذن ربنا عز وجل ،﴿ له ما بين أيدينا وماخلفنا وما بين ذلك﴾ أي له أمر وعلم مابين أيدينا أي ما أمامنا من أمور الآخرة وماخلفنا أي مما مضى من الدنيا علمًا وتدبيراً ، وما بين ذلك إلى يوم القيامة علما وتدبيراً ، وماكان ربك عز وجل يارسول الله ناسياً[2] لك ولا تاركا فإنه تعالى لم يكن النسيان وصفاً له فينسى .

وقـوله تعالى : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه تعالى مالك السموات والأرض ومابينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له وبيده وفي قبضته وعليه ﴿فاعبده﴾ أيها الرسول بما أمرك بعبادته به ﴿واصطبر لعبادته﴾[3] إي تحمل لها المشاق ، فإنه لا إله إلا هو، فـ ﴿هل تعلم له سمياً﴾[4] أي نظيراً أو مثيلاً والجواب لا : إذاً فاعبده وحده وتحمل في سبيل ذلك ما استطعت تحمله . فإنه لامعبود بحق إلا هو إذ كل ماعداه مربوب له خاضع لحكمه وتدبيره فيه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ تقرير سلطان الله على كل الخلق وعلمه بكل الخلق وقدرته على كل ذلك .

---

(١) روى البخاري أنّ النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت : ﴿وما نتنزّل إلاّ بأمر ربّك﴾ الآية ، وقال مجاهد . أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثمّ أتاه فقال : ما الذي أبطأك؟ قال : كيف نأتيكم وأنتم لا تقصّون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تستاكون. قال مجاهد : فنزلت الآية في هذا والمراد بالمعيب عليهم : بعض المؤمنين لا رسول الله ﷺ فحاشاه أن يكون معيباً وهو على أكمل الأحوال.

(٢) هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿وما كان ربّك نسيّا﴾ أي : ناسيا إذا شاء أن يرسل إليك أرسل.

(٣) أي : لطاعته ، واللام بمعنى : على أي : على طاعته ، ولا تحزن لتأخّر الوحي عنك ، وأصل اصطبر : اصتبر فقلبت التاء طاءً تخفيفاً في النطق.

(٤) ولذا إجماع أهل الإسلام من عهد آدم أنه لايجوز أن يسمى مخلوق باسم الله عزّ وجل «الله».

٢ ـ استحالة النسيان على الله عز وجل.

٣ ـ تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين.

٤ ـ وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت.

٥ ـ نفي الشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

شـرح الكلمـات:

ويقول الإنسان : أي الكافر بلقاء الله تعالى.

ولم يك شيئاً : أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة.

جثياً : أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وحزن.

من كل شيعة : أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه

عتياً : أي تكبراً عن عبادته وظلما لعباده.

أولى بها صلياً : أي أحق بها اصطلاء واحتراقاً وتعذيباً في النار.

إلا واردها : أي ماراً بها إن وقع بها هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

حتما مقضياً : أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحتّمه فهو كائن لابد.

فيها جثياً : أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم إلى بعض.

معنى الآيات :

الآيات في سياق تقـرير عقيدة البعث والجزاء فيقـول تعـالى وقـوله الحق : ﴿ويقول الإنسان﴾ أي المنكر للبعث والدار الآخرة وقد يكون القائل أُبي بن خلف أو العاص بن وائل وقد يكون غيرهما إذ هذه قولة كل من لايؤمن بالآخرة يقول: ﴿أإذا مت لسوف أخرج[1] حياً﴾ يقـول هذا استنكاراً وتكذيباً قال تعالى: راداً على هذا الإنسان قولته الكافرة ﴿أو لايذكـر[2] الانسان﴾ أي المنكر للبعث الآخر ﴿أنا خلقناه من[3] قبل ولم يك شيئاً﴾ أيكذب بالبعث وينكره ولايذكر خلقنا له من قبل، ولم يك شيئا.

أليس الذي قدر على خلقه قبل أن يكون شيئاً قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى أليست الإعادة أهون من الخلق الأول والإيجاد من العدم، ثم يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله على أنه معيدهم كما كانوا ويحشرهم جميعا مع شياطينهم الذين يضلونهم ثم يحضرنهم حول جهنم جثيا على ركبهم أذلاء صاغرين. هذا معنى قوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿فوربك لنحشرنهم[4] والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ يخبر تعالى بعد حشرهم إلى ساحة فصل القضاء أحياء مع الشياطين الذين كانوا يضلونهم، يحضرهم حول جهنم جثياً، ثم يأخذ تعالى من كل طائفة من تلك الطوائف التي أحضرت حول جهنم وهي جاثية تنتظر حكم الله تعالى فيها أيهم كان أشد على الرحمن عتيا أي تمرداً عن طاعته وتكبراً عن الإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وهو معنى قوله تعالى في الآية (٦٩) ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم على أشد الرحمن عتيا﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم

---

(١) اللام في : (لسوف) للتأكيد والاستفهام: (أإذا): للإنكار، واللام: لام الابتداء جاء بها المتكلم لتأكيد إنكاره للبعث بعد الموت والخروج من قبره حيًا.

(٢) الاستفهام للانكار على منكر البعث،والتعجب من عقليته وعمىٰ قلبه من عدم النظر في عدم أصل خلقه فإنه لو أبصر وزالت غفلته لما أنكر البعث فالذي خلقه اليوم بخلقه غداً ولا عجب.

(٣) قبل كبعد: ملازمة للاضافة فإذا حذف المضاف بنيت على الضم، والمضاف المحذوف هنا تقديره: من قبل كونه شيئا يذكر في الوجود وقد أوجده الآن ويعدمه غداً ويحييه بعد موته يوم يريد ذلك.

(٤) الفاء: للتفريع، والضمير في: (لنحشرنهم) عائد على جنس الإنسان المكذّب بالبعث الآخر، والمشرك بالله المصر على ذلك، وذكر حشر الشياطين معهم تحقيرا لشأنهم حيث يحشرون مع أخس الخلق وأحطه ثمّ أشار إلى أنّ شركهم وكفرهم كان بتزيين الشياطين لهم ذلك، والجثي: جمع جاثٍ مثل: قاعد وقعود، فجثي: أصلها جثوي قلبت الواو ياء، وأدغمت، والجاثي هو البارك على ركبتيه عجزاً عن القيام.

أولى بها صليا﴾ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾[1].

وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾، فإنه يخبر عز وجل عن حكم حكم به وقضاء قضى به وهو أنه مامن واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبيان ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولايسقطون في النار والكافرون يمرون فيسقطون في جهنم.[2] وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ونذر الظالمين﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿فيها جثياً﴾ أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جاثمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والاحضار حول جهنم والمرور على الصراط.

٢ - تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة.

٣ - تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين.

٤ - تقرير حتمية المرور على الصراط.

٥ - بيان نجاة الأتقياء، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي.

---

(١) يقال: صلى يصلى صُليّا كمضى يمضي مُضيا وهوى يهوي هويّا، وصِليّا بكسر الصاد: قراءة حفص، وبضمها: قراءة نافع، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صليّا كما تقدّم في جثيا.

(٢) حاول صاحب التحرير أن يردّ مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثمّ ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى ردّ مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث الصراط والمرور به ثابت قطعيًا ففي صحيح مسلم: (ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحض مزلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، وبهذا الصراط.. فسّر السلف الورود على جهنم، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول، إذ قد يَرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصحّ قول الرسول ﷺ فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلاّ تحلة القسم) وهو الورود على متن جهنم نظراً إلى الآية ﴿وإن منكم إلاّ واردها﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

شــرح الكلمـات:

آياتنا بينات : أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج.

خير مقاماً : نحن أم أنتم والمقام المنزل ومحل الإقامة والمراد هنا المنزلة.

وأحسن ندياً : أي ناديا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء.

أحسن أثاثا ورئيا : أي مالا ومتاعا ومنظراً.

إما العذاب وإما الساعة : أي بالقتل والأسر وأما الساعة القيامة المشتملة على نار جهنم.

من هو شر مكانا : أي منزلة.

وأضعف جنداً : أي أقل أعواناً.

وخير مرداً : أي مايرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة والتوحيد والبعث الآخر يقول تعالى **﴿وإذا تتلى عليهم[1] آياتنا بينات[2]﴾** أي وإذا قرئت على كفار قريش المنكرين للتوحيد والنبوة المحمدية والبعث والجزاء

(١) المراد بهم الكفار الذين سبق ذكرهم في الآيات قبل هذه إذا قرئت عليهم الآيات تعزّزوا بالدنيا وقالوا فما بالنا إن كنا على باطل أكثر أموالاً وأعز نفرا وقصدهم إدخال الشبهة على المستضعفين من المؤمنين.

(٢) (بينات) حال مؤكدة.

يوم القيامة إذا قرأ عليهم رسول الله أو أحد المؤمنين من أصحابه بعض الآيات من القرآن البينات في معانيها ودلائلها على التوحيد والنبوة والبعث ﴿قال الذين[1] كفروا للذين آمنوا أي الفـريقين خير مقاماً وأحسن نديا﴾، وقولهم هذا هو رد فعل لاغير، إذ أنهم لما يسمعون الآيات تحمل الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين مثلهم لايجدون مايخففون به ألم نفوسهم فيقولون هذا الذي أخبر تعالى به عنهم ﴿أي الفـريقين﴾أي فريق المؤمنين أو فريق الكافرين خير مقاماً أي منزلاً ومسكنا وأحسن نديا أي ناديا ومجتمعا يجتمع فيه، لأنهم يقارنون بين منازل فقراء المؤمنين ودار الأرقم بن أبي الأرقم التي يجتمع فيها الرسول ﷺ والمؤمنون وبين دور ومنازل أبي سفيان وأغنياء مكة ونادي قريش وهو مجلس شوراهم فرد تعالى عليهم بقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورِئياً[2]﴾ أي لاينبغي أن يغرهم هذا الذي يتبجحون به ويتطاولون فإنه لايدوم لهم ماداموا يحاربون دعوة الحق والقائمين عليها فكم من أهل قرون أهلكناهم لما ظلموا وكانوا أحسن من هؤلاء مالا ومتاعا ومناظر حسنة جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي اذكر لهم سنتنا في عبادنا يارسولنا وهي أن من كان في ضلالة الشرك والظلم والمكابرة والعناد فإن سنة الرحمن فيه أن يمد له بمعنى يمهله ويملي له استدراجا حتى إذا انتهوا إلى ماحدد لهم من زمن يؤخذون فيه بالعذاب جزاء كفرهم وظلمهم وعنادهم وهو إما عذاب دنيوي بالقتل والأسر ونحوهما أو عذاب الآخرة بقيام الساعة حيث يحشرون إلى جهنم عميا وبكما وصما جزاء التعالي والتبجح بالكلام وهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما السـاعـة فسيعلمـون[3] من هو شر مكـاناً وأضعف جنداً﴾ أي شر منزلة وأقل ناصراً أهم الكافرون أم المؤمنون، ولكن حين لاينفع العلم. إذ التدارك أصبح غير ممكن وإنما هي

(١) الذين كفروا كالنضر بن الحارث وأبي جهل والمؤمنون هم أصحاب النبي ﷺ كعمار وبلال وصهيب.

(٢) الأثاث: متاع البيت من فرش وغيرها مما هو جديد، فإن استعمل قيل فيه: الخرثي قال الشاعر:

تقادم العهد من أم الوليد بنا   دهراً وصار أثاث البيت خرثياً

الرئي: المنظر الحسن. وفيه قراءات خمس أشهرها قراءة الجمهور ورئيا بالهمزة، وقراءة نافع ريّا بدون همزة واشتقاقه من الرؤية أي: المنظر، ومن الريّ ضد العطش، إذ الريّان هو المنعّم ذو الحال الحسنة.

(٣) في الآية ردّ على قولهم: ﴿أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا﴾. أي سوف تنكشف الحقائق في يوم القيامة، ويعلمون يقينا من هو الأفضل حالاً والأحسن مآلا.

الحسرة والندامة لاغير.

وقوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدًى﴾[1] أي إذا كان تلاوة الآيات البينات تحمل المشركين على العناد والمكابرة وذلك لظلمة كفرهم فيزدادون كفراً وعناداً فإن المؤمنين المهتدين يزدادون بها هداية لأنها تحمل لهم الهدى في كل جملة وكلمة منها وهم لإشراق نفوسهم بالإيمان يرون ما تحمل الآيات من الدلائل والحجج والبراهين فيزداد إيمانهم وتزداد هدايتهم في السير في طريق السعادة والكمال بأداء الفرائض واجتناب المناهي.

وقوله تعالى: ﴿والباقيات[2] الصالحات خير عند ربك﴾ أيها الرسول ﴿ثواباً وخير مردًّا﴾ في هذه الآية تسلية للرسول والمؤمنين بأن مايتبجح به المشركون من المال والمتاع وحسن الحال لا يساوي شيئاً أمام الإيمان وصالح الأعمال لأن المال فانٍ، والصالحات باقية فثواب الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات خير من كل متاع الدنيا وخير مرداً أي مردوداً على صاحبها إذ هو الجنة دار السلام والتكريم والإنعام

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتز المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة.

٢ ـ بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجاً لهم حتى يهلكوا خاسرين.

٣ ـ بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين عند سماع القرآن الكريم، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين.

٤ ـ بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) وفي الآية وجه اخر مشرق صالح وهو: أن الله تعالى يمدّ لأهل الضلالة في ضلالتهم، ويزيد لأهل الهداية في هدايتهم إذ قال: ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا﴾. وقال: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً﴾ وما في التفسير صالح ومشرق أيضاً.

(٢) أي: الأعمال الصالحة التي يعمل العبد إيماناً وإحساناً كالصلاة والصيام والصدقات والجهاد وذكر الله ثوابها لأهلها المدّخر لهم عند الله تعالى خير من أعمال أهل الكفر والشرك والظلم إذ هي ذاهبة هباء منثوراً فيم يتعزّز الكافرون؟

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

شـرح الكلمـات :

الذي كفر بآياتنا : هو العاص بن وائل.

لأوتين مالا وولداً : يريد في الآخرة.

أطلع الغيب : أي فعرف أنه يعطى مالاً وولداً يوم القيامة.

كـلا : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهداً.

ونمد له من العذاب مداً : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة.

ونرثه مايقول : أي نسلبه ماتبجح به من المال والولد ويبعث فرداً ليس معه مال ولا ولد.

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه ﷺ معجباً له ﴿أفرأيت[1] الذي كفر بآياتنا﴾ أي كذب بالوحي ومايدعوا له من التوحيد والبعث والجزاء وترك الشرك والمعاصي. وهو العاص بن وائل المسمى أبو عمرو بن العاص. ﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ قال هذا لخباب بن الأرت حينما طالبه بدين له عليه فأبى أن يعطيه استصغاراً له لأنه قيّن «حداداً» وقال له لا أعطيكه حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله ما أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثُمَّ تبعث فقال له العاص إذا أنا مِتُّ ثم بُعثت كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قضيتك دينك فأكذبه الله تعالى ورد عليه قوله بقوله عز وجل: ﴿أطلع الغيب[2]﴾ فعرف أن له يوم القيامة مالاً وولداً. ﴿أم اتخذ عند

(١) الأئمة ومن بينهم مسلم في صحيحه على أن هذه الآية نزلت في الخباب والعاص بن وائل إذ كان لخباب دّين على العاص فطالبه فأجابه بما خلاصته في التفسير أعلاه.

(٢) ﴿أطّلع الغيب﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنظر في اللوح المحفوظ. وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

الرحمن عهداً﴾ بذلك بأن سيعطيه مالاوولداً يوم القيامة﴿كـلا﴾[1]لم يطلع على الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً. وقوله تعالى: ﴿سنكتب مايقول﴾ من الكذب والإفتراء ونحاسبه به ونضاعف له العذاب به العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ونرثه[2] مايقول ويأتينا فردا﴾ أي ونسلبه مايقول من المال والولد حيث يموت ويترك ذلـك أو ينصر رسـوله على قومه فيسلبهم المال والولد. ويأتينا في عرصات القيامة للحساب فرداً لا مال معه ولا ولد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ الكشف عن نفسيات الكـافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بمال أو ولد أو سلطان فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم.

٢ ـ تقرير البعث والحساب والجزاء.

٣ ـ مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين لظلمهم بعد كفرهم.

٤ ـ تقرير معنى آية : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴿٨٧﴾

(١) كلا: ردّ عليه أي: لم يكن له ذلك. أي: لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهداً.

(٢) وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد إذ قال: لأوتين مالاً وولداً ورد تعالى عليه قوله بقوله: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾.

شــرح الكلمـات :

ليكونوا لهم عزاً : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لايعذبوا .

سيكفرون بعبادتهم : أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم .

ضداً [1] : أي أعداء لهم وأعوانا عليهم .

تؤزهم أزاً : أي تزعجهم ازعاجا وتحركهم حراكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي .

وفدا : أي راكبين على النُجُب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا إلى ربهم فيكرمهم .

إلى جهنم ورداً : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشاً .

عهداً : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معنى الآيات :

يخبر تعالى منـدداً بالمشركين فيقول: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي معبودات من الأصنام فعبدوها بأنواع من العبادات، ﴿ليكونوا لهم﴾ - في نظرهم الفاسد - ﴿عزاً﴾[2] أي شفعاء لهم عندنا يعزون بواسطتهم ولا يُهانون ، ﴿كلا﴾[3] أي ليس الأمر كما يظنون ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ وذلك يوم القيامة حيث ينكرون أنهم أمروهم بعبادتهم، ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أي خصوما،ومن ذلك قولهم[4] ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾. وقولهم. ﴿بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٣) ﴿ألم تر[5] أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾

---

(١) الضدّ : ما يخالف ضده في الماهية أو المعاملة، ومن هذا تسمية العدو ضدّ لأن معاملته تخالف معاملة نظيره، ويكون ضدّ في معنى المصدر عاملوه معاملة المصدر فلا يثني ولا يجمع ولا يؤنث.

(٢) العزّ: ضد الذلّ، واطلق العزّ هنا وأريد به سببه وهو الشفعاء والأعوان إذ بهم تحصل العزة وتكون المنعة.

(٣) (كلا): جائز أن تكون نافية بمعنى: لا وليس وجائز أن تكون بمعنى: حقاً أي: حقاً سيكفرون بعبادتهم . . الخ.

(٤) أي: فيما أخبر تعالى به في قوله: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فها هم قد وقفوا ضدّهم بتكذيبهم إياهم. ورأى بعض أهل التفسير أنّ من الجائز أن تكون الآية مبشرة بنصر الرسول ﷺ وأن يوماً سيأتي يكفر المشركون بآلهتهم وذلك بعد إسلامهم.

(٥) الاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب أي: كيف لم تَرَ ذلك والأمر واضح لوجود آثاره يشاهدها كل أحد. وأرسلنا بمعنى سلطناهم أو خلّيناهم يفعلون بهم ما أرادوا من الإغواء والفتنة.

يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يارسولنا أنا أرسلنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم أزا أي تحركهم بشدة نحو الشهوات والجرائم والمفاسد، وتزعجهم إلى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً. أي فلا تعجب من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ولا تعجل عليهم بمطالبتنا بهلاكهم إنما نعد لهم كل أعمالهم ونحصيها عليهم حتى أنفاسهم ونحاسبهم على كل ذلك ونجزيهم به. هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾[1].

وقوله تعالى في الآية (٨٥) ﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي أذكر يارسولنا يوم نحشر المتقين ﴿إلى الرحمن وفداً﴾. والمتقون هم أهل الإيمان بالله وطاعته وتوحيده ومحبته وخشيته وطاعة رسوله ومحبته وفداً أي راكبين على النجائب من النوق عليها رِحال الذهب إلى الرحمن إلى جوار الرحمن عز وجل في دار المتقين الجنة دار الأبرار والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾: أي ونسوق المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشاً يُساقون سوق البهائم إلى جهنم وبئس[2] الورد المورود جهنم.

وقوله تعالى ﴿لايملكون الشفاعة إلا من[3] اتخذ عند الرحمن عهداً﴾[4] أخبر تعالى أن المشركين المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي فدسوها لايملكون الشفاعة يوم القيامة لا يشفع بعضهم في بعض كالمتقين ولا يشفع لهم أحد أبداً لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان به وبطاعته بأداء الفرائض وترك المحرمات يملك إن شاء الله الشفاعة بأن يشفعه الله في غيره إكراماً له أو يشفع فيه غيره إكراما للشافع أيضا وإنعاما على المشفوع له. كما أن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المتبرئين من حولهم وقوتهم إلى الله الراجين ربهم يملكون الشفاعة إن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها بشفاعة من أراد الله أن يشفعه فيهم.

---

(١) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإنا نعدّ لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

(٢) يطلق لفظ الورد على الماشية عندما تساق إلى الماء لترده، ويطلق على السير إلى الماء أيضا كما يطلق على الماء المورود ومنه قوله تعالى: ﴿وبئس الورد المورود﴾.

(٣) الاستثناء منقطع، والمنقطع هو: استثناء الشيء من غير جنسه، ولذا يؤتى بعده بلكن كما هو في التفسير أي: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يشفع.

(٤) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضاً بدليل السنة الصحيحة، وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما العهدَ أيضاً بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزياً لهم وإحقاقاً للعذاب عليهم.

٢ ـ لا عجب مما يشاهد من مسارعة الكافرين إلى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف إلى ذلك وتدفعهم إليه.

٣ ـ لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلما ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصىً عليهم حتى أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به.

٤ ـ بيان كرامة المتقين، ومهانة المجرمين.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا : أي قال العرب الملائكة بنات الله وقال النصارى عيسى ابن الله.

جئتم شيئاً إداً : أي منكراً عظيماً.

يتفطرن : يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه.

وتخر الجبال هداً : أي تسقط وتتهدم وتنهدم.

أن دعوا للرحمن ولداً : أي من أجل إدعائهم أن للرحمن عز وجل ولدا.

ولا ينبغي : أي لايصلح ولايليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه.

إلا آتي الرحمن عبداً : أي خاضعا منقاداً كائناً من كان.

فرداً : أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مقولات أهل الشرك والجهل والرد عليها من قبل الحق تبارك وتعالى قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وقالوا﴾ أي أولئك الكافرون ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾[1] إذ قالت بعض القبائل العربية الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله. يقول تعالى لهم بعد أن ذكر قولهم ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾[2] أي أتيتم بشيء منكر عظيم، ﴿تكاد[3] السموات يتفطرن منه﴾ أي يتشققن منه لقبح هذا القول وسوئه، ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾[4] أي تسقط لعظم هذا القول لأنه مغضب للجبار عز وجل ولولا حلمه ورحمته لمس الكون كله عذاب أليم. وقوله: ﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾[5] أي أن نسبوا للرحمن ولداً، ﴿وماينبغي للرحمن﴾ أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وكماله الولد، لأن الولد نتيجة شهوة بهيمية عارمة تدفع الذكر إلى اتيان الأنثى فيكون بإذن الله الولد، والله عز وجل منزه عن مشابهته لمخلوقاته وكيف يشبههم وهو خالقهم وموجدهم من العدم؟

وقوله تعالى ﴿إن كل من[6] في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ هذا برهان على بطلان قولة الكافرين الجاهلين، إذ الذى ما من أحد في السموات أو في الأرض من ملائكة

---

(١) قرىء: (وُلْداً) بضم الواو وسكون اللام، وقراءة الجمهور (ولدا) بفتح الواو واللام وهما لغتان مثل: العُرب والعَرب. والعُجم والعَجم قال الشاعر:

ولقد رأيت معاشرا قد ثمّروا مالا ووُلْداً

وقال آخر:

مهلا فداءٌ لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن وَلَد

ففي البيت الأول شاهد وُلْد بسكون اللام وفي الثاني شاهد لفتحها مع ضم الواو في الأول وفتحا في الثاني.

(٢) الإد والإدة: الداهية والأمر الفظيع. قال ابن عباس: الإدّ: المنكر العظيم.

(٣) (تكاد) بالتاء قراءةالعامة، وقرأ نافع بالياء (يكاد).

(٤) الهدّ: الهدم بصوت شديد، والهدّة: صوت وقع الحائط ونحوه.

(٥) روى البخاري عن النبي ﷺ قوله: (يقول الله تبارك وتعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأمّا تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأمّا شتمه إيّاي: فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

(٦) (إنْ) نافية بمعنى ما. في الآية دليل على عدم جواز ملك الوالد للولد ولا الولد للوالد، وفي الحديث الصحيح: (لا.. ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه). فإذا لم يملك الأب ابنه فلأن لا يملك الابن أباه من باب أولى.

وإنس وجن إلا آتى الرحمن عبداً خاضعاً ذليلا منقاداً يوم القيامة كيف يعقل اتخاذه ولداً،[1] إذ الولد يطلب للحاجة إليه، والغنى عن كل خلقه ما هي حاجته إلى عبد من عباده يقول هذا ولدي اللهم إنا نبرؤا إليك مما يقوله الجاهلون بك الضالون عن طريق هدايتك.

وقوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾ أي علمهم واحداً واحداً فلو كان بينهم إله معه أو ولد له لعلمه، فهذا برهان آخر على بطلان تلك الدعوة الجاهلية الباطلة الفاسدة وقوله: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ هذا رد على أولئك الذين يدعون أنهم إن بعثوا يكون لهم المال والولد والشفيع والنصير. فأخبر تعالى أنه ما من أحد إلا ويأتيه يوم القيامة فرداً ليس معه شافع ولا ناصر، ولا مال ولا سلطان.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ - عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم.

٢ - بيان أن كل المخلوقات من أجلّها إلى أحقرها ليس فيها غير عبد لله فنسبة الانسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم.

٣ - بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفته لعددهم فلا يغيب عن علمه أحد منهم، ولا يتخلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فردا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

(١) روى أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم) أخرجاه في الصحيحين، وفي لفظ إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم.

شـرح الكلمـات :

ودًّا : أي حبا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالى.

فإنما يسرناه بلسانك : أي يسرنا القرآن أي قراءته وفهمه بلغتك العربية.

قوما لداً : أي ألداء شديدوا الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش.

وكم أهلكنا : أي كثيراً من أهل القرون من قبلهم أهلكناهم.

هل تحس منهم من أحد : أي هل تجد منهم أحداً.

أو تسمع لهم ركزا : أي صوتا خفياً والجواب لا لأن الاستفهام إنكاري.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله وبوعد الله ووعيده فتخلوا عن الشرك والكفر وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض وكثير من النوافل هؤلاء يخبر تعالى أنه سيجعل لهم في قلوب عباده المؤمنين محبة وودا[1] وقد فعل سبحانه وتعالى فأهل الإيمان والعمل الصالح متحابون متوادون، وهذا التوادد بينهم ثمرة لحب الله تعالى لهم. وقوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه﴾ أي هذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك ﴿لتبشر به المتقين﴾ من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالايمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي، ﴿وتنذر به قوما لداً﴾[2] وهم كفار قريش وكانوا ألداء أشداء في الجدل والخصومة، وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم[3] من قرن﴾ أي وكثيراً من أهل القرون السابقة لقومك أهلكناهم لما كذبوا رسلنا وحاربوا دعوتنا ﴿فهل تحس[4] منهم من أحد﴾ فتراه بعينك أو تمسه بيدك، ﴿أو تسمع[5] لهم ركزاً﴾ أي صوتاً خفيا اللهم لا فهلا يذكر هذا قومك

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلاناً فأحبّه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ـ قال: ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام وقال: إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض).

(٢) (لُدّاً): جمع الألد، وهو: الشديد الخصومة، ومنه قوله تعالى: (ألدّ الخصام) وقال الشاعر:

أبيت نجيا للهموم كأنني   أخاصم أقواما ذوي جدل لدّا

(٣) في الآية تهديد وتخويف لأهل مكة المصرين على الكفر والشرك والتكذيب. وكم: خبرية، والقرن: الجيل والأمة. ويطلق على الزمان الذي تعيش فيه الأمة وشاع إطلاقه على المائة سنة.

(٤) والإحساس: الإدراك بالحس. والاستفهام إنكاري.

(٥) قيل: الركز: مالا يفهم من صوت أو حركة.

فيتعظوا فيتوبوا إلى ربهم بالإيمان به وبرسوله ولقائه ويتركوا الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحاً.

٢ - بيان كون القرآن ميسراً أن نزل بلغة النبي ﷺ من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والنذارة لأهل الشرك والمعاصي.

٣ - إنذار العتاة والطغاة من الناس أن يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى؟

سُورَةُ طه
مكية
وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

شـرح الكلمات

طـه : أي يارجل.

إلا تذكرة : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عز وجل.

على العرش استوى : أي ارتفع عليه وعلا.

وما تحت الثرى : الثرى التراب الندي يريد ماهو أسفل الأرضين السبع.

وأخفى : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد.

الحسنى : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طه﴾[1] لفظ طه جائز أن يكون من الحروف المقطعة، وجائز أن يكون معناه يارجل[2] ورجح الأمر ابن جرير لوجوده في لغة العرب طه بمعنى يارجل وعلى هذا فمعنى الكلام يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى رداً على النضر بن الحارث الذي قال إن محمداً شقي بهذا القرآن الذي أنزل عليه لما فيه من التكاليف فنفى الحق عز وجل ذلك وقال ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾ وإنما أنزلناه ليكون تذكرة[3] ذكرى يذكر بها من يخشى ربه فيقبل على طاعته متحملا في سبيل ذلك كل ما قد يلاقي في طريقه من أذى قومه المشركين بالله الكافرين بكتابه والمكذبين لرسوله، وقوله: ﴿تنزيلاً[4] ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ أي هذا القرآن الذي ما أنزلناه لتشقى به ولكن تذكرة لمن يخشى نُزِّل تنزيلا من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى: ﴿الرحمن[5] على العرش استوى﴾ أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي استوى على عرشه استواءً يليق به يدبر أمر مخلوقاته، الذي ﴿له[6] مافي السموات ومافي

---

(١) نزلت (طه) قبل إسلام عمر رضي الله عنه لما روي: أنه دخل على بيت ختنه سعيد بن زيد فوجده يقرأها مع زوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم أجمعين فطلبها فلم يُعطها حتى اغتسل فلمّا قرأها لان قلبه ورق للإسلام.

(٢) قيل: إن طه بمعنى: يا رجل لغة معروفة في عكل حتى إنك إذا ناديت المرء بيارجل لم يجبك حتى تقول: طه وأنشد الطبري في هذا قول الشاعر:

دعوت بطه في القتال فلم يجب   فخفت عليه أن يكون مزيلاً

(٣) التذكرة: خطور المنسي بالذهن لأنّ التوحيد مستقر في الفطرة والإشراك مناف لها فسماع القرآن كقراءته يثير كامن التوحيد في فطرة الإنسان.

(٤) (تنزيلا) حال من القرآن، المراد منها التنويه بشأن القرآن والإعلان عن خطره.

(٥) (الرحمن) يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: هو الرحمن جل جلاله. ويجوز أن تكون مبتدأ واختير اسم الرحمن لأن المشركين ينكرون اسم الرحمن جهلاً منهم وعناداً.

(٦) تقديم الجار والمجرور: مؤذن بالحصر، وهو كذلك، إذ ليس لأحد ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى سواه عزّ وجل.

الأرض ومـابينهما وما تحت الثرى﴾[1] من الأرضين السبع. وقوله ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أيها الرسول أوتُسِر ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾[2] من السر، وهو ماقدره الله وهو واقع في وقته المحدد له فعلمه تعالى ولم يعلمه الإنسان بعد. وقوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه ﴿له الأسماء الحسنى﴾ التي لا تكون إلا له، ولا تكون لغيره من مخلوقـاته. وهكذا عرَّف تعالى عباده به ليعرفوه فيخافونه ويحبونه فيؤمنون به ويطيعونه فيكملون على ذلك ويسعدون فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.

٢ ـ تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣ ـ تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه بل اثباتها على الوجه الذي يليق بصاحبها عز وجل.

٤ ـ تقرير ربوبية الله لكل شيء.

٥ ـ تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى.

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

(١) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله.
(٢) وجائز أن يكون أخفى السر: حديث النفس إذ هو أخفى من السر إذ السر ينطق به، وخاطر النفس لا ينطق به.

فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

شـــرح الكلمـات:

هل أتاك : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق.

حديث موسى : أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل

إذ رأى ناراً : أي حين رؤيته ناراً.

لأهله : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد.

آنست ناراً : أي ابصرتها من بعد.

بقبس[1] : القبس عود في رأسه نار.

على النار هدى : أي مايهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر.

فلما أتاها : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألؤ نوراً لا ناراً.

نودي ياموسى : أي ناداه ربه قائلا له ياموسى. . . . !

المقدس طوى[2] : طوى اسم للوادي المقدس المطهر.

اخترتك : من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل.

فاستمع لما يوحى : أي إليك وهو قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾.

لذكري : أي لأجل أن تذكرني فيها.

أكاد أخفيها[3] : أي أبالغ في اخفائها حتى لايعلم وقت مجيئها أحد.

---

(١) القبس والمقباس يقال: قبست منه ناراً أقبس قبساً فقبسني أي: اعطاني منه قبساً بتحريك السين مفتوحة، واقتبست منه علماً لأنّ العلم نور، من مادة النار التي هي الضياء والإشراق.

(٢) طوى بالكسر وبالضم أشهر وبه قراءة عامة القراء، وهو اسم للوادي وفي لفظه ما يشير إلى أنه مكان فيه ضيق كالثوب المطوي أو لأنّ موسى طواه سيراً.

(٣) لما كانت الساعة مخفية الوقوع أثار قوله تعالى ﴿أكاد أخفيها﴾ تساؤلات كثيرة أقربها إلى الواقع ثلاثة. الأول: إخفاء الحديث عنها لأنّ الحديث عنها لا يزيد المعاندين من منكري البعث إلاّ عناداً. والثاني: أنّ كاد زائدة والتقدير: أنّ الساعة آتية أخفيها. والثالث: أن أخفيها بمعنى: أزيل خفاءها بأن أظهرها فتكون الهمزة للسلب نحو أعجم الكتاب: أزال عجمته وأشكى زيداً: إذا أزال شكواه.

بما تسعى : أي سعيها في الخير أو في الشر.
فتردى : أي تهلك.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريراً للتوحيد وإثباتاً له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لامعبود غيره وأمره بعبادته. فقال تعالى: ﴿وهل أتاك﴾[١] أي يانبينا ﴿حديث موسى[٢] إذ رأى ناراً﴾، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له ناراً ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل، ﴿امكثوا﴾ اي ابقوا هنا فقد آنست ناراً أي أبصرتها لعلي آتيكم منها بقبس﴾ فنوقد به ناراً تصطلون بها أي تستدفئون بها، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ضللناه.

وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة[٣] تتلألؤ نوراً ﴿نودي ياموسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلاً ياموسى[٤] ﴿إني أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه. وقوله تعالى ﴿وأنا أخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلك إليهم. ﴿فاستمع لما يوحى[٥]﴾ أي إليك وهو: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي، ﴿وأقم الصلاة لذكري[٦]﴾، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها. فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافراً لربه تعالى. وقوله ﴿إن الساعة آتية[٧]﴾ أي ان الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

---

(١) هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى.

(٢) الحديث: الخبر، ويجمع على غير قياس: أحاديث، وقيل: واحده أحدوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء. كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج.

(٣) قيل: هي شجرة عنّاب.

(٤) قرأ حمزة وحده، وانّا اخترناك بضمير العظمة.

(٥) في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أوّل لقاء معه، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها.

(٦) استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصليها مستدلا بقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ اي: لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال ﷺ (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذاك)

(٧) الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب.

آتية لا محالـة. من أجل مجازاة العباد على أعمالهم وسعيهم طوال أعمارهم من خير وشر، وقوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ أي أبالغ في إخفائها حتى أكاد أخفيها عن نفسي. وذلك لحكمة أن يعمل الناس مايعملون وهم لايدرون متى يموتون ولا متى يبعثون فتكون أعمالهم بإراداتهم لا إكراه عليهم فيها فيكون الجزاء على أعمالهم عادلاً، وقوله: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها فتردى﴾ ينهى تعالى موسى أن يَقبل صدَّ صَادٍ من المنكرين للبعث متَّبعي الهوى عن الإيمان بالبعث والجزاء والتزود بالأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون، فإن من لايؤمن بها ولايتزود لها يردى أي يهلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير النبوة لمحمد ﷺ.

٢ ـ تقرير التوحيد وإثباته، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل.

٣ ـ إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٤ ـ مشروعية التبرك بما جعله الله تعالى مباركاً، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه.

٥ ـ وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى.

٦ ـ بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب اتيانها وحتميته.

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ

مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾

شــرح الكلمـات:

وما تلك بيمينك ياموسى : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية.

أتوكأ عليها : أي أعتمد عليها.

وأهش بها على غنمي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.

ولي فيها مآرب أخرى : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثمّ حمله على عاتقه، وقتل الهوام.

حية تسعى : أي ثعبان عظيم، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير المسمى بالجان.

سيرتها الأولى : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حيّة.

إلى جناحك : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط.

بيضاء من غير سوء : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس.

إذهب إلى فرعون : أي رسولاً إليه.

انه طغى : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم مع موسى وربه تعالى إذ سأله الرب تعالى وهو أعلم به وبما عنده قائلا : ﴿وماتلك بيمينك ياموسى؟[1]﴾ يسأله ليقرر بأن ما بيده عصا من خشب يابسة، فإذا تحولت إلى حية تسعى علم أنها آية له أعطاه إياها ربه ذو القدرة الباهرة ليرسله إلى فرعون وملائه. وأجاب موسى ربه قائلا: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش[2] بها على غنمي﴾ يريد يخبط بها الشجر اليابس فيتساقط الورق فتأكله الغنم ﴿ولي فيها مآرب[3]﴾ أي حاجات

---

(١) الجملة معطوفة على الجمل قبلها، وهي استفهامية أي: وما التي بيمينك؟ والمقصود تقرير الأمر حتى يقول موسى: هي عصاي.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه. وفي الحديث وقد سئل عن ماء البحر فقال: (هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته) فزاد جملة: (الحل ميتته) وقوله للتي سألته قائلة: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر) فزاد (ولك أجر) وفي البخاري: باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل.

(٣) الواحد : مأربة مثلثة الراء.

﴿أخرى﴾[١] كحمل الزاد والماء يعلقه بها ويضعه على عاتقه كعادة الرعاة وقد يقتل بها الهوام الضارة كالعقرب والحية. فقال له ربه عز وجل ﴿ألقها ياموسى فألقاها﴾ من يده ﴿فإذا هي حية تسعى﴾[٢] أي ثعبان عظيم تمشي على بطنها كالثعبان الصغير المسمى بالجان فخاف موسى منها وولى هارباً فقال له الرب تعالى: ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾[٣] أي نعيدها عصا كما كانت قبل تحولها إلى حية وفعلا أخذها فإذا هي عصاه التي كانت بيمينه. ثم أمره تعالى بقوله: ﴿واضمم يدك﴾ أي اليمنى ﴿إلى جناحك﴾[٤] الأيسر ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي برص وفعل فضم يده تحت عضده إلى ابطه ثم استخرجها فإذا هي تتلألؤ كأنها فلقة قمر، أو كأنها الثلج بياضا أو أشد، وقوله تعالى ﴿آية أخرى﴾ أي آية لك دالة على رسالتك أخرى إذ الأولى هي انقلاب العصا إلى حية تسعى كأنها جان. وقوله تعالى: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾، أي حولنا لك العصا حية وجعلنا يدك تخرج بيضاء من أجل أن نريك من دلائل قدرتنا وعظيم سلطاننا. وقوله تعالى: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ لما اراه من عجائب قدرته أمره أن يذهب إلى فرعون رسولا إليه يأمره بعبادة الله وحده وأن يرسل معه بني إسرائيل ليخرج بهم إلى أرض المعاد بالشام وقوله ﴿إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره، وتعدى حده كبشر إذ أصبح يدعي الربوبية والألوهية إذ فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال: ﴿ماعلمت لكم من إله غيري﴾، فأي طغيان أكبر من هذا الطغيان.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا ممن يوحى إليه.

٢ - استحباب تناول الأشياء غير المستقذرة باليمين.

٣ - مشروعية حمل العصا.[٥]

---

(١) أطنب موسى في الجواب طلباً لمزيد الأنس بالوقوف بين يدي ربّه يناجيه ويوحي إليه.

(٢) الحيّة: اسم لصنف من الحنش مسموم إذا عض بنابيه قتل المعضوض.

(٣) السيرة في الأصل: هيئة السير ونقلت إلى العادة والطبيعة.

(٤) الجناح: العضد وما تحته من الإبط فهو مع اليد كجناح الطائر.

(٥) كان خطباء العرب يحملونها في أثناء الخطاب يشيرون بها، وكره هذا الشعوبيون من غير العرب وهم محجوجون بفعل الرسول ﷺ، وللعصا فوائد كثيرة آخر فوائدها أنها تذكر بالسفر إلى الآخرة.

٤ ـ سنة رعي الغنم للأنبياء.

٥ ـ مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله في المعارك.

٦ ـ آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد بيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس.

٧ـ بيان الطغيان: وهو إدعاء العبد ما ليس له كالألوهية ونحوها.

قَالَ

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

شــرح الكلمـات:

اشرح لي صدري : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة.

ويسر لي أمري : أي سهله حتى أقوى على القيام به

واحلل عقدة من لساني[1] : أي حبسة حتى أفهم من أخاطب

أشدد به أزري : أي قوي به ظهري.

وأشركه في أمري : أي اجعله نبياً كما نبأتني[2]

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في حديث موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى إنه بعد أن أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وارسال بني إسرائيل مع موسى ليذهب به إلى أرض القدس قال موسى عليه السلام لربه تعالى ﴿اشرح لي صدري﴾ لأتحمل أعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ أي سهل مهمتي عليّ وارزقني العون

(١) أصل العقدة: موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر وهي لغة كعرفة وشرفة أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف ويقال: حُبسة فشبه موسى حبسة لسانه بالعقدة في الحبل ونحوه.

(٢) يقال: ما برّ أخ أخاه كما برّ موسى أخاه هارون إذ طلب له أشرف مطلب الرسالة والنبوة.

عليها فإنها صعبة شاقة. ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمرة التي ألقاها في فمه بتدبير الله عز وجل حيث عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحية فرعون ونتفها فغضب فقالت له آسية إنه لايعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجمر في طست وتقدمهما له فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل به ماشئت، وإن أخذ الجمر فهو غير عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله، وقدم لموسى الطبق والطست فمد يده إلى الطست بتدبير الله فأخذ جمرة فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى ربه أن يحلها من لسانه ليفصح إذا خاطب فرعون ويبين فيفّهم قوله، وبذلك يؤدي رسالته. هذا معنى قوله: ﴿واحلل عقدة من لسان يفقهوا قولي﴾[1].

وقوله تعالى فيما أخبر عن موسى ﴿واجعل لي وزيراً[2] من أهلي هارون أخي﴾ أي طلب من الله تعالى أن يجعل له من أخيه هارون معيناً على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها. وقوله: ﴿اشدد به أزري[3]﴾ أي قوّ به ظهري. وقوله: ﴿وأشركه في أمري﴾ وذلك بتنبئته وإرساله ليكون هارون نبياً رسولاً. وعلل موسى عليه الصلاة والسلام لطلبه هذا بقوله: ﴿كي نسبحك[4] كثيراً ونذكرك كثيراً﴾، وقوله ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ أي أنك كنت ذا بصر بنا لايخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه وماطلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب اللجأ إلى الله تعالى في كل مايهم العبد.

٢ - مشروعية الأخذ بالأُهبة والاستعداد لما يعتزم العبد القيام به.

٣ - فضيلة التسبيح والذكر، والتوسل بأسماء الله وصفاته.

---

(١) اختلف في هل انحلّت تلك العقدة أو لم تنحل، والصحيح أنها انحلّت إجابة الله تعالى لدعوة موسى إذ قال: (قد أجيبت دعوتكما) وأما قول فرعون: ولا يكاد يبين فهو تكرار لما سبق ولأجل الانتقاص من كمال موسى عليه السلام.

(٢) الوزير: المؤزار كالأكيل للمؤاكل، وفي حديث النسائي: (من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه).

(٣) الأزر: الظهر من موضع الحقوين، والأزر: القوة أيضاً وآزره أي: قواه، وقيل: الأزر العون، ومنه قول أبي طالب.

اليس أبونا هاشم شدّ أزره   وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

(٤) في هذه الآية دليل على فضل التسبيح والذكر إذ لولا أنّ موسى علم حب الله تعالى لهما لما توسل بهما لقضاء حاجته.

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾

شـرح الكلمـات :

قد أوتيت سؤلك[1] : أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبئة أخيك.

ولقد مننا عليك مرة أخرى: أي انعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه.

ما يوحى : أي في شأنك وهو قوله: أن اقذفيه الخ.

في التابوت : أي الصندوق.

فاقذفيه في اليم : أي في نهر النيل.

ولتصنع على عيني[2] : تربى بمرأى مني ومحبة وإرادة.

على من يكفله : ليكمل له رضاعه

وقتلت نفسا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون.

فنجيناك من الغم : إذ استغفرتنا فغفرنا لك وأئتمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم.

وفتناك فتونا : أي اختبرناك اختبارا وابتليناك ابتلاء عظيما.

---

(١) سؤل بمعنى مسؤول كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول.

(٢) الصنع هنا: بمعنى التربية والتنمية.

جئت على قدر[1] : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون.

واصطنعتك لنفسي : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا.

معنى الآيات :

مازال السياق في حديث موسى مع ربه تعالى فقد تقدم أن موسى عليه السلام سأل ربه أموراً لتكون عوناً له على حمل رسالته فأجابه تعالى بقوله : في هذه الآية (٣٦) ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي قدْ أعطيت ما طلبت، ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي قبل هذه الطلبات وهي أنه لما أمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل[2] ﴿إذ أوحينا[3] إلى أمك أن اقذفيه في التابوت﴾ أي في الصندوق ﴿فاقذفيه في اليم﴾ أي نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل[4] يأخذه عدو لي وعدو له[5]﴾ فهذه النجاة نعمة، ونعمة أخرى تضمنها قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ أي أضفيت عليك محبتي فأصبح من يراك يحبك، ونعمة أخرى وهي : من أجل أنْ تُربَّى وتغذى على مرأى مني وإرادة لي أ رجعتك بتدبيري إلى أمك لترضعك وتقر عينها ولا تحزن على فراقك، وهو ماتضمنه قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك[6] ﴾ فتقول: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ لكم أي لارضاعه وتربيته. ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾، ونعمة أخرى وهي أعظم إنجاؤنا لك من الغم الكبير بعد قتلك النفس واشتهار آل فرعون على قتلك ﴿ فنجيناك من الغم﴾ من القتل وغفرنا لك خطيئة القتل. وقوله تعالى : ﴿وفتناك فتوناً[7]﴾ أي ابتليناك ابتلاءً عظيما وهاهي ذي خلاصته في الأرقام التالية :

١ ـ حمل امك بك في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل.

٢ ـ إلقاء أُمك بك في اليم.

٣ ـ تحريم المراضع عليك حتى رجعت إلى أمك.

٤ ـ أخذك بلحية فرعون وهمّه بقتلك.

---

(١) كما قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسى ربه على قدر

(٢) أوحى الله تعالى إلى أم موسى: ﴿أن اقذفيه..﴾ الآية.

(٣) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نبيّة اجماعاً.

(٤) الساحل: الشاطىء، وهو ساحل معهود وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة. واللام في (فليلقه) لام التكوين الإلهي.

(٥) هذا العدو: فرعون عدو الله تعالى وعدو موسى وبني اسرائيل.

(٦) أخت موسى تسمى مريم بنت عمران.

(٧) الفتون: مصدر كالدخول والخروج وهو كالفتنة، وهي اضطراب حال المرء في مدة حياته.

٥ ـ قتلك القبطي وائتمار آل فرعون بقتلك.

٦ ـ إقامتك في مدين وماعانيت من آلام الغربة.

٧ ـ ضلالك الطريق بأهلك وماأصابك من الخوف والتعب.

هذه بعض مايدخل تحت قوله تعالى: وفتناك فتوناً وقوله ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾[1] ترعى غنم شعيب عشراً من السنين ﴿ثم جئت﴾ من مدين إلى طور سينا ﴿على قدر﴾ منا مقـدر ووعد محدد ما كنت تعلمه حتى لاقيته . واصطنعتك لنفسي أي خلقتك وربيتك وابتليتك واتيت بك على موعد قدَّرته لك لأُحمِّلك عبء الرسالة إلى فرعون وبني إسرائيل: إلى فرعون لتدعوه إلى عبادتنا وإرسال بني إسرائيل معك إلى أرض المعاد. وإلى بني إسرائيل لهدايتهم وإصلاحهم وإعدادهم للإسعاد والإكمال في الدارين إن هم آمنوا واستقاموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه.

٢ ـ مظاهر اكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام.

٣ ـ آية حب الله تعالى لموسى، وأثر ذلك في حب الناس له.

٤ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى عليه السلام.

اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) مدين أحد أبناء إبراهيم عليه السلام، وأهل مدين: أي: البلاد التي سميت باسم ابن ابراهيم هم قوم شعيب، والبلاد على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة.

وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

شــرح الكلمات :

بآياتي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصا واليد وغيرها.

ولا تنيا في ذكري : أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما.

انه طغى : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية.

قولا لينا : أي خالياً من الغلظة والعنف.

لعله يتذكر : أي فيما تقولان فيهتدي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل.

يفرط علينا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له .

أو أن يطغى : أي يزداد طغيانا وظلما.

اسمع وأرى : أي اسمع ماتقولانه ومايقال لكما، وأرى ماتعملان ومايعمل لكما.

فأرسل معنا بني إسرائيل : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم ابراهيم..

بآية : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا رسولا ربك حقاً وصدقاً.

والسلام على من اتبع الهدى : أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى ، إذ الهدى إيمانٌ وتقوى.

من كذب وتولى : أي كذب بالحق ودعوته وأعرض عنها فلم يقبلها.

معنى الكلمـات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن موسى مع ربه تبارك وتعالى فقد أخبره تعالى في

الآية السابقة أنه صنعه لنفسه، فأمره في هذه الآية بالذهاب مع أخيه هارون مزودين بآيات الله وهي حججه التي أعطاهما من العصا واليد البيضاء، ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصرا في الدعوة إليه تعالى فقال: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي[1] ولا تنيا في ذكري[2]﴾ وبين لهما إلى من يذهبا وعلة ذلك فقال: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره وتعدى حده من إنسان يعبد الله إلى إنسان كفار ادعى أنه رب وإله، وعلمهما اسلوب الدعوة فقال لهما: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي خاليا من الغلظة والجفا وسوء الإلقاء وعلل لذلك فقال ﴿لعله يتذكر أو يخشى[3]﴾ أي رجاء أن يتذكر معاني كلامكما وما تدعوانه إليه فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي[4] أو يخشى العذاب ان بقى على كفره وظلمه فيسلم لكما بني إسرائيل ويرسلهم معكما، فأبدى موسى وأخوه هارون تخوفاً فقال ما أخبر تعالى به عنهما في قوله: ﴿فقالا إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يعجل بعقوبتنا بالضرب أوالقتل، ﴿أو أن يطغى[5]﴾ أي يزداد طغياناً وظلمًا. فطمأنهما ربهما عز وجل بأنه معهما بنصره وتأييده وهدايته إلى كل ما فيه عزهما فقال لهما: ﴿لاتخافا﴾ أي من فرعون وملائه: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ اسمع ماتقولان لفرعون ومايقول لكما. وأرى ماتعملان من عمل وما يعمل فرعون وإني أنصركما عليه فأحق عملكما وأبطل عمله. فاتياه إذاً ولا ترددا فقولا أي لفرعون ﴿إنا رسولا ربك﴾ أي إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ لنخرج بهما حيث أمر الله، ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهم في أسوء الأعمال وأحطها، ﴿قد جئناك بآية[6] من ربـك﴾ أي بحجة من ربك دالة على أنا رسولا ربك إليك وأنه يأمرك بالعدل والتوحيد

---

(١) يروى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأيات التسع. وهذا باعتبار ما يكون وإلا فما حصل هو آية العصا واليد لا غير.

(٢) ولا تنيا، أي: ولا تضعفا. يقال: وني يني ونىً أي: ضعف في العمل. اي: لا تني أنت وأبلغ هارون أن لا يني.

(٣) لعلّ: حرف ترج ولكن هي هنا بالنسبة إلى موسى وهارون معناه: لعل رجاءكما وطمعكما. فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر.

(٤) لقد تذكر فرعون وخشي وذلك ساعة غرقه ولم ينفعه ذلك إذ قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل.

(٥) قوله تعالى: (قالا ربنا إنا نخاف) الخ هذه بداية كلام موسى وهارون بعد أن انتهى كلام موسى مع ربّه وحده. قبل أن يصل إلى مصر، ومعنى: يفرط يبادر بعقوبتهما ويعجلها، يقال: فرط منه أمر أي: بدر، وأفرط: أسرف وفرّط: ترك وأضاع، وفي الآية دليل عدم المؤاخذة بالخوف مما من شأنه أن يخاف، ولكن لا يمنع من عبادة الله تعالى التي هي علّة الخلق والوجود.

(٦) هي اليد والعصا.

وينهاك عن الظلم والكفر ومنع بني إسرائيل من الخروج إلى أرض المعاد معنا. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي واعلم يافرعون أن الأمان والسلامة يحصلان لمن اتبع الهدى الذي جئناك به، فاتبع الهدى تسلم[1]، وإلا فأنت عرضة للمخاوف والهلاك والدمار وذلك لأنه ﴿قد أوحي إلينا﴾ أي أوحى إلينا ربنا، ﴿أن العذاب[2] على من كذب﴾ بالحق الذي جئناك به ﴿وتولى﴾ عنه فأعرض عنه ولم يقبله كبرياءً وعناداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً.

٢ ـ وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس إلى ربهم.

٣ ـ تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالحي عباده بنصرهم وتأييدهم.

٤ ـ تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى.

٥ـ شرعية إتيان الظالم وأمره ونهيه والصبر على اذاه.

٦ـ عدم المؤاخذة على الخوف حيث وجدت اسبابه.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾

(١) والسلام هنا ليس سلام تحية.

(٢) قوله تعالى: (إنّ العذاب على من كذّب وتولّى) هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذّبوا ولم يتولوا.

شــرح الكلمات :

أعطى كل شيء خلقه : أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره.

ثم هدى : أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه.

قال فما بال القرون الأولى : أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن ادلائه بالحجج حتى لايفتضح فما بال القرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟

قال علمها عند ربي : أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي دعنا من هذا فإنه لايعنينا

في كتاب لايضل ربي ولا ينسى : أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزيهم بأعمالهم إن ربي لايخطىء ولا ينسى فإن عذب أو أخر العذاب فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك.

مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً : مهاداً، فراشا وسلك: سهل ، وسبلاً طرقاً.

أزواجا من نبات شتى : أزواجاً: أصنافاً: شتى : مختلفة الألوان والطعوم.

ان في ذلك لآيات : لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته.

لأولى النهى : أي أصحاب العقول لأن النُهية العقل وسمى نهية لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي.

منها خلقناكم : أي من الأرض وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم عند البعث يوم القيامة.

تارة أخرى : أي مرة أخرى إذ الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه اخراجاً من الأرض.

معنى الآيات :

السياق الكـريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون إذ وصل موسى وأخوه إلى فرعون ودعوه إلى الله تعالى ليؤمن به ويعبده وبأسلوب هادىء لين كما أمرهما الله تعالى : فقالا له: ﴿والسلام على من اتبع الهدى إنا قد اوحي علينا أن العذاب على من

كذب وتولى﴾؟ ولم يقولا له لا سلام عليك، ولا أنت مكذب ومعذب، وهنا قال لهما فرعون ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال فمن ربكما ياموسى؟﴾ أفرد اللعين موسى بالذكر لإدلائه عليه بنعمة التربية في بيته ولأنه الرسول الأول فأجابه موسى بما أخبر تعالى به بقوله: ﴿ربنا الذي أعطى[1] كل شيء خلقه ثم هدى[2]﴾ أي كل مخلوق خلقه الذي هو عليه متميز به من شكل ولون وصفة وذات ثم هدى الأحياء من مخلوقاته إلى طلب رزقها من طعام وشراب، وطلب بقائها بما سن لها وهداها إليه من طرق التناسل إبقاء لأنواعها. وهنا وقد أفحم موسى فرعون وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان قال فرعون صارفاً موسى عن المقصود خشية الفضيحة من الهزيمة أمام ملائه قال: ﴿فما بال[3] القرون الأولى﴾ أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان. وعرف موسى أن اللعين يريد صرفه عن الحقيقة فقال له ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿علمها عند ربي في كتاب[4]، لا يضل ربي ولاينسى[5]﴾ فإن ما سألت عنه لايعنينا فعلم حال تلك الأمم الخالية عند ربي في لوح محفوظ عنده وسيجزيها بعملها، وما عجل لها من العقوبة أو أخر إنما لحكمة يعلمها فإن ربي لايخطىء ولا ينسي وسيجزى كلاً بكسبه. ثم أخذ موسى يصف ربه ويعرفهم به وهي فرصة سنحت فقال ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ أي فراشاً مبسوطة للحياة عليها ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ أي سهل لكم للسير عليها طرقا تمكنكم من الوصول إلى حاجاتكم فوقها، ﴿وأنزل من السماء ماء وهو المطر﴾ المكون للأنهار والمغذي الممد للآبار. هذا هو ربي وربكم فاعرفوه واعبدوه ولا تعبدوا معه سواه. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا[6] به أزواجاً من نبات شتى﴾ أي بالمطر ازواجاً أي أصنافاً من نباتٍ شتى أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخصائص. كان هذا من قول الله

---

(١) أعلمه عليه السلام بأنّ ربه تعالى يعرف بصفاته لابذاته ولا باسم يعرف به ولم يقل له موسى: إنه الله، لأنّ الاسم العلم لايهدي إلى معرفته تعالى كما تهدي إليه الصفات العُلى التي لا يقدر فرعون على جحدها وإنكارها.

(٢) قال ابن عباس: أعطى كل زوج من جنسه ثمّ هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه. وقال مجاهد: اعطى كل شيء صورته ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان. قال الشاعر:

وله في كل شيء خلقه   وكذا الله ما شاء فعل

(٣) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟ فأعلمه موسى عليه السلام أنّ علمها عند الله أي: إن ما سألت عنه من علم الغيب الذي استأثر الله به دون سواه.

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية كتابة العلوم وتدوينها، حتى لا تنسى فتضيع وفي الحديث شاهد آخر ففي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده. إن رحمتي تغلب غضبي).

(٥) الضلال: الخطأ في العلم شبّه بخطإ الطريق، والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في الذهن.

(٦) في الكلام التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم والخطاب تنويعاً للأسلوب وتحريكاً للضمير الجامد.

تعالى تتميمًا لكلام موسى وتذكيراً لأهل مكة المتجاهلين لله وحقه في التوحيد. وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أي مما ذكرنا لكم من أزواج النبات وارعوا إبلكم واغنامكم وسائر بهائمكم واشكروا لنا هذا الإنعام بعبادتنا وترك عبادة غيرنا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي إن في ذلك المذكور من إنزال المطر وإنبات النبات لتغذية الإنسان والحيوان لدلالات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وانه بذلك مستحق للعبادة دون سواه إلا أن هذه الدلائل لايعقلها إلا اصحاب العقول وذوو النهى فهم الذي يستدلون بها علم معرفة الله ووجوب عبادته وترك عبادة غيره. وقوله تعالى: ﴿منها﴾ أي من الأرض التي فيها حياة النبات والحيوان خلقناكم أي بخلق أصلكم الأول وهو آدم، وفيها نعيدكم بالموت فتقبرون فيها، ﴿ومنها[1] نخرجكم تارة أخرى[2]﴾ أي مرة أخرى وذلك يوم القيامة إذ نبعثكم من قبوركم أحياء للحساب والجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين بحسب صفات نفوسكم فذو النفس الطاهرة ينعم وذو النفس الخبيثة من الشرك والمعاصي يعذب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع.

٢ ـ تقرير مبدأ من حسن[3] إسلام المرء تركه ما لايعنيه.

٣ ـ تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان.

٤ ـ الاستدلال بالآيات الكونية على الخالق عز وجل وقدرته وألوهيته.

٥ ـ احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل[4] صاحبها دون الباطل والشر.

٦ ـ تسمية العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح.

---

(١) بمناسبة ذكر دلائل وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته دون سواه ذكّرهم بعقيدة البعث والجزاء مستدلاً عليها بقدرة الله تعالى وعلمه.

(٢) تجمع التارة على تارات كالمرة على المرّات، والتارة: اسم جامد غير مشتق.

(٣) هذا حديث الصحيح: (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه).

(٤) تعقل: أي: تحجزه أو تصرفه عما يضرّ حالا أو مآلا.

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

شــرح الكلمات :

أريناه آياتنا كلها : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنها رسولين إليه من رب العالمين.

من أرضنا : أي ارض مصر التي فرعون ملك عليها.

بسحرك ياموسى : يشير إلى العصا واليد البيضاء.

مكانا سوى : أي مكـان عدل بيننـا وبينك ونَصَفٍ، صالحاً للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى مافيها كل ناظر إليها.

يوم الزينة : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل.

وأن يحشر الناس ضحى: أي وأن يؤتى بالناس من كل انحاء البلاد للنظر في المباراة.

فتولى فرعون : اي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض.

فجمع كيده : أي ذوى كيده وقوته من السحرة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحوار بين موسى وهارون من جهة وفرعون وملائه من جهة

أخرى فقال تعالى: ﴿ولقد أريناه﴾ أي أرينا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ أي أدلتنا وحججنا[1] على أن موسى وهارون رسولان من ﴿قبلنا﴾ أرسلناهما إليه، فكذب برسالتهما وأبى الاعتراف بهما، وقال ماأخبر تعالى به عنه: ﴿قال أجئتنا﴾[2] أي ياموسى ﴿لتخرجنا من أرضنا﴾ أي منازلنا وديارنا ومملكتنا ﴿بسحرك﴾ الذي انقلبت به عصاك حية تسعى، ﴿فلنأتينك بسحر مثله، فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ نتقابل فيه، ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾[3] عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجري فيه من المباراة بيننا وبينك. فأجاب موسى بما أخبر تعالى به عنه فقال: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ وهو يوم عيد للأقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل، ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾[4] أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للتفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاورة وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون. وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه.

٢ ـ للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه.

٣ ـ مشروعية المبارزة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل.

٤ ـ مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ

---

(١) أي: الدالة على وجود الله تعالى ووجوب ألوهيته وعلى صحة نبوّة موسى وهارون.

(٢) لما رأى الآيات وبهرته احتال في دفعها اللعين بدعواه أنّ موسى جاء ليخرج فرعون وقومه من بلادهم ليستقل بها دونهم، وهذا من الكذب السياسي الممقوت.

(٣) قرأ حفص (سُوى) كطوى بضم السين، وقرأ نافع (سِوى) بكسرها كطوى، والكسر أفصح. أي: وسطاً في المدينة لايشق على من يأتيه.

(٤) اختار موسى اليوم والساعة، وهي: الضحى لعلمه أنه سيغلب السحرة وينهزمون أمامه، فأحب أن يكون الوقت مناسباً بكثرة المتفرّجين ووضوح الرؤية لهم في شباب النهار (الضحى)

وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات:

ويلكم : دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك.

فيسحتكم بعذاب : أي يهلككم بعذاب من عنده.

فتنازعوا أمرهم : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران.

وأسروا النجوى : وهي قولهم: ان هذان لساحران يريدان الخ . . . . . .

بطريقتكم المثلى : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم.

فأجمعوا كيدكم : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه.

قد أفلح من استعلى : أي قد فاز من غلب.

إما أن تلقي : أي عصاك.

فخيل إليه أنها تسعى: أي فخيل إلى موسى أنها حية تسعى، لأنهم طلوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيل إلى موسى أنها تتحرك.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام والسحرة الذين جمعهم فرعون

للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفا إياهم علهم يتوبون: ﴿ويلكم[1] لاتفتروا على الله كذباً﴾ أي لا تتقولوا على الله فتنسبوا إليه ماهو كذب ﴿فيسحتكم[2] بعذاب﴾ أي يهلككم بعذاب إبادة واستئصال، ﴿وقد خاب من افترى﴾ أي خسر من كذب على الله أو على الناس. ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله:

﴿فتنازعوا[3] أمرهم بينهم﴾ وقوله ﴿وأسروا النجوى﴾ أي أخفوا ماتناجوا به بينهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿إن[4] هذان لساحران﴾ أي موسى وهارون ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ ﴿أي دياركم المصرية، ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى[5]﴾ أي باشرافكم وساداتكم من بني إسرائيل وغيرهم فيتابعوهما على ما جاءا به ويدينون بدينهما، وعليه فأجمعوا أمركم حتى لاتختلفوا فيما بينكم، ﴿ثم ائتوا صفا﴾ واحدا متراصاً، ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أي غلب، وهذا بعد أن اتفقوا على أسلوب المباراة قالوا بأمر فرعون: ﴿ياموسى إما أن تلقي﴾ عصاك، وإما أن نلقي نحن فنكون أول من ألقى. فقال لهم موسى: ﴿بل ألقوا﴾، فالقوا عندئذ ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ وكانت ألوفاً فغطت الساحة وهي تتحرك وتضطرب لأنها مطلية بالزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى أنها تسعى (باقي الحديث في الآيات بعد).

---

(١) الويل: الهلاك وهو شبه مصدر، ونصبه إما على تقدير: ألزمهم الله أو على النداء أي: يا ويلهم. كقوله: (ياويلنا من بعثنا).

(٢) سحت وأسحت بمعنى، وأصله من استقصاء الشعر في إزالته قرأ أهل الكوفة: (فُيسحتكم) بضم الياء من أسحت، وقرأ أهل الحجاز بفتح الياء من: سحت قال الشاعر:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلاّ مُسحتا أو مجلّفا

والشاهد في: مسحت من أسحت.

(٣) التنازع: مشتق من جذب الدلو من البئر وجذب الثوب من الجسد والتنازع تفاعل إذ كل ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه لما يراه من الصواب.

(٤) قراءة الجمهور بكسر إنّ وتشديد النون، وبلغ الخلاف في هذا الحرف أشدّه فبلغوا فيه إلى ستة تخريجات أمثلها: أن (إن) حرف جواب بمعنى نعم قال الشاعر:

ويقلن شيب علا   ك وقد كبرت فقلت إنّه

والشاهد في إنه جواب لما في البيت من كلام، والهاء في إنه هاء السكت، وشاهد آخر وهو: أنّ عبدالله بن الزبير قال لأعرابي استجداه فلم يعطه: إنّ وراكبها. لما قال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقوله: إنّ: أي: نعم وراكبهاأي: ملعون كذلك.

(٥) المثلى: مؤنث: الأمثل، من المثالية التي هي حسن الحال. أراد فرعون إثارة الحمية في قومه ليدافعوا عن عاداتهم وشرائعهم وأخلاقهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة الكذب على الله تعالى، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه.

٢ ـ من مكر الانسان[1] وخداعه أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي إلى الحق.

٣ ـ معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولا من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال. لاسيا في موقف كهذا.

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات:

فأوجس في نفسه خيفة: أي أحس بالخوف في نفسه.

أنت الأعلى: أي الغالب المنتصر.

تلقف: أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي

كيد ساحر: أي كيد سحر لابقاء له ولا ثبات.

(١) المراد به الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولقائه ولا يتحلى بالصبر والتقوى.

لايفلح الساحر : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان .
فألقي السحرة سجداً : أي ألقوا بأنفسهم ورؤوسهم على الأرض ساجدين.
إنه لكبيركم : أي لمعلمكم الذي علمكم السحر.
من خلاف : أي يد يمنى مع رجل يسرى.
في جذوع النخل : أي على أخشاب النخل.
أينا أشد عذاباً وأبقى : يعني نفسه ـ لعنه الله ـ ورب موسى اشد عذابا وأدومه على مخالفته وعصيانه.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت وامتلأت بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي الغالب القاهر لهم.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٦٧) فأوجس[1] في نفسه خيفة موسى والثانية (٦٨)﴿قلنالا تخف إنك أنت الأعلى﴾ وقوله تعالى: ﴿وألق ما في[2] يمينك تلقف ما صنعوا﴾ أي تبتلع بسرعة وعلل لذلك فقال: ﴿إنما صنعوا كيد[3] ساحر﴾ أي هو مكر وخدعة من ساحر ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ أي لايفوز الساحر بما أراد ولا يظفر به أبداً لأنه مجرد تخيلات يريها غيره. وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيتهم عرفوا أن ماجاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب العالمين لما بهر نفوسهم من عظمة المعجزة وقالوا في وضوح ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾. وهنا صاح فرعون مزمجراً مهدداً ليتلافى في نظره شر الهزيمة فقال

---

(١) (أوجس): أي أحس ووجد أي: خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي العصا.
(٢) لم يقل له: ألق العصا لأنّ فيها إكباراً لشأن العصا وأنها بحق قادرة على إبطال باطل السحرة.
(٣) قرأ الجمهور: (كيد ساحر) وقرأ بعضهم: (كيد سحر) بكسر السين أي: كيد ذي سحر، وكيد: خبر مرفوع، والمبتدأ: ما الموصولية في قوله: (إن ما صنعوا) وصنعوا: صلتها، وكيد: الخبر. وقرىء بنصب كيد على أنّ ما كافة. وكيد معمول لصنعوا.

للسحرة ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ بذلك ﴿إنه لكبيركم[1]﴾ أي معلمكم العظيم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم معه على الهزيمة. ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ تعذيباً وتنكيلاً فاقطع يمين أحدكم مع يسرى رجليه، أو العكس ﴿ولأصلبنكم[2] في جذوع النخل﴾ أي لأشدنكم على أخشاب النخل واتركم معلقين عبرة ونكالا لغيركم ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ أي أدومه: رب موسى الذي آمنتم به أو أنا «فرعون عليه لعائن الله»

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لايقدح في الإيمان.
٢ - تقرير أن ما يظهر السحرة من تحويل الشيء إلى آخر إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة له.
٣ - حرمة السحر لأنه تزوير وخداع.
٤ - قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر.
٥ - شجاعة المؤمن لايرهبها خوف بقتل ولا بصلب.

قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ

---

(١) أراد فرعون بقوله هذا التشبيه على الناس والتمويه حتى لا يتبعوا السحرة فيؤمنوا كإيمانهم لا أنّ موسى استاذهم في السحر وانه أحذق منهم له وأعلم منهم به.

(٢) حروف الجر تتناوب، والفاء هنا: (في جذع النخل) بمعنى: على. قال الشاعر:

هم صلبوا العبديّ في جذع نخلة   فلا عطست شيبان إلاّ بأجدعا

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (٧٦)

شـرح الكلمـات :

لن نؤثرك : أي لن نفضلك ونختارك.

والذي فطرنا : أي خلقنا ولم نكن شيئا.

فاقض ما أنت قاض : أي اصنع ما قلت إنك تصنعه بنا.

والله خير وأبقى : أي خير منك ثواباً إذا أطيع وأبقى منك عذاباً إذا عصى.

مجرما : مجرما أي على نفسه مفسداً لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي.

جزاء من تزكى : أي ثواب من تتطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

معنى الآيات :

مازال السياق مع فرعون والسحرة المؤمنين انه لما هددهم فرعون بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به وهو الطاغوت قالوا له ما أخبر تعالى به عنهم في هذه الآية (٧٢) ﴿قـالـوا لن نؤثرك﴾ يافرعون ﴿على ماجاءنا من البينات﴾ الدلائل والحجج القاطعة على أن[1] رب موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به لن يكون هذا أبداً واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب. ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين.

وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل فقالوا: ﴿إنا آمنا بربنا﴾ أي خالقنا ورازقنا ومدبر أمـرنـا ﴿ليغفر لنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أي من تعلمه والعمل به، ونحن لانريد ذلك ولا شك أن فرعون كان قد ألزمهم بتعلم السحر والعمل به من أجل محاربة موسى وهارون لما رأى من معجزة العصا واليد. وقولهم ﴿والله خير وأبقى﴾

---

(١) روي أن آسيا امرأة فرعون لما بدأت المباراة قالت لهم: أخبروني عمّن يغلب فأخبرت أن موسى وهرون غلبا فقالت: آمنت بربّ موسى وهرون. فأمر فرعون بأعظم صخرة فإذا أصرّت على قولها فالقوها عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فرأت منزلها في الجنة بعد أن قالت ﴿ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ وخرجت روحها فألقيت عليها الصخرة وهي جسد لاروح فيها استجاب الله لها عليها السلام.

أي خير ثوابا وجزاء حسنا لمن آمن به وعمل صالحاً، وأبقى عذاباً لمن كفر به ويآمن بغيره وعصاه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٧٢) و (٧٣).

أما الآية الثالثة (٧٤) وهي قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً[١]﴾ أي على نفسه بإفسادها بالشرك والمعاصي ﴿فإن له[٢] جهنم لايموت فيها[٣]﴾ فيستريح من العذاب فيها، ﴿و لايحيى﴾ حياة يسعد فيها.

وقولهم﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾أي مؤمناً به كافراً بالطاغوت قد عمل بشرائعه فأدى الفرائض واجتنب المناهي ﴿فأولئك لهم[٤]﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿الدرجات العلى جنات عدن﴾. أي في جنات عدن ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لايموتون ولا يخرجون منها، ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب. لاشك أن هذا العلم الذي عليه السحرة كان قد حصل لهم من طريق دعوة موسى وهارون إذ أقاموا بينهم زمناً طويلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - لايؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلا أحمق جاهل.

٢ - تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر إلى عذاب الآخرة.

٣ - الاكراه نوعان: ما كان بالضرب الذي لايطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لايغفر إلا بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر.

٤ - بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة.

---

(١) المجرم: فاعل الجريمة، وهي المعصية، والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن: الكافر غالباً.

(٢) اللام في: له جهنم لام الاستحقاق أي: هو صائر إليها لا محالة.

(٣) لا يموت فيها ولا يحيى، لأن عذابها متجدد فيها فلا هو ميّت لأنه يحس بالعذاب ولا هو حي لأنه في حالة الموت أهون منها، وهذا كقول عباس بن مرداس:

وقد كنت في الحرب ذا تُدْرَءٍ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

(٤) (فأولئك..) الآية أوتي باسم الإشارة إلى أنهم أحياء بهذا النعيم في جنات ويؤكده قوله (ذلك جزاء من تزكى).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

شـــرح الكلمات :

ان أسر بعبادي : أي سر ليلاً من أرض مصر

طريقاً في البحر يبساً : طريقاً في وسط البحر يابساً لا ماء فيه

لا تخاف دركاء : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخشى غرقاً

فغشيهم من اليم : أي فغطاهم من ماء البحر ماغطاهم حتى غرقوا فيه.

وأضل فرعون قومه : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين.

وما هدى : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾.

جانب الطور الأيمن : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دينا ودنيا.

المن والسلوى : المن : شيء أبيض كالثلج، والسلوى طائر يقال له السماني.[1]

ولا تطغوا فيه : أي بالإسراف فيه، وعدم شكر الله تعالى عليه.

---

(١) السُّماني: بضم السين، وفتح النون ممدودة، والجمع سمانيات والواحدة سماناة كمناجاة: نوع من الطيور.

ثم اهتدى : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت.

معنى الآيات :

إنه بعد الجدال الطويل والخصومة الشديدة التي دامت زمناً غير قصير وأبى فيها فرعون وقومه قبول الحق والإذعان له أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام بما أخبر به في قوله عز وجل: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ وبأي شيء أوحى إليه. بالسرى ببني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ قوله ﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا﴾[1] أي اجعل لهم طريقاً في وسط البحر، وذلك حاصل بعد ضربه البحر بالعصي فانفلق البحر فرقتين والطريق وسطه يابساً لا ماء فيه حتى اجتاز بنو اسرائيل البحر، ولما تابعهم فرعون ودخل البحر بجنود أطبق الله تعالى عليهم البحر فأغرقهم أجمعين، بعد أن نجى موسى وبني إسرائيل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فأتبعهم[2] فرعون بجنوده فغشيهم من اليم﴾ أي من ماء البحر ﴿ماغشيهم[3]﴾ أي الشيء العظيم من مياه البحر. وقوله لموسى ﴿لاتخاف[4] دركاً ولا تخشى﴾ أي لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى غرقا في البحر.

وقوله تعالى: ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى[5]﴾ إخبار منه تعالى أن فرعون أضل أتباعه حيث حرمهم من الإيمان بالحق واتباع طريقه، ودعاهم إلى الكفر بالحق وتجنب طريقه فاتبعوه على ذلك فضلوا وما إهتدوا، وكان يزعم أنه مايهديهم إلا سبيل الرشاد وكذب.

وقوله تعالى: ﴿يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ أي فرعون، ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ أي مع نبينا موسى لانزال التوراة لهدايتكم وحكمهم بشرائعها، وأنزلنا عليكم المن والسلوى غذاء لكم في التيه، ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أي قلنا لكم: كلوا من طيبات مارزقناكم من حلال الطعام والشراب، ﴿ولا تطغوا فيه﴾ بترك

---

(١) اليبس: محرّك الياء والباء، وتسكن الباء أيضاً: وصف بمعنى اليابس وأصله مصدر كالقدم، والعدم بفتح العين وضمها.

(٢) قرىء: (فأتبعهم) والباء في بجنوده للمصاحبة فهي بمعنى مع أي مع جنوده.

(٣) ما غشيهم في هذا تهويل عظيم لما غشيهم من الماء الذي غمرهم وغطاهم بحيث يستحيل النجاة معه.

(٤) (دركاً) أي: لحاقاً بك وبمن معك من بني اسرائيل.

(٥) (وما هدى): توكيد لقوله: (فأضل قومه) لأن الهدى ضد الضلال فما دام قد أضلهم فإنه ما هداهم كقوله: (أموات غير أحياء) وكقول الشاعر:

إما ترينا حفاة لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى وننتعل

وفي الآية: التهكم بفرعون إذ قال لهم: وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.

الحلال إلى الحرام وبالأسراف في تناوله وبعدم شكر الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي أن أنتم طغيتم فيه. ﴿ومن يحلل عليه غضبي﴾ أي ومن يجب عليه غضبي ﴿فقد هوى﴾ أي في قعر جهنم وهلك.

وقوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[1] يعدهم تعالى بأن يغفر لمن تاب منهم ومن غيرهم فآمن وعمل صالحاً أي أدى الفرائض واجتنب المناهي ثم استمر على ذلك ملازماً له حتى مات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لايقصه إلا بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الوحي الإلهي.

٢ ـ آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.

٣ ـ تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلهم يشكرون فيتوبون فيسلمون.

٤ ـ تحريم الإسراف والظلم، وكفر النعم.

٥ ـ الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماله لا كصفات المحدثين.

۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ

(١) ثم اهتدى بأن لزم طريق الهداية حتى مات على ذلك أما من تاب وعمل صالحاً ثم ضل بعد ذلك ومات على ضلالة، فلا يناله هذا الوعد ففي قوله: (ثم اهتدى) احتراس ممن يتوب ثم يعود فيموت على غير هداية.

ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

شـرح الكلمـات :

وما أعجلك : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم.

هم على أثري : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني.

وعجلت إليك ربي لترضى : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني.

قد فتنا قومك : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل.

وأضلهم السامري : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى.

غضبان أسفاً : أي شديد الغضب والحزن.

وعداً حسناً : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم لتكملوا عليها وتسعدوا.

أفطال عليكم العهد : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يوما.

فأخلفتم موعدي : بتركم المجيء بعدي.

بملكنا[1] : أي بأمرنا وطاقتنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على انجاز الوعد بالسير وراءك.

---

(١) ميم ملكنا مثلثة تفتح وتضم وتكسر والمعنى واحد كما في التفسير أي: لم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا.

أوزاراً : أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهن.

فقذفناها : أي ألقيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام.

ألقى السامري : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة[1] الإسرائيلية، وما ألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ألقاه أي قذفه على الحلي.

عجلاً جسداً : أي ذا جثة

له خوار : الخوار صوت البقر

فنسي : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه.

ألا يرجع إليهم قولا : أنه لايكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار.

معنى الآيات :

بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملائه حيث اجتاز بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وجنوده أخبرهم موسى أن ربه تعالى قد أمره أن يأتيه ببني اسرائيل وهم في طريقهم إلى أرض المعاد إلى جبل الطور ليؤتيهم التوراة فيها شريعتهم ونظام حياتهم دنيا ودينا وأنه واعدهم جانب الطور الأيمن، واستعجل[2] موسى في المسير إلى الموعد فاستخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ليسير بهم وراء موسى ببطء حتى يلحقوا به عند جبل الطور، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بصنع العجل ودعوتهم إلى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام فقوله تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ هو سؤال من الله تعالى لموسى ليخبره بما جرى لقومه بعده وهو لايدري فلما قال تعالى لموسى: ﴿وما أعجلك﴾ عن المجيء وحدك دون بني إسرائيل مع ان الأمر أنك تأتي معهم أجاب موسى بقوله

(١) نفى بعضهم أن تكون هناك قبيلة من بني اسرائيل تدعى السامرة وإنما السامرة أمة من سكان فلسطين في جهة نابلس قبل أن تكون فلسطين لبني اسرائيل، ثم امتزجوا ببني اسرائيل لما دخلوها واتبعوا معهم شريعة موسى، وبما أن السامري كان في مصر جائز أن يكون من قرية بمصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامري لم يكن من بني اسرائيل أصلا ومحتداً ثم بمرور الأيام وجدت طائفة من بني اسرائيل تدعى السامرية، وهي عبارة عن طريقة ضالة تنتمي إلى شريعة التوراة وهي منحرفة فنشأت عن فتنة السامري الأولى كالطرق المنحرفة لدى المسلمين.

(٢) لهذا الاستعجال لامه ربّه وعتب عليه في قوله: (وما أعجلك من قومك يا موسى) حتى تركتهم وجئتنا وحدك، وقد ترتب على هذا الاستعجال شرّ كبير باتخاذ بني اسرائيل عجلاً عبدوه دون الله تعالى، ولذا قيل: تأنّ ففي العجلة الندامة وفي التأني السلامة.

﴿هم أولاء على أثري﴾[1] آتون بعدي، وعجلت المجيء إليك لترضى عني. هنا أخبره تعالى بماحدث لقومه فقال عز وجل: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أي بصنع العجل لهم ودعوتهم إلى عبادته بحجة انه الرب تعالى وأن موسى لم يهتد إليه. ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوراة ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي حزينا إلى قومه فقال لهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال ياقوم[2] ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ فذكرهم بوعد الله تعالى لهم بإنجائهم من آل فرعون وإكرامهم بالملك والسيادة موبخاً لهم على خطيئتهم بتخلفهم عن السير وراءه وانشغالهم بعبادة العجل والخلافات الشديدة بينهم، وقوله ﴿أفطال عليكم[3] العهد﴾ أي لم يطل فالمدة هي ثلاثون يوما فلم تكتمل حتى فتنتم وعبدتم غير الله تعالى، قوله ﴿أم أردتم أن[4] يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي بل أردتم بصنيعكم الفاسد أن يجب عليكم غضب من ربكم فحل بكم، ﴿فأخلفتم موعدي[5]﴾ بعكوفكم على عبادة العجل وترككم السير على أثري لحضور موعد الرب تعالى الذي واعدكم.

وقوله تعالى ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ هذا ما قاله قوم موسى كالمعتذرين به إليه فزعموا أنهم ما قدروا على عدم اخلاف الموعد لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وماضللهم به السامري من أنه هو إلهم وأن موسى أخطأ الطريق إليه. هذا معنى قولهم: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي بأمرنا وقدرتنا إذ كنا مغلوبين على أمرنا.

وقولهم: ﴿ولكنا حملنا أوزاراً[6] من زينة القوم فقذفناها﴾ هذا بيان لوجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نساؤهم حلياً من نساء القبط بدعوى عيد لهم،

---

(١) أثري، وإثري: لغتان، والأثر: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أوحافر أوخف، والمعنى: هم سائرون على مواضع أقدامي وقريء (إثري) بكسر الهمزة والجمهور قرؤا بالفتح.

(٢) هذا ابتداء كلام يحمل اللوم والعتاب والتأديب حيث جمع موسى بني اسرائيل وفيهم هارون وخاطبهم قائلا: يا قوم... الخ.

(٣) الاستفهام تابع للاستفهام الأول: ألم يعدكم، وهو للتقرير والإنكار معاً.

(٤) (أم) بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٥) المراد من موعده إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخّر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

(٦) الأوزار: جمع وزر، وهو الحمل الثقيل والمراد بها: الحلي الذي استعاره نساؤهم من جاراتهن القبطيات بمصر بقصد الفرار به للنفع الخاص، وخافوا تلاشي الحلي فرأوا أن يصوغوه في قطع كبيرة يحفظ بها من الضياع.

وأصبحوا خارجين مع موسى في طريقهم إلى القدس، وتم إنجاؤهم واغراق فرعون ولما نزلوا بالساحل استعجل موسى موعد ربه وتركهم تحت إمرة هارون أخيه على أن يواصلوا سيرهم وراء موسى إلى جبل الطور غير أن موسى الملقب بالسامري استغل الفرصة وقال لنساء بني إسرائيل هذا الحلى الذي عندكن لا يحل لَكُنَّ أخذه إذ هي ودائع كيف تستحلونها وحفر لهم حفرة وقال ألقوها فيها وأوقد فيها النهار لتحترق ولا ينتفع بها بعد، هذا مادل عليه قولهم ﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي قوم فرعون فقذفناها أي في الحفرة التي أمر بها السامري وقوله تعالى ﴿فكذلك ألقى السامري﴾[1] هو من جملة قول بني إسرائيل لموسى فكما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري ما معه من التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، فصنع السامري العجل فأخرجه لهم عجلاً جسداً[2] له خوار أي صوت فقال بعضهم لبعض هذا إلٰهكم وإلٰه موسى الذي ذهب إلى موعده فنسي[3] وضل الطريق إليه فاعبدوه حتى يأتي موسى. قال تعالى موبخاً إياهم ﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً﴾ إذا كلموه، ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا﴾ فكيف يعقلون أنه إلٰه وهو لايجيبهم إذا سألوه، ولا يُعطيهم إذا طلبوه، ولا ينصرهم إذا استنصروه ولكنه الجهل والضلال واتباع الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

١ ـ ذم العجلة وبيان آثارها الضَّارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما ترتب عليها من آثار جسام.

٢ ـ مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بها يجب أن يتقرب به إليه.

٣ ـ مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه.

٤ ـ مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل.

٥ ـ وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر.

---

(١) أي: فمثل قذفنا الزينة في النار لصوغها قذف السامري، وقالوا هذا اعتذاراً منهم لموسى عليه السلام.

(٢) الجسد: الجسم ذو الأعضاء وسواء كان حياً أو ميتا، والتعبير بأخرج الإشارة إلى أن السامري صنع العجل بحيلة مستورة خفية حتى أتمّه ثمّ أظهره أي: أخرجه ظاهراً لنا.

(٣) إطلاق النسيان على الضلال والغفلة والترك شائع وسائغ في اللغة.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾

شـرح الكلمـات:

فتنتم به : أي ابتليتم به أي بالعجل.

لن نبرح عليه عاكفين: أي لن نزال عاكفين على عبادته.

إذ رأيتهم ضلوا : أي بعبادة العجل واتخاذه الهاً من دون الله تعالى.

لا تأخذ بلحيتي : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعر رأسه يجره إليه يعذله ويلوم عليه.

ولم ترقب قولي : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار الذي دار بين موسى وقومه بعد رجوعه إليهم من المناجاة فقوله تعالى: ﴿ولقدقالهم هارون من قبل﴾ أي من قبل رجوع موسى قال لهم أثناء عبادتهم العجل ياقوم إن العجل ليس إلٰهكم ولا إلٰه موسى وإنما هو فتنة فتنتم به ليرى الله تعالى صبركم على عبادته ولزوم طاعة رسوله، وليرى خلاف ذلك فيجزي كلاً بما يستحق وقال لهم: ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ الذي شاهدتم آثار رحمته في حياتكم كلها فاذكروها

﴿فاتبعوني﴾ في عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ﴿وأطيعوا أمري﴾[1] فإني خليفة موسى الرسول فيكم فأجاب القوم الضالون بما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أي لن نزول عن عبادته والعكوف حوله ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾[2]. ولما سمع موسى من قومه ما سمع التفت إلى هارون قائلا معاتباً عاذلاً لائماً ﴿ياهرون ما منعك[3] إذ رأيتهم ضلوا﴾ أي بعبادة العجل﴿ألا تتبعني﴾ أي بمن معك من المسلمين وتترك المشركين، ﴿أفعصيت أمري﴾[4]، ومن شدة الوجد وقوة اللوم والعذل أخذ بشعر رأس أخيه بيمينه وأخذ بلحيته بيساره وجره إليه وهو يعاتبه ويلوم عليه فقال هارون: ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ إن لي عذراً في عدم متابعتك وهو اني خشيت إن أنا أتيتك ببعض قومك وهم المسلمون وتركت بعضاً آخر وهم عباد العجل ﴿أن تقول فرقت بين بني اسرائيل﴾ وذلك لا يرضيك. ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي ولم تنظر قولي فيما رأيت في ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاص في دينه ودنياه.

٢ ـ جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه.

٣ ـ جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وان حقا.

٤ ـ قد يخطىء المجتهد في اجتهاده وقد يصيب.

---

(١) أي: لا أمر السامر أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل فعصوه.

(٢) روي أنّه لما قالوا هذه المقالة اعتزلهم هارون في اثنى عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال: هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله وقال: يا هارون. . . الآية.

(٣) الاستفهام إنكاري إذ أنكر عليه عدم متابعته لما شاهد القوم يعبدون العجل إذ كان المفروض أن يتركهم ويلحق بموسى يخبره.

(٤) أمره هو قوله له عند مغادرة بني اسرائيل إلى جبل الطور، (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره وهذا دليل على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيا حكمه كحكمهم، وفي هذه الآية دليل على بدعة الصوفية بدعة الرقص والتواجد، وأنها موروثة عن هؤلاء السامريين عَبَدة العجل والعياذ بالله تعالى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

فما خطبك : أي ما شأنك وماهذا الأمر العظيم الذي صدر منك.

بصرت بما لم يبصروا به : أي علمت من طريق الإبصار والنظر مالم يعلموا به لأنهم لم يروه.

قبضة من أثر الرسول : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام.

فنبذتها : أى ألقيتها وطرحتها على الحلي المصنوع عجلاً.

سولت لي نفسي : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل.

أن تقول لا مساس : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول لا مساس أي لا يمسني أحد ولا أمسه لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك.

إلهك : أي العجل.

ظلت : أي ظللت طوال الوقت عاكفاً عليه.

في اليم نسفاً : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفاً.

إنما إلهكم الله : أي لا معبود لكم إلا الله الذي لا إله إلا هو.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار بين موسى وقومه فبعد لومه أخاه وعذله له التفت إلى السامري المنافق إذ هو من عُبَّاد البقر وأظهر الإسلام في بني إسرائيل، ولما اتيحت له الفرصة عاد إلى عبادة البقر فصنع العجل وعبده ودعا إلى عبادته فقال له: في غضب ﴿فما خطبك ياسامري﴾ أي ماشأنك وما الذي دعاك إلى فعلك القبيح الشنيع هذا فقال السامري كالمعتذر ﴿بصرت بمالم يبصروا به﴾ أي علمت مالم يعلمه قومك ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول[1] فنبذتها﴾ في الحلي المصنوع عجلاً فخار كما تخور البقر. ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ ذلك أي زينته لي وحسنته ففعلته، وهنا أجابه موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال فاذهب[2] فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس[3]﴾ أي لك مدة حياتك أن تقول لمن أراد أن يقربك لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك لتتيه طول عمرك في البرية مع السباع والحيوان عقوبة لك على جريمتك، ولا شك أن فراره من الناس وفرار الناس منه لا يكون مجرد أنه لايرقب في ذلك، بل لعله قيل إنها الحمى فإذا مس أحد حُمّا معاً أي أصابتهما الحمى معاً كأنه اسلاك كهربائية مكشوفة من مسها تكهرب منها. وقوله له: ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾، أي ذاك النفي والطرد عذاب الدنيا، وإن لك عذاباً آخر يوم القيامة في موعد لن تخلفه أبداً فهو آت وواقع لا محالة.

وقوله: أي موسى للسامري: ﴿وانظر إلى الهك﴾ المزعوم ﴿الذي ظلت[4] عليه عاكفاً﴾ تعبده لا تفارقه، والله ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه[5] في اليم نسفاً﴾ وفعلاً حرقه ثم جعله كالنشارة

---

(١) الرسول هنا: جبريل عليه السلام قاله جمهور المفسرين، وقالوا: إنّ السامري فتنه الله تعالى فأراه جبريل راكباً فرساً فوطىء حافر الفرس مكاناً فإذا هو مخضرّ بالنبات، فعلم السامري أن أثر فرس جبريل إذا ألقي على جماد صار حياً، فقبض من تراب وطئه حافر الفرس واحتفظ به إلى اليوم، ولما صنع العجل ألقاه عليه فصار له خوار كالعجل الحيوان.

(٢) نفاه موسى عن قومه، وأمر بني اسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له. قال الشاعر:

تميم كرهط السامري وقوله   ألا لا تريد السامري مساسا

هذه المسألة أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألاّ يُخالطوا وقد فعل النبي ﷺ ذلك بالذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

(٣) (لا مساس): المساس مصدر ماسه يماسه ومساسا. ولا: نافية للجنس ومساس: اسمها مبني على الفتح.

(٤) ظلت: أي: دمت وأقمت عليه عاكفاً أي: ملازماً وأصل ظلت: ظللت قال الشاعر:

خلا أنّ العتاق من المطايا   أحسْن به فهن إليه شوس

فأحسن أصله: احسسن حذفت إحدى السينين كما حذفت إحدى اللامين.

(٥) النسف: نقض الشيء ليذهب به الريح، وهو: التذرية، والمنسف آلة ينسف بها الشيء، والنسافة: ما يسقط منه.

وذره في البحر تذرية حتى لا يعثر له على أثر، ثم قال لأولئك الذين عبدوا العجل المغرر بهم المضللين : ﴿إنما إلهكم﴾ الحق الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿الله الذي لا إله إلا هو[1] وسع كل شيء علماً﴾ أي وسع علمه كل شيء فهو عليم بكل شيء وقدير على كل شيء وماعداه فليس له ذلك وما لم يكن ذا قدرة على شيء وعلم بكل شيء فكيف يُعبد ويُطاع . . ؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له.

٢ - ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئا إلا تورط فيه إن هو عمل بما سولته له،

٣ - قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

٤ - مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه.

٥ - كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

كذلك : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل.

من لدنا ذكراً : أي قرآناً وهو القرآن الكريم.

---

(١) لا العجل الذهبي الذي سولت نفس السامري الخبيثة صنعه.

من أعرض عنه	: أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به.
وزراً	: أي حملاً ثقيلاً من الآثام.
يوم ينفخ في الصور	: أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث، والصور هو القرن.
زرقا	: أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم.
يتخافتون بينهم	: أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول.
أمثلهم طريقة	: أي أعدلهم رأياً في ذلك، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول والفزع.

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث بين موسى وفرعون، وبين موسى وبني اسرائيل قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿كذلك نقص[1] عليك﴾ أي كما قصصنا عليك ما قصصنا من نبأ موسى وفرعون وخبر موسى وبني إسرائيل نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ أي أحداث الأمم السابقة ليكون ذلك آية نبوتك ووحينا إليك، وعبرة وذكرى للمؤمنين. وقوله تعالى: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا[2]﴾ أي وقد أعطيناك تفضلا منا ذكرا وهو القرآن العظيم يذكر به العبد ربه ويهتدي به إلى سبيل النجاة والسعادة، وقوله ﴿من أعرض عنه﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي اثمًا عظيما لأنه لم يعمل صالحاً وكل عمله كان سيئاً لكفره وعدم إيمانه، ﴿خالدين فيه﴾أي في ذلك الوزر في النار، وقوله﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾أي قبح ذلك الحمل حملاً يوم القيامة إذ صاحبه لا ينجو من العذاب بل يطرح معه في جهنم يخلد فيها وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين﴾ أي المكذبين بالدين الحق العاملين بالشرك والمعاصي ﴿يومئذ﴾ أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ﴿زرقا[3]﴾ أي الأعين مع اسوداد الوجوه وقوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يتهامسون بينهم يسأل بعضهم بعضاً كم لبثتم في الدنيا وفي القبور فيقول البعض: ﴿إن لبثتم[4] إلا عشراً﴾ أي ما لبثتم إلا

(١) الكاف من كذلك في محل نصب لأنها بمعنى مثل: نعت لمصدر محذوف تقديره: نقص عليك قصصا من أنباء ما قد سبق مثل ما قصصنا عليك هذا القصص.
(٢) ويطلق الذكر على الشرف أيضاً، وعلى ما يذكر به الله تعالى من قول والمراد به هنا القرآن الكريم.
(٣) الزُرَق: خلاف الكَحَل، والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه وسبب هذه الزرقة هو شدة العطش.
(٤) أي: في الدنيا أو في القبور.

عشر ليال، وقوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما[1] يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي أعدلهم رأياً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾، وهذا التقال للزمن الطويل سببه هول القيامة وعظم مايشاهدون فيها من ألوان الفزع والعذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير نبوة محمد ﷺ يقص تعالى عليه انباء ماقد سبق بعد قصه عليه أنباء موسى وفرعون بالحق، وايتائه القرآن الكريم.

٢ - كون القرآن ذكراً للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين.

٣ - سوء حال المجرمين يوم القيامة، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم.

٤ - عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)

---

(١) (نحن أعلم بما يقولون): جملة معترضة قول الأولين: (إن لبثتم إلا عشرا) نظروا فيه إلى ان تغير الأجسام يتم في عشرة أيام، والذي قال يوماً نظر إلى أن الأجسام ما تغيّرت إذ قد أعيدت كما كانت.

شـرح الكلمات :

يسألونك عن الجبال : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة.

فقل ينسفها ربي نسفا : أي يفتتها ثم تذروها الرياح فتكون هباء منبثاً.

قاعا صفصفا : أي مستوياً.

عوجا ولا أمتا : أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعا.

الداعي : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى.

وخشعت الأصوات : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت الأقدام الخفي.

ورضي له قولا : بأن قال لا إله إلا الله من قلبه صادقاً.

ولا يحيطون به علما : الله تعالى ما بين أيدي الناس وما خلفهم، وهم لا يحيطون به علمًا.

وعنت الوجوه للحي القيوم: أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت.

من حمل ظلما : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك.

ظلما ولا هضما : أي لا يخاف ظلما بأن يزاد في سيئاته ولا هضما بأن ينقص من حسناته.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله: ﴿ويسألونك﴾ أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث والجزاء ﴿عن الجبال﴾ عن مصيرها يوم القيامة فقل[1] له: ﴿ينسفها ربي نسفا[2]، فيذرها[3] قاعا صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً[4]﴾ أي أجبهم بأن الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباء منبثاً، فيترك أماكنها قاعا صفصفاً أي أرضاً مستوية لاترى فيها عوجا ولا أمتا أي لا انخفاضا ولا ارتفاعاً. وقوله

(١) قال القرطبي كل سؤال في القرآن أجيب بقل إلاّ هذا فبـ: فقل لأن المعنى إن سألوك فقل فتضمن الكلام معنى الشرط، وهو يقترن بالفاء دائما.

(٢) قال ابن الأعرابي وغيره يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رملاً يسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا أو هكذا ثم كالهباء المنثور.

(٣) (فيذرها): أي: يذر مواضعها قاعاً صفصفاً، القاع: الأرض الملساء لا نبات فيها، ولا بناء عليها وهي مستوية، وجمع القاع: أقواع وقيعان.

(٤) الأمت: المكان المرتفع كالنبك، وهو التل الصغير، والعوج: الوهدة وهي الانخفاض كالموج في الشيء أي: ليس في الأرض انحفاض ولا ارتفاع بل هي مستوية.

﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾ أي يوم تقوم القيامة فيُنشرون يدعوهم الداعي هلموا إلى أرض المحشر فلا يميلون عن صوته يمنةً ولا يُسرة وهو معنى لا عوج له. وقوله تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي ذلت وسكنت ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت وقوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده ﴿إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ أي يُخبر تعالى انهم يوم جمعهم للمحشر لفصل القضاء لا تنفع شفاعة أحدٌ أحداً إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة، ورضي له قولا أي وكان المشفوع فيه من أهل التوحيد أهل لا إله إلا الله وقوله ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم، ولا يحيطون به علمًا﴾ أي يعلم ما بين أيدي أهل المحشر أي مايسيحكم به عليهم من جنة أو نار، وماخلفهم مما تركوه من أعمال في الدنيا، وهم لا يحيطون به عز وجل علمًا، فلذا سيكون الجزاء عادلا رحيمًا، وقوله: ﴿وعنت[1] الوجوه للحي القيوم[2]﴾ أي ذلت وخضعت كما يعنو بوجهه الأسير، والحي القيوم هو الله جل جلاله وقوله تعالى: ﴿وقد خاب﴾ أي خسر ﴿من حمل ظلمًا﴾ ألا وهو الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ والحال أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والبعث الآخر[3] فهذا لايخاف ظلما بالزيادة في سيّآته، ولا هضما بنقص من حسناته، وهي عدالة الله تعالى تتجلى في موقف الحساب والجزاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال.

٢ ـ تقرير مبدأ البعث الآخر.

٣ ـ لا شفاعة لغير أهل التوحيد فلا يَشفع مشرك، ولا يُشفع لمشرك.

٤ ـ بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة.

---

(١) ومنه قيل للأسير عانٍ، قال أمية بن الصلت.

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزّته تعنو الوجوه وتسجد

(٢) القيوم: أي: القائم بتدبير الخلق، والقائم على كل نفسٍ بما كسبت.

(٣) والقدر خيره وشرّه.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

شـرح الكلمـات :

وكذلك أنزلنا : أي مثل ذلك الانزال أنزلنا قرآناً عربياً أي بلغة العرب ليفهموه.

وصرفنا فيه من الوعيد : أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروي.

أو يحدث لهم ذكرا : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون.

فتعالى الله الملك الحق : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون.

ولا تعجل بالقرآن : أي بقرءاته.

من قبل أن يقضى إليك وحيه : أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك.

عهدنا إلى آدم : أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

فنسـي : أي عهدنا وتركه.

ولم نجد له عزما : أي حزما وصبراً عما نهيناه عنه.

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿وكذلك[1] أنزلناه قرآناً عربياً﴾ أي ومثل ما أنزلنا من تلك الآيات المشتملة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة: كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق إذ الغرض واحد وهو التنويه بشأن القرآن وتقرير الوحي له ﷺ.

على الوعد والوعيد أنزلنا القرآن بلغة العرب ليفهموه ويهتدوا به ﴿وصرفنا فيه[1] من الوعيد﴾ أي بينا فيه من أنواع الوعيد وكررنا فنون العذاب الدنيوي والأخروى لعل قومك أيها الرسول يتقون ما كان سببا في اهلاك الأمم السابقة وهو الشرك والتكذيب والمعاصي ﴿أو يحدث لهم[2] ذكراً﴾ أي يوجد لهم ذكراً في أنفسهم فيتعظون فيتوبون من الشرك والتكذيب للرسول ويطيعون ربهم فيكملون ويسعدون هذا مادلت عليه الآية الأولى (١١٣).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ فإن الله تعالى يخبر عن علوه عن سائر خلقه وملكه لهم وتصرفه فيهم وقهره لهم، وَمن ثَمَّ فهو منزَّه عن الشريك والولدوعن كل نقص يصفه به المفترون الكذابون.

وقوله: ﴿ولا تعجل[3] بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ يُعلّم تعالى رسوله كيفية تلقي القرآن عن جبريل عليه السلام فيرشده إلى أنه لاينبغي أن يستعجل في قراءة الآيات ولا في إملائها على أصحابها ولا في الحكم بها حتى يفرغ جبريل من قراءتها كاملة عليه وبيان مراد الله تعالى منها في إنزالها عليه. وطلب إليه أن يسأله المزيد من العلم بقوله: ﴿وقل رب زدني علما﴾، وفيه إشعار بأنه دائما في حاجة إلى المزيد، ولذا فلا يستعجل ولكن يتريث ويتمهل، وهذا علماء أمته أحوج إليه منه ﷺ فالاستعجال في الفُتيا وفي إصدار الحكم كثيراً ما يخطىء صاحبها.

وقوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا[4] إلى آدم من قبل فنسي[5] ولم نجد له عزما[6]﴾ يقول تعالى مخبراً رسوله والمؤمنين ولقد وصينا آدم من قبل هذه الأمم التي أمرناها ونهيناها فلم يطع أكثرها وصيناه بأن لا يطيع عدوه ابليس وأن لاياكل من الشجرة فترك وصيتنا ناسيا لها غير مبال بها

---

(١) التصريف: التنويع والتفنين، والوعيد هنا للتهديد.

(٢) لعله يحدث لهم ذكراً: فيه بيان أنهم قبل نزول القرآن وسماعه لم يكونوا يذكرون الله في توحيده ولا في وعده ووعيده ولا في شرعه وأحكامه.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه ﷺ على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه تعالى عن ذلك فأنزل: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ وقال الحسن نزلت هذه الآية في رجل لطَم وجه امرأته فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ لها القصاص فنزل: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ وأبى الله ذلك. ولهذا قال له: ﴿وقل رب زدني علماﷺ﴾ وفي هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أن حرصه في حفظ القرآن محمود.

(٤) قال ابن زيد: نسي ما عهد الله إليه في ذلك، ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه إبليس.

(٥) العهد المنسي هو ما جاء في قوله تعالى: (فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة) من هذه السورة.

(٦) فسر العزم بالصبر والثبات أمام الإغراء.

وأطاع عدوه وأكل من الشجرة، ولم نجد له عزماً بل ضعف أمام الإغراء والتزيين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة، فكيف إذاً بغير آدم من سائر ذرياته فلذا ينبغي أن لاتأسى ولا تحزن على عدم ايمان قومك بك واستجابتهم لدعوتك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه.

٢ - اثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك وكل نقص يصفه به المبطلون.

٣ - استحباب التريث والتأني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفتيا منه.

٤ - الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة إلى العلم.

٥ - التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

شــرح الكلمـات :

وإذ قلنا للملائكة : أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.

إلا ابليس أبى : أي امتنع من السجود لكبر في نفسه إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم.

عدو لك ولزوجك : أي حواء ومعنى عدو أنه لايحب لكما الخير بل يريد لكما الشر.

فتشقى : أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى.

لا تظمأ فيها ولا تضحى: أي لاتعطش و لايصيبك حر شمس الضحى المؤلم في الأرض.

شجرة الخلد : أي التي يخلد من أكل منها.

وملك لا يبلى : أي لايفنى ولا يبيد ولازم ذلك الخلود.

فبدت لهما سوءاتهما : أي ظهر لكل منهما قُبُلَ صاحبه ودُبُرَهُ فاسْتاءا لذلك.

وطفقا يخصفان : أي أخذا وجعلا يلزقان ورق الشجر عليهما ستراً لسوءاتهما

فغوى : أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها.

فاجتباه ربه فتاب عليه : أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبداً صالحاً.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ضعف آدم عليه السلام حيث عهد الله إليه بعدم طاعة إبليس حتى لايخرجه هو وزوجه من الجنة، وأن آدم نسي العهد فأكل من الشجرة ناسب ذكر قصة آدم بتمامها ليكون موعظة للمتقين وهدى للمؤمنين فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وسجودهم عبادة لله تعالى وتحية لآدم لشرفه وعلمه. فامتثلت الملائكة أمر الله ﴿فسجدوا﴾ كلهم أجمعون ﴿إلا ابليس أبى﴾ أن يسجد لما داخله من الكبر ولأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن إلا أنه كان يتعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١٦).

وقوله تعالى ﴿فقلنا ياآدم﴾ أي بعد أن تكبّر إبليس عن السجود لآدم نصحنا آدم وقلنا له ﴿إن هذا﴾ أي إبليس ﴿عدو لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أي فلا تطيعانه

فإن طاعته تكون سبب إخراجكما من الجنة ومتى خرجتما منها شقيتما،[1] ووجه الخطاب إلى آدم في قوله تعالى: فتشقى لأن المراد من الشقاء هنا العمل كالزرع والحصاد وغيرهما مما هو ضروري للعيش خارج الجنة والزوج هو المسئول عن إعاشة زوجته[2] فهو الذي يشقى دونها، وقوله تعالى لآدم ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ أي في الجنة ﴿ولا تعرى﴾، ﴿وإنك لا تظمأ فيها﴾ أي لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾[3] أي لا تتعرض لحر شمس ضحى كما هي في الأرض والخطاب وإن كان لآدم فحواء تابعة له بحكم رئاسة الزوج على زوجته، ومن الأدب خطاب الرجل دون امرأته إذ هي تابعة له وقوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ أي ناداه من طريق الوسوسة. ﴿ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد[4] وملك لايبلى﴾ فقبل منه ذلك آدم واستجاب لوسوسته فأكلت حواء أولاً ثم أكل آدم وهو قوله تعالى ﴿فأكلا منها﴾ فترتب على ذلك انكشاف سوءاتهما لهما بذهاب النور الساتر لهما بسبب المعصية لله تعالى وقوله تعالى ﴿فطفقا يخصفان عليهما﴾ من ورق الشجر أي فأخذا يشدان ورق الشجر على عوراتهما ستراً لهما لأن منظر العورة يسوء الآدمي ولذلك سميت العورة سوءة وهكذا عصى آدم ربه باستجابته لوسواس عدوه وأكله من الشجرة،فبذلك[5] غوى، إلا أن ربه تعالى اجتباه اي نبياً وقربه ولياً ﴿فتاب[6] عليه وهدى﴾ وهداه للعمل بطاعته ليكون من جملة أصفيائه وصالح عباده. والحمد لله ذي الإنعام والإفضال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلا بالوحي الإلهي.

---

(١) هذا مبدأ: أنّ نفقة الزوجة على زوجها. وأن النفقة الواجبة محصورة في الطعام والشراب والكسوة والسكن.

(٢) قال الحسن: المراد بالشقاء: شقاء الدنيا لا يرى ابن آدم فيها إلاّ ناصباً.

(٣) يقال: ضحيت للشمس ضحاءً: برزت، وضحَيت بفتح الحاء مثله والمضارع أضحى، والأمر إضح، ومنه قول عمر في عرفة لرجل لازم الخيمة إضحَ لمن جئت له.

(٤) روى أبو داود وأحمد أنّ النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد).

(٥) كان هذا قبل النبوة، ومن أذنب مرّة واحدة لا يقال له مذنب ولا غاو ولا سيّما بعد التوبة.

(٦) ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: (حاجّ موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني قال رسول الله ﷺ فحجّ آدم موسى).

٢ ـ تقرير عداوة إبليس لبني آدم.

٣ ـ بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب، وإنما ذلك في الأرض.

٤ ـ التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُردي صاحبها.

٥ ـ ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية.

٦ ـ كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال.

٧ ـ حرمة كشف العورات ووجوب سترها.

٨ ـ إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابه وترك مكارهه.

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات:

قال اهبطا منها جميعا : أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وهبط.

بعضكم لبعض عدو : أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما.

فإما يأتينكم مني هدى : أي فإن يأتيكم مني هدى وهو كتاب ورسول.

فمن اتبع هداي : أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن.

فلا يضل : أي في الدنيا

ولا يشقى : في الآخرة

ومن أعرض عن ذكري : أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه .

معيشة ضنكا : أي ضيّقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة .

أعمى : أي أعمى البصر لا يبصر.

وقد كنت بصيرا : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث .

قال كذلك : أي الأمر كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكما نسيتها تنسى في جهنم .

وكذلك نجزي من أسرف : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد، ولم يؤمن بآيات ربه سبحانه وتعالى .

أشدوأبقى : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة آدم إنه لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وعاتبهما ربهما بقوله في آية غير هذه ﴿ألم أنهكما عن تلكم الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾[1] . وأنزل على آدم كلمة التوبة فقالها مع زوجه فتاب الله عليهما لما تم كل ذلك[2] قال ﴿اهبطا منها﴾ أي من الجنة ﴿جميعاً﴾[3] إذ ابليس العدو قد أُبْلِس من قبل وطُرِد من الجنة فهبطوا جميعاً. وقوله : ﴿فإمّا يأتينكم مني هدىً﴾ أي بيان عبادتي تحمله كتبي وتبينه رسلي ، ﴿فمن اتبع هداي﴾ فآمن به وعمل بما فيه ﴿فلا يضل﴾ في حياته ﴿ولا يشقى﴾[4] في آخرته

(١) هي قوله تعالى : (قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) من سورة الأعراف وأخبر تعالى عنها في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ .

(٢) الآية من سورة الأعراف .

(٣) الخطاب لآدم وإبليس وحواء تابعة لزوجها بقرينة : ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألاّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وتلا هذه الآية.

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإن له﴾ أي جزاءً منا له ﴿معيشة ضنكاً﴾[1] أي ضيقة تضيق بها نفسه فلم يشعر بالغبطة والسعادة وإن اتسع رزقه كما يضيق عليه قبره ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ، ويحشر يوم القيامة أعمى لا حجة له ولا بصر يبصر به. وقد يعجب لحاله ويسأل ربه ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت﴾ في الدنيا وفي البعث ﴿بصيرا﴾ فيجيبه ربه تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك كنت بصيراً وأصبحت أعمى لأنك ﴿أتتك آياتنا﴾ تحملها كتبنا وتبينها رسلنا ﴿فنسيتها﴾ أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضا عنها فاليوم تترك في جهنم منسياً كذلك وقوله تعالى في الآية الآخرة (١٢٧) ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ في معاصينا فلم يقف عند حد ولم يؤمن بآيات ربه فنجعل له معيشة ضنكاً في حياته الدنيا وفي البرزخ ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾[2] من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم حيث لاينقضي ولا ينتهي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عداوة الشيطان للإنسان.

٢ - عِدَةُ الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لايضل في حياته ولا يشقى في آخرته.

٣ - بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة.

٤ - التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله، وبيان جزاء ذلك.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا

(١) (ضنكاً) أي: ضيقاً، يقال: منزل ضنك وعيش ضنك، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال عنترة.

إن يُلحقوا أكرر وإن يستلحموا   أشدد وإن يُلفوا بضنك أنزل

(٢) أي: من المعيشة الضنك.

تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات:

أفلم يهد لهم : أي أفلم يُبيِّنْ لهم.

من القرون : أي من أهل القرون.

لآيات لأولى النهى : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل.

ولولا كلمة سبقت : أي بتأخير العذاب عنهم.

لكان لزاما : أي العذاب لازما لايتأخر عنهم بحال.

مايقولون : من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات.

ومن آناء الليل : أي ساعات الليل واحدها إِنْي، أو إِنْوٌ.

لعلك ترضى : أي رجاء أن تثاب الثواب الحسن الذي ترضى به.

إلى ما متعنا به أزواجا منهم : أي رجالاً منهم[1] من الكافرين.

زهرة الحياة الدنيا : أي زينة الحياة الدنيا وقيل فيها زهرة لأنها سرعان ماتذبل وتذوى.

لنفتنهم فيه : أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون.

والعاقبة للتقوى : العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

معنى الآيات :

بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تضمنته من هداية الآيات قال تعالى ﴿أفلم يهد﴾ لأهل مكة المكذبين المشركين أي أَغَفَلوا فلم يهد لهم أي يتبين ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي اهلاكنا للعديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جائين

(١) أزواجاً: رجالاً ونساءً لأنّ الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير بلفظ أزواج لأجل الدلالة على العائلات والبيوت أي: إلى ما متعناهم به من مال وبنين.

كثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدوا و يطيعوا فينجوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من الإهلاك للقرون الأولى ﴿لآيات﴾ أي دلائل واضحة على وجوب الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، ﴿لأولي النهى﴾ أي لأصحاب العقول أما الذين لا عقول لهم لأنهم عطلوها فلم يفكروا بها فلا يكون في ذلك آيات لهم. وقوله تعالى ﴿ ولولا كلمة سبقت[1] من ربك﴾ بأن لا تموت نفس حتى تستوفي أجلها، وأجل مسمىً عند الله في كتاب المقادير لايتبدل ولا يتغير لكان عذابهم لازماً لهم لما هم عليه من الكفر والشرك والعصيان. وعليه ﴿فاصبر﴾ يارسولنا ﴿على مايقولون﴾ من أنك ساحر وشاعر وكاذب وكاهن من كلمات الكفر، واستعن على ذلك بالصلاة ذات الذكر والتسبيح ﴿قبل طلوع الشمس﴾ وهو صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ وهو صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾[2] أي ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ وهو صلاة الظهر لأنها تقع بين طرفي النهار أي نصفه الأول ونصفه الثاني[3] وذلك عند زوال الشمس، لعلك بذلك ترضى بثواب الله تعالى لك.

وقوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي لا تتطلع ناظراً ﴿إلى مامتعنا به أزواجاً منهم﴾ أشكالا في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم ﴿زهرة[4] الحياة الدنيا﴾ أي من زينة الحياة الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الذي متعناهم به من زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى: ﴿ورزق ربك﴾ أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة ﴿خير وأبقي) خيراً في نوعه وأبقى في مدته، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء.

وقوله تعالى: ﴿وأمر أهلك[5] بالصلاة واصطبر عليها﴾ أي من أزواجك وبناتك وأتباعك

---

(١) فيه تقديم وتأخير، الأصل: ولولا كلمة سبقت وأجل مسمّى لكان لزاماً. أي لكان العذاب لازماً لهم.

(٢) العتمة. واحد الآناء: أنيٌ وإني وأنى.

(٣) قال مجاهد: الأغنياء منهم، وبهذا يشمل النساء والرجال إذ كل منهما زوج فرجح هذا أنّ أزواجاً: مفعول به، ولا يتنافى هذا مع ما في التفسير لأنّ قولنا: أشكالاً في عقولهم وأخلاقهم وسلوكهم يعني: منطقاً الرجال الأزواج.

(٤) (زهرة) منصوب على الحال من الموصول. والزهرة: واحدة الزهور وهو نور الشجر والمراد هنا: الزينة المعجبة المبهرة في النساء والبنين والأنعام والبساتين والجنان.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ وجميع أمّته تابعة له في ذلك فكلّ مؤمن يجب عليه أن يقيم الصلاة وأن يأمر أهله بذلك ويصبر. روي أنه لما نزلت هذه الآية كان ﷺ (يذهب إلى بنته فاطمة كل صباح وقت الصلاة) وكان عمر رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يتمثّل بالآية: وكان عروة بن الزبير إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ: ﴿ولا تمدّن عينك. . ﴾ الآية.

المؤمنين بالصلاة ففيها الملاذ وفيها الشفاء من آلام الحاجة والخصاصية واصطبر عليها واحمل نفسك على الصبر على إقامتها. وقوله ﴿لا نسألك رزقاً﴾ أي لا نكلفك ما لاً تعطيناه ولكن تكلف صلاة فأدها على أكمل وجوهها. ﴿نحن نرزقك﴾ أي رزقك علينا، ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى من عبادنا وهم الذين يخشوننا فيؤدون ما أوجبنا عليهم ويجتنبون ماحرمنا عليهم رهبة منا ورغبة فينا. هؤلاء لهم أحسن العواقب ينتهون إليها نصر في الدنيا وسعادة في الآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير مبدأ العاقل من اعتبر بغيره.

٢ - بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به.

٣ - وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة.

٤ - بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضى النفس بثوابها.

٥ - وجوب عدم تعلق النفس بما عند أهل الكفر من مال ومتاع لأنهم ممتحنون به.

٦ - وجوب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق إنتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي.

٧ - وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك.

٨ - فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

٩ - إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق وتوسعته عليهم.

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

شـرح الكلمات :

لولا [1] : أي هَلاَّ فهي أداة تحضيض وحث على وقوع مايذكر بعدها.

بآية من ربه : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته.

بينة ما في الصحف الأولى: أي المشتمـل عليهـا القـرآن العـظيم من أنباء الأمم الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسلهم.

من قبله : من قبل ارسالنا رسولنا محمد ﷺ وانزالنا كتابنا القرآن.

من قبل أن نذل ونخزى : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم.

متربص : أي منتظر ما يؤول إليه الأمر.

فستعلمون : أي يوم القيامة.

الصراط السوي : أي الدين الصحيح وهو الإسلام.

ومن اهتدى : أي ممن ضل نحن أم أنتم.

معنى الآيات :

مازال السياق مع المشركين طلباً لهدايتهم فقال تعالى مخبراً عن أولئك المشركين الذين متع الله رجالاً منهم بزهرة الحياة الدنيا أنهم أصروا على الشرك والتكذيب ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية﴾ [2] أي هلا يأتينا محمد بمعجزة كالتي أتى بها صالح وموسى وعيسى بن مريم تدل على صدقه في نبـوتـه ورسالته إلينا. فقال تعالى راداً عليهم قولتهم الباطلة: ﴿أو لم تأتهم بَيّنة ما في الصحف الأولى؟﴾ [3] أيطالبون بالآيات وقد جاءتهم بينة ما في الصحف الأولى بواسطة القرآن الكريم فعرفوا ما حل بالأمم التي طالبت بالآيات ولما جاءتهم الآيات كذبوا بها فأهلكهم الله بتكذيبهم [4] فما يؤمن هؤلاء المشركين المطالبين بالآيات أنها لو جاءتهم ما آمنوا بها فأهلكوا كما

---

(١) لولا : أداة تحضيض وجملة : (أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) حالية أي : قالوا ذلك، والحال أنها أتتهم بيّنة ما في الصحف الأولى، فالاستفهام إنكاري، والبيّنة : الحجة، والصحف : كتب الأنبياء السابقين كقوله تعالى : (إنّ هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى).

(٢) أي : لولا يأتينا محمد باية توجب العلم الضروري أو بآية ظاهرة كناقة صالح وعصا موسى أو هلّا يأتينا بالآيات التي نقترحها كتحويل جبال مكة.

(٣) هذه البيّنة هي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم، محمد أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وقد جاء بما لم يأت به غيره من العلوم والمعارف والقرآن الكريم حوى علوم الأولين وقصصهم، وكل علم نافع في الحياتين فأيّة آية أعظم من هذه الآية، كما قال تعالى : ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك كتاباً يتلى عليهم﴾؟!

(٤) قال القرطبي : فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم كحال أولائك.

أهلك المكذبين من قبلهم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (١٣٤) ﴿ولو أنا أهلكناهم[1] بعذاب من قبله﴾ أي من قبل ارسالنا محمد وانزالنا الكتاب عليه لقالوا للرب تعالى إذا وقفوا بين يديه: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ فيما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان والعمل الصالح وذلك من قبل أن نذل هذا الذل ونخزى هذا الخزي في نار جهنم. فإن كان هذا قولهم لا محالة فلم لايؤمنون ويتبعون آيات الله فيعملون بما جاء فيها من الهدى قبل حلول العذاب بهم؟ وفي الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله بعد هذا الإرشاد الذي أرشدهم إليه ﴿قل كل متربص[2]﴾ أي كل منا متربص أي منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فتربصوا﴾، فستعلمون في نهاية الأمر وعندما توقفون في عرصات القيامة﴿من﴾هم﴿أصحاب الصراط السوي[3]﴾الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام الدين الحق، ﴿ومن اهتدى﴾ إلى سبيل النجاة والسعادة ممن ضل ذلك فخسر وهلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق وتتنكر للعقل وهدايته.

٢ ـ الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح.

٣ ـ في الآية إشادة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه: «يحتج به على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلا انتفع به، ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك إليك، وقرأ ﷺ ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ ويقول الصبي الصغير كنت صغيراً لاأعقل. قال فترفع لهم نار ويقال لهم: رِدُوها قال فَيَرِدُها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم». رواه ابن جرير عند تفسير هذه الآية ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾.

(١) هذه الآية دليل على أنّ الإيمان بوحدانية الله تعالى مما يقتضيه العقل وتوجبه الفطرة لولا حجب الضلالات وإغواء الشياطين للناس.

(٢) هذا جواب عن قولهم: ﴿لولا يأتينا بآية من ربّه﴾ وما بينهما اعتراض والتربّص: الانتظار.

(٣) بمعنى المُستَوي وهو مأخوذ من التسوية.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

مكيـة

وآياتها مائة واثنتاعشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ (١) مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ (٢) لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٤) بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ (٥) مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ (٦)

شـرح الكلـمات :

اقْتَرب للناس حسابهم [١] : أي قرب زمن حسابهـم وهو يوم القيامة.

وهـم في غـفلـة : أي عما هم صائـرون إليه

معرضـون : أي عن التـأهب ليوم الحسـاب بصـالح الأعمال بعد ترك

---

(١) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأُول وهن من تلادي: يريد من أوّل ما حفظ كالمال التليد..

الشرك والمعاصي

من ذكر من ربهم محدث	: أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول.
وهم يلعبون	: أي ساخرين مستهزئين.
لاهية قلوبهم	: مشغولة عنه بما لا يغني من الباطل والشر والفساد.
واسروا النجوى	: أي أخفوا مناجاتهم بينهم.
أضغاث أحلام	: أي أخلاط رآها في المنام.
بل افتراه	: أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه.
أفهم يؤمنون	: أي لا يؤمنون فالاستفهام للنفي.

معنى الآيات:

يخبر تعالى فيقول وقوله الحق: ﴿اقترب للناس[1] حسابهم﴾ أي دنا وقرب وقت حسابهم على أعمالهم خيرها وشرها ﴿وهم في[2] غفلة﴾ عما ينتظرهم من حساب وجزاء ﴿معرضون﴾ عما يدعون إليه من التأهب ليوم الحساب بترك الشرك والمعاصي والتزود بالإيمان وصالح الأعمال. وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر[3] من ربهم محدث[4]﴾ أي ما ينزل الله من قرآن يعظهم به ويذكرهم بما فيه ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ أي استمعوه وهم هازئون ساخرون لاعبون غير متدبرين له ولا متفكرين فيه. وقوله تعالى: ﴿لاهية قلوبهم﴾ أي مشغولة عنه منصرفة عما تحمل الآيات المحدثة النزول من هدى ونور، ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا[5]﴾ وهم المشركون قالوا في تناجيهم بينهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ما محمد إلا إنسان مثلكم فكيف تؤمنون به وتتابعونه على ما جاء به،

---

(١) لفظ الناس: عام وإن أريد به أهل مكة بدليل السياق في الآيات بعد.

(٢) الجملة حالية أي: اقترب للناس حسابهم والحال أنهم في غفلة معرضون.

(٣) محدث: أي: في نزوله وقراءة جبريل له على النبي ﷺ إذ كان ينزل آية آية وسورة سورة وجائز أن يكون الذكر الرسول ﷺ لقرينة الآيات كقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقوله: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا..﴾ فرسول بدلا من قوله: (ذكراً) وقوله (إلا استمعوه) أي: الرسول وهم يلعبون. قاله الحسن بن الفضل.

(٤) لاهية: ساهية معرضة عن ذكر الله تعالى. يقال: لهيت عن الشيء إذا تركته وسهوت عنه، وهو نعت تقدّم عن الاسم فنصب على الحال نحو: (خاشعة أبصارهم)، (ودانية عليهم ظلالها) وكقول كثير عزّة:

لعزة موحشا طلل يلوح كأنه خِلَلُ

(٥) (الذين ظلموا) بدل من واو الجماعة في: (وأسروا النجوى).

إنه ما هو إلا ساحر ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ مالكم أين ذهبت عقولكم؟ قال تعالى لرسوله: ﴿قل ربي[1] يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع. . .﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بأعمالهم فهو تعالى سميع لما تقولون من الكذب عليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه.

وقوله تعالى: ﴿بل قالوا﴾ أي أولئك المتناجون الظالمون ﴿أضغاث أحلام﴾ أي قالوا في القرآن يأتيهم من ربهم محدث لهم؛ ليهتدوا به قالوا فيه أضغاث أي أخلاط رؤيا منامية وليس بكلام الله ووحيه، ﴿بل افتراه﴾ انتقلوا من قول إلى آخر لحيرتهم ﴿بل هو شاعر﴾ أي ﷺ وما يقوله ليس من جنس الشعر الذي هو ذكر أشياء لا واقع لها ولاحقيقة. وقوله تعالى عنه: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أي إن كان رسولاً كما يدعي وليس بشاعر ولا ساحر فليأتنا بآية أي معجزة كآية صالح أو موسى أو عيسى كما أرسل بها الأنبياء الأولون. قال تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من[2] قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ بالعذاب لما جاءتها الآية فكذبت أفهم[3] يؤمنون أي لا يؤمنون إذ شأنهم شأن غيرهم، فلذا لا معنى لإعطائهم الآية من أجل الإيمان ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- قرب الساعة.

٢- بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك.

٣- بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي ﷺ.

٤- المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبب اهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية.

---

(١) قرأ نافع والجمهور: (قل ربي) بصيغة الأمر، وقرأ حفص ومن وافقه (قال) بصيغة الماضي.

(٢) (من): زائدة لتقوية الكلام وتوكيد النفي المستفاد من حرف (ما).

(٣) الاستفهام للإنكار أي: انكار إيمانهم لو جاءتهم الآية أي: فهم لا يؤمنون.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

قبلك	: يا محمد.
أهل الذكر	: أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب.
جسداً	: أي أجساداً آدمية.
الوعد	: أي الذي واعدناهم.
المسرفين	: أي في الظلم والشرك والمعاصي.
كتاباً	: هو القرآن العظيم.
فيه ذكركم	: أي ما تذكرون به ربكم وما تذكرون به من الشرف بين الناس.

معنى الآيات :

كانت مطالب قريش من اعتراضاتهم تدور حَوْلَ لِمَ يكون الرسول بشراً، ولِمَ يكون رسولاً ويأكل الطعام لم لا يكون له كنز أو جنة يأكل منها، لم لا يأتينا بآية كما أرسل بها الأولون، وهكذا. قال قتادة قال أهل مكة للنبي ﷺ «وإذا كان ما تقوله حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا، فأتاه جبريل فقال إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا «أي ينزل بهم العذاب فوراً» وإن شئت استأنيت بقومك، قال بل استأني بقومي فأنزل الله ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ يارسولنا[1] ﴿إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ ما نريد إبلاغه عبادنا من أمرنا ونهينا. ﴿فاسألوا أهل الذكر[2] إن كنتم لا تعلمون﴾ أي فليسأل قومك أهل الكتاب من قبلهم وهم أحبار اليهودورهبانالنصارى إن كانوا لا يعلمون فإنهم يعلمون أن الرسل من قبلهم لم يكونوا إلا بشراً. وقوله تعالى: ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسدا﴾[3] أي أجساداً ملائكية أو بشرية لا يأكل أصحابها الطعام بل جعلناهم أجساداً آدمية تفتقر في بقاء حياتها إلى الطعام والشراب[4] فلم يعترض هؤلاء المشركون على كون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وقوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم﴾ أي أولئك الرسل ﴿الوعد﴾[5] الذى وعدناهم وهو أنا إذا آتينا أقوامهم ما طالبوا به من المعجزات ثم كذبوا ولم يؤمنوا أهلكناهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي أنجينا رسلنا ومن آمن بهم واتبعهم، وأهلكنا المكذبين المسرفين في الكفر والعناد والشرك والشر والباطل.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون؟﴾ يقول تعالى لأولئك المشركين المطالبين بالآيات التي قد تكون سبب هلاكهم ودمارهم ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ لهدايتكم وإصلاحكم ثم إسعادكم ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن ﴿فيه ذكركم﴾[6] أي ما تذكرون به وتتعظون فتهتدون إلى سبيل سلامتكم وسعادتكم، فيه ذكركم بين الأمم والشعوب لأنه نزل بلغتكم الناس لكم فيه تبع وهو شرف أي شرف لكم. أتشتطون في المكايدة والعناد فلا تعقلون، ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

---

(١) هذا ردّ على المشركين إذ قالوا: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وتأنيس للنبي ﷺ حتى لا يضيق بما يقولون.

(٢) جائز أن يكون أهل الذكر أي: الكتاب الأوّل هم اليهود والنصارى إذ كان أهل مكة يسألون يهود المدينة وجائز ان يكون القرآن وهم المؤمنون ولذا قال عليّ وهو صادق: نحن أهل الذكر. أي: فليناظروا المؤمنين كعلي وأبي بكر الصديق وبلال. وفي الآية دليل على وجوب تقليد العامة العلماء إذ هم أهل الذكر ووجوب العمل بما يفتونهم به ويعلمونهم به.

(٣) الجسد: الجسم لا حياة فيه كالجثة. وفي العبارة تهكم بالمشركين لسخف عقولهم إذ أنكروا على الرسول ﷺ أكل الطعام فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ وهل يعقل وجود أجسام بشرية تستغني عن الأكل والشرب؟

(٤) ولذا هم يموتون ولا يخلدون وهذه حقيقة الأدمي.

(٥) الوعد: منصوب على نزع الخافض أي: صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم، وهو وعدهم بنصرهم وإهلاك أعدائهم.

(٦) (فيه ذكركم): أي: فيه ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وبيان ما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب وفيه ذكر مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً.

٢ـ تعين سؤال أهل العلم في كل ما لا يعلم إلا من طريقهم، من أمور الدين والآخرة.

٣ـ ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم.

٤ـ القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

وكم قصمنا : أي وكثيراً من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم.

كانت ظالمة : أي كان أهلها ظالمين.

يركضون : أي فارين هاربين.

إلى ما أترفتم فيه : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب.

تسألون : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم.

تلك دعواهم : أي دعوتهم التي يرددونها وهي : ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾.

حصيداً خامدين : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أخمدت.

معنى الآيـات :

يقول تعالى منذراً قريشاً أن يحل بها ما حل بغيرها ممن أصروا على التكذيب والعناد[1] ﴿وكم قصمنا﴾ أي أهلكنا وأبدنا إبادة كاملة ﴿من قرية﴾ أي أهل قرية ﴿كانت ظالمة﴾ أي كان أهلها ظالمين بالشرك والمعاصي والمكابرة والعناد، ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾ هم خير من أولئك الهالكين. وقوله تعالى: ﴿فلما أحسوا[2] بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ أي فلمـا أحسَّ أولئك الظالمون ﴿بأسنا﴾ أي شعروا به وادركوه بحواسهم بأسماعهم وأبصارهم ﴿إذ هم منها﴾ من تلك القرية يركضون هاربين فراراً من الموت. والملائكة تقول لهم توبيخاً لهم وتقريعاً: لا تركضوا هاربين ﴿وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه﴾ نُعِمْتُم فيه من وافِرِ الطعام والشراب والكساء والمسكن والمركب ﴿لعلكم تسألون﴾ على العادة عن شيء من أموركم وأمور دنياكم[3]، فكان جوابهم ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنـا أحضـر هذا أو آن حضـورك إنـا كنـا ظالمين أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد. قال تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي ما زال قولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ تلك دعوتهم[4] التي يرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً[5] خامدين﴾ أي مُجتثين من أصولهم ساقطين في الأرض خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت فلم يبق لها لهيب.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله.

٢ـ جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً.

٣ـ لا تنفع التوبة عند معاينة العذ اب لو طلبها الهالكون.

٤ـ شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهْذِرُ ولا يدري ما يقول.

(١) قيل: هذه القرى هي مدائن كانت باليمن، والعموم ظاهر في السياق ولا داعي إلى حصره في مدائن اليمن بل هو شامل عاداً وثمود وأهل مدين والمؤتفكات، والقصم: الكسر يقال: قصم ظهر فلان: إذا كسره.

(٢) الإحساس: الإدراك بالحس فيكون برؤية ما يزعجهم أو سماع أصوات مؤذنة بالهلاك كالصواعق والرياح.

(٣) وهذا استهزاء بهم وتهكم وتقريع وتوبيخ لهم.

(٤) أي: الكلمة التي يكررونها وهي: يا ويلنا إنا كنا ظالمين حتى هلكوا عن آخرهم.

(٥) الحصد: جزّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد، وشاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود، والخامد الذي لا حراك له من خمدت النار إذا زال لهيبها.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

لاعبين : أي عابثين لا مقصد حَسَن لنا في ذلك.

لهوا : أي زوجة وولداً.

من لدنا : أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة.

بل نقذف بالحق : أي نرمي بالحق على الباطل.

فيدمغه : أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك.

فإذا هو زاهق : أي ذاهب مُضمحِل.

ولكم الويل مما تصفون : أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأنَّ له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفترٍ.

وله من في السموات والأرض: خلقاً وملكاً وتدبيراً لا شريك له في ذلك.

ولا يستحسرون : أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركون التسبيح.

لا يفترون : عن التسبيح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من التنفس ولا يشغله عنه شيء.

معنى الآيات :

كونه تعالى يهلك الأمم الظالمة بالشرك والمعاصي دليل أنه لم يخلق الإنسان والحياة

لعباً وعبثاً بل خلق الإنسان وخلق الحياة ليذكر ويشكر فمن أعرض عن ذكره وترك شكره أذاقه بأساءه في الدنيا والآخرة وهذا ما دلت عليه الآية السابقة وقررته الآية وهي قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾[1] أي عابثين لا قصد حسن لنا بل خلقناهما بالحق وهو وجوب عبادتنا بالذكر والشكر لنا وقوله تعالى: ﴿لو أردنا[2] أن نتخذ لهواً﴾ أي صاحبة أو ولدا كما يقول المبطلون من العرب القائلون بأن الله أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وكما يقول ضُلاَّلُ النصارى أن الله اتخذ مريم زوجة فولدت له عيسى الابن، تعالى الله عما يأفكون فرد تعالى هذا الباطل بالمعقول من القول فقال لو أردنا أن نتخذ لهواً نتلهى به من صاحبة وولد لاتخذنا من لدنا من الحور العين والملائكة ولكنا لم نرد ذلك ولا ينبغي لنا إنا نملك كل من في السموات ومن في الأرض عبيداً لنا فكيف يعقل اتخاذ مملوك لنا ولداً ومملوكة زوجةً والناس العجزة الفقراء لا يجيزون ذلك فالرجل لا يجعل مملوكته زوجة له ولا عبده ولداً بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه[3] فاذا هو زاهق﴾ فتلك الأباطيل والترهات تنزل حجج القرآن عليها فتدمغها فإذا هي ذاهبة مضمحلة لا يبقى منها شيء ﴿ولكم الويل﴾ أيها الكاذبون مما تصفون الله بالزوجة والولد والشريك والرسول بالسحر والشعر والكهانة والكذب العذاب لازم لكم من أجل كذبكم وافترائكم على ربكم ورسوله. وقوله تعالى: ﴿وله من في السموات والأرض﴾ برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولداً فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غنيٌّ عن الصاحبة والولد إذ الكل له مُلكاً وتصرفاً. وقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون[4]﴾ برهان آخر ﴿يسبحون الليل والنهار ولا

---

(١) ينفي تعالى أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما وما في السموات وما في الأرض من عجائب المخلوقات وبدائع الصناعات وما بين السماء والأرض من السحب والأمطار ورياح وأجواء الفضاء ينفي أن يكون هذا الخلق العظيم لعباً: أي: لهواً وعبثاً بل خلق ما خلق لأعظم حكمة وأسماها وهي أن يعبد بذكره وشكره، فلذا من كفر به تعالى فترك ذكره وشكره كان من شرّ خلقه واستوجب العذاب الأبدي الذي لا يخرج منه ولايموت فيه ولا يحيى.

(٢) الآية ردّ على افتراءات المبطلين جهلة البشر الذين نسبوا لله تعالى الصاحبة والولد بغير علم من عقل ولا نقل.

(٣) الدمغ: شج الرأس حتى تبلغ الشجة الدماغ، والباطل هو الشيطان والحق: القرآن، في قول مجاهد إذ قال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان.

(٤) لا يستحسرون أي: لا يعيون مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع من الإعياء والتعب يقال: حسر البعير يحسر حسوراً: أعيا وكلّ واستحسر وتحسر مثله.

يفترون﴾ أي فكيف يفتقر إلى الزوجة والولد، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عداً يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها، يسبحونه الليل والنهار، والدهر كله ﴿لا يفترون﴾ أي لا يسأمون فيتركون التسبيح فترةً بعد فترة للاستراحة، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عنه كالآدميين في تنفسهم وطرف أعينهم هل يشغل عن التنفس شاغل أو عن طرف العين آخر وهل يسأم الإنسان من ذلك والجواب لا، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد.

٢ـ حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمغته فذهب واضمحل.

٣ـ إقامة البراهين العقلية على إبطال الباطل أمر محمود، وقد يكون لابد منه.

٤ـ بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته.

٥ـ بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

أم اتخذوا آلهة من الأرض : أيْ من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر .

هم ينشرون : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى .

لو كان فيهما : أي في السموات والأرض .

لفسدتا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع عادة وهو يقضي بفساد النظام .

فسبحان الله : أي تنزيه لله عما لا يليق بجلاله وكماله .

رب العرش : أي خالقه ومالكه والمختص به .

عما يصفون : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك .

لا يسأل عما يفعل: إذ هو الملك المتصرف، وغيره يسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوباً .

قل هاتوا برهانكم : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون .

هذا ذكر من معي : أي القرآن ذكر أمتي .

وذكر من قبلي : أي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله الكل يشهد أنه لا إله إلا الله .

لا يعلمون الحق : أي توحيد الله ووجوبه على العباد فلذا هم معرضون .

فاعبدون : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي .

معنى الآيات :

يوبخ تعالى المشركين على شركهم فيقول: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾[1] أي من أحجارها ومعادنها آلهة ﴿هم ينشرون﴾ أي يحيون الموتى ، والجواب كلا إنهم لا يحيون والذي لا يحيي الموتى لا يستحق الألوهية بحال من الأحوال . هذا ما دل عليه قوله

(١) الاستفهام هنا للجحد والإنكار أي: لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء في وصف الآلهة من الأرض تهكّم بعابديها ظاهر وتأنيب عجيب .

تعالى : ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينتشرون﴾ وفي الآية الثانية (٢١) يبطل تعالى دعواهم في اتخاذ آلهة مع الله فيقول : ﴿لو كان فيهما﴾[1] أي في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لفسدتا لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع[2] والتمانع هذا يريد أن يخلق كذا و هذا لا يريده هذا يريد أن يعطى كذا وذاك لا يريده فيختل نظام الحياة وتفسد، ومن هنا كان انتظام الحياة هذه القرون العديدة دالا على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي تجب له العبادة وحده دون من سواه، فلذا نزه تعالى نفسه عن الشريك وما يصفه به المبطلون من الزوجة والولد فقال : ﴿فسبحان الله[3] رب العرش عما يصفون﴾ وقرر ألوهيته وربوبيته المطلقة بقوله : ﴿لا يسأل[4] عما يفعل وهم يُسئلون﴾ فالذي يفعل ولا يُسأل لعلمه وقدرته وملكه هو الإله الحق والذي يسأل عن عمله لم فعلت ولم تركت ويحاسب عليه ويجزى به لن يكون إلا عبداً مربوباً، وقوله في توبيخ آخر للمشركين : أم اتخذوا من[5] دونه عز وجل آلهة يعبدونها؟ قل لهم يا رسولنا هاتوا برهانكم على صدق دعواكم في أنها آلهة، ومن أين لهم البرهان على احقاق الباطل؟ وقوله تعالى : ﴿هذا ذكر من[6] معي﴾ أي من المؤمنين وهو القرآن الكريم به يذكرون الله ويعبدونه وبه يتعظون ﴿وذكر من قبلي﴾ أي التوراة والانجيل هل في واحد منها ما يثبت وجود آلهة مع الله تعالى. والجواب لا. إذاً فما هي حجة هؤلاء المشركين على صحة دعواهم، والحقيقة أن المشركين جهلة لا يعرفون منطقاً ولا برهاناً فلذا هم مُعْرِضُون وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق[7] فهم معرضون﴾ فليسوا أهلاً لمعرفة الأدلة والبراهين لجهلهم فلذا هم معرضون عن قبول التوحيد وتقرير أدلته وحججه وبراهينه.

---

(١) هذه الجملة مقررة لما أنكره تعالى على المشركين من اتخاذهم آلهة من الارض مبيّنة وجه الإنكار شارحة له اي: يستحيل أن يوجد آلهة حق مع الله تعالى. والبرهان مذكور في التفسير.

(٢) هذا ما يسمى بدليل أو برهان التمانع وأنه وإن كان فيه ما يرده إلا أنه في الجملة دليل مسكت للخصم مقنع لذي العقول.

(٣) إظهار اسم الجلالة في مكان الإضمار كان لتربية المهابة منه عزّ وجل إذ كان المفروض أن يقول سبحانه.

(٤) قال ابن جريج : لا يسأله الخلق عن قضائه فيهم وهو يسألهم عن أعمالهم لأنهم عبيده وبهذا انهدّ معتقد المشركين والقدريين معاً إذ الله لا يسأل عما يفعل وغيره يسأل فالذي يسأل ويحاسب ويجزي لن يكون إلهاً أبداً

(٥) (أم) بمعنى : بل والاستفهام التعجبي أي : بل اتخذوا من دون الله الهة يا للعجب فليأتوا إذاً ببرهان عقلي على صحة دعواهم ومن أين لهم إذاً أفلا يتوبون.

(٦) زيادة على إقامة بطلان الشرك بشهادة القرآن كتاب الله وشهادة الكتب السابقة وفيها التهديد والوعيد للمشركين.

(٧) قرأ الحق بالرفع ابن محيسن والحسن على تقدير هذا هو الحق وقرأ الجمهور بالنصب مفعول أي : لا يعلمون الحق الذي هو القرآن العظيم فهم لا يتأملونه فحججه وبراهينه على إبطال الشرك ظاهرة

الأنبياء

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[1] فلو كان المشركون يعلمون هذا لما أشركوا وجادلوا عن الشرك، ولكنهم جهلة مغررون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله.

٢- وحدة النظام دالة على وحدة المنظم، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذي يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادته وحده.

٣- لا برهان على الشرك أبداً، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى.

٤- القرآن والتوراة وكل كتب الله متضافرة على تقرير توحيد الله تعالى.

٥- تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركين.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

---

(١) هذا برهان آخر على إبطال الشرك إذ عامة الرسل جاءت بالتوحيد بلا إله إلا الله، فكيف يصح إذاً إقرار الشرك والعمل به، والآية كآية النحل: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

شرح الكلمات :

ولــداً : أي من الملائكة حيث قالوا الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

سبحانه : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد.

بل عباد مكرمون : هم الملائكة، ومن كان عبداً لا يكون ابناً ولا بنتاً.

لا يسبقونه بالقول : أي لا يقولون حتى يقول هو وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء.

وهم بأمره يعملون : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم.

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى : أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له.

مشــفقون : أي خائفــون.

من دونـه : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله.

كذلك نجزي الظالمين : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

معنى الآيـات :

بعد أن أبطلت الآيات السابقة الشرك ونددت بالمشركين جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر للمشركين وهو نسبتهم الولد لله تعالى فقال تعالى عنهم و﴿قالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾[1] وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله فنزه تعالى نفسه عن هذا النقص فقال ﴿سبحانه﴾ وأبطل دعواهم وأضرب عنها فقال ﴿بل عباد مكرمون﴾[2] أي فمن نسبوهم لله بنات له هم عباد له مكرمون عنده ووصفهم تعالى بقوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فهم لكمال عبوديتهم لا يقولون حتى يقول هو سبحانه وتعالى، وهم يعملون بأمره فلا يقولون ولا يعملون إلا بعد إذنه لهم، وأخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم[3] وما خلفهم فعلمه عز وجل محيط بهم ولا يشفعون لأحد من خلقه إلا لمن ارتضى أن يشفع[4] له فقال تعالى:

---

(١) قيل: هذه الآية نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله تعالى وكانوا يعبدونهم يرجون شفاعتهم، وفريتهم قائمة على أن الله تعالى اصهر إلى سروات الجنّ فأنجب الملائكة. تعالى الله علواً كبيراً.

(٢) (بل عباد مكرمون) أي: بل هم عباد مكرمون، فعباد: خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون: نعت للخبر.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا.

(٤) قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد: هم كل من رضي الله عنه. وهو أعم من الأوّل، وأخص أيضاً باعتبار جهتين.

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وزيادة على ذلك أنهم ﴿من خشيته مشفقون﴾ خائفون، وعلى فرض أن أحداً منهم قال إني إله من[1] دون الله فإن الله تعالى يجزيه بذلك القول جهنم وكذلك الجزاء نجزي الظالمين أي أنفسهم بالشرك والمعاصي ،وبهذا بطلت فرية المشركين في جعلهم الملائكة بنات لله وفي عبادتهم ليشفعوا لهم عنده تعالى.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى.

٢ـ بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى.

٣ـ بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له.

٤ـ تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشروطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

(١) في الآية دليل على أن الملائكة وإن أكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين إلى العبادة اضطراراً بل شأنهم شأن المعصومين من الرسل يعبدون تعبّداً لا اضطراراً.

شرح الكلمات :

كائنا رتقا : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها.

ففتقناهما : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين.

رواسي : أي جبالاً ثابتة.

أي تميد بهم : أي تتحرك فتميل بهم.

فجاجا سبلا : أي طرقاً واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون.

لعلهم يهتدون : إلى مقاصدهم في أسفارهم.

وهم عن آياتها : من الشمس والقمر والليل والنهار معرضون.

كل في فلك يسبحون : الفلك كل شيء دائر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجز فقال تعالى: ﴿أو لم يرَ[1] الذين كفروا﴾ أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرضين كما أن السماء تفتق بإذنه تعالى عن الأمطار، والأرض تفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع، وأن كل شيء حيّ في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها؟

فماللناس لا يؤمنون؟ هذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى (٣٠) ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا[2] ففتقناهما وجعلنا من[3] الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون؟﴾ وقوله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت كيلا تميد أي

---

(١) قرأ الجمهور (أو لم ير) بالواو بعد همزة الاستفهام، وقرأ بعض: (ألم ير) بدون واو، بمعنى يعلم.

(٢) (رتقا): الرتق: السدّ ضد الفتق، يقال: رتقت الفتق ارتقه فارتتق. أي: التأم، ومنه: امرأة رتقاء أي: منضمة الفرج غير مفتوق، والمراد أنّ السموات والأرض كانت شيئا واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما وما في التفسير إشارة إلى ما اختاره ابن جرير الطبري وهو: أن السماء كانت رتقا لا تمطر والأرض كانت رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات والآية دالة على الوجهين والوجهان صحيحان.

(٣) (جعلنا) بمعنى: خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أنّ كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني: أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث: (كل شيء خلق من الماء).

تتحرك وتضطرب بسكانها، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿فجاجاً سبلاً﴾ أي طرقاً سابلة للسير فيها ﴿لعلهم يهتدون[1]﴾ أي كي يهتدوا إلى مقاصدهم في أسفارهم، وقوله: ﴿وجعلنا السماء[2] سقفاً محفوظاً﴾ من السقوط ومن الشياطين. وقوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والليل والنهار إذ هذه آيات قائمة بها ﴿معرضون﴾ أي لا يفكرون فيها فيهتدوا إلى معرفة الحق عز وجل ومعرفة ما يجب له من العبادة والتوحيد فيها، وقوله: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس[3] والقمر كل في فلك يسبحون[4]﴾ أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به يسبح الدهر كله، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعوالم كلها، فسبحان العليم الحكيم، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته.

٢- بيان الحكمة من خلق الجبال الرواسي.

٣- بيان دقة النظام الإلهي، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى.

٤- إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم.

---

(١) رجاء أن يهتدوا في سيرهم إلى ما يرومون من الديار والبلاد، ورجاء أن يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله وتوحيده.

(٢) سميت السماء سقفاً لأنها مرفوعة فوق الأرض مظللّة لها كالسقف على الدّار.

(٣) هذه كلها منن الله تعالى على عباده وآيات قدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده وإعراض الناس عن النظر والتدبر هو الذي حرمهم هداية الله تعالى.

(٤) (كل في فلك يسبحون): هذه جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جوابا لمن سمع الآيات، فتساءل عن الشمس والقمر وعن باقي الأجرام السماوية قائلا: كيف لا يقع بينها تصادم ولايتخلف بعضها فيحدث خلل في الكون والحياة فأجيب بقوله تعالى: ﴿كل في فلك يسبحون﴾.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾
وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات :

الخلد : أي البقاء في الدنيا.

ذائقة الموت : أي مرارة مفارقة الجسد.

ونبلوكم : أي نختبركم.

بالشر والخير : فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة.

فتنة : أي لأجل الفتنة لننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون.

إن يتخذونك إلا هزواً : أي ما يتخذونك إلا هزواً أي مهزوءاً بك.

يذكر آلهتكم : أي يعيبها.

بذكر الرحمن هم كافرون : حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما الرحمن؟

خلق الإنسان من عجل : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه.

سأوريكم آياتي : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

معنى الآيــات :

كأنَّ المشركين قالوا شامتين إن محمداً سيموت، وقالوا نتربص به ريب المنون فأخبر تعالى أنه لم يجعل لبشر من قبل نبيّه ولا من بعده الخلد حتى يخلد هو ﷺ فكل نفس ذائقة الموت، ولكن إن مات رسوله فهل المشركون يخلدون والجواب لا، إذاً فلا وجه للشماتة بالموت لو كانوا يعقلون. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٤) ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون﴾[1] وقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[2] أي كل نفس منفوسة ذائقة مرارة الموت بمفارقة الروح للبدن، والحكمة في ذلك أن يتلقى العبد بعد الموت جزاء عمله خيراً كان أو شراً، دل عليه قوله بعد: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ من غِنى وفقر ومرض وصحة وشدة ورخاء ﴿فتنة﴾ أي لأجل فتنتكم أي اختباركم ليرى الصابر الشاكر والجزع الكافر. وقوله تعالى: ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء على كسبكم خيره وشره.

وقوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً﴾ يخبر تعالى رسوله بأن المشركين إذا رأوه ما يتخذونه إلا هزواً وذلك لجهلهم بمقامه وعدم معرفتهم فضله عليهم وهو حامل الهدى لهم، ويبين وجه استهزائهم به ﷺ بقوله: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي بعيبها وانتقاصها، قال تعالى: ﴿وهم بذكر الرحمٰن هم كافرون﴾[3] أي عجباً لهم يتألمون لذكر آلهتم بسوء وهي محط السوء فعلاً، ولا يتألمون لكفرهم بالرحمن ربهم سبحانه وتعالى حتى إنهم أنكروا أن يكون اسم الرحمٰن اسماً لله تعالى وقالوا لا رحمٰن الا رحمن اليمامة.

وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾[4] قال تعالى هذا لما استعجل المشركون

---

(١) الاستفهام مقدّر أي: أفهم الخالدون؟ وهو للنفي والإنكار كقول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي: أهم؟ ومعنى رفوني سكّنوني يقال رفاه إذا سكنه.

(٢) يروى أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنشد واستشهد بالبيتين الآتيين:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

(٣) عجباً لجهلهم وسوء فهمهم يعيبون من جحد إلهية أصنامهم وهم يجحدون إلهية الرحمن إنّ هذا لغاية الجهل والغرور.

(٤) إنّ طبع الإنسان العجلة إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرّته، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان آدم عليه السلام قال سعيد بن جبير لما دخل الروح في عين آدم نظر في ثمار الجنة، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك قوله: تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾.

العذاب وقالوا للرسول والمؤمنين: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فأخبر تعالى أن الاستعجال[1] من طبع الإنسان الذي خلق عليه، وأخبرهم أنه سيريهم آياته فيهم بإنزال العذاب بهم وأراهم ذلك في بدر الكبرى وذلك في قوله ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي. فلا داعي إلى الاستعجال وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أخبر تعالى عن قيلهم للرسول والمؤمنين وهم يستعجلون العذاب: متى هاذ الوعد إن كنتم صادقين؟ وهذا عائد إلى ما فطر عليه الإنسان من العجلة من جهة، وإلى جهلهم وكفرهم من جهة أخرى وإلا فالعاقل لا يطالب بالعذاب بل يطالب بالرحمة والخير، لا بالعذاب والشر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إبطال ما شاع من أن الخضر حيٌّ مخلد لا يموت لنفيه تعالى ذلك عن كل البشر.

٢- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الحياة الدنيا وهي الاختبار.

٣- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول ﷺ.

٤- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرفهم.

لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ

[1] العجلة: السرعة، قيل: إن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهة، فإذا فكر في شيء محبوب استعجل حصوله، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته، ومن هنا كان عجولا.

ٱلرَّحْمَٰنِۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

لا يكفون : أي لا يمنعون ولا يدفعون النار عن وجوههم.

بل تأتيهم بغتة : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة.

فتبهتهم : أي تُحيرهم.

ولاهم ينظرون : أي يمهلون ليتوبوا.

وحاق بهم : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

من يكلؤكم : أي من يحفظكم ويحرسكم.

من الرحمن : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم.

بل هم عن ذكر ربهم معرضون : أي هم عن القرآن معرضون فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

ولا هم منا يصحبون : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا.

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿لو[1] يعلم الذين كفروا﴾ المستعجلون بالعذاب المطالبون به حين أي الوقت الذي يُلقون فيه في جهنم والنار تأكل وجوههم وظهورهم، ولا يستطيعون أن يمنعوا أنفسهم منها ولا هم ينصرون بمن يدفع العذاب عنهم لو علموا هذا وأيقنوا به لما طالبوا بالعذاب ولا استعجلوا يومه وهو يوم القيامة، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لو يعلم الذين[2] كفروا حين[3] لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ وقوله تعالى:

---

(١) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لاتزول فيه النار عن وجوههم وعن ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

(٢) جواب لو: محذوف كما تقدم آنفاً، والغرض من حذفه تهويل جنسه فتذهب نفس السامع كل مذهب. وجملة: ﴿لو يعلمون..﴾ الخ مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣) (حين) اسم زمان منصرف منصوب على المفعولية لا على الظرفية أي: لو علموا وقته وأيقنوا بحصوله لما كذّبوا به.

﴿بل تأتيهم[1] بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ أي أن القيامة لا تأتيهم على علم منهم بوقتها وساعتها فيمكنهم بذلك التوبة، وإنما تأتيهم ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿فتبهتهم﴾ أي فتحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها، ولاهم ينظرون﴾ أي يمهلون ليتوبوا من الشرك والمعاصي فينجوا من عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ وهو العذاب هذا القول للرسول ﷺ تعزية له وتسلية ليصبر على ما يلاقيه من استهزاء قريش به واستعجالهم العذاب، إذ حصل مثله للرسل قبله فصبروا حتى نزل العذاب بالمستهزئين بالرسل عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿قل من[2] يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول للمطالبين بالعذاب المستعجلين له: ﴿من يكلؤكم بالليل والنهار﴾ أي من يجيركم من الرحمن إن أراد أن يعذبكم، إنه لا أحد يقدر على ذلك إذاً فلم لا تتوبون إليه بالإيمان والتوحيد والطاعة له ولرسوله، وقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ إن علة عدم استجابتهم للحق هي إعراضهم عن القرآن الكريم وتدبر آياته وتفهم معانيه. وقوله: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ ينكر تعالى أن يكون للمشركين آلهة تمنعهم من عذاب الله متى نزل بهم ويقرر أن آلهتهم لا تستطيع نصرهم ﴿ولاهم منا يصحبون﴾ أي وليس هناك من يجيرهم من عذاب الله من آلهتهم ولا من غيرها فلا يقدر أحد على إجارتهم من عذاب الله متى حل بهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣- تسلية الرسول ﷺ بما كان عليه الرسل من قبله وما لاقوه من أممهم.

---

(١) (بل): للاضراب الانتقالي من تهويل ما أعدّ لهم إلى التهديد بأن ذلك يحلّ بهم بغتة (أي فجأة).

(٢) يكلأكم: أي يحرسكم ويحفظكم إذ الكلاءة: الحفظ والحراسة يقال: كلاه الله كلاءة أي: حفظه وحرسه ومنه قول الشاعر:

إنّ سليمى والله يكلأها ... ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

والاستفهام في: من يكلأكم: للنفي.

(٣) فسر يصحبون يمنعون، ويجارون قال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ... ليصحب منها والرماح دواني

٤ـ بيان عجز الهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم.
٥ـ بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

شـرح الكلمـات :

متعنا هؤلاء وآباءهم : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات.
حتى طال عليهم العمر : فانغـرُّوا بذلك.
ننقصها من أطرافها : أي بالفتح على النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين.
إنما أنذركم بالوحي : أي بأخبار الله تعالى التي يوحيها إلي وليس هناك شيء من عندي.
نفحـــة : أي وقعة من عذاب خفيفة.
يا ويلنا إنا كنا ظالمين : أي يقولون يا ويلنا أي يا هلاكنا.
إنا كنا ظالمين : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ.

الموازين القسط : أي العادلة.
فلا تظلم نفس شيئاً : لا بنقص حسنة ولا بزيادة سيئة.
مثقال حبة : أي زنة حبة من خردل.
وكفى بنا حاسبين : أي محصين لكل شيء.

معنى الآيات:

مازال السياق في إبطال دعاوي المشركين فقال تعالى: ﴿بل متعنا هؤلاء[1]﴾ بما أنعمنا عليهم هم وآباؤهم فظنوا أن آلهتهم هي الحافظة لهم بل الله هو الحافظ حتى طال عليهم العمر[2] فانغروا بذلك. ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ أرض الجزيرة بلادهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بدخول أهلها في الإسلام بلداً بعد بلد. ﴿أفهم[3] الغالبون﴾؟ الله هو الغالب حيث مكن لرسوله والمؤمنين وفتح عليهم، ثم أمر رسوله أن يقول لهم أيها المكذبون إنما أنذركم العذاب وأخوفكم من عاقبة شرككم بالوحي الإلهي لا من تلقاء نفسي، وقوله تعالى: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فالصم لحبهم الباطل الذي هم عليه لا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم فحبهم للشرك وآلهته جعلهم لا يسمعون فاستوى انذارهم وعدمه وقوله تعالى: ﴿ولئن مَسَّتْهُمْ[4] نفحة من عذاب ربك﴾ أي وقعة خفيفة من العذاب لصاحوا يدعون بالويل على أنفسهم قائلين ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين[5]﴾ فكيف بهم إذا وضعت الموازين العدل ليوم القيامة حيث لا تظلم نفس شيئاً وإن قل وإن كان مثقال حبة من حسنة أو سيئة أتينا بها ووزناها ﴿وكفى بنا حاسبين[6]﴾ أي محصين لأعمال العباد لعلمنا المحيط بكل شيء وقدرتنا التي لا يعجزها شيء.. ألا فلنتق الله أيها العقلاء!!

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل مكة. أي: بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها.
(٢) (طال عليهم العمر) أي: في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبّر حجج الله عز وجل.
(٣) المس: اتصال بظاهر الجسم، والنفحة: المرّة من النفح في العطية، يقال: نفحه بشيء إذا أعطاه. وما في التفسير مغنٍ عن هذا.
(٤) هذا اعتراف منهم في حين لا ينفع الاعتراف.
(٥) قيل: يجوز أن يكون لكل عامل ميزان خاص به فتكثر الموازين كما قال الشاعر:
ملك تقوم الحادثات لعدله   فلكل حادثة لها ميزان
(٦) ضمير الجمع في (حاسبين): مراعى فيه ضمير العظمة، وهو منصوب على الحال أو التمييز لكفى

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه.

٢ـ حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه.

٣ـ بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمله ويصرخ داعياً بإهلاكه.

٤ـ تقرير البعث والحساب والجزاء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

شرح الكلمات :

الفرقان : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن.

وضياء : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع.

وذكراً : أي موعظة.

يخشون ربهم بالغيب : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام.

وهم من الساعة مشفقون : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون.

وهذا ذكر مبارك : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعامل به.

أفأنتم له منكرون : الاستفهام للتوبيخ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان[1] أي الحق الذي فرق بين حق موسى وهارون

(١) وفسر الفرقان بالتوراة أيضاً وهو حق أيضاً وجائز أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان: أنه ما يفرّق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل.

وبين باطل فرعون، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان وآتاهما التوراة ضياء يستضاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكراً أي موعظة للمتقين، ووصف المتقين بصفتين: الأولى أنهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب[1] أي وهم لا يرونه والثانية: أنهم مشفقون[2] من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب وقوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يشير الى القرآن الكريم ويصفه بالبركة فبركته لا ترفع فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته قراءة الحرف الواحد منه بعشر حسنات لا تنقضي عجائبه ولا تكتنه أسراره ولا تكتشف كل حقائقه، هدى لمن استهدى، وشفاء لمن استشفى وقوله تعالى: ﴿أفأنتم له منكرون[3]﴾ يوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذ كانوا يسألونهم عما في كتابهم، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم.

هداية الآيات

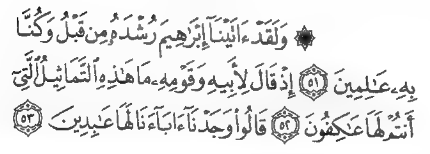
من هداية الآيات:

١ـ إظهار منة الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمته بانزال التوراة على موسى والقرآن على محمد ﷺ.

٢ـ بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل محرم: وهم دائما في اشفاق وخوف من يوم القيامة.

٣ـ الاشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركاً.

٤ـ توبيخ وتقريع من يكفر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور.



---

(١) قال القرطبي: (بالغيب) أي: غائبين لأنهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال انّ لهم ربًا قادراً يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، والباء في: (بالغيب) بمعنى الفاء أي: يخشونه تعالى في الغيب.

(٢) الإشفاق: هو رجاء حادث مخوف.

(٣) الاستفهام للتعجب والتوبيخ.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

شرح الكلمات :

رشده : أي هداه بمعرفة ربّه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه.

التماثيل : جمع تمثال وهوالصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان.

التي أنتم لها عاكفون : أي مقبلون عليها ملازمون لها تعبداً.

أم أنت من اللاعبين : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون.

ربكم رب السموات : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض.

الذي فطرهن : أي أنشأهن خلقاً وإيجاداً على غير مثال سابق.

لأكيدن أصنامكم : أي لأحتالن على كسر أصنامكم وتحطيمها.

جذاذاً : فتاتاً وقطعاً صغيرة.

إلا كبيراً لهم : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره.

لعلهم إليه يرجعون : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحّدوه بعد أن يظهر لهم عجز آلهتهم.

معنى الآيات :

على ذكر ما منّ به تعالى على موسى وهارون ومحمد ﷺ من إيتائه إياهم التوراة والقرآن ذكر أنه امتن قبل ذلك على إبراهيم فآتاه رشده في صباه فعرفه به وبجلاله وكماله ووجوب

الإيمان به تعالى وعبادته وحده، وإن عبادة من سواه باطلة، فقال تعالى: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من[1] قبل﴾ وقوله: ﴿وكنا به عالمين[2]﴾ أي بأهليته للدعوة والقيام بها لما علمناه ﴿إذ قال﴾ أي في الوقت الذي قال لأبيه أي آزر، وقومه منكراً عليهم عبادة غير الله ﴿ما[3] هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فأعلنوا عن جهلهم إذ لم يذكروا برهاناً على صحة أو فائدة عبادتها واكتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبده.

فرد عليهم ابراهيم عما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام ﴿في ضلال﴾ أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه ﴿مبين﴾ لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أجئتنا بالحق[4]﴾ أي فيما قلت لنا من أنّا وآباءنا في ضلال مبين ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فيما تقول وإنما أنت لاعب لا غير ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل[5] ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره، ولا إله حقٌ لكم سواه. ﴿وتالله﴾ قسماً به تعالى ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أي لأحتالن[6] عليها فأكسرها ﴿بعد أن تولوا مدبرين[7]﴾ أي بعد أن ترجعوا عنها وتتركوها وحدها.

---

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوّة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: (ما هذه التماثيل) والظرف متعلق باذكر.

(٣) ظاهر السؤال أنه سؤال استعلام فلذا أجابوه بحسبه فقالوا: (وجدنا آباءنا لها عابدين)، وضمّن (عاكفون) معنى العبادة فعُدّي باللام.

(٤) الاستفهام للاستعلام أي: جئتنا بالحق في اعتقادك أم أنت مازح فيما تقول؟

(٥) أي: لست بلاعب ولا مازح (بل ربكم ربُّ السموات..) الخ.

(٦) أقسم لهم بالله على أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان وإنما سيكيد أصنامهم فيكسرها وذلك لوثوقه بربه تعالى، ولتوطينه نفسه على مقاساة المكروه في الذبّ عن دين الله والتاء في تالله تختص بالقسم بالله وحده، والواو تختص بكل اسم ظاهر والباء بكل مضمر ومظهر.

(٧) (مدبرين) حال مؤكدة لعاملها.

وفعلاً لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه[1] ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي يرجعون إلى إبراهيم فيعبدون معه ربّه سبحانه وتعالى عندما يتبيّنُ لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن اصطفى من عباده.

٢- تقرير النبوة والتوحيد، والتنديد بالشرك والمشركين.

٣- ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل.

٤- مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها.

٥- تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان والجمع بينهما أفضل.

قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات:

بآلهتنا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤلهونها بذلك.

---

(١) تركه لم يكسره وعلّق الفأس في عنقه. وقوله: (لعلهم إليه يرجعون): جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيرها، وما في التفسير أولى وأصوب.

فتـى يذكـرهم : أي بالعيب والإنتقاص.

على أعين الناس : أي ظـاهراً يرونه بأعينهـم.

يشـهدون : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة، ويشهدون العقوبة التي ننزلها به.

أأنت فعلت هذا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب.

بل فعله كبيرهم هذا : أشار إلى أصبعه نحو الصنم الكبير الذي علق به الفاس قائلاً بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَّى بإصبعه تحاشيا للكذب.

فرجعوا إلى أنفسهم : أي بعـد التفكـر والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم مالا ينطق.

نكسوا على رؤوسهم : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى اقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى.

ما هؤلاء ينطقـون : فكيف تطلب منا أن نسألهـم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار جول العقيدة انه لما استغل ابـراهيم فرصـة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهو فكسر الآلهة فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأسَ بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء وعادوا إلى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين: ﴿من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴾ فأجاب بعضهم بعضاً قائلا: ﴿سمعنا[1] فتى يذكرهم﴾ أي شاباً يذكر الآلهة بعيب وازدراء، واسمه إبراهيم، وهنا قالوا إذاً ﴿فأتوا به على أعين[2] الناس﴾ لنشاهده ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره، وجاءوا به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿أأنت فعلت هذا﴾

---

(١) جائز أن يكون إبراهيم لما قال: متوعداً أصنامهم (تالله لأكيدن أصنامكن) كان هناك من سمعه من ضعفة القوم أو سمعه من سمعه يعيب الآلهة قبل أن يتوعدها بالكسر.

(٢) في هذا دليل على أنه كان لا يؤاخذ أحد بدعوى أحد قد لا تثبت بل لابد ـ التحري حتى تثبت او لا تثبت كما هو في شرعنا الإسلامي.

أي التكسير والتحطيم ﴿ياإبراهيم﴾؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿قال بل فعله[1] كبيرهم هذا﴾ يشير بأصبعه إلى كبير الآلهة تورية، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ تقريعاً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا الى أنفسهم باللائمة فقالوا: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره ، وقوله تعالى: ﴿ثم نكسو على رؤوسهم[2]﴾ أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا: ﴿لقد علمت﴾ أي يا إبراهيم ما ﴿هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون. كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا ببطلان تلك الآلهة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم.

٢ـ إقامة البيّنة على الدعاوي أمر مقرر في عرف الناس وجاءت به الشرائع من قبل.

٣ـ أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب أولا.

٤ـ مشروعية التورية خشية القول بالكذب.[3]

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) قوله: (بل فعله كبيرهم هذا) قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرّون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذاً؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

(٣) الكذب: هو الاخبار بما يخالف الواقع، والتورية: أن يقول أو يفعل شيئاً ويوري بغيره تجنباً للكذب، وفي الحديث الصحيح: (لم يكذب ابراهيم النبي في شيء قط إلا في ثلاث: قوله: إني سقيم، وقوله لسارة: أختى، وقوله: بل فعله كبيرهم) وهي في الواقع معاريض وليست بالكذب الصريح، وكانت في ذات الله تعالى.

فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

مالا ينفعكم شيئاً : أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضركم.

أفٍ لكم : أي قبحاً لكم ولما تعبدون من دون الله.

قالوا: حرقوه : أي أحرقوه بالنار إنتصاراً لآلهتكم التي كسرها.

برداً وسلاماً : أي على إبراهيم فكانت كذلك فلم يحرق منه غير وثاقه «الحبل الذي وثق به».

كيـداً : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه.

فجعلناهم الأخسرين : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا على شيء.

ونجيناه ولوطاً : أي ابن أخيه هاران.

التي باركنا فيها : وهي أرض الشـام.

ويعقوب نافلة : زيادة على طلبه الولد فطلب ولداً فأعطاه ما طلب وزاده آخر.

وكلاً جعلنا صالحين : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحاً من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة آلهتهم ﴿أفتعبدون[1]

---

(١) الاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع.

من دون الله مالا ينفعكم شيئـاً ولا يضركم﴾ أي أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت ﴿أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع ﴿أفلا تعقلون﴾[1] قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا[2] بما أخبر تعالى به عنهم فقالوا: ﴿حرقوه﴾[3] أي أحرقوا إبراهيم بالنار ﴿وانصروا آلهتكم﴾ التي أهانها وكسرها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً. ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها[4] وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يداه، ورجلاه ولو لم يقل وسلاماً لكان من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام. روى أن والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال: نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخيَّب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليله من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً﴾[5] أي ونجينا إبراهيم وابن أخيه هاران وهـو لوط ﴿إلى الأرض التي باركنـا فيهـا للعـالمين﴾[6] وهي أرض الشـام فنزل إبراهيم

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

(٢) بعد أن أعيتهم الحجة وانقطعوا ببيان اللسان لاذوا إلى قوة السنان، وهذا شأن الإنسان إذا كتب عليه الخسران، والعياذ بالرحمن.

(٣) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج: أنّ الذي قال حرّقوه: رجل من الأكراد من بادية فارس واسمه هيزرُ وخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة: وقيل: إن القائل: ملكهم نمرود. والله أعلم.

(٤) روي أنهم جمعوا الحطب في مدة شهر كامل ولما ألقوه في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا براهيم ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. وقال عليّ وابن عباس رضي الله عنهم لو لم يتبع بردها سلاماً لمات ابراهيم من بردها ولم تبق دابة في المنطقة إلاّ أطفأت عن إبراهيم النار إلاّ الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فلذا أمر الرسول ﷺ بقتلها وسمّاها الفويسقة.

(٥) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذٍ، وهجرة ابراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج ابراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليهم السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمّن فعل نجيناه معنى الإخراج فعدي بإلى.

(٦) قيل لها مباركة لكثرة خصبها وأنهارها وثمارها ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير. إذا لزم مكانه ولم يبرحه.

بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التى بعد دمارها استحالت الى بحيرة غير صالحة للحياة فيها وقوله: ﴿باركنا فيها للعالمين﴾ أي بارك في أرزاقها بكثرة الاشجار والانهار والثمار لكل من ينزل بها من الناس كافرهم ومؤمنهم لقوله: ﴿للعالمين﴾ وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له﴾ أي لإبراهيم اسحق حيث سأل الله تعالى الولد، وزاده يعقوب نافلة[1] وقوله: ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ أي وجعلنا كل واحد منهم من الصالحين الذين يعبدون الله بما شرع لهم فأدوا حقوق الربِّ تعالى كاملة، وأدوا حقوق الناس كاملة وهذا نهاية الصلاح.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام، ومتانة أسلوبه في دعوته[2] وذلك مما آتاه ربّه.

٢- مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم.

٣- آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك.

٤- قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل.

فقـال الله تعالى للنار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه، ويؤثر أن جبريل عرض له قبل أن يقع في النار فقال هل لك يا إبراهيم من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل.

٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

٦- خروج إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام كانت أول هجرة في سبيل الله في التاريخ.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ

---

(١) نافلة: منصوب على الحال وصاحبها: اسحق ويعقوب والنافلة الزيادة غير الموعودة.

(٢) قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ من سورة الأنعام.

ﭐلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٧٧)

شرح الكلمات :

أئمــة : أي يقتدى بهم في الخير.

يهدون بأمرنـا : أي يرشـدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين.

وكانوا لنا عابدين : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمـرنا.

ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً : أي أعطينا لوطاً حكماً أي فصـلا بين الخصوم وفقهاً في الدين وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله.

تعمل الخبائث : كاللواط وغيره من المفاسد.

فاســقين : أي عصاة متمردين عن الشرع تاركين للعمل به.

ونوحاً إذ نادى من قبل : أي واذكر نوحاً إذ دعا ربّه على قومه الكفرة.

من الكرب العظيم : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكـريم في ذكر أفضال الله تعالى على إبراهيم وولده فقال تعالى: ﴿وجعلنــاهم﴾ أي إبـراهيم وإسحق ويعقـوب أئمـة هداة يقتـدى بهم في الخير ويهـدون النـاس إلى

دين الله تعالى الحق بتكليف الله تعالى لهم بذلك حيث نبأهم وأرسلهم. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[1] وقوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي أوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات جمع خير وهو كل نافع غير ضار فيه مرضاة لله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة. وقوله تعالى: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي امتثلوا أمرنا فيما أمرناهم به وكانوا لنا مطعين خاشعين وهو ثناء عليهم بأجمل الصفات وأحسن الأحوال وقوله تعالى: ﴿ولوطاً[2] آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث[3] إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي وكما آتينا إبراهيم وولديه ما آتيناهم من الإفضال والإنعام الذي جاء ذكره في هذا السياق آتينا لوطاً وقد خرج مهاجراً مع عمه إبراهيم آتيناه أيضاً حكماً وعلماً ونبوة ورسالة متضمنة حسن الحكم والقضاء وأسرار الشرع والفقه في الدين. هذه منة وأخرى أنا نجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث وأهلكنا أهلها لأنهم كانوا قوم سوء لا يصدر عنهم الا ما يسوء إلى الخلق فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا، وقوله: ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ وهذا إنعام آخر أعظم وهو ادخاله في سلك المرحومين برحمة الله الخاصة لأنه من عباد الله الصالحين.

وقوله تعالى: ﴿ونوحاً﴾ أي واذكر يا رسولنا في سلك هؤلاء الصالحين عبدنا ورسولنا نوحاً الوقت الذي نادى ربه من قبل إبراهيم[4] فقال إني مغلوبٌ فانتصر، ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب[5] العظيم﴾ حيث نجاه تعالى وأهله إلا امرأته وولده كنعان فإنهما لم يكونا من أهله لكفرهما وظلمهما فكانا من المغرقين. وقوله: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي ونصرناه بإنجائنا له منهم فلم يمسوه بسوء، وأغرقناهم أجمعين لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظالمين[6].

---

(١) وجائز أن يكون معنى (بأمرنا): أي: بما أنزلنا عليهم بوحينا من الأمر والنهي كأنه قال: بكتابنا وما بيّنا فيه من التشريع المحقق للآخذين به سعادة الدنيا والآخرة والأئمة جمع إمام وهو الرئيس الذي يقتدى به في الخير لا في الشر.

(٢) (ولوطاً): منصوب على الاشتغال أي: وآتينا لوطاً آتيناه. والحكم: الحكمة وهو النبوة والعلم علم الشريعة.

(٣) الخبائث: جمع خبيثة وهي الفعلة الشنيعة، ومن خبائثهم: اللواط، والتضارط في الأندية وحذف الحصى، والتحريش بين الديك والكلاب. والقرية هي سدوم وعمورة، وما حولهما إذ كانت سبع مدن قلب جبريل منها ستة وأبقى واحدة للوط وعياله وهي: زغر من كورة فلسطين.

(٤) من قبل ابراهيم ولوط عليهما السلام.

(٥) الكرب: هو الغمّ الشديد وهو هنا: الطوفان.

(٦) السوء: بفتح السين مصدر: القبيح المكروه من القول والفعل وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها.

٢ـ فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات.

٣ـ ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحي عباده بعبادتهم، وخشوعهم له.

٤ـ الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار.

٥ـ التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله.

٦ـ تقرير النبوة المحمدية وتأكيدها إذ مثل هذا القصص لا يتأتى الا لمن يوحى إليه.

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

في الحرث : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلا.

نفشت فيه[1] : أي رعته ليلاً بدون راع.

(١) النفش: الرعي ليلا والهمل: الرعي بالنهار.

شاهدين : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك.

ففهمناها : أي القضية التي جرى فيها الحكم.

وكلاً آتينا حكماً وعلماً : أي كلاً من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها.

يسبحن : أي معه إذا سبح.

وكنا فاعلين : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا.

صنعة لبوس لكم : هي الدروع وهي من لباس الحرب.

لتحصنكم : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح.

فهل أنتم شاكرون : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا.

إلى الأرض التي باركنا : أي أرض الشام.

يغوصون : أي في أعماق البحر لاستخراج الجواهر.

ويعملون عملاً دون ذلك : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات.

وكنا لهم حافظين : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد ﷺ التي كذبت بها قريش فقال تعالى: ﴿وداود وسليمان﴾ أي واذكر يانبينا داود وسليمان ﴿إذ يحكمان في الحرث﴾ أي اذكرهما في الوقت الذي كانا يحكمان في الحرث الذي ﴿نفشت فيه غنم القوم﴾ أي رعت فيه ليلاً بدون راع فأكلته وأتلفته ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الماشية الزرع يقوم عليه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخالها فإذا

ردت إليه كرومه كما كانت أخذها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء هذا الحكم أخبر تعالى أنه فهم فيه سليمان وهو أعدل من الأول وهو قوله تعالى: ﴿ففهمناها﴾[1] أي الحكومة أو القضية أو الفتيا سليمان، ولم يعاتب داود على حكمه، وقال: ﴿وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾[2] تلافياً لما قد يظن بعضهم أن داود دون ولده في العلم والحكم.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ هذا ذكر لبعض ما أنعم به على داود عليه السلام وهو أنه سخر الجبال والطير تسبح معه إذا سبح سواء أمرها بذلك فأطاعته أو لم يأمرها فإنه إذا صلى وسبح صلت معه وسبحت، وقوله: ﴿وكنا فاعلين﴾ أي لما هو أعجب من تسخير الجبال والطير تسبح مع سليمان لأنا لا يعجزنا شيء وقد كتب هذا في كتاب المقادير فأخرجه في حينه، وقوله تعالى: ﴿وعلمناه﴾ أي داود ﴿صنعة لبوس[3] لكم﴾ وهي الدورع السابغة التي تقي لابسها طعن الرماح وضرب السيوف بإذن الله تعالى فهي آلة حرب ولذا قال تعالى ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾[4] ﴿فهل أنتم[5] شاكرون؟﴾ أمر لعباده بالشكر على إنعامه عليهم والشكر يكون بحمد الله تعالى والإعتراف بإنعامه، وطاعته وصرف النعمة فيما من أجله أنعم بها على عبده، وقوله ﴿ولسليمان﴾ أي وسخرنا لسليمان ﴿الريح عاصفة﴾ شديدة السرعة ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ إذْ يخرج غازياً أول النهار وفي آخره تعود به الريح تحمل بساطه الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم إلى الأرض التي بارك الله وهي أرض الشام. وقوله: ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ يخبر تعالى أنه كان وما زال عليماً بكل شيء ما ظهر للناس وما غاب عنهم فكل أحداث الكون تتم حسب علم الله وإذنه وتقديره وحكمته فلذا وجبت له الطاعة واستحق الألوهة والعبادة.

---

(١) يروى أن سليمان كان على باب المحكمة فإذا خرج الخصمان سألهما بم قضى بينكما نبي الله داود؟ فقال: قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال: لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فأتى أباه فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال وما هو؟ فقال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث إلى آخر ما هو في التفسير.

(٢) اختلف هل كان حكمهما بوحي أو باجتهاد فإن كان بوحي فهو نسخ للحكم الأول بالثاني، وإن كان باجتهاد وهو ما عليه الجمهور، ولم يخطىء داود ولكن الحكم الذي ألهمه سليمان كان أرفق بالطرفين.

(٣) هذا مع إلانة الحديد له فقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وألنا له الحديد أن اعمل سابغات﴾ واللبوس في العربية: سلاح الحرب من سيف ورمح ودرع وغيرها واللبوس أيضاً: كل ما يلبس قال الشاعر:

إلبس لكل حالة لبوسها   إمّا نعيمها وإما بؤسها

(٤) قرأ حفص: (لتحصنكم) بالتاء أي. الدروع، وقرأ نافع (ليحصنكم) أي اللبوس وقرأ ورش لنُحصنكم بالنون، والإحصان: الوقاية والحماية وفي الآية دليل على وجوب الصناعة على الكفاية.

(٥) الاستفهام هنا للأمر بالشكر.

وقوله: ﴿ومن الشياطين من يغوصون[1] له﴾ أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في أعماق البحار لاستخراج الجواهر، ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ كالبناء وصنع التماثيل والمحاريب والجفان وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي وكنا لأعمال أولئك العاملين من الجن حافظين لها عالمين بها حتى لا يفسدوها بعد عملها مكراً منهم أوخديعة فقد روى أنهم كانوا يعملون ثم يفسدون ما عملوه حتى لا ينتفع به.

هذا كله من إنعام الله تعالى على داود وسليمان وغيره كثير فسبحان ذي الأنعام والافضال إله الحق ورب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس.

٢ـ بيان حكم الماشية ترعى فى حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الزرع، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء جبار وحديث ناقة البراء بن عازب.

٣ـ فضل التسبيح.

٤ـ وجوب صنع آلة الحرب واعدادها للجهاد في سبيل الله.

٥ـ وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.

٦ـ بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء.

٧ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ من أرسل هؤلاء الرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً.

٨ـ كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمة تقضيه.

---

(١) الغوص: النزول تحت الماء، والغوّاص: الذي يغوص لاستخراج اللآلىء وفعله يقال له: الغواصة على وزن حياكة (مهنة).

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وأيوب : أي واذكر أيوب.

إذ نادى ربه : أي دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده.

مسني الضر : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده.

وذكرى للعابدين : أي عظة للعابدين، ليصبروا فيثابوا.

وأدخلناهم في رحمتنا : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء إنهم من الصالحين.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من شاء من عباده الصالحين فقوله تعالى في الآية الأولى (٨٣) ﴿وأيوب﴾ أي واذكر عبدنا في شكره وصبره وسرعة أَوْبَته، وقد ابتليناه بالعافية والمال والولد، فشكر وابتليناه بالمرض وذهاب المال والأهل والولد فصبر. أذكره ﴿إذ نادى ربه﴾ أي داعياً ضارعاً بعد بلوغ البلاء منتهاه ربّ

أي يا رب ﴿إني[1] مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتينـاه أهله﴾ من زوجة وولد ﴿ومثلهم معهم﴾ أي ضاعف له ما أخذه منه بالابتلاء بعد الصبر وأما المال فقد ذكر النبي ﷺ أنه أنزل عليه رَجْلاً من جَرَادٍ من ذهب فكان أيوب يحثو في ثوبه حثيثاً فقال له ربّه في ذلك فقال من ذا الذي يستغني عن بركتك يا رب. وقوله تعالى: ﴿رحمة من عندنا﴾ أي رحمناه رحمة خاصة، وجعلنا قصته ذكرى وموعظة للعابدين لنا لما نبتليهم بالسراء والضراء فيشكرون ويصبرون ائتساء بعبدنا أيوب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾[3] أي واذكر في عداد المصطفين من أهل الصبر والشكر اسماعيل بن ابراهيم الخليل، وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل ﴿كل من الصابرين﴾ على عبادتنا الشاكرين لنعمائنا، وادخلناهم في رحمتنا فنبأنا منهم من نبأنا وأنعمنا عليهم وأكرمناهم بجوارنا إنهم من الصالحين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ علو مقام الصبر ومثله الشكر فالاول على البأساء والثانى على النعماء.

٢ـ فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمه ألهم الاستجابة.

٣ـ في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر.

٤ـ من ابتلى بفقد مال أو أهل أو ولد فَصَبَرَ كان له من الله الخلف وما يقال عند المصيبة «إنا لله وإنا إليه لراجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها».

---

(١) هل قول أيّوب. (ربِّ إني مسني الضرّ) يتنافى مع الصبر؟ والجواب: هذه المسالة ذكر القرطبي في تفسيره نحواً من ستة عشر قولاً، والصحيح أنّ هذا لاينافي الصبر لأنه دعاء، والدليل هو قوله تعالى: (فاستجبنا له) ولم يكن شكوى لأنّ الاستجابة تأتي بعد الدعاء لا الاشتكاء، قال الجنيد: عرّفه فاقة السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال.

(٢) اختلف في مدة مرضه، أصحّ ما قيل فيها أنها ثماني عشرة سنة وهذا مروي عن النبي ﷺ.

(٣) اختلف في ذي الكفل من هو؟ وأرجح الأقوال ما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن ذا الكفل لم يكن نبيًّا ولكنه كان عبداً صالحاً فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله الثناء عليه).

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

شرح الكلمات :

وذا النون : هو يونس بن متّى عليه السلام وأُضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ لأن حوتة كبيرة ابتعلته.

إذ ذهب مغاضباً : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

فظن أن لن نقدر عليه : أي أن لن نحبسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته.

في الظلمات : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل.

ونجيناه من الغم : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت.

لا تذرني فرداً : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقرينة ويرث

من آل يعقوب.

رغباً ورهباً : أي طمعاً فينا ورهباً منا أي خوفاً ورجاءاً.

أحصنت فرجها : أي صانتـه وحفظته من الفاحشـة.

من روحـنا : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها عليها السلام.

آية للعالمين : أي علامة على قدرة الله تعالى ووجوب عبادته بذكره وشكره.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وانعامه على من يشاء من عباده فقال تعالى : ﴿وذا النون﴾ أي واذكر ذا النون أي يونس بن متّى ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾[1] لربه تعالى حيث لم يصبر على بقائه مع قومه يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله فسأل لهم العذاب، ولما تابوا ورفع عنهم العذاب بتوبتهم وعلم بذلك فلم يرجع إليهم فكان هذا منه مغاضبة لربه تعالى وقوله تعالى عنه: ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ أي ظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يحبسه في بطن الحوت ولا يضيق عليه وهو حسن ظن منه في ربه سبحانه وتعالى، ولكن لمغاضبته ربه بعدم العودة إلى قومه بعد أن رفع عنهم العذاب أصابه ربّه تطهيراً له من أمر المخالفة الخفيفة بأن ألقاه في ظلمات ثلاث، ظلمة الحوت والبحر والليل ثم ألهمه الدعاء الذي به النجاة فكان يسبح في الظلمات الثلاث ﴿لا إلـه إلا أنت سبحـانك إني كنت من الظالمين[2]﴾ فاستجاب الله تعالى له وهو معنى قوله : ﴿وذا الـنـون إذ ذهـب مغـاضـبـاً فظن أن لن نقـدر عليه فنـادى في الـظلمـات أن لا إلـه إلاّ أنـت سبحـانـك إني[3] كنـت من الـظالـمين فاستـجبـنـا له ونـجينـاه من الـغـم﴾ الـذي أصابه من وجوده في ظلمات محبوساً لا أنيس ولا طعام ولا شراب مع غم نفسه من جراء عدم عودته الى قومه وقد أنجاهم الله من العذاب. وهو سبب المصيبة، وقوله تعالى:

---

(١) قيل: (مغاضبا لربه) أي: لأجل ربه تعالى حيث عصاه قومه فكان غضبه لله تعالى وهو تأويل حسن إذ يقال: فلان غضب لله. أي: لأجله. وجائز أن يكون مغاضبا لقومه إذ ردوا دعوته ولم يستجيبوا له.

(٢) (من الظالمين) حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له فنزّه ربّه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً.

(٣) روى أبو داود أنّ النبي ﷺ قال (دعاء ذي النون في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلاّ استجيب له).

﴿وكذلك ننجي المؤمنين[1]﴾ مما قد يحل بهم من البلاء وقوله تعالى: ﴿وزكريا﴾ أي اذكر يا رسولنا زكريا في الوقت الذي نادى ربه داعياً ضارعاً قائلاً: ﴿ربِّ﴾ أي يا رب ﴿لا تذرني فرداً﴾ أي لاتتركني فرداً لاولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح وقوله: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ ذكر هذا اللفظ توسلاً به إلى ربه ليستجيب له دعاءه واستجاب له والحمد لله. فوهبه يحيى وأصلح له زوْجه بأن جعلها ولوداً بعد العقر حسنة الخلق والخُلق. وقوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ أي زكريا ويحيى ووالدته كانوا يسارعون في الطاعات والقربات أي في فعلها والمبادرة إليها. وقوله: ﴿ويدعوننا رغباً[2] ورهباً[3]﴾ هذا ثناء عليهم أيضاً إذ كانوا يدعون الله رغبة في رحمته ورهبة وخوفاً من عذابه وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أي مطيعين ذليلين متواضعين وهم يعبدون ربهم بأنواع العبادات.

وقوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها[4] فنفخنا فيها من روحنا[5]﴾ أي واذكر يا نبينا تلك المؤمنة التي أحصنت فرجها أي منعته مما حرم الله تعالى عليها وهي مريم بنت عمران اذكرها في عداد من أنعمنا عليهم وأكرمناهم وفضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين، حيث نفخنا فيها من روحنا إذ أمرنا جبريل روح القدس ينفخ في كم درعها فسرت النفخة إلى فرجها فحبلت وولدت في ساعة من نهار، وقوله تعالى: ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي عيسى كلمة الله وروحه ﴿آية[6]﴾ أي علامة كبرى على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا وإنعامنا وواجب عبادتنا وتوحيدنا فيها حيث لا يعبد غيرنا ﴿للعالمين﴾ أي للناس أجمعين

---

(١) قرأ ابن عامر: (نجيّ) بنون واحدة وجيم مشدّدة وتسكين الياء على الماضي وإضمار المصدر أي: وكذلك نجيّ النجاء المؤمنين كما يقال: ضرب زيداً بمعنى: ضرب الضرب زيداً.

(٢) قيل: الرغب: الدعاء ببطون الأكف إلى السماء، والرهب: رفع ظهورهما. روى الترمذي عن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه) وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم). وعن ابن عباس: إن رفع اليدين حذاء الصدر هو الدعاء ورفعهما حتى يجاوز بهما الرأس: فهو الابتهال.

(٣) (رغبا ورهبا) يصح نصبهما على المصدرية وعلى الحال، وعلى المفعول لأجله.

(٤) (أحصنت فرجها): أي: عفّت فامتنعت عن الفاحشة، وقيل: إن المراد من فرجها فرج القميص: أي لم تعلق بثيابها ريبة أي: أنها طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل، قال السهيلي: هذا من لطيف الكناية لأنّ القرآن ألطف إشارة وأنزه عبارة.

(٥) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله لأنه مبعوث من قبله سبحانه وتعالى.

(٦) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى عليه السلام آية.

يستدلون بها على ما ذكرنا آنفاً من وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها .

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة دعوة ذي النون: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ . إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له ، وقوله تعالى : ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ يقوي هذا الخبر.

٢ـ استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط .

٣ـ تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا .

٤ـ فضيلة المسارعة في الخيرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء .

٥ـ فضيلة العفة والاحصان للفرج .

٦ـ كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد، وكان يحيي الموتى بإذن الله تعالى .

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

شـرح الكلـمات :

إن هذه أمتكم : أي ملتكم وهي الإسـلام ملة واحـدة من عهد آدم إلى العهد المحمدي إذ دين الانبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم.

وأنا ربكم فاعبدون : أنا الهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة الا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري.

وتقطعوا أمرهم بينهم : أي وتفـرقـوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها.

كل إلينا راجـعون : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة الينا وسوف نجزيها بكسبها.

فلا كفران لسعيه : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزى به وافياً.

وإنا له كاتبـون : إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرها وشرها.

وحـــــرام : أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

يأجوج وماجوج : قبيلتان موجودتان وراء سدهماالذي سيفتح عند قرب الساعة.

حـــــدب : أي مرتفع من الأرض.

ينســـلون : أي يسـرعون المشي.

الوعد الحـق : يوم القيامـة.

فـي غفلة من هذا : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث.

معنى الآيـات :

بعد ذكر أولئك الأنبياء وما أكرمهم الله تعالى به من افضالات وما كانوا عليه من كمالات قال تعالى مخاطباً الناس كلهم: ﴿إن هذه أمتكم﴾[1] أي ملتكم ﴿أمة واحدة﴾ أي ملة واحد من عهد أول الرسل إلى خاتمهم وهو الإسلام القائم على الإخلاص لله في العبادة والخلوص من الشرك وقوله تعالى: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾[2] ينعي تعالى على الناس تقطيعهم الإسلام إلى ملل شتى كاليهودية والنصرانية وغيرهما، وتمزيقه إلى طوائف ونحل، وقوله: ﴿وكل إلينا راجعون﴾ إخبار منه تعالى أنهم راجعون إليه لا محالة بعد موتهم وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون ومن ذلك تقطيعهم للدين الإسلامي وتمزيقهم له فذهبت كل فرقة بقطعة منه. وقوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾[3] والحال أنه مؤمن، والمراد من الصالحات ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية وقولية وفعلية ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي لعمله فلا يجحد ولا ينكر بل يراه ويجزى به كاملاً. وقوله تعالى: ﴿وإنا له كاتبون﴾ يريد أن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمرنا ونجزيه بها أيضاً أحسن جزاء وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم.

وقوله تعالى: ﴿وحرام[4] على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ يخبر تعالى أنه ممتنع امتناعاً كاملاً أن يهلك أمة بذنوبها في الدنيا ثم يردها إلى الحياة في الدنيا، وهذا بناء على أن ﴿لا﴾ مزيدة لتقوية الكلام ويحتمل الكلام معنى آخر وهي ممتنع على أهل قرية قضى الله تعالى بعذابهم في الدنيا أو في الآخرة أنهم يرجعون إلى الإيمان والطاعة بالتوبة الصادقة وذلك بعد أن كذبوا وعاندوا وظلموا وفسقوا فطبع على قلوبهم فهم لا يرجعون إلى التوبة بحال، ومعنى ثالث وهو حرام على أهل قرية أهلكهم الله بذنوبهم فأبادهم إنهم

---

(١) قرأ الجمهور: (إنّ هذه أمتكم) برفع أمتكم على الخبرية ونصب أمّة واحدة على الحال، والوصف. وقرأ بعضٌ: (امتكم أمةٌ واحدة) بالرفع فيهما.

(٢) تفرّقوا في الدين واختلفوا فيه.

(٣) (من الصالحات) من للتبعيض إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله (وهو مؤمن) وموحد أيضاً فإن الشرك محبط للعمل.

(٤) في حرام قراءات ووجوه منها: (حرام) وهي قراءة الجمهور وحِرم مثل حِل وحلال. وحرم كمرض، وحرُم كشرف، وحرَم: كضرب، وحرّم كبدّل، وحرّم كعلم مشددة اللام وحَرم كفرم وحُرم كقفل تسع قراءات.

لا يرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بل يرجعون للحساب والجزاء فهذه المعاني كلها صحيحة، والمعنى الأخير لا تكلف فيه بكون ﴿لا﴾ صلة بل هي نافية[1] ويرجح المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿حتى اذا فتحت يأجوج[2] ومأجوج﴾ فهو بيان لطريق رجوعهم إلى الله تعالى وذلك يوم القيامة وبدايته بظهور علاماته الكبرى ومنها إنكسار سد يأجوج ومأجوج وتدفقهم في الأرض يخربون ويدمرون ﴿وهم من كل حدب[3]﴾ وصوب ﴿ينسلون﴾ مسرعين. وقوله تعالى: ﴿واقترب[4] الوعد الحق﴾ وهو يوم الدين والحساب والجزاء وقوله[5]: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ وذلك بعد قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر وهم يقولون في تأسف وتحسر ﴿يا ويلنا﴾ أي يا هلاكنا ﴿قد كنا في غفلة﴾ أي في دار الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف إذ لا توبة تقبل يومئذ.

هداية الآيـات

من هـداية الآيات:

١ـ وحدة الدين وكون الإسلام هو دين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها.

٢ـ بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض.

٣ـ وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة.

---

(١) شاهد أن لا: نافية وليست بصلة، ويكون لفظ الحرام معناه الوجوب قول الخنساء:

وإنّ حراماً لا أرى الدهر باكيا ... على شجوه إلا بكيت على صخر

تريد أخاها صخراً.

(٢) في الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، مثل: واسأل القرية. أي أهل القرية.

(٣) الحدب: ما انقطع من الأرض، والجمع حداب مأخوذ من حدبة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازدهاني ... تواترهم إليّ من الحداب

و (ينسلون)، يخرجون مسرعين، قال امرؤ القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تنسل.

وقال النابغة: عسلان الذئب أمسى قارباً ... برد الليل عليه فنسَلَ

اي أسرع.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى، حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثله: وتلّه للجبين، وناديناه أي: للجبين ناديناه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب إذا: فإذا هي شاخصة ويكون اقترب الوعد الحق. معطوفاً.

(٥) هي: ضمير الأبصار، والأبصار بعدها: تفسير لها كأنه قال: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد.

٤ـ تقرير حقيقة وهي إذا قُضِي بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس الى ربهم، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات:

وما تعبدون من دون الله : أي من الأوثان والأصنام.

حصب جهنم : أي ما توقد به جهنم.

لو كان هؤلاء آلهة : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش

ما وردوها : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار لأنهم آلهة قادرون على ذلك ولكنهم ليسوا آلهة حق فلذا لا يمنعون عابديهم

من دخول النار.

وكل فيها خالدون : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.

لهم فيها زفير : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير.

سبقت لهم منا الحسنى : أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة.

حسيسها : أي حِسّ صوتها.

لا يحزنهم الفزع الأكبر : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين.

كطي السجل للكتب : أي يطوي الجبار سبحانه وتعالى السماء طيّ الورقة لتدخل في الظرف.

كما بدأنا أول خلق نعيده : أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء.

معنى الآيات :

يقول تعالى للمشركين الذين بدأت السورة الكريمة بالحديث عنهم، وهم مشركوا قريش يقول لهم مُوعداً: ﴿إنكم وما تعبدون[1] من دون الله﴾ من أصنام وأوثان ﴿حصب[2] جهنم﴾ أي ستكونون أنتم وما تعبدون من أصنام وقوداً لجهنم التي أنتم واردوها لا محالة، وقوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ لو كان هؤلاء التماثيل من الأحجار التي يعبدها المشركون لو كانوا آلهة حقاً ما ورد النار عابدوها لأنهم يخلصونهم منها ولما ورد النار المشركون ودخلوها دل ذلك على أن آلهتهم كانت آلهة باطلة لا تستحق العبادة بحال. وقوله تعالى: ﴿كل فيها خالدون﴾ أي المعبودات الباطلة وعابدوها الكل في جهنم

---

(١) قوله ﴿ماتعبدون﴾ فيه دليل على وجود العموم في الألفاظ، فإن ابن الزبعرى لمّا نزلت هذه الآية أتت به قريش وقالت له: انظر محمداً شتم آلهتنا. فقال: لو حضرت لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيراً، أفهما من حصب جهنم؟. فعجبت من مقالته ورأوا أن محمداً قد خصم. فأنزل الله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾. فدلّ قوله تعالى وما تعبدون على العموم وخصه الله تعالى بهذه الآية ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.

(٢) قرأ الجمهور حصب بالصاد، وقرأ علي وعائشة رضي الله عنهما بالطاء أي حطب. والحصب أعَمّ، إذ كل ما هُيجت به النار وأوقدت به فهو حصب.

خالدون. وقوله: ﴿لهم فيها زفير[1] وهم فيها لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أن للمشركين في النار زفيراً وهو الأنين الشديد من شدة العذاب وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الانين وشدة الأصوات وفظاعة ألوان العذاب وقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها.وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ نزلت هذه الآية رداً على ابن الزِّبَعْرَى عندما قال إن كان ما يقوله محمد حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وأن عيسى والعزير في جهنم لأن اليهود عبدوا العزيز والنصارى عبدوا المسيح. فأخبر تعالى أن من عبد بغير رضاه بذلك وكان يعبدنا ويتقرب إلينا بالطاعات فهو ممن سبقت لهم منا الحسنى بأنهم من أهل الجنة هؤلاء عنها أي عن جهنم مبعدون ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي حس صوتها وهم في الجنة ولهم فيها ما يشتهون خالدون، لا يحزنهم الفزع[2] الأكبر عند قيامهم من قبورهم بل هم آمنون ﴿تتلقاهم الملائكة﴾ عند القيام من قبورهم بالتحية والتهنئة قائلة لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء﴾ أي يتم لهم ذلك يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه ﴿كطي[3] السجل﴾ أي الصحيفة للكتب. وذلك يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات. وقوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أي يعيد الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا[4]. وقوله: ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ أي وعدنا بإعادة الخلق بعد فنائهم وبلاهم وعداً، إنا كنا فاعلين فأنجزنا ما وعدنا، وإنا على ذلك لقادرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

---

(١) الزفير نَفَسٌ يخرج من أقصىٰ الرئتين لضغط الهواء من التأثر بالغم، وهو هنا من أحوال المشركين لا الأصنام.

(٢) لا يُحزنهم بضم الياء من أحزنه، وبفتحها من حزنه قراءتان سبعيتان، والفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو وقت يؤمر بالعباد إلىٰ النار.

(٣) السجل: الكَاتب يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها. هذا المعنىٰ أوضح مما في التفسير.

(٤) الغرل: جمع اغرل وهو من لم يختتن فتقطع منه غلفة ذكره، وأول من يكسىٰ إبراهيم كما في صحيح مسلم.

٢ـ من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عَبَده وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار.
٣ـ بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه، والأرض في قبضته يوم القيامة.
٤ـ بعث الناس حفاة عراة غرلا لم ينزع منهم شيء ولا غلفة الذكر إنجاز الله وعده في قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

شرح الكلمات:

ولقد كتبنا في الزبور: أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

من بعد الذكر: أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أن الأرض[1] : أي أرض الجنة.

عبادي الصالحون : هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة

إن في هذا لبلاغا : أي إن في القرآن لبلاغاً أي لكفاية وبلغة لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة.

لقوم عابدين : أي مطيعين الله ورسوله.

رحمة للعالمين : أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة والكافرون ينجون. من عذاب الاستئصال والابادة الذي كان يصيب الامم السابقة.

فهل أنتم مسلمون : أي أسلموا فالاستفهام للأمر.

وان ادرى : أي ما أدري.

فتنة لكم : أي اختبار لكم.

على ما تصفون : من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر.

معنى الآيات :

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه في كتبه المنزلة بعد كتابته في الذكر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى: ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين[2]﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ يخبر تعالى انه ما ارسل رسوله محمداً ﷺ إلا رحمة للعالمين[3]

(١) في الأرض: الأرض المقدسة، وقال مرة أنها أرض الكفار ترثها أمة محمد ﷺ

(٢) العابدون قال أبو هريرة وسفيان الثوري هم أهل الصلوات الخمس.

(٣) قال ابن زيد: المؤمنون خاصة، والعموم أولى وأصح من الخصوص.

إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون باتباعه يدخلون رحمة الله وهي الجنة والكافرون يأمنون من عذاب الإبادة والاستئصال في الدنيا ذلك العذاب الذي كان ينزل بالأمم والشعوب عندما يكذبون رسلهم وقوله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي انما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[1] يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه ولمن يبلغهم خطابه إن الذي يوحى إلى هو أن إلهكم إله واحد أي معبودكم الحق واحد وهو الله تعالى ليس غيره وعليه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا له قلوبكم ووجوهكم فاعبدوه ولا تعبدوا معه سواه فبلغهم يا رسولنا هذا ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن هذا الطلب ولم يقبلوه ﴿فقل اذنتكم﴾ أي اعلمتكم ﴿على سواء﴾ أنا وأنتم انه لا تلاقي بيننا فانا حرب عليكم وأنتم حرب عليّ وقوله تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ أي وقل لهم يا رسولنا: إني ما أدري أقريب ما توعدون من العذاب أم بعيد فالعذاب كائن لا محالة ما لم تسلموا إلا أني لا أعلم وقته. وفي الآية وعيد واضح وتهديد شديد وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ أي يعلم طعنكم العلني في الإسلام وكتابه ونبيه، كما يعلم ما تكتمونه في نفوسكم من عداوتي وبغضي وما تخفون من إحَنٍ وفي هذا إنذار لهم وتهديد، وهم مستحقون لذلك.

وقوله: ﴿وإن أدري﴾ أي وما أدري ﴿لعله﴾[2] أي تأخير العذاب عنكم بعد استحقاقكم له بحربكم للإسلام ونبيه ﴿فتنة لكم﴾ أي اختبار لعلكم تتوبون فيرفع عنكم العذاب أو هو متاع لكم بالحياة إلى آجالكم، ثم تعذبون بعد موتكم. فهذا علمه إلى ربي هو يعلمه، وبهذا أمرني بأن أقوله لكم. وقوله تعالى: ﴿قال رب احكم بالحق﴾ وفي قراءة قُلْ رب احكم بالحق أي قال الرسول بعد أمر الله تعالى بذلك يا رب احكم بيني وبين قومي المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين بالحق وذلك بنصري عليهم أو بإنزال نقمتك بهم، وقوله: ﴿وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون﴾[3] أي وربنا الرحمن عز

---

(١) الاستفهام معناه الأمر أي أسلموا. كقوله تعالى ﴿فهل أنتم منتهون﴾ ؟ أي انتهوا.
(٢) لعله أي الإمهال والتأخير.
(٣) تصفون قرأ الجمهور تصفون بالتاء، وقرأ بعض يصفون بالياء.

الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٥) وقوله تعالى: ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم.

٢ـ في القرآن الكريم البُلغة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبو إليه من سعادة الدار الآخرة.

٣ـ بيان فضل النبي ﷺ وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين.

٤ـ وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد.

٥ـ وجوب الاستعانة بالله على كل ما يواجه العبد من صعاب وأتعاب.

سُورَةُ الحَجِّ

مكية ومدنية[1]

وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ

(١) ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج من أعاجيب سور القرآن. نزلت ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً مكيّاً ومدنيّا سلميّا وحربيّاً ناسخاً ومنسوخاً محكما ومتشابهاً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

شـرح الكلـمات :

اتقوا ربكـم	: أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى.
إن زلزلة السـاعة	: أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة.
تذهل كل مرضـعة	: أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه.
وتضع كل ذات حمل حملها	: أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفزع.
سكارى وما هم بسكارى	: أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى
يجادل في الله بغير علم	: أي يقول إن الملائكة بنات الله وإن الله لا يحيي الموتى.
شيطان مريـد	: أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة.
كتب عليه أنه من تولاه	: فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضله عن الحق.

معنى الآيـات:

بعد ذلك البيان الإلهي في سورة الأنبياء وما عرَض تعالى من أدلة الهداية وما بين من سبـل النجاة نادى تعالى بالخطاب العام الذي يشمل العرب والعجم والكافر والمؤمن انذاراً وتحذيراً فقال في فاتحة هذه السورة سورة الحج المكية المدنية لوجود آي كثير فيها نزل في مكة وآخر نزل بالمدينة: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾[1] أي خافوا عذابهُ، وذلك

(١) روى الترمذي وصححه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى قوله: (شديد) قال: أنزلت عليه في سفر: فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار قال يا ربّ وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال: فانشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسدّدوا فإنه لم تكن نبوّة قط إلاّ كان بين يديها جاهلية قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلاّ أخذ من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبّروا ثم قال. إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّروا ثمّ قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبّروا. قال: لا أدري قال الثلثين أم لا). الرقمة: الهنة الناتئة في ذراع الدابة والشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه.

بطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه فآمنوا به وبرسوله وأطيعوهما في الأمر والنهي وبذلك تقوا أنفسكم من العذاب. وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فكيف بالعذاب الذي يقع فيها لأهل الكفر والمعاصي، إن زلزلة لها تتم قبل قيامها[1] تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت أي تنسى فيها الأم ولدها، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ فتسقط من شدة الفزع لتلك الزلزلة المؤذنة بخراب الكون وفناء العوالم ويرى الناس فيها سكارى أي فاقدين لعقولهم وما هم بسكارى بشرب سكر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فخافوه لظهور أماراته ووجود بوادره.

هذا ما دلت عليه الآيتان (١) و (٢) وأما الآية الثالثة فينعى تعالى على النضر بن الحارث وأمثاله ممن يجادلون في الله بغير علم فينسبون لله الولد والبنت ويزعمون أنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا يحيي الموتى بعد فناء الأجسام وتفتتها فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ بجلال الله وكماله ولشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه، ﴿ويتبع﴾ أي في جداله وما يقوله من الكذب والباطل ﴿كل شيطان مريد﴾ أي متجرد من الحق والخير، ﴿كتب[2] عليه﴾ أي على ذلك الشيطان في قضاء الله أن من تولاه بالطاعة والاتباع فإنه يضله عن الحق ويهديه بذلك إلى عذاب السعير في النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما.

٢- حرمة الجدال بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله.

٣- حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح.

٤- موالاة الشياطين واتباعهم يفضي بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير.

---

(١) الذي عليه أكثر أهل التفسير أنّ هذه الزلزلة تتم بنفخة الفناء بقرينة الحمل والوضع وحديث الترمذي الصحيح دال على أنها بعد البعث، والجمع بينهما: صحيح أولا لامانع من أن يقع هذا وذاك وهو كذلك والقرآن حمّال الوجوه، فهذا الهول العظيم سيقع حتماً في النفخة الأولى، وفي ساحة فصل القضاء، وأمّا موضوع الحمل والوضع فكائن أيضاً في عرصات القيامة إذ الناس يبعثون على ما ماتوا عليه فالحامل تبعث حاملا والمرضع تبعث ترضع أيضاً.

(٢) قال قتادة ومجاهد: من تولى الشيطان فإنه يضله.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

في ريب من البعث : الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث الحياة بعد الموت.

من نطفة : قطرة المنّي التي يفرزها الزوجان.

علقة : أي قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يوماً.

مضغة : أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة اليها بعد أربعين يوما.

وغير مخلقة : أي مصورة خلقاً تاماً، مخلقة وغير مخلقة هي السقط يسقط

قبل تمام خلقه.

لنبين لكم : أي قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون.

ونقر في الأرحام ما نشاء : أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل ثم نخرجه طفلاً سوياً.

لتبلغوا أشدكم : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم.

إلى ارذل العمر : أي سن الشيخوخة والهرم فيخرف.

لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً : أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسى كل علم علمه.

هامـدة : خامدة لاحراك لها ميتة.

اهتزت وربت : أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت.

زوج بهيج : أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه.

ذلك بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي لا إله سواه، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل.

وان الساعة آتية : أي القيامة.

يبعث من في القبـور : أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم احياء كما كانوا قبل موتهم.

معنى الآيـــات :

لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها، وكان الكفر بالبعث الآخر هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير نادى تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون فقال: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي في شك وحيرة وقلق نفسي من شأن بعث النـاس أحياء من قبـورهم بعـد موتهم وفنائهم لأجل حسـابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا فاليكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتكم في هذه القضية العقدية وهو أن الله تعالى قد خلقكم[1] من تراب أي خلق

(١) هذا دليل قاطع وهو دليل البداءة الأولى فمن قدر على البداءة قادر عقلا على الإعادة وهي أهون عليه.

أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك، ثم خلقكم أنتم من[1] نطفة أي ماء الرجل وماء المرأة وبلا شك، ثم من علقة بعد[2] تحول النطفة إليها ثم من مضغة بعد[3] تحول العلقة إليها وهذا بلا شك أيضاً، ثم المضغة إن شاء الله تحويلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من[4] الرحم كما هو معروف ومشاهد، وفعل الله ذلك من أجل أن يبين لكم قدرته وعلمه وحسن تدبيره لترهبوه وتعظموه وتحبوه وتطيعوه وقوله: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا[5]﴾ أي ونقر تلك المضغة المخلقة في الرحم إلى أجل مسمى وهو ميعاد ولادة الولد وانتهاء حمله ونخرجكم طفلاً أي أطفالاً صغاراً لا علم لكم ولا حلم، ثم ننميكم ونربيكم بما تعلمون من سننا في ذلك ﴿ثم لتبغلوا أشدكم﴾ أي تمام نماء أبدانكم وعقولكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل بلوغه أشده لأن الحكمة الإلهية اقتضت وفاته ومنكم من يعيش ولا يموت حتى يرد إلى ارذل العمر فيهرم ويخرف ويصبح كالطفل لا يعلم بعد علم كان له قبل هرمه شيئاً هذا دليل البعث وهو دليل عقلي منطقي وبرهان قوي على حياة الناس بعد موتهم إذ الذي خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم، إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية. ودليل عقلي آخر هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وترى الأرض﴾ أيها الإنسان ﴿هامدة﴾ خامدة ميتة لاحراك فيها ولا حياة فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء من السماء ﴿اهتزت﴾ أي تحركت ﴿وربت﴾ أي ارتفعت وانتفخت تربتها وأخرجت من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿من كل زوج بهيج﴾ جميل المنظر حسنه، أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل

---

(١) النطفة: المني، وسمي نطفة لقلّته.

(٢) العلقة: الدم الجامد، والعلق: الدم العبيطُ أي: الطري.

(٣) هذه الأطوار أربعة أشهر، قال ابن عباس: وفي العشر بعد الأربعة أشهر ينفخ فيه الروح، فذلك عدّة الوفاة منها أربعة أشهر وعشر، وفي الصحيح عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إنّ أحدكم يُجْمَع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات.. رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

(٤) روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: لسقط أقدّمه بين يدي أحبّ إليّ من ألف فارس أخلّفه ورائي).

(٥) أي: فخرج كل واحد منكم طفلا، ويطلق الطفل على الولد من يوم انفصاله إلى البلوغ وولد كل وحشية يقال له طفل ويوصف به مفرداً كالمصدر فيقال: جارية طفل وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل وغلامان طفل، ويجمع الطفل على أطفال، وأطفلت المرأة: صارت ذات طفل.

وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث الآخر وأنه كائن لا محالة وفوق ذلك كله إخبار الخالق وإعلامه خلقه بأنه سيعيدهم بعد موتهم فهل من العقل والمنطق أو الذوق أن نقول له لا فإنك لا تقدر على ذلك قولة كهذه قذرة عفنة لا يود أن يسمعها عقلاء الناس واشرافهم. ولما ضرب تعالى هذين المثالين أو ساق هذين الدليلين على قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لإعادة الناس أحياء بعد الموت والفناء للحساب والجزاء قال وقوله الحق ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾[1] أي الرب الحق والإله المعبود الحق، وما عداه فباطل ﴿وأنه يحيي[2] الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ ومن شك فليراجع الدليلين السابقين في تدبر وتعقل فانه يسلم لله تعالى ما أخبر به عن نفسه في قوله ذلك ﴿بأن الله هو الحق﴾ الخ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة.

٢- بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته.

٣- الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك.

٤- تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

---

(١) لما ذكر تعالى افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره في قوله (يا أيها الناس) إلى قوله: (بهيج) قال ذلك إشارة إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه وإحياء الأرض بعد موتها وانشقاق النبات منها أي: ذلك حصل بسبب أنّ الله هو الإله الحق دون غيره.

(٢) ومن براهين ألوهيته الحقة دون من سواه أنه يحيى الموتى وأنه على كل ما يريده قدير وأنه موجد الدنيا والآخرة وسيفني هذه في ساعة آتية لا محالة، وسيبعث الناس من القبور للحياة الثانية فيخلدوا فيها منهم شقي ومنهم سعيد.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾

شـرح الكلمـات :

يجادل في الله : أي في شأن الله تعـالى فينسب إلى الله تعـالى ما هو منـه براء كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى، وهذا المجادل هو أبوجهـل.

بغيـر علـم : أي بـدون علم من الله ورسـوله.

ولا كتاب منير : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشـف الحقائق ويقرر الحق ويبطل الباطل.

ثاني عطفـه : أي لأوى عنقه تكبراً، لأن العطف الجانب من الإنسان.

له في الدنيا خزي : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتز رأسه.

بظـلام للعبيد : أي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم.

يعبد الله على حرف : أي على شـك في الإسلام هل هو حق أو باطل وذلك لجهلهم به

وأغلب هؤلاء أعراب البادية.

اطمـأن به : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به.

وإن أصابتـه فتنة : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه.

إنقلب على وجهه : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي.

مالا يضره ولا ينفعه : أي صنماً لا يضره إن لم يعبده، ولا ينفعه إن عَبَدَه.

لبئس المولى : أي قبح هذا الناصر من ناصر.

ولبئس العشير : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم.

معنى الآيـــات :

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ هذه شخصية ثانية معطوفة على الأولى التي تضمنها قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ وهي شخصية النضر بن الحارث أحد رؤساء الفتنة في مكة، وهذه الشخصية هي فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل يخبر تعالى عنه فيقول: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير[1]﴾ بل يجادل بالجهل وما أقبح جدال الجهل والجهّال ويجادل في الله عز وجل يا للعجب أفيريد ان يثبت لله تعالى الولد والبنت والعجز والشركاء والشفعاء، ولا علم من وحي عنده، ولا من كتاب إلهي موحى به إلى أحد أنبيائه. وقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾ وصف له في حال مشيه وهو يجر رداءه مصعراً خده مائلا إلى أحد جنبيه كبراً وغروراً، وجداله لا لطلب الهدى أو لمجرد حب الإنتصار للنفس بل ليضل غيره عن سبيل الله تعالى الذي هو الإسلام حتى لا يدخلوا فيه فيكملوا ويسعدوا عليه في الحياتين. وقوله تعالى: ﴿له في الدنيا خزي[2]﴾ أي ذل وهوان وقد ناله حيث قتل في بدر شر قتلة فقد احتز رأسه وفُصل عن جثته ونال منه الذين كان يسخر منهم ويعذبهم من ضعفة المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ وقد أذاقه ذلك بمجرد أن قتل فروحه في النار ويوم

---

(١) نير بيّن الحجة قويها، والمراد من الكتاب: كتب الشرائع مثل: التوراة والانجيل من الكتب الأولى والقرآن آخرها نزولا.

(٢) في هذه الآية إخبار بغيب فكان كما أخبر تعالى فإن كلاً من أبي جهل والنضر بن الحارث قد أذلهما الله وأخذهما ببدر، فأبو جهل قتل وأخذ رأسه، والنضر قتل صبراً، والآية قطعاً نزلت بمكة فهي من معجزات القرآن الكريم.

القيامة يدخلها بجسمه وروحه وقوله تعالى: ﴿وذلك بما قدمت يداك﴾ أي، يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والهوان وعذاب الحريق بما قدمت يداك من الشرك والظلم والمعاصي، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾، وأنت منهم والله ما ظلمك بل ظلمت نفسك، والله متنزه عن الظلم لكمال قدرته وغناه وقوله تعالى: ﴿ومن الناس[1] من يعبد الله على حرف[2]﴾ أي على شك هذه شخصية ثالثة عطفت على سابقتيها وهي شخصية بعض الاعراب كانوا يدخلون في الإسلام لا عن علم واقتناع بل عن شك وطمع وهو معنى على حرف فإن أصابهم خير من مال وصحة وعافية اطمأنوا إلى الإسلام وسكنت نفوسهم واستمروا عليه، وإن أصابتهم فتنة أي اختبار في نفس أو مال أو ولد انقلبوا على وجوههم أي ارتدوا عن الإسلام ورجعوا عنه فخسروا بذلك الدنيا والآخرة فلا الدنيا حصلوا عليها ولا الآخرة فازوا فيها، قال تعالى: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي البين الواضح إذ لو بقوا على الإسلام لفازوا بالآخرة، ولأخلف الله عليهم ما فقدوه من مال أو نفس، وقوله تعالى ﴿يدعو من دون الله﴾ أي ذلك المنقلب على وجهه المرتد يدعوا ﴿مالا يضره﴾ أي صنماً لا يضره لو ترك عبادته ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي دعاء وعبادة مالا يضر ولا ينفع ضلال عن الهدى والخير والنجاح والربح وبعيدٌ أيضا قد لا يرجع صاحبه ولا يهتدي. وقوله: ﴿يدعو[3] لمن ضره أقرب من نفعه﴾ أي يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه فقد يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها. قال تعالى: ﴿لبئس[4] العشير﴾ المعاشر والصاحب الملازم فذم تعالى وقبح ما كان المشركون يؤملون فيهم ويرجون شفاعتهم[5] يوم القيامة، تنفيراً لهم من الشرك

---

(١) هذه الآية نزلت بالمدينة النبوية فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

(٢) حرف كل شيء: طرفه وجانبه والآية تمثيل لحال المتردد في عمله.

(٣) أي: في الآخرة لأنه بعبادته دخل النار ولم ير منه نفعاً أصلا وإنما قال: (ضرّه أقرب من نفعه) ترفيعاً للكلام نحو: (إنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين) ومعنى الكلام: القسم والتأخير أي. يدعو والله من ضرّه أقرب من نفعه، والمدعو هو الوثن الذي عبده من دون الله تعالى.

(٤) هذه الجمل تحمل الذم والتقبيح للأصنام التي يدعوها المشركون فانها شر الموالي وشر العشير، لأن شأن الولي جلب النفع لمولاه وشأن العشير جلب الخير لعشيره فإذا كان العكس كانا شر الموالي والعشراء.

(٥) قال تعالى من سورة يونس: (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)، (وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وهذا منهم على فرض إن بعثوا أحياء يوم القيامة أو يرجون شفاعتهم في الدنيا.

وعبادة غيره سبحانه وتعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ قبح جدال الجاهل فيما ليس له به علم.

٢ـ ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن.

٣ـ عدم جدوى عِبَادةٍ صاحبُها شاك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها .

٤ـ لا يصح دين مع الشك.

٥ـ تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

وعملوا الصالحات : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير.

يفعل ما يريد : من إكرام المطيع وإهانة العاصي وغير ذلك من رحمه المؤمن وعذاب الكافر.

أن لن ينصره الله : أي محمداً صلى الله عليه وسلم.

فليمدد بسبب : أي بحبل.
إلى السماء : أي سقف بينه وليختنق غيظاً
هل يذهبن كيده : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيظه.
وكذلك أنزلناه : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.
هادوا : أي اليهود.
والصابئين : فرقة من النصارى.
والمجوس : عبدة النار والكواكب.
على كل شيء شهيد : أي عالم به حافظ له.

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء الكافرين والمترددين بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى : ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾[1] ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعه وقوله تعالى : ﴿من[2] كان يظن أن لن ينصره الله﴾ أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإنا نرشده إلى ما يذهب عنه غيظه حيث يسوءه نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع الحبل،[3] وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل[4] كيده هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟.

---

(١) هذه الجملة الكريمة هي تذييل لكلّ ما تقدم لقوله : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) ومتضمنة تعليلا اجماليا لاختلاف الناس في الخير والشر ولما يلقون من جزاء كذلك.

(٢) الظاهر أن هذا فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين وهما : فريق من يجادل في الله بغير علم وفريق من يعبد الله على حرف وهذا الفريق الثالث قد يكون من اليهود والمنافقين وبعض المشركين الذين كانوا يتغاظون لانتصار النبي ﷺ لأنهم لا يودّون ذلك ولا كانوا يرون انتصاره ﷺ كائنا فكلما رأوا نصراً له ازدادغمهم واشتد كربهم لأنّ انتصاره يحزنهم ويخيفهم.

(٣) قرأ الجمهور: (ليقطع) بسكون اللام لوجود ثم العاطفة وقرأ بعضُ (ليقطع) بكسر اللام لأن ثم ليست كالفاء والواو العاطفتين لأنها مركبة من ثلاثة أحرف.

(٤) (هل يذهبن كيده ما يغيظ) الاستفهام انكاري ، وما: مصدرية أي : هل يذهبن كيده غيظه.

وقـولـه تعـالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾ أي ومثل ذلك الإنزال للآيات التي تقدمت في بيان قدرة الله وعلمه في الخلق وإحياء الأرض وإعادة الحياة بعد الفناء أنزلنا القرآن آيات واضحات تحمل الهدى والخير لمن آمن بها وعمل بما فيها من شرائع وأحكام وقوله تعالى: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ أي هدايته بأن يوفقه للنظر والتفكر فيعرف الحق فيطلبه ويأخذ به عقيدة وقولاً وعملاً.

وقـولـه تعـالى: ﴿إن الـذين آمنوا﴾[1] وهم المسلمـون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئين﴾ وهم فرقة من النصارى يقرأون الزبور ويعبدون الكواكب ﴿والنصارى﴾ وهم عبدة الصليب ﴿والمجوس﴾ وهم عبدة النار والكواكب[2] ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان هؤلاء جميعا سيحكم[3] الله بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار هذا هو الفصل الحق فالأديان ستة دين واحد للرحمن وخمسة للشيطان فأهل دين الرحمن يدخلهم في رحمته، وأهل دين الشيطان يدخلهم النار مع الشيطان وقوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء وسيجزى كل عامل بما عمل، ولا يهلك على الله إلا هالك فقد أنزل كتابه وبعث رسوله ورغب ورهب وواعد وأوعد والناس يختارون ما قدر لهم أو عليهم وسبحان الله العظيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء.

٢ـ ان الله ناصر دينه، ومكرم أهله، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ـ تقرير ارادة الله ومشيئته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد.

---

(١) هذه الآية نزلت كالفذلكة لما سبق فقررت الصراع الدائر بين الحق والباطل وسمت المتصارعين بألقابهم وأعلمتهم أنّ الحكم فيهم مؤجل الى يوم القيامة وسيكون عادلاً لعلم الله تعالى بهم وحفظه لأعمالهم..

(٢) لذا فهم يثبتون إلهين إلها للخير وإلها للشر وهم أهل فارس، وأقدم النحل المجوسية أسسها ملك فارسي قديم في التاريخ يدعى (كيومرث).

(٣) هذا تفسير لقوله تعالى في الآية: (إن الله يفصل بينهم) إذ الفصل هو الحكم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾

شرح الكلمات :

ألم تر	: أي ألم تر بقلبك فتعلم.
يسجد له	: أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى.
من في السموات	: من الملائكة.
والدواب	: من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض.
حق عليه العذاب	: وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به.
ومن يهن الله	: أي يُشقهِ في عذاب مهين.
فماله من مكرم	: أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده، وقد أشقاه الله.

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى لرسوله: ﴿ألم تر﴾[1] أيها الرسول بقلبك فتعلم ﴿أن الله يسجد[2] له من في السموات﴾ من الملائكة ﴿ومن في الأرض﴾ من الجن والدواب ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ وهم المؤمنون المطيعون وكثير أي من الناس حق عليهم العذاب أي وجب لهم العذاب وثبت، فهو لا يسجد سجود عبادة وقربة لنا أما سجود الخضوع فظلالهم تسجد[3] لنا بالصباح والمساء، وقوله تعالى: ﴿ومن يهن الله فماله من مكرم﴾ أي ومن أراد الله إشقاءه وعذابه فما له من مكرم يكرمه برَفْع

---

(١) قال القرطبي: هذه رؤية القلب أي: ألم تر بقلبك، وعقلك.

(٢) قد استعمل السجود في هذه الآية. في حقيقته ومجازه.

(٣) وكذلك خضوعهم لأحكام الله تعالى فيهم ومجاري أقداره عزّ وجلّ عليهم من صحة ومرض وغنىً وفقر وحياة وموت.

العذاب عنه واسعاده في دار السعادة وقوله: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾[1] فمن شاء أهانه ومن شاء أكرمه فالخلق خلقه وهو المتصرف فيهم مطلق التصرف فمن شاء أعزه، ومن شاء أذله فعلى عباده أن يرجعوا إليه بالتوبة سائلين رحمته مشفقين من عذابه فهذا أنجى لهم من عذابه وأقرب الى رحمته.

هداية الآيـة الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ـ تقرير ربوبية الله وألوهيته.

٢ـ سجود المخلوقات بحسب ذواتها، وما أراد الله تعالى منها.

٣ـ كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فاكثر افراده عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهين.

٤ـ التـالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

(١) الجملة تعليلية لما سبق من أحكام لله تعالى بالإكرام والإهانة بحسب الطاعة والعصيان.

شـرح الكلمـات :

خصـــمان : خصم مؤمن وخصم كافر كل واحد يريد أن يخصم صاحبه .

اختصموا في ربهم : أي في دينـه .

قطعت لهم ثيـاب : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم .

يصهر به مافي بطونهم : أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها .

مقامـع من حديـد : جمع مقمعة وهي آلة من حديد كالمجن .

وذوقوا عذاب الحريق : أي يقال لهم توبيخاً وتقريعاً : ذوقوا عذاب النار .

ولـؤلـؤا : أي أسـاور من لؤلـؤ محلاة بالذهب .

إلى الطيب من القول : هو شهادة أن لا إله إلا الله .

إلى صـراط الحميد : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل الى رضاه وجنته .

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿هذان خصمان﴾[1] الخصم الأول المسلمون والثاني أهل الشرك والكفر ﴿اختصموا في ربهم﴾ أي في دينه تعالى كل خصم يدعي أنه على الدين الحق ، وماتوا على ذلك وفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة ﴿فالذين كفروا﴾ وهم أهل الدين الباطل ادخلوا النار وفصلت لهم[2] ثياب من نار ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء الحار المنتهي في الحرارة ، ﴿يصهر[3] به ما في بطونهم والجلود﴾ من لحم وشحم ، ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ يضربون بها ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي من النار بسبب ما ينالهم من غم عظيم ﴿أعيدوا فيها﴾ أي تجبرهم الزبانية على العودة إليها ولم تمكنهم من الخروج

---

(١) روى مسلم عن قيس بن عبادة رضي الله عنه قال : سمعت أبا ذرّ يقسم قسماً : (إن هذان خصمان اختصموا في ربهم) أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر وهم : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، وعتبة وشيبة ابناء ربيعة والوليد ابن عتبة ، وقال عليّ رضي الله عنه إني لأوّل من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة . يريد قصته في المبارزة هذه ، وعموم الآية يشمل الخصومة بين أهل الإسلام وأهل الكتاب ، كما يشمل خصومة الجنة والنار لحديث مسلم (احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلها الجبّارون والمتكبرون ، وقالت هذه يدخلها الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه · أنت عذابي أعذّب بك من أشاء وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها) .

(٢) قطعت : فصلت أي : تقطّع لهم في الآخرة ثياب من نار ، وذكر بلفظ الماضي لأنّ ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق ، كما قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس . .) أي : يقول الله وجائز أن يكون قد أعدّت لهم تلك الثياب ليلبسوها يوم القيامة وهذا أولى . وتلك الثياب من النحاس المذاب وهي السرابيل المذكورة في سورة ابراهيم من قطران .

(٣) الصَّهر : إذابة الشحم والصهارة : ما ذاب منه .

منها، ويقولون لهم: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي لا تخرجوا منها وذوقوا عذاب الحريق. فهذا جزاء الخصم الكافر، وأما الخصم المؤمن فهذا جزاؤه وهو في قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا﴾[1] أي أساور[2] من لؤلؤ محلاة بالذهب ﴿ولباسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿حرير﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ في الدنيا وهو لا إله إلا الله وسائر الأذكار والتسابيح وكل كلام طيب، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهذا الطريق الموصل إلى رضا ربهم وهو الإسلام، وكل ذلك بتوفيق ربهم الذي آمنوا له وبرسوله وأطاعوه بفعل محابه وترك مساخطه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حتى أن الآية نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر للمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر.

٢- بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها.

٤- بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى.

٥- بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

---

(١) نصب على تقدير: ويحلون لؤلؤاً.

(٢) قالت العلماء: ليس أحد من أهل الجنة إلاّ وفي يده ثلاثة أسورة. سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة.

(٣) روى ابو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو) وصحّ قوله ﷺ (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة).

شرح الكلمات :

كفروا : جحدوا توحيد الله وكذَّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم.

ويصدون عن سبيل الله: يمنعون الناس من الإسلام، ويصرفونهم عنه.

والمسجد الحرام : مكة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها.[1]

العاكف : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام.

والباد : الطاريء عن مكة النازح إليها.

بإلحاد بظلم : أي إلحاداً أي ميلاً عن الحق مُلتبساً بظلم لنفسه أو لغيره.

معنى الآية الكريمة :

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون[2] عن سبيل الله﴾ هذه الآية الكريمة تحمل تهديداً ووعيداً شديداً لكل من كفر بتوحيد الله وكذب رسوله وما جاء به من الهدى والدين الحق وصدَّ عن سبيل الله أي صرف الناس عن الدخول في الإسلام، وعن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت والإقامة بمكة للتعبد في المسجد الحرام والآية وإن تناولت المشركين الذين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة عام الحديبية فإنها عامة في كل من كفر وصدَّ إلى يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادِ﴾ هو وصف للمسجد الحرام إذ جعله الله تعالى موضع تنسُّك لكل من أتاه وأقام به أو يأتيه للعبادة ثم يخرج منه، فالعاكف أي المقيم فيه كالبادي الطاريء القدوم إليه هم سواء في حق الإقامة في مكة[3] والمسجد الحرام للتعبد.

وقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ أي يرد بمعنى يعتزم الميل عن الحق فيه بظلم يرتكبه كالشرك وسائر الذنوب والمعاصي القاصرة على الفاعل أو المتعدية إلى غيره. وقوله تعالى: ﴿نذقه[4] من عذاب أليم﴾ هذا جزاء من كفر وصد عن سبيل الله

---

(١) هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو شائع لغة شائع تعبيرا.

(٢) أي: وهم يصدّون، وقيل الواو مزيدة أي: إنّ الذين كفروا يصدّون، وهذا ضعيف والصحيح أن خبر إن محذوف تقديره: خسروا وهلكوا ولا يصح أن يكون نذقه لأنه مجزوم.

(٣) كان في الصدر الأول أبواب دور مكة مفتوحة لكل من يريد النزول بها حاجاً أو معتمراً حتى سرق منزل أحدهم فاتخذ له باباً فأنكر عليه عمر ذلك فقال الرجل: إنما اتخذت الباب لأحفظ لهم متاعهم فتركه عمر فاتخذ الناس من يومئذ الأبواب قال مالك. دور مكة ليست كالمسجد بل لهم أن يمنعوا من النزول بها من شاءوا.

(٤) (نذقه) جواب مَن: الشرطية في قوله: (ومن يرد فيه بإلحاد).

والمسجد الحرام ومن يُرد فيه بإلحاد[1] بظلم لنفسه[2] أو لغيره.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١ـ التنديد بالكفر والصدّ عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك.

٢ـ مكة بلد الله وحرمه من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتنسك ما لم يظلم وينتهك حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي، وخاصة الشرك والظلم والضلال.

٣ـ عظيم شأن الحرم حيث يؤاخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

---

(١) الباء : في بإلحاد: الاجماع على أنها صلة لتقوية الكلام لشيوع مثلها في كلام العرب والأصل: ومن يرد فيه إلحاداً قال الشاعر:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج   نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

الفلج: موضع لبني جعدة بن قيس بنجد.

(٢) لا يؤاخذ المؤمن بالنية السيئة في أي بلد كان إلاّ بمكة المكرمة لهذه الآية.

شرح الكلمات :

وإذ بوأنا لإبراهيم : أي أذكر يارسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت.

أن لا تشرك بي[1] شيئاً : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئاً من الشرك والشركاء.

وطهر بيتي : ونظف بيتي من أقذار الشرك وأنجاس المشركين.

وأذن في الناس بالحج : أعلن في الناس بأعلى صوتك.

رجالاً وعلى كل ضامر: مشاة وركباناً على ضوامر الإبل.

فج عميق : طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض.

في أيام معلومات : هي أيام التشريق.

بهيمة الأنعام : أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها.

البائس الفقير : أي الشديد الفقر.

ليقضوا تفثهم : أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام.

وليوفوا نذورهم : أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم[2]﴾ أي اذكر يا رسولنا لقومك المنتسبين إلى إبراهيم باطلاً وزوراً حيث كان موحداً وهم مشركون اذكر لهم كيف بوأه ربُّه مكان البيت لِيَبْنِيه ويرفع بناءه وكيف عهد الله إليه ووصاه بأن يطهره من الأقذار الحسية كالنجاسات من دماء وأوساخ والمعنوية كالشرك والمعاصي وسائر الذنوب وذلك من أجل الطائفين به والقائمين في الصلاة والراكعين والساجدين فيه إذ الرُّكع جمع راكع والسجد جمع ساجد حتى لا يتأذوا بأي أذى معنوي أو حسيّ وهم حول بيت ربهم وفي بلده وحرمه، ليذكر قومك هذا وهم قد نصبوا حول البيت التماثيل والأصنام، ويحاربون كل من يقول لا إله إلا الله وقد صدوك وأصحابك عن المسجد الحرام ومنعوك من الطواف بالبيت العتيق، فأين يذهب

(١) (أن) : الصحيح أنها تفسيرية والقول أو ما في معناه: مقدر فيها نحو وقلنا أو وصينا أو عهدنا.

(٢) يقال: بوأه كذا وبوأ له كذا فاللام مزيدة لتقوية الكلام كما يقال مكنته من كذا، ومكنت له كذا، ومعنى بوأنا لابراهيم أي: أريناه أصله. وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه.

بعقولهم عندما يدعون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾[1] أي وعهدنا إليه آمرين إياه أن يؤذن في الناس بأن ينادي معلنا معلماً: أيها الناس[2] إن ربكم قد بنى لكم بيتاً فحجوه ففعل ذلك فأسمع الله صوته من شاء من عباده ممن كتب لهم أزلا أن يحُجوا وسهل طريقهم وحجوا فعلاً ولله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿يأتوك رجالا﴾ أي عليك النداء وعلينا البلاغ فنادِ ﴿يأتوك رجالاً﴾ أي مشاة ﴿وعلى كل ضامر﴾ من النوق المهازيل ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد في أغوار الأرض وأبعادها كالأندلس غرباً وأندونيسيا شرقاً. وقوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي يأتوك ليشهدوا منافع لهم دينيةً كمغفرة ذنوبهم واستجابة دعائهم والفوز برضا ربهم، وتعلم دينهم من علمائهم، ودنيويّة كربح تجارة ببيع وشراء وعرض سلع وأنواع صناعات، وقوله تعالى: ﴿ويذكروا اسم الله﴾ شاكرين لله تعالى إنعامه عليهم وإفضاله وذلك في أيام الحج كلها من العشر الأول من ذي الحجة إلى نهاية أيام التشريق بالصلاة والذكر والدعاء، كما يذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحر الإبل وذبح البقر والغنم بأن يقول الناحر أو الذابح بسم الله والله أكبر[3] وقوله تعالى: ﴿فكلوا منها﴾ أي من بهيمة الأنعام التي نحرتموها أو ذبحتموها[4] تقرباً إلينا كهدى التمتع أو التطوع، ﴿واطعموا البائس الفقير﴾ وهو من اشتد به الفقر وقوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ بإزالة الشعث والوسخ الذي لازمهم طيلة مدة الإحرام. وقوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أن من كان منهم قد نذر هدياً بذبحه في الحرم فليوف بذلك إذ هذا أوان الوفاء بما نذر أن ينحره أو يذبحه

---

(١) وقرىء: (وآذن) بمعنى: أعلم، (وأذّن): قراءة الجمهور وهي أولى، والأذان: الإعلام.

(٢) روي عن ابن عباس وابن جبير: لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت، وقيل له: أذن في الناس بالحج قال له يا ربّ: وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فصعد ابراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح يا أيها الناس إنّ الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك فمن أجاب يومئذ حجّ على قدر الإجابة إن أجاب مرّة فمرة وإن أجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك.

(٣) السنة في ذبح الأضحية أن تكون بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبل ذلك أعاد لقوله ﷺ: (من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم) ويستحب في ذبح الأضحية والهدي أن يقول بعد التسمية الواجبة: اللهم منك ولك.

(٤) المشهور وعليه الأكثر أنّ أيام النحر ثلاثة وهي: أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد.

بالحرم. وقوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أي وليطوفوا طواف الإفاضة وهو ركن الحج ولا يصح الا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة صباح العيد عيد الأضحى.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤذي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقذار كالأبوال والدماء ونحوها.

٢ـ مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج.

٣ـ جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج.

٤ـ وجوب شكر الله تعالى وذكره.

٥ـ جواز الأكل من الهدي ومن ذبائح التطوع بل استحبابه.

٦ـ وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة.

٧ـ وجوب الوفاء بالنذور الشرعية[1] أما النذور للأولياء فهي شرك ولا يجوز الوفاء بها.

٨ـ تقرير طواف الإفاضة[2] وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة.

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ

(١) لقوله ﷺ لا وفاء لنذر في معصية الله، وقال ومن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه.

(٢) أما طواف القدوم فواجب عند مالك وطواف الوداع سنة مؤكدة ويسقط بالعذر عند أكثر أهل العلم، لسقوطه عن الحائض اجماعاً، ومن أهل العلم من يرى طواف القدوم سنة ليس بواجب.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿٣٢﴾

شـرح الكلمـات :

ذلـــك : أي الأمر هذا مثل قول المتكلم هذا أي ما ذكرت . . وكذا وكذا . .

حرمات الله : جمع حرمة ما حرَّم الله إنتهاكه من قول أو فعل .

فهو خير له عند ربه : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمات الله فلا ينتهكها .

إلا ما يتلى عليكم : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به .

فاجتنبوا الرجس : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .

واجتنبوا قول الـزور: وهو الكذب وأعظم الكذب ماكان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور[1]

حنفـاء لله : موحدين له مائلين عن كل دين إلى الإسلام .

خرَّ من السماء : أي سـقـط .

فتخطفـه الطيـر : أي تأخذه بسـرعة .

شـعائر الله : أعلام دينه وهي هنا البُدْن بأن تختار الحسنة السمينة منها .

فإنها من تقوى القلوب : أي تعظيمها ناشىء من تقوى قـلوبهم .

لكم فيها منافـع : منها ركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وشرب لبنها .

إلى أجـل مسمى : أي وقت معين وهو نحرها بالحرم أيام التشريق .

ثم محلها إلى البيت العتيق : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في مناسك الحج قوله تعالى (ذلك) أي الأمر ذاك الذي علمتم من قضاء التفث أي إزالـة شعـر الـرأس وقص الشـارب وقلم الأظافر ولباس الثياب ونحر وذبح الهدايا والضحايا، ﴿ومن يعظم﴾ منكم ﴿حرمات الله﴾ فلا ينتهكها ﴿فهو خير له﴾ أي ذلك التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له عند ربّه يوم يلقاه وقوله تعالى : ﴿وأحلت لكم

---

(١) وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ لقوله : (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

الأنعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم أحل الله تعالى لكم أكلها والانتفاع بها وقوله تعالى : ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه كما جاء في سورة البقرة والمائدة والأنعام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيْتُمْ وما ذبح على النصب﴾ وقوله : ﴿فاجتنبوا الرجس[1] من الأوثان﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإنها رجس فلا تقربوها بالعبادة ولا بغيرها غضبا لله وعدم رضاً بها وبعبادتها، وقوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ وهو الكذب مطلقاً وشهادة الزور وأعظم الكذب ما كان على الله بوصفه بما هو منزه عنه أو بنسبه شيء إليه كالولد والشريك وهو عنه منزه، أو وصفه بالعجز أو بأي نقص وقوله, ﴿حنفاء[2] لله غير مشركين﴾ أي موحدين لله تعالى في ذاته وصفاته وعباداته مائلين عن كل الأديان إلى دينه الإسلام، غير مشركين به أي شيء من الشرك أو الشركاء وقوله تعالى : ﴿ومن يشرك بالله﴾ إلهاً آخر فعبده أو صرف له بعض العبادات التي هي لله تعالى فحاله في خسرانه وهلاكه هلاك من خرَّ من السماء أي سقط منها بعدما رفع إليها فتخطفه الطير أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور، أو تهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فلا يعثر عليه أبداً فهو بين أمرين إما اختطاف الطير له أو هوى الريح به فهو خاسر هالك هذا شأن من يشرك بالله تعالى فيعبد معه غيره بعد أن كان في سماء الطهر والصفاء الروحي بسلامة فطرته وطيب نفسه فانتكس في حمأة الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى : ﴿ذلك ومن يعظم شعائر[3] الله فإنها من تقوى[4] القلوب﴾ أي الأمر ذلك من تعظيم حرمات الله واجتناب قول الزور والشرك وبيان خسران المشرك ومن يعظم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر المناسك وبخاصة البدن التي تهدى للحرم وتعظيمها باستحسانها واستسمانها ناشىء عن تقوى القلوب فمن عظمها طاعة لله تعالى وتقرباً إليه دل ذلك

---

(١) الرجس: الشيء القذر، والوثن: التمثال من خشب أو حديد وغيرهما ومن: كونها لابتداء الغاية أولى ليعم الأمر اجتناب كل رجس في اعتقاد أو قول أو عمل إذ كل الأنجاس محرّمة.

(٢) لفظ: حنفاء: من الأضداد يقع على الاستقامة والميل معاً، ومعناها مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن الأديان إلى الإسلام.

(٣) الشعائر: جمع شعيرة: وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر عباده به وأعلمهم، والشعار: العلامة، ومنه شعار الحرب وإشعار: البدنة لتعلم أنها مهداة للحرم، فشعائر الله: أعلام دينه لاسيما المناسك وما يتعلّق بها.

(٤) أضيفت التقوى إلى القلوب لأنّ حقيقة التقوى في القلب، والتقوى من الخوف والخوف في القلب ويشهد لهذا قوله ﷺ: (التقوى ها هنا) وأشار إلى صدره ثلاث مرات .

على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير الى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها[1] ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾[2] أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢ـ تقرير حلِّيَّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها.

٣ـ حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت[3] شهادة الزور الشرك بالله.

٤ـ وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥ـ بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك

٦ـ تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧ـ جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا

(١) في الصحيح أنّ رجلاً يسوق بدنة فقال له النبي ﷺ (اركبها فقال الرجل إنها بدنة قال: اركبها قال: إنها بدنة، وفي الثالثة قال له ﷺ: اركبها ويلك)

(٢) إن كان الهدي في الحج فمحلّه بعد رمي جمرة العقبة ولا ينحر أو يذبح قبله، وإن كان في غير الحج، وإنما هدي مهدى إلى الحرم فمحلّه مكة حيث يطعمه فقراؤها وفقراء الحرم كله.

(٣) وفي الصحيح: (إن أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور..) الحديث.

رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

منسكاً : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

فله أسلموا : أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه.

وبشر المخبتين : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

وجلت قلوبهم : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصّرتْ في طاعته.

والبدن : جمع بدنة وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى.

من شعائر الله : أي من أعلام دينه، ومظاهر عبادته.

صوآف : جمع صافّة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

فإذا وجبت جنوبها : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

القانع والمعتر : القانع[1] السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة.

---

(١) القانع : من الأضداد يطلق على ذي القناعة وعلى من لا قناعة له فهو يسأل، إلاّ أنّ الفعل الماضي لذي القناعة مكسور العين فعل كعلم، وفعل: من لا قناعة له فهو يسأل فعل: بفتح العين كنصح ينصح.

كذلك سخرناها : أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

لعلكم تشكرون : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.

لن ينال الله لحومها : أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

لتكبروا الله على ما هداكم : أي تقولون الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق شكراً له على هدايته اياكم.

وبشر المحسنين : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

معنى الآيات:

ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكاً أي[1] ذبح قربان ليتقربوا به إلينا، وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي شرعنا لهم عبادة ذبح القربان لحكمة: وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر. وقوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد ﴿فله أسلموا﴾ وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد ﷺ ﴿وبشر المخبتين﴾ برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفاً بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال ﴿الذين اذا ذكر الله﴾ لهم أو بينهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي خافت شعوراً بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون،

---

(١) يقال: نسك ينسك نُسكاً: إذا ذبح ذبح تقرّب لله تعالى، والذبيحة تسمى نسيكة وجمعها: نسك، ومنها قوله تعالى: (أو صدقة أو نسك) والنسك: الطاعة لله، وهي عبادته، ومن ذلك قولهم: تنسّك فلان: أي تعبد فهو ناسك ومتنسك، والمنسك بفتح السين وكسرها موضع العبادة، ومنه مناسك الحج وهي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر كعرفات ومزدلفة ومنى ومكة.

﴿والمقيمي﴾[1] الصلاة أي بأدائها في أوقاتها في بيوت الله مع عباده المؤمنين ومع كامل شرائطها وأركانها وسننها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ مما قل أو كثر ينفقون في مرضاة ربهم شكراً لله على ما آتاهم وتسليماً بما شرع لهم وفرض عليهم.

وقوله تعالى: ﴿والبدن[2] جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي الإبل والبقر مما يُهدى إلى الحرم جعلنا ذلكم من شعائر ديننا ومظاهر عبادتنا، ﴿لكم فيها خير﴾ عظيم وأجر كبير عند ربكم يوم تلقوه إذ ما تقرب متقرب يوم عيد الأضحى بأفضل من دم يهرقه في سبيل الله وعليه ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي قولوا بسم الله والله أكبر عند نحرها، وقوله: ﴿صواف﴾[3] أي قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى، فإذا نحرتموها ووجبت أي سقطت على جنوبها فوق الأرض ميتة ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾[4] الذي يسألكم ﴿والمعتر﴾ الذي يتعرض لكم ولا يسألكم حياءاً، وقوله تعالى: ﴿سخرناها لكم﴾ أي مثل ذلك التسخير الذي سخرناها لكم فتركبوا وتحلبوا وتذبحوا وتأكلوا سخرناها لكم من أجل أن تشكرونا بالطاعة والذكر. وقوله تعالى في آخر آية في هذا السياق وهي (٣٧) قوله: ﴿لن ينال[5] الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي لن يرفع إليه لحم ولا دم ولن يبلغ الرضا منه، ولكن التقوى بالإخلاص وفعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه هذا الذي يرفع إليه ويبلغ مبلغ الرضا منه.

---

(١) قرأ الجمهور: بكسر التاء من الصلاة على الإضافة، وقرأ أبو عمرو: (الصلاةَ) بفتحها على توهم النون، وأنّ حذفها كان للتخفيف لطول الاسم. وأنشد سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نَطَف

النطف: التلطخ بالعيب والاتهام بريبة أو فجور.

(٢) البدن: بضم الباء والدال، والبُدن: بضم الباء وإسكان الدال لغة فصيحة وقرأ الجمهور: (والبدن) بإسكان الدال واحدها بدنة كثمرة وثمر، وخشبة وخشب وسميت بدنة لأنها تبدن، والبدانة: السمن، وتطلق على البقر على الصحيح فمن نذرها أجزأته البقرة، وهي كالبعير تجزىء عن سبعة في هدي التمتع والقران.

(٣) أصل هذا اللفظ مأخوذ من صفن الفرس إذا وقف على ثلاثة أرجل، ورفع الرابعة ومنها: تنحر الإبل بعد أن توقف على ثلاثة وتعقد اليد اليسرى منها، وقرىء (صوافي) و(صواف) من الصفاء الذي هو الخلوص لله تعالى أي: خالصة له عز وجل.

(٤) القانع: اسم فاعل من قنع يقنع فهو قانع: إذا سأل وتذلل في السؤال: أما القانع بمعنى: ذي القناعة ففعله قنع بكسر النون قناعة: إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل قال مالك: أحسن ما سمعت أنّ القانع: الفقير، والمعتر، الزائر وهو موافق في المعنى لما تقدم، ويؤيد هذا قراءة الحسن: (والمعتري) وهو الذي يتعرض لك ويأتيك بدون علم منك.

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لن يصعد إليه. أي اللحم والدم، ولكن الذي يصل إليه التقوى منكم وما أريد به وجهه.

وقوله تعالى: ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أي كذلك التسخير الذي سخرها لكم لعلّة أن تكبروا الله على ما هداكم إليه من الإيمان والإسلام فتكبروا الله عند نحر البدن وذبح الذبائح وعند أداء المناسك وعقب الصلوات الخمس أيام التشريق. وقوله تعالى: ﴿وبشر المحسنين﴾ أمر الله تعالى رسوله والمبلغ عنه محمداً ﷺ أن يبشر باسمه المحسنين الذين أحسنوا الإيمان والإسلام فوحدوا الله وعبدوه بما شرع وعلى نحو ما شرع متبعين في ذلك هدى رسوله وسنة نبيه ﷺ.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع.

وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر.

٢- تعريف المخبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم.

٣- وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام.

٤- بيان كيفية نحر البدن، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها.

٥- الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها.

٦- وجوب شكر الله على كل إنعام.

٧- مشروعية التكبير عند أداء المناسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس أيام التشريق.

٨- فضيلة الإحسان وفوز المحسنين ببشرى على لسان رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

يدافع : قُرِىء يدفع أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين.

خوان : كثير الخيانة لأمانته وعهوده.

كفور : أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه.

بأنهم ظلموا : أي بسبب ظلم المشركين لهم.

بغير حق : أي استوجب إخراجهم من ديارهم.

إلا أن يقولوا ربنا الله : أي الا قولهم: ربنا الله والله حق، وهل قول الحق يُسَوغ إخراج قائله؟

صوامع وبيع : معابد الرهبان وكنائس النصارى.

وصلوات : معابد اليهود، باللغة العبرية مفردهاصلوثا.

ومساجد : أي بيوت الصلاة للمسلمين.

من ينصره : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين.

قوي عزيز : قادر على ما يريد عزيز لا يمانع فيما يريد.

إن مكناهم في الأرض:أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد بأن جعلنا السلطة بأيديهم.

ولله عاقبة الأمور : أي آخر مور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويعاقب.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم قوله تعالى: ﴿إنّ[1] الله يدافع عن[2] الذين آمنوا﴾ أي يدفع عنهم غوائل المشركين ويحميهم من كيدهم ومكرهم. وقوله: ﴿إن الله لا يحب كل خوّان[3] كفور﴾ تعليل وهم المشركين الذين صدوا رسول الله والمؤمنين عن المسجد الحرام وهم الخائنون لأماناتهم وعهودهم الكافرون بربهم ورسوله وكتابه وبما جاء به، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم، وليس لهم. ومقابله أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه، ومن أحبَّهُ ودافع عنه وحماه من أعدائه.

وقوله تعالى: ﴿أُذن للذين يقاتلون﴾ باسم للفاعل أي القادرين على القتال ويقاتلون باسم المفعول وهما قراءتان أي قاتلهم المشركون هؤلاء أَذِن[4] الله تعالى لهم في قتال أعدائهم المشركين بعدما كانوا ممنوعين من ذلك لحكمة يعلمها ربهم، وهذه أول آية في القرآن تحمل طابع الحرب بالإذن فيه للمؤمنين، وقوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ طمأنهم على أنه معهم بتأييده ونصره وهو القدير على ذلك وقوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ أي بدون موجب لإخراجهم اللهم إلا قولهم[5]: ربنا الله وهذا حق وليس بموجب لإخراجهم من ديارهم وطردهم من منازلهم وبلادهم هذه الجملة بيان لمقتضى الإذن لهم بالقتال، ونصرة الله تعالى لهم. وقوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض[6]﴾ أي يدفع بأهل الحق أهل الباطل لولا هذا لتغلب أهل الباطل﴿ لهدمت

(١) روي أن هذه الآية: (إن الله يدافع..) نزلت بسبب أن المؤمنين بمكة لما كثر اضطهاد المشركين لهم فكّر بعضهم في اغتيال الكفار، والاحتيال عليهم والغدر بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله: (كفور).

(٢) قرأ الجمهور: (يدافع) وقرأ بعضهم: (يدفع).

(٣) الخوّان: كثير الخيانة، وهي الغدر، والغدر من شر الصفات، فقد صحّ (أن الله تعالى ينصب يوم القيامة للغادر لواء عند استه بقدر غدرته: يقال هذه غدرة فلان بن فلان)!!

(٤) هذه الآية نزلتْ بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إليها وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأوّل فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم.

(٥) قوله: (إلّا أن قالوا ربنا الله..) الاستثناء منقطع أي: لكن لقولهم ربنا الله أي: وحده لا ربّ لنا سواه استمرّت مدة السلم ثلاث عشرة سنة، وفي السنة الأولى من الهجرة أذن الله تعالى للمؤمنين بقتال المشركين إذ قد أعذر الله تعالى إليهم.

(٦) في الآية دليل على أنّ أمر الجهاد متقدم في الأمم قبل هذه الأمّة وبه صلحت الشرائع وعبد الناس ربّهم، واستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم.

صوامع وبيع[1] وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ وهذا تعليل أيضاً وبيان لحكمة الأمر بالقتال أي لولا أن الله تعالى يدفع بأهل الإيمان أهل الكفر لتغلب أهل الكفر وهدموا المعابد ولم يسمحوا للمؤمنين أن يعبدوا الله ـ وفي شرح الكلمات بيان للمعابد المذكورة فليرجع اليها.

وقوله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي﴾ أي قدير ﴿عزيز﴾ غالب فمن أراد نصرتة نَصَرهُ ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجل الله بأن يُعبد في الأرض ولا يُعبد معه سواه فذلك وجه نصر الله فليعلم وقوله ﴿الذين إن مكناهم[2]﴾ أي وطأنا لهم في الأرض وملكناهم بعد قهر أعدائهم المشركين فحكموا وسادوا أقاموا الصلاة على الوجه المطلوب منهم، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم، وأمروا بالمعروف أي بالإسلام والدخول فيه وإقامته، ونهوا عن المنكر وهو الشرك والكفر ومعاصِي الله ورسوله هؤلاء الأحقون بنصر الله تعالى لهم لأنهم يقاتلون لنصرة الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى بأن مرد كل أمر إليه تعالى يحكم فيه بما هو الحق والعدل فيثيب على العمل الصالح ويعاقب على العمل الفاسد، وذلك يوم القيامة، وعليه فليراقب الله وليُتق في السر والعلن وليُتوكل عليه، وليُنب إليه، فإن مرد كل أمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

٢ـ كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانة.

٣ـ مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أولياؤه.

٤ـ بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله.

---

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى، وانما يمنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك إذناً بالبقاء على الكفر وهو حرام.

(٢) هذه عامة في هذه الأمة وليست خاصة بالخلفاء الراشدين الأربعة ولا بالصحابة والتابعين بل هي عامة فيمن مكن الله تعالى لهم في الأرض فسوّدهم وحكّمهم وجب عليهم أن يقوموا بفعل ما ذكر في هذه الآية من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ـ بيان أسس الدولة التي ورثّ الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي:
إقام الصلاة ـ إيتاء الزكاة ـ الأمر بالمعروف ـ النهي عن المنكر.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

وإن يكذبوك : أي إن يكذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إذاً فلا تأس إذ لست وحدك المكذب.

وأصحاب مدين : هم قوم شعيب عليه السلام.

وكذب موسى : أي كذبه فرعون وآله الأقباط.

فأمليت للكافرين : أي أمهلتهم فلم أُعجل العقوبة لهم.

ثم أخذتهم : أي بالعذاب المستأصل لهم.

فكيف كان نكير : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعه؟ نعم إذ الإستفهام للتقرير.

فهي خاوية على عروشها : أي ساقطة على سقوفها.

بئر معطلة : أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها.

وقصر مشيد : مرتفع مجصص بالجص.

فإنها لا تعمى الأبصار : أي فانها أي القصة لا تعمى الأبصار فإن الخلل ليس في أبصارهم ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتها الشهوة والتقليد لأهل الجهل والضلال.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد وإن تخللته إرشادات للمؤمنين فإنه لما أُذن للمؤمنين بقتال المشركين بين مقتضيات هذا الإذن وضمن النصرة لهم وأعلم أن عاقبة الأمور إليه لا إلى غيره وسوف يقضي بالحق والعدل بين عباده يوم يلقونه. قال لرسوله ﷺ مسلياً له عن تكذيب المشركين له: ﴿وإن يكذبوك﴾[1] أيها الرسول فيما جئت به من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء يوم القيامة فلا تأس ولا تحزن ﴿فقد كذبت قبلهم﴾ أي قبل مُكذِّبيك من قريش والعرب واليهود ﴿قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكُذِّب موسى﴾ أيضاً مع ما آتيناه من الآيات البينات، وكانت سنتي فيهم أني أمليت لهم أي مددت لهم في الزمن وأرخيت لهم الرسن حتى إذا بلغوا غاية الكفر والعناد والظلم والاستبداد وحقت عليهم كلمة العذاب أخذتهم أخذ العزيز المقتدر ﴿فكيف كان نكير﴾[2] أي انكاري عليهم؟ كان وربّك واقعاً موقعه، وليس المذكورون أخذت فقط.. ﴿فكأين من قرية﴾ عظيمة غانية برجالها ومالها وسلطانها ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ أي ضالعة في الظلم أي الشرك والتكذيب ﴿فهي خاوية على عروشها﴾[3] أي ساقطة على سقوفها، وكم من بئر ماء[4] عذب كانت سقيا لهم فهي الآن معطلة، وكم من قصر مشيد أي رفيع مشيد بالجص إذ

(١) الآية في تسلية الرسول ﷺ وتعزيته من جرّاء ما يلاقي من قومه من أنواع التكذيب والعناد والجحود.

(٢) أي: تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك. والإنكار والنكير: تغيير المنكر.

(٣) العروش: جمع عرش وهو السقف والمعنى: إنّ جدرانها فوق سقفها.

(٤) قرأ نافع: (وبير) بدون همزة تخفيفاً.

مات أهله وتركوه[1] هذا ما تضمنته الآيات الأربع (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) أما الآية الأخيرة من هذا السياق فالحق عز وجل يقول[2] ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ حاثاً المكذبين من كفار قريش والعرب على السير في البلاد ليقفوا على آثار الهالكين فلعل ذلك يكسبهم حياة جديدة في تفكيرهم ونظرهم فتكون لهم قلوب حية واعية يعقلون بها خطابنا إليهم ونحن ندعوهم إلى نجاتهم وسعادتهم أو تكون لهم آذان يسمعون بها نداء النصح والخير الذي نوجهه إليهم بواسطة كتابنا ورسولنا، ومالهم من عيون مبصرة بدون قلوب واعية وآذان صاغية فإن ذلك غير نافع[3] ﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في[4] الصدور﴾. وهذا حاصل القول ألا فليسيروا لعلهم يكسبون عبراً وعظات تحيي قلوبهم وسائر حواسهم المتبلدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية، وظلمات القلب الناشئة عن الشرك والمعاصي.

٢- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال لهم والإعذار.

٣- مشروعية طلب العبر وتصيدها من آثار الهالكين.

٤- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد. ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله.

---

(١) (وقصر مشيد) أي: مبني بالشيد وهو الجص أي: مثلها معطّل.

(٢) الاستفهام للتعجيب من حالهم وهم في غيهم وجهلهم.

(٣) (فإنها..) أي: الحال أو القصة لا تعمى الأبصار: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما نزلت: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) سأل ابن أم مكتوم النبي ﷺ قائلا: أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت هذه الآية: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الآية صريحة في أنّ العقل في القلب، ولا منافاة بين من يرى ذلك في المخ إذ ارتباط كبير بين المخ والقلب في حصول الوعي والإدراك للإنسان.

(٤) ذكر الصدور ظرفاً للقلوب للتأكيد إذا القلوب لا تكون إلاّ في الصدور فهو كقوله تعالى: (ولا طائر يطير بجناحيه..) (وكقولهم رأيت بعيني).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

يستعجلونك بالعذاب : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذّرتهم منه من عذاب الله.

كألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة.

وكأين من قرية : أي وكثير من القرى أي العواصم والحواضر الجامعة لكل أسباب الحضارة.

أمليت لها : أي أمهلتها فمدّدت أيام حياتها ولم استعجلها بالعذاب.

نذير مبين : منذر أي مخوِّف عاقبة الكفر والظلم بيِّنُ النذارة.

لهم مغفرة ورزق كريم: أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة.

سعوا في آياتنا معاجزين: أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا وما تحمله من دعوة الى التوحيد وترك الشرك والمعاصي.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في إرشاد الرسول ﷺ وتوجيهه في دعوته إلى الصبر والتحمل فيقول له:[1] ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ أي يستعجلك المشركون من قومك بالعذاب الذي خوفتهم به وحذرتهم منه، ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ وقد وعدهم فهو واقع بهم لا بد وقد

(١) قيل: نزلت في النضر بن الحارث ورفقائه إذ كانوا يستعجلون العذاب ويطالبون رسول الله ﷺ بإنزاله تحدّياً منهم وعناداً، وفيهم نزل: (سأل سائل بعذاب واقع). (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق...) الآية.

تم ذلك في بدر وقوله تعالى : ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوماً معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة، ونصف يوم بخمسمائة سنة، وربع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطىء، والله عز وجل ينجز وعده في الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذاالمعنى قوله تعالى : ﴿ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى : ﴿وكأين من قرية﴾ أي مدينة كبرى ﴿أمليت لها﴾ أي أمهلتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال أخذتها ﴿وإليّ المصير﴾ أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لإستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس[1] إنما أنا لكم نذير مبين﴾، فلست بإله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم إن أطعتموني، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه، وابشر أهل طاعته برحمته، وهو معنى الآية (٥٠)[3] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين[2]﴾ أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدي ونور معاجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الآبدين.

---

(١) النداء لأهل مكة خاصة وللبشرية عامة إذ هو ﷺ رسول الله إلى الناس كافة والنذير : المخوف عقوبة الشركة والشر والفساد.

(٢) أي : ظانين أنهم يعجزوننا فلم نقو عليهم ولم نقدر على أخذهم لأنهم مكذّبون بالبعث الآخر وما فيه من حساب وجزاء على الكسب في هذه الدنيا.

(٣) ومما يزيد تفسير هذه الآية وضوحاً قوله ﷺ : (مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق).

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر.

٢- ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السلفي.

٣- عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية.

٤- بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير.

٥- بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

من رسول ولا نبي : الرسول ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بابلاغه. والنبي مقرر لشرع من قبله.

تمنى في أمنيته : أي قرأ في أمنيته، أي في قراءته.

ثم يُحكم الله آياته : أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة بحُكم الله آياته أي يثبتها.

فتنة للذين في قلوبهم مرض: أي اختباراً للذين في قلوبهم مرض الشرك والشك.

والقاسية قلوبهم : هم المشركون.

فتخبت له قلوبهم : أي تتطامن وتخشع له قلوبهم.

في مرية منه : أي في شك منه وريب من القرآن.

عذاب يوم عقيم : هو عذاب يوم بدر إذ كان يوماً عقيماً لا خير فيه.

في جنات النعيم : أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه.

فلهم عذاب مهين : أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جثماني نفساني.

معنى الآيات :

بعد التسلية الأولى للنبي ﷺ التي تضمنها قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح.. الخ﴾ ذكر تعالى تسلية ثانية وهي أنه ﷺ كان يقرأ حول الكعبة في صلاته سورة النجم والمشركون حول الكعبة يسمعون فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في مسامع المشركين الكلمات التالية: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن النبي ﷺ قرأها وأن الله أنزلها فلما سجد في آخر السورة سجدوا معه إلا رجلاً[1] كبيراً لم يقدر على السجود فأخذ حثية من تراب وسجد عليها وشاع أن محمداً قد اصطلح مع قومه حتى رجع المهاجرون من الحبشة فكرب لذلك رسول الله وحزن فأنزل الله تعالى هذه

---

(١) هذا الرجل، روى البخاري أنه أمية بن خلف، وقيل هو أبو احيحة سعيد بن العاص وقيل: هو الوليد بن المغيرة. والله أعلم بأيهم كان.

الآية تسلية له فقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾[1] ذي رسالة يبلغها ولا نبيّ مقرر لرسـالـة نبي قبله ﴿ إلا إذا تمنى﴾ أي قرأ ﴿ألقى للشيطان في أمنيته﴾[2] أي في قراءته ﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل ويبطل ﴿ما يلقي الشيطان﴾[3] من كلمات في أسماع الكافرين أوليائه ﴿ثم يُحكم الله آياته﴾ بعد إزالة ما قاله الشيطان فيثبتها فلا تقبل زيادة ولانقصانا، والله عليم بخلقه وأحوالهم وأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك حكيم في تدبيره وشرعه هذه سنته تعالى في رسله وأنبيائه. فلا تأس يا رسول الله ولا تحزن ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنـة فقال: ﴿ليجعل ما يلقى للشياطن﴾ أي من كلمات في قراءة النبي أو الـرسـول ﴿فتنـة للذين في قلوبهم مرض﴾ الشـك والنفـاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ وهـم المشركون ومعنى فتنة هنا محنة يزدادون بها ضلالاً على ضلالهم وبُعداً عن الحق فوق بعـدهم إذ ما يلقى الشـيطان فـي أسـماع أوليائه إلا للفتنة أي زيادة في الكفر والضلال. وقوله تعالى: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله، بعيدون فيما يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه، وما يتصورونه مخالف تمام المخالفة لما يأمر تعالى به ويدعوهم إليه من الاعتقاد والقول والعمل والتصور والإدارك. وقوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أُوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ هذا جزء العلة التي تضمنتها سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي فالجزء الأول تضمنه قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ وهذا هو الجزء الثاني أي ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وآياته وتدبيره ﴿ أنه الحق من ربك﴾ أي ذلك الإلقاء والنسـخ وإحكـام

---

(١) في هذه الآية دليل على ان هناك فرقاً بين النبي والرسول لذكر الرسول في الآية ثم النبي: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن كل رسول نبي إذ لا يرسل حتى يوحى إليه وينبّأ وليس كل نبي رسولاً إذ ينبئه الله تعالى بما شاء ولا يرسله، وجاء في حديث ابـي ذر (إنّ عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ وأن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي جمّ غفير).

(٢) قال سليمان بن حرب إنّ (في) هنا هي بمعنى عند أي: ألقى الشيطان عند قراءته ألقى في قلوب المشركين. ولـ(في) بمعنى عند نظير هو قوله تعالى (ولبثت فينا سنين) أي: عندنا.

(٣) ما روي من خبر في قصة الغرانيق كله ضعيف ولم يثبت فيها حديث صحيح قط، والذي ثبت في الصحيح هو قراءة الرسول ﷺ لسورة النجم وسجوده وسجود المشركين معه والذي عصم منه ﷺ وهو المعصوم أن ينطق بكلمة: تلك الغرانيق العلا.. الخ وإنما نطق بها الشيطان وأسمعها المشركين للفتنة كما في التفسير المثبت فيه راي ابن جرير إمام المفسّرين رحمه الله تعالى.

الآيات بعده ﴿فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾[1] أي تطمئن وتسكن عنده وتخشع فيزدادون هدى. وقوله تعالى: ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾[2] هذا إخبار منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقين له وأنه هاديهم في حياتهم وفي كل أحوالهم إلى صراط مستقيم يفضي بهم إلى رضاه وجنته، وذلك بحمايتهم من الشيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿ولايزال الذين كفروا في مرية منه﴾[3] أي من القرآن هل هو كلام الله هل هو حق هل اتباعه نافع وتستمر هذه المرية والشك بأولئك القساة القلوب أصحاب الشقاق البعيد ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة وهي القيامة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾[4] أي لا خير فيه لهم وهو يوم بدر وقد تم لهم ذلك وعندها زالت ريبتهم وعلموا انه الحق حيث لا ينفع العلم.

وقوله تعالى: ﴿الملك[5] يومئذ لله﴾ أي يوم تأتي الساعة يتمحض الملك لله وحده فلا يملك معه أحد فهو الحاكم العدل الحق يحكم بين عباده بما ذكر في الآية وهو أن الذين آمنوا به وبرسوله وبما جاء به وعملوا الصالحات من فرائض ونوافل بعد تخليهم عن الشرك والمعاصي يدخلهم جنات النعيم، والذين كفروا به وبرسوله وبما جاء به، وكذبوا بآيات الله المتضمنة شرائعه وبيان طاعاته فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعملوا العكس وهو السيئات فأولئك البعداء في الحطة والخسة لهم عذاب مهين يكسر أنوفهم ذلة لهم ومهانة لأنفسهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة.

٢ـ بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً

---

(١) قوله تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم) جائز أن يكونوا من المؤمنين ومن أهل الكتاب.

(٢) ومثبتهم على الهداية.

(٣) ومن الدين ومن كل ما جاء به النبي ﷺ.

(٤) وعذاب يوم القيامة عذاب عظيم باعتبار أنه يوم لا ليلة له فهذا وجه العقم لأنّ العقيم هو الذي لا يخلّف ولداً، ولما ذكر عذاب يوم القيامة تعيّن أن يكون هو يوم بدر ومعنى عقمه: أنه لا خير فيه للمشركين ولم يحصلوا منه على فائدة.

(٥) قالوا: الملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، وقيل في الآية إشارة إلى يوم بدر وهو بعيد ولا داعي إليه، ودلالة الآية تنفيه.

وأعظم هدىً.

٣- بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي.

٤- ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ريبهم حتى هلكوا في بدر.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات:

والذين هاجروا	: أي هجروا ديار الكفر وذهبوا الى دار الإيمان المدينة المنورة.
في سبيل الله	: أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله وينصروا دينه وأولياءه.
ليرزقنهم رزقاً حسناً	: أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة.

ليدخلنهم مدخلا يرضونه : أي الجنة يوم القيامة.
ذلـــك : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه.
ثم بغي عليه : أي ظُلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به.
يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل.
بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه.
من دونه : أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الله تعالى بين عباده فذكر تعالى ما حكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حكم به لأهل الكفر والتكذيب، وذكر هنا ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد فقال عز وجل: ﴿والذين هاجروا[1] في سبيل الله﴾ أي خرجوا من ديارهم لأجل طاعة الله ونصرة دينه ﴿ثم قتلوا﴾ من قِبل أعداء الله المشركين ﴿أو ماتوا﴾ حتف أنوفهم بدون قتل ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ﴿ ليدخلنهم﴾ يوم القيامة ﴿مدخلاً[2] يرضونه﴾ وهو الجنة، وقوله تعالى: ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أي لخير من يرزق فما رزقهم به هو خير رزق وأطيبه وأوسعه. وقوله: ﴿وإن الله لعليم حليم﴾ عليم بعباده وبأعمالهم الظاهرة والباطنة حليم يعفو ويصفح عن بعض زلات عباده المؤمنين فيغفرها ويسترها عليهم إذ لا يخلو العبد من ذنب الا من عصمهم الله من أنبيائه ورسله.

---

(١) قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهما إذ ماتا بالمدينة مريضين فقال بعض الناس: من مات في سبيل الله افضل ممن مات حتف أنفه. كانه يعني عثمان وعبدالله فنزلت هذه الآية مسوّية بين المجاهد والمهاجر، ومن شواهد فضل المهاجر ما روي: أن فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ كان برودس أميراً على الارباع فجيء بجنازتي رجلين احدهما قتل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حضرته فقال: اراكم أيها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرأوا قول الله تعالى: (والذين هاجروا..) الآية.

(٢) قرأ نافع: (مدخلا) بفتح الميم على انه اسم مكان من دخل المجرّد، وقرا غيره مُدخلا بضم الميم: اسم مكان أيضاً من أدخله يدخله الرباعي مدخلا.

وقوله تعالى : ﴿ذلك ومن عاقب[1]﴾ أي الأمر ذلك الذي بينت لكم، ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي ومن أخذ من ظالمه بقدرما أخذ منه قصاصاً، ثم المعاقب ظلم بعد ذلك من عاقبه فإن المظلوم أولاً وآخراً تعهد الله تعالى بنصره، وقوله: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه فإن العفو خير من المعاقبة وهذا كقوله تعالى[2] ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾. وقوله: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل والنهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير﴾ أي أن القادر على ادخال الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذ جاء أحدهما غاب الآخر، وإذا قصر أحدهما طال الآخر والسميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم قادر على نصرة من بُغي عليه من أوليائه. وقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي المعبود الحق المستحق للعبادة، وإن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرة أوليائه كان لأن الله هو الإله الحق وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو الباطل، وأن الله هو العلى على خلقه القاهر لهم المتكبر عليهم الكبير العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل[3] الجهاد في سبيل الله.

٢ـ جواز المعاقبة بشرط المماثلة، والعفو أولى من المعاقبة.

٣ـ بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره.

٤ـ إثبات صفات الله تعالى: العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عبادة من سواه.

---

(١) ذلك: في محل رفع على الخبرية، والمبتدأ مقدّر كما في التفسير. أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك والآية نزلت في حادثة خاصة قاتل فيها المسلمون في الشهر الحرام فحزنوا لذلك، وكان قتالهم اضطرارياً لأنّ المشركين هم البادئون.

(٢) الآية من سورة الشورى.

(٣) والرباط: كالهجرة، والجهاد، فقد روي عن سلمان الفارسي أنه مرّ برجال مرابطين على حصن ببلاد الروم. وطال حصارهم للحصن، وإقامتهم عليه فقال لهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات مرابطاً اجرى الله تعالى عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين) واقرأوا إن شئتم: ﴿والذين هاجروا﴾ الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

شرح الكلمات :

ألم تر : أي ألم تعلم.

مخضرة : أي بالعشب والكلأ والنبات.

الغني الحميد : الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه.

سخر لكم ما في الأرض : أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به.

أحياكم : أي أوجدكم احياء بعدما كنتم عدما.

لكفور : أي كثير الكفر والجحود لربّه ونعمه عليه.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة قال تعالى : ﴿ألم تر﴾[1] يا رسولنا ﴿أن الله أنزل من[2] السماء ماءاً﴾ أي مطراً فتصبح الأرض بعد

---

(١) ﴿ألم تر﴾ الخطاب صالح لكل متأهل للرؤية من ذوي العقول، والاستفهام للحض على الرؤية فهو كالأمر والفاء للتفريع إذ يتفرّع عن نزول المطر: صيرورة الأرض مخضرّة بالنبات.

(٢) هذا انتقال إلى التذكير بمظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وشكره بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بعد الإيمان به حق الإيمان وتصديقه بكل ما جاء به ويدعو إليه.

نزول المطر عليها مخضرة بالعشب والنباتات والزروع، وقوله: ﴿إن الله لطيف﴾[1] بعباده ﴿خبير﴾ بما يصلحهم ويضرهم وينفعهم.

وقوله: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ أي المحمود في الأرض والسماء بجميل صنعه وعظيم إنعامه وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم[2] ما في الأرض﴾ من الدواب والبهائم على اختلافها ﴿والفلك﴾ أي وسخر لكم الفلك أي السفن ﴿تجري في البحر بأمره﴾ أي بإذنه وتسخيره، ﴿ويمسك السماء[3] أن تقع على الأرض﴾ أي كيلا تقع على الأرض ﴿إلا بإذنه﴾ أي لا تقع إلا إذا أذن لها في ذلك وقوله: ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ من مظاهر رأفته ورحمته بهم تلك الرحمة المتجلية في كل جانب من جوانب حياتهم في حملهم في ارضاعهم في غذائهم في نومهم في يقظتهم في تحصيل أرزاقهم في عفوه عن زلاتهم في عدم تعجيل العقوبة لهم بعد استحقاقهم لها في إرسال الرسل في إنزال الكتب فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقوله تعالى: ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بالإنشاء والإيجاد من العدم، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ ويبعثكم ليجزيكم بكسبكم كل هذه النعم يكفرها الإنسان فيترك ذكر ربه وشكره ويذكر غيره ويشكر سواه، فهذه المظاهر لقدرة الرب وعلمه وحكمته وتلك الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة توجب الإيمان بالله وتحتم عبادته وتوحيده وذكره وشكره، وتجعل عبادة غيره سُخفاً وضلالاً عقلياً لا يُقادر قدره ولا يُعرف مداه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة.

٢- إثبات صفات الله تعالى: اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت.

---

(١) لطيف في تدبيره للخلقة خبير في صنعه.. وهاتان الصفتان متجليتان في تدبيره تعالى للكون وصنعه فيه.

(٢) التسخير: معناه: التذليل للشيء حتى يصبح طوع المسخّر له وهو هنا بمعناه، ويعني: تسهيل الانتفاع فيما هو خارج عن قدرة الإنسان بإرسال الرياح ونزول الأمطار.

(٣) وجائز أن يراد بالسماء: ماؤها أي: المطر كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

٣ـ بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه.

٤ـ مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض، وفي الإحياء والأماتة والبعث.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

شـرح الكلـمات :

جعلنا منسـكاً : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها.

فلا ينازعنك : أي لا ينبغي أن ينازعوك.

هدىً مستقيم : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق.

في كتـاب : هو اللوح المحفوظ.

ما لم ينزل به سلطاناً : أي حجة وبرهاناً.

المنكـر : أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيبه.

يسطون : يبطشـون.

بشر من ذلكم : هـو النـار.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في بيان هداية الله تعالى لرسوله والمؤمنين ودعوة المشركين الى ذلك قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً[1]﴾ أي ولكل أمة من الأمم التي مضت والحاضرة أيضاً جعلنا لهم منسكاً أي مكاناً يتنسكون فيه ويتعبدون ﴿هم ناسكوه[2]﴾ أي الآن، فلا تلتفت إلى ما يقـولـه هؤلاء المشـركون، ولا تقبل منهم منازعة في أمر واضح لا يقبل الجدل، وذلك أن المشركين انتقدوا ذبائح الهدى والضحايا أيام التشريق، واعترضوا على تحريم الميتة وقالوا كيف تأكلونهما تذبحون ولا تأكلون ما ذبح الله بيمينه وقوله تعالى لرسوله: ﴿وادع إلى ربك﴾ أي أعرض عن هذا الجدل الفارغ وادع إلى توحيد ربك وعبادته ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أي طريق قاصد هاد إلى الإسعاد والاكمال وهو الإسـلام وقـولـه: ﴿وإن جادلـوك[3]﴾ في بيان بعض المنـاسـك والنسك فاتركهم فإنهم جهلة لا يعلمون وقل: ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ أي وسيجزيكم بذلك حسنة وسيئة ﴿والله يحكم بينكم﴾ أي يقضي بينكم أيهـا المشـركـون فيما كنتم فيه تختلفون وعندها تعرفون المحق من المبطل منا وذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم[4] ما في السـماء والأرض﴾ بلى إن الله يعلم كل ما في السموات والأرض من جليل ودقيق وجليّ وخفي وكيف لا وهو اللطيف الخبير. ﴿إن ذلـك في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ فكيف يجهل أو ينسى، و﴿ إن ذلك﴾ أي كتبه

---

(١) سبق مثل هذا النزاع بين المؤمنين والمشركين في التذكية عند قول الله تعالى من سورة الأنعام: (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله تعالى: (فلا ينازعنك) معناه: أترك منازعتهم وأعرض عنهم ولا تلتفت إليهم.

(٢) سبق مثل هذه الآية في أوّل السـورة وهو دال على أنّه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع عقلا ولا تنتقض.

(٣) في الآية الكريمة أسلوب المتاركة إذا لم تنفع المجادلة لعدم استعداد الخصم لقبول الحق أو تعذر معرفته له.

(٤) الاستفهام تقريري بالنسبة للرسول ﷺ والجملة تحمل التسلية له ﷺ والتخفيف مما يلاقي من جدال المشركين وعنادهم.

وحفظه في كتاب المقادير ﴿على الله يسير﴾[1] أي هين سهل، لأنه تعالى على كل شيء قدير. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي ويعبد أولئك المشركون المجادلون في بعض المناسك أصناماً لم ينزل الله تعالى في جواز عبادتها حُجَّة ولا برهاناً بل ماهوإلا إفك افتروه، ليس لهم به علم ولا لآبائهم، وسوف يحاسبون على هذا الإفك ويجزون به في ساعة لا يجدون فيها ولياً ولا نصيراً إذ هم ظالمون بشركهم بالله آلهة مفتراة ويوم القيامة ما للظالمين من نصير. هذا ما دلت عليه الآية (٧١) وأما قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يخبر تعالى عن أولئك المشركين المجادلين بالباطل أنهم إذا قرأ عليهم أحد المؤمنين آيات الله وهي بينات في مدلولها تهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿تعرف﴾ يارسولنا ﴿في وجوه الذين كفروا المنكر﴾[2] أي تتغيّر وجوههم ويظهر عليها الإنكار على التالي عليهم الآيات ﴿يكـادون يسـطون﴾[3] أي يبطشون ويقعون بمن يتلون عليهم آيات الله لهدايتهم واصلاحهم.

وقوله تعالى: ﴿قل أفأُنبئكمْ[4] بِشرٍ من ذلكم﴾ أي قل لهم يا رسولنا أفأنبئكم بشر من ذلك الذي تكرهون وهو من يتلون عليكم آيات الله أنه النار التى وعدها الله الذين كفروا أي من أمثالكم، وبئس المصير تصيرون إليه النار إن لم تتوبوا من شرككم وكفركم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبده بها.

٢ـ استحسان ترك الجدال في البدهيات والإعراض عن ما فيها.

٣ـ تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض.

---

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير إذ هو تعالى لا يعجزه شيء، ويقول للشيء كن فيكون.

(٢) أي: الغضب والعبوس.

(٣) السطو: شدّة البطش يقال: سطا به يسطو: إذا بطش وسواء كان ذلك بسب وشتم أو ضرب، وسطا عليه: إذا علاه ضرباً وشتماً.

(٤) (أفأنبئكم) الهمزة داخلة على محذوف أي: أتكرهون سماع القرآن ومن يقرأه فانا أنبّئكم بشر من ذلك الذي تأذّيتم به وكرهتموه؟ وقوله: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنهم قالوا: نبّئنا فقال: النار.. الخ.

٤ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ.
٥ـ بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكروهم بالآيات.
٦ـ مشروعية إغاظة الظالم بما يغيظه من القول الحق.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

ضرب مثل : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون . . .﴾ الخ.

لن يخلقوا ذباباً : أي لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الحيوانات تتخلق من العفونات.

ولو اجتمعوا : أي على خلقه فإنهم لا يقدرون، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز.

لا يستنقذوه منه : أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم

ضعف الطالب والمطلوب : أي العابد والمعبود.

ما قدروا الله حق قدره : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته.

يصطفي من الملائكة رسلاً : أي يجتبي ويختار كجبريل.

ومن الناس : كمحمد صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين يقول تعالى : ﴿يا أيها الناس ضربَ[1] مثل فاستمعوا له﴾ أي يا أيها المشركون بالله آلهة أصناماً ضرب لآلهتكم في حقارتها وضعفها وقلة نفعها مثل رائع فاستمعوا له. وبينه بقوله: ﴿إن الذين تدعـون من دون الله﴾من أوثان وأصنام﴿لن يخلقوا ذباباً﴾[2] وهو أحقر حيوان وأخبثه أي اجتمعوا واتحدوا متعاونين على خلقه، أو لم يجتمعوا له فإنهم لا يقدرون على خلقه وشيء آخر وهو إن يسلب الذباب الحقير شيئاً من طيب آلهتكم التي تضمّخونها به، لا تستطيع آلهتكم أن تسترده منه فما أضعفها إذاً وما أحقرها إذا كان الذباب أقدر منها وأعز وأمنع .

وقـولـه تعـالى : ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾[3] أي ضعف الصنم والذباب معاً كما ضعف العابد المشرك والمعبود الصنم ﴿إن الله لقويٌّ عزيز﴾ أي قوي قادر على كل شيء عزيز غالب لا يمانع في أمر يريده فكيف ساغ للمشركين أن يؤلهوا غيره ويعبدونه معه ويجعلونـه له مثلاً. هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٧٣) والثانية (٧٤) وقوله تعالى: ﴿ الله يصْـطفي[4] من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ هذا رد على المشركين عندما قالوا: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ وقالوا: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ فأخبر تعالى أنه يصطفي أي يختار من الملائكة رسلاً كما اختار جبرائيل وميكائيل، ومن الناس كما اختار نوحاً وإبراهيم ومـوسى وعيسى ومحمدا ﷺ، ﴿إن الله سميع[5]﴾ لأقوال عباده طيبها وخبيثها ﴿بصير﴾ بأعمالهم صالحها وفاسدها وعلمه بخلقه وبصره بأحوالهم وحاجاتهم اقتضى أن

---

(١) ضرب المثل: هو ذكره وبيانه، واستعير الضرب للقول والذكر تشبيها بوضع الشيء بشدّة، وهو تعبير شائع في اللغة العربية، والمثل هنا تشبيه تمثيلي، إذهو تشبيه أصنامهم في عجزها وحقارتها بالذباب في عجزه وحقارته،وضمنه الإنكار الشديد عليهم في تشبيه أصنامهم بالله عز وجل إذ عبدوها بعبادته وألّهوها تأليهه عز وجل.

(٢) الذباب: اسم واحد للذكر والأنثى والجمع والقليل: أذبة والأكثر ذبان والواحدة ذبابة، ولا يقال ذبّانة بالتشديد وكسر الذال، والمِذَبة: آلة لذب الذّبان وذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

(٣) قيل: الطالب: الآلهة، والمطلوب: الذباب، والعكس صحيح، وجائز أن يكون الطالب: عابد الصنم، والمطلوب: الصنم.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا، والإخبار بجملة يصطفي بدل: نصطفي لإفادة الاختصاص أي: هنا الاصطفاء خاص به تعالى لعظيم علمه وحكمته.

(٥) الجملة تعليلية، وجملة: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، مقرّرة لها وتفيد الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل.

يصطفي منهم رسلاً وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما بين أيدي رسله من الملائكة ومن الناس وما خلفهم ماضياً ومستقبلاً إذ علمه أحاط بكل شيء فلذا حق له أن يختار لرسالاته من يشاء فكيف يصح الإعتراض عليه لولا سفه المشركين وجهالاتهم وقوله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ هذا تقرير لما تضمنته الجملة السابقة من أن الله الحق المطلق في إرسال الرسل من الملائكة أو من الناس ولا إعتراض عليه في ذلك إذ مرد الأمور كلها إليه بدءاً ونهاية إذ هو ربّ كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين.

٣ـ ماقدرالله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزءاً وشبهاً ومثلاً.

٤ـ إثبات الرسالات[1] للملائكة وللناس معاً.

٥ـ ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهي القوة والعزة، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أنّ الله يصطفي من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من يصطفي من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعترضين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

شـرح الكلـمات :

واعبدوا ربكـم : أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل.

وافعلوا الخير : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأقوال والأعمال.

لعلكم تفلحون: أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

حق جهـاده : أي الجهـاد الحق الـذي شرعـه الله تعـالى وأمر به وهو جهاد الكفار والشيطان والنفس والهوى.

اجتبـاكم : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة.

مـن حـرج : أي من ضيق وتكليف لا يطاق.

ملـة أبيـكم : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

وفي هـذا : أي القـرآن.

اعتصموا بالله : أي تمسكوا بدينه وثقوا في نصرته وحسن مثوبته.

ونعم النصير : أي هو تعالى نعم النصير أي الناصر لكم.

معنى الآيـات :

بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، نادى الربّ تبارك وتعالى المسلمين بعنوان الإيمان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمـد رسـولاً وبـالإسلام ديناً، ﴿اركعوا واسجدوا﴾[1] أمرهم بإقام الصلاة ﴿واعبدوا ربكم﴾ أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع ﴿وافعلوا الخير﴾ من كل ما انتدبكم الله إليه ورغبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لتتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار.

---

(١) خصّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربّه وذلته له.

وقوله: ﴿وجاهدوا[1] في الله حق جهاده[2]﴾ أي أمرهم ايضاً بأمر هام وهو جهاد الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعنى حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من استفراغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً ودعوة وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ هذه مِنّة ذكّر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمُم.

وقوله: ﴿ملة أبيكم ابراهيم[3]﴾ أي الزموا ملة أبيكم وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أي الله جل جلاله هو الذي سماهم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن وهو معنى قوله: ﴿هو سماكم[4] المسلمين من قبل وفي هذا﴾ أي القرآن وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي اجتباكم أيها المؤمنون لدينه الإسلامي وسماكم المسلمين ليكون الرسول شهيداً عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم وعليه فاشكروا هذا الإنعام والإكرام لله تعالى ﴿فأقيموا[5] الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ أي تمسكوا بشرعه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاءاً وحكماً، وقوله تعالى: ﴿هو مولاكم﴾ أي سيدكم ومالك أمركم ﴿فنعم المولى﴾ هو سبحانه وتعالى ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم ما دمتم أولياءه تعيشون على الإيمان والتقوى.

---

(١) هذا من ذكر العام بعد الخاص، والعبادة: الطاعة ولكن مع غاية التعظيم والحبّ للمطاع.

(٢) الجهاد هنا: قتال الكفار المعتدين والمانعين لدعوة الله وصد الناس عنها والعلّة فيه إكمال البشر وإسعادهم بالإسلام لله تعالى و(في) في قوله (في الله): تعليلية أي: لأجل الله أي: لإعلاء كلمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

(٣) هذا كقوله تعالى: (فاتقوا الله حق تقاته) فإنه مخصوص بالاستطاعة وقوله بعد: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) مخصّصٌ له أيضاً، ويدخل في الأمر بالجهاد هنا: جهاد النفس والشيطان، وكلمة الحق عند من ينكرها لحديث (كلمة عدل عند سلطان جائر).

(٤) الملّة: الدين والشريعة ونصب: (ملة): بإلزموا ونحوه، والخطاب للعرب إذ إبراهيم أبو العرب المستعربة قاطبة، وهو أيضاً أبو أهل الكتاب وأبّ كل موحد أبوّة تشريف واتباع وتعظيم.

(٥) قوله تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) بعد ذكر المنن إشارة صريحة إلى وجوب شكر الله تعالى على نعمه، وما شكر الله تعالى من لم يقم الصلاة ويؤت الزكاة كما أن من لم يتمسك بدين الله كافر غير شاكر.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير.

٢ـ مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ .

٣ـ فضـل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم .

٤ـ فضيلة هذه الأمـة المسلمـة حيث أعـطيت ثلاثـاً[1] لم يعـطهـا إلا نبي كان يقـال للنبي عليه السلام اذهب فليس عليك حرج فقال الله لهذه الأمة : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكـان يقـال للنبي عليه السـلام أنت شهيد على قومك وقال الله : ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الأمة : ﴿ادعوني استجب لكم﴾ دل على هذا قوله تعالى : ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .

٥ـ فرضية الصلاة ، والزكاة ، والتمسك بالشريعة .

(١) ذكر هذا ابن جرير الطبري رواية عن معمر وقتادة.

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

مكية

وآياتها مائة وثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

شـــرح الكلمـــات :

قد أفلح المؤمنون : أي فاز قطعاً بالنجاة من النار ودخول الجنة المؤمنون.

في صلاتهم خاشعون : أي ساكنون متطامنون لايتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم.

عن اللغو معرضون : اللغو كل ما لا رِضىً فيه لله من قول وعمل وتفكير، معرضون أي منصرفون عنه.

للزكاة فاعلون : أي مؤدون.

لفروجهم حافظون أي صائنون لها عن النظر إليها لايكشفونها وعن إتيان الفاحشة.

أو ما ملكت أيمانهم : من الجواري والسَّراري إن وجدن.

فمن ابتغى وراء ذلك	:	أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعياً.
فأولئك هم العادون	:	أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع.
راعون	:	أي حافظون لأماناتهم وعهودهم.
الفردوس[1]	:	أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[2] يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران معنى الفلاح وهو الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفات من جمعها متصفاً بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها وتلك الصفات هي:

(١) الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة، ودونها أن يطمئن ولا يتلفت برأسه ولا بعينه و لا بقلبه في أكثرها. هذه الصفة تضمنها قوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[3].

(٢) إعراضهم عن اللغو وهو كل قول وعمل وفكر لم يكن فيه لله تعالى إذن به ولا رضى فيه ومعنى إعراضهم عنه: إنصرافهم عنه وعدم التفاتهم إليه، وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾.

(٣) فعلهم الزكاة أي أداؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة كالمواشي والصامتة كالنقدين والحبوب والثمار، وفعلهم لكل مايزكي النفس من الصالحات وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾.

(٤) حفظ فروجهم من كشفها ومن وطء غير الزوج أو الجارية المملوكة بوجه شرعي وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ في إتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم، ولكن اللوم

---

(١) أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال: (فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة).

(٢) روى أحمد والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قوله: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة: (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر.

(٣) كان السلف الصالح إذا قام أحدهم في صلاته يهاب الرحمن أن يمدّ بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا، وأبصر النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) والجمهور على أن الخشوع في الصلاة أحد فرائضها.

والعقوبة على من طلب هذا المطلب من غير زوجه وجاريته ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون المعتدون حيث تجاوزوا ما أحل الله لهم إلى ماحرم عليهم.

(٥) مراعاة الأمانات والعهود بمعنى محافظتهم على ما ائتمنوا عليه من قول أو عمل ومن ذلك سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة فإنه من الأمانة وعلى عهودهم وسائر عقودهم الخاصة والعامة فلا خيانة ولا نكث ولا خُلْف وقد تضمن هذا قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون.

(٦) المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها المحددة لها فلا يقدمونها ولا يؤخرونها مع المحافظة على شروطها من طهارة الخبث وطهارة الحدث وإتمام ركوعها وسجودها واستكمال أكثر سننها وآدابها وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

فهذه ست صفات إجمالاً وسبع صفات تفصيلاً فمن اتصف بها كمل إيمانه وصدق عليه اسم المؤمن وكان من المفلحين الوارثين للفردوس الأعلى جعلنا الله تعالى منهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الخشوع في الصلاة.

٢ - تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع بها ليست زوجة لأنها لا ترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثمن، ولزوجها النصف والربع، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو أكثر أو أقل.

٣ - تحريم العادة السريّة وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة.

٤ - وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات.

٥ - تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

شـرح الكلمـات :

من سلالة : السلالة ما يستل من الشيء والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم .

نطفة في قرار مكين : النطفة قطرة الماء أي المني الذي يفرزه الفحل، والقرار المكين الرحم المصون.

العلقة : الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بأصبعه كمح البيض[1].

والمضغة : قطعة لحم قدر ما يمضغ الأكل .

خلقاً آخر : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنساناً.

أحسن الخالقين : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره فقال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾[2] يعني آدم عليه السلام ﴿من سلالة من طين﴾ أي من خلاصة طين جمعه فأصبح كالحمإ المسنون فاستل منه خلاصته ومنها خلق آدم ونفخ فيه من روحه فكان بشراً سوياً ولله الحمد والمنة

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة: (قد أفلح) فهي من عطف جملة ابتدائية على مثلها: وهي كعطف قصة على أخرى، وهذا شروع في الاستدلال على التوحيد والبعث والجزاء بمظاهر القدرة والعلم والحكمة، وهي مقتضية لعقيدة كل من التوحيد والبعث الآخر حيث أنكرهما وكذّب بهما المشركون.

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم، وأن يكون أحد ذريته إذ السلالة: الشيء المستل أي: المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين.

والمنيّ مستل كذلك من مادة ما يفرزه جهاز الهضم من الغذاء حين يصير دماً، وهذه السلالة مخرجة من الطين لأنها من الأغذية، والأغذية أصلها من الأرض وقوله تعالى: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) هذا طور آخر للخلق وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم، وسميت النطفة نطفة: لأنها تنطف أي: تقطر في الرحم في قناة معروفة وهي القرار المكين.

قولـه: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أي ثم جعلنا الإنسان الذي هو ولد آدم نطفة من صُلْب آدم ﴿في قرار مكين﴾ هو رحم حواء ﴿ثم خلقنا النطفة﴾ المنحدرة من صلب ادم ﴿علقة﴾ أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه، ﴿ فخلقنا العلقة مضغة﴾ وهي قطعة لحم قدر مايمضغ الآكل، ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام[1] لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر[2]﴾ أي إنساناً آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عز وجل آدم وذريته، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ثم استحالت إلى علقة فمضغة فنفخ فيها الروح فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جماداً لا روح فيها وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فأثنى الله تعالى على نفسه بما هو أهله أي تعاظم أحسن الصانعين، إذ لا خالق إلا هو ويطلق لفظ الخلق على الصناعة فحسن التعبير بلفظ أحسن الخالقين.

وقـولـه تعـالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ أي بعد خلقنا لكم تعيشون المدة التي حددناها لكم ثم تموتون، ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أحياء للحساب والجزاء لتحيوا حياة أبدية لا يعقبها موت ولا فناء ولا بلاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته.

٢ - بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها.

٣ - بيان مآل الإنسان بعد خلقه.

٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون.

---

(١) وقد أثبت علم الأجنة والتشريح أن النطفة في طورها الثاني تعلق بجدار الرحم طيلة طورها الثاني فهي بمعنى عالقة ولا منافاة بين كونها علقة وعالقة.

(٢) في الحديث الصحيح: (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح.) الحديث فإذا نفخ فيه الروح تهيأ للحياة والنماء وإليه الإشارة بقوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقاً آخر) وروي أن يهود يزعمون أن العزل هو الموؤدة الصغرى، وأن عليّا رد هذا وقال: لا تكون موؤودة حتى تمر عليها التارات السبع أي: الأطوار التي في هذه الاية.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمات :

سبع طرائق : أي سبع سموات كل سماء يقال لها طريقة لأن بعضها مطروق فوق بعض.

ماء بقدر : أي بمقدار معين لايزيد ولا ينقص.

من طور سيناء : جبل يقال له جبل طور سيناء.

تنبت بالدهن : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وصبغ للآكلين : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها.

في الأنعام لعبرة : الأنعام الإبل والبقر والغنم والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها.

مما في بطونها : أي من اللبن.

منافع كثيرة : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

ومنها تأكلون : أي من لحومها.

تحملون : أي تركبون الإبل في البر وتركبون السفن في البحر.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر نعمه[1] تعالى على الإنسان لعل هذا الإنسان يذكر فيشكر فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق[2]﴾ أي سموات سماء فوق سماء أي طريقة فوق طريقة وطبقاً فوق طبق وقوله تعالى: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أي ولم نكن غافلين عن خلقنا وبذلك انتظم الكون والحياة، وإلا لخرب كل شيء وفسد وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾ هو ماء المطر أي بكميات على قدر الحاجة وقوله ﴿ فأسكناه في الأرض[3] وإنا على ذهاب به لقادرون ● فأنشأنا لكم به جنات﴾ أي أوجدنا لكم به بساتين من نخيل وأعناب ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك البساتين ﴿فواكه[4] كثيرة، ومنها تأكلون﴾أي ومن تلك الفواكه تأكلون وذكر النخيل والعنب دون غيرهما لوجودهما بين العرب فهم يعرفونهما أكثر من غيرهما فالنخيل بالمدينة والعنب بالطائف.

وقوله :﴿وشجرة[5] تخرج من طور سيناء﴾أي وأنبت لكم به شجرة الزيتون وهي﴿تنبت بالدهن[6] وصبغ للآكلين﴾فبزيتها يدهن ويؤتدم فتصبغ اللقمة به وتؤكل. وقوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ فتأملوها في خلقها وحياتها ومنافعها تعبرون بها إلى الإيمان والتوحيد والطاعة. وقوله: ﴿نسقيكم[7] مما في بطونها﴾ من ألبان تخرج من بين فرث ودم، وقوله: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ كصوفها ووبرها ولبنها وأكل لحومها. وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وعلى بعضها كالإبل تحملون في البر وعلى السفن في البحر. أفلا تشكرون الله هذه النعم فتذكروه وتشكروه أليست هذه النعم موجبة لشكر المنعم بها فيُعبد ويوحد في عبادته؟.

---

(١) وفي ذكر أدلة التوحيد إذ تقدم الاستدلال على التوحيد بخلق الإنسان وهذا استدلال بخلق العدالة العلوية.

(٢) الطرائق: جمع طريقة، وهي اسم للطريق تذكر وتؤنث فهل المراد بها هنا طرق الملائكة أو طرق سير الكواكب وهو سمتها وما تجري فيه أو هي السبع السموات، ومعنى طرائق: أن بعضها فوق بعض من قولهم طارق بين ثوبين جعل أحدهما فوق الثاني، ويكون المعنى طباقا وهذا هو الراجح. والله أعلم.

(٣) (أسكناه في الأرض) منه ما هو ظاهر كماء الأودية، والأنهار، ومنه ما هو باطن، وهو المياه الجوفية، وإنّ الله تعالى على ذهابه من ظاهر الأرض كباطنها قدير، ويومها تهلك البشرية، وهذه الآية كقوله: (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين).

(٤) جمع فاكهة وهي: ما يؤكل تفكّهاً بأكله أي: تلذّذا بطعمه من غير قصد القوت، وما يؤكل لأجل الطعام يقال له: طعام ولا يقال له فاكهة.

(٥) وشجرة: معطوفة على جنات أي: وأخرجنا لكم به شجرة.

(٦) الباء في (بالدهن) للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوباً بسلامة.

(٧) قرىء (تسقيكم) بضم النون من أسقاه، وبفتحها من سقاه كذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة.

٢ - بيان إفضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عباده.

٣ - بيان منافع الزيت حيث[1] هو للدهن والائتدام والإستصباح.

٤ - فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم.

٥ - وجوب شكر الله تعالى على انعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

اعبدوا الله : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره.

أفلا تتقون : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه.

الملأ : أي أعيان البلاد وكبراء القوم.

---

(١) في الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وُجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقوله (تخرج من طور سيناء) إعلام بأول منبت لها.

ما هذا إلا بشر مثلكم : أي مانوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول مايدعوكم إليه.

أن يتفضل عليكم : أي يسودكم ويصبح آمراً ناهياً بينكم.

ولو شاء الله لأنزل ملائكة : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلا.

رجل به جنة : أي مصاب بمس من جنون.

فتربصوا به حتى حين : أي فلا تسمعوا له ولا تطيعوه وانتظروا به هلاكه أو شفاءه.

معنى الآيات :

هذا السياق بداية عدة قصص ذكرت على إثر قصة بدأ خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً[1]﴾ أي قبلك يارسولنا فكذبوه. كما كذبك قومك وإليك قصته إذ قال ياقوم اعبدوا الله أي وحدوه في العبادة، ولا تعبدوا معه غيره ﴿مالكم من إله غيره[2]﴾ أي إذ ليس لكم من إله غيره يتسحق عبادتكم. وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ أي أتعبدون معه غيره أفلا تخافون غضبه عليكم ثم عقابه لكم؟.

فأجابه قومه المشركون بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي فرد عليه قوله أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم من أغنياء وأعيان ممن كفروا من قومه ﴿ماهذا﴾ أي نوح ﴿إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي[3] يسود ويشرف فادعى أنه رسول الله إليكم. ﴿ولو شاء الله﴾ أي أن لا نعبد معه سواه ﴿لأنزل ملائكة﴾ تخبرنا بذلك ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بالذي جاء به نوح ودعا إليه من ترك عبادة آلهتنا ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي لم يقل به أحد من أجدادنا السابقين ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾ أي ما نوح إلا رجل به مس من جنون، وإلا لما قال هذا الذي يقول من تسفيهنا وتسفيه آبائنا ﴿فتربصوا[4] به حتى حين﴾ أي انتظروا به أجله حتى يموت، ولا تتركوا دينكم لأجله وهنا وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين شكا نوح إلى ربه وطلب النصر منه فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربِّ انصرني[5] بما كذبون﴾ أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني عليهم.

(١) فوائد سرد القصص كثيرة منها: تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر مما يلقى من قومه، ومنها: العظة والاعتبار بما جرى من أحداث، ومنها تقرير التوحيد وإثبات النبوة المحمدية واللام في: (ولقد أرسلنا) موطئة للقسم أي: وعزّتنا لقد أرسلنا نوحاً.

(٢) قرأ الجمهور بجرّ (إله) ورفع (غيره) وقرأ بعضهم: بجر (غيره) لأنه نعت لإله المجرور بحرف الجر الزائد ورفع (غيره) هو على المحل إذ محل (إله) الرفع وإنما منع منه حرف الجر الزائد.

(٣) قولهم: هذا ناتج عن نفسياتهم المتهالكة على حب الرئاسة والشرف الموهوم.

(٤) التربص: التوقف على عمل يراد عمله، والتريث فيه لما قد يغني عنه.

(٥) (قال ربِّ انصرني) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة جواباً لسؤال مقدّر تقديره: لما كذب قومه ماذا فعل؟ والجواب: دعا عليهم: (قال ربِّ انصرني).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي .

٢ ـ تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه .

٣ ـ بيان سنة من سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر.

٤ ـ بيان كيف يرد الظالمون دعوة الحق بإتهام الدعاة بما هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعمالة لفلان والتملق لفلان . .

فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

فأوحينا إليه أن اصنع : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أي اصنع الفلك .

بأعيننا ووحينا : أي بمرأى منا ومنظر، وبتعليمنا إياك صنعها .

وفار التنور : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان .

فاسلك فيها : أي أدخل في السفينة .

وأهلك : أولادك ونساءك .

ولاتخاطبني في الذين ظلموا : أي لا تكلمني في شأن الظالمين فإني حكمت بإغراقهم .

وقل رب : أي وادعني قائلاً يارب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض .

إن في ذلك لآيات : أي لدلائل وعبر.

وإن كنا لمبتلين : أي لمختبرين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه فقد جاء في الآيات السابقة أن نوحاً عليه السلام دعا ربه مستنصراً إياه لينصره على قومه الذين كذبوه قائلاً: ﴿رب انصرني[1] بما كذبون﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه فأوحى إليه أي أعلمه بطريق الوحي الخاص ﴿أن اصنع الفلك﴾ أي السفينة ﴿بأعيننا ووحينا﴾ أي بمرأى منا ومنظر وبتعليمنا إياك وجعل له علامة على بداية هلاك القوم أن يفور التنور تنور طبخ الخبز بالماء وأمره إذا راى تلك العلامة أن يدخل في السفينةمن كل زوج أي ذكر وانثى اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فيها أيضاً أهله من زوجة وولد إلا من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغرقون قطعاً. هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٧) ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا﴾ أي بإهلاك الظالمين المشركين ﴿وفار التنور، فاسلك فيها﴾ أي في السفينة ﴿من كل زوجين[2] اثنين،[3] وأهلك﴾ أي أزواجك وأولادك ﴿ إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي بإهلاكهم كامرأته، ﴿ولا تخاطبني في الذين[4] ظلموا ﴾ أي لا تسألني عنهم فإني مهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿فإذا استويت[5] أنت ومن معك على الفلك﴾ أي إذا ركبت واستقررْت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين[6] وادعنا ضارعاً إلينا قائلاً ﴿رب أنزلني منزلاً مباركاً[7]﴾ أي من الأرض، وَأثْن علينا

---

(١) الباء سببية في موضع الحال من النصر المأخوذ من فعل الدعاء، وجملة (أن اصنع) جملة مفسرة لجملة: (أوحينا) لأنّ الوحي فيه معنى القول دون حروفه، فأن تفسيرية قطعاً.

(٢) الزوج: اسم لكل شيء له شيء آخر متصل به بحيث يجعله شفعا في حالة ما، والمراد به هنا: أزواج الحيوانات لحفظ نوعها حتى لا تنقرض بالطوفان.

(٣) قرأ حفص (من كلٍّ) بتنوين كل، وقرأ نافع وغيره بلا تنوين أي: بإضافة اثنين إلى كل، وتنوين كل تنوين عوض أي: من كل ما امرتك أن تحمله في السفينة.

(٤) أي: في شأنهم فإنهم قد قضي بإهلاكهم ولا رادّ لقضائه تعالى.

(٥) استويت: أي علوت فوقها واستقررت فيها، وحرف الجر (على) مؤذن بالاستقرار والتمكن منه.

(٦) الظالمين: أي المشركين، لأنّ الظلم هو الشرك، والتنحية: الإنجاء من شرهم وأذاهم وشركهم وكفرهم.

(٧) المنزل بضم الميم: وفتح الزاي: مصدر الذي هو الإنزال، وبفتح الميم وكسر الزاي هو مكان النزول أي: أنزلني موضعاً مباركاً، والمنزل بفتح الميم والزاي معاً: مصدر نزل نزولا ومنزلاً.

خيراً فقل ﴿وأنت خير المنزلين﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي المذكور من قصة نوح لدلائل على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ووجوب الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي مختبرين عبادنا بالخير والشر ليرى الكافر من المؤمن، والمطيع من العاصي ويتم الجزاء حسب ذلك إظهاراً للعدالة الإلهية والرحمة الربانية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - إثبات الوحي الإلهي وتقرير النبوة المحمدية.

٢ - تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرخين.

٣ - بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك الظالمين.

٤ - سنية قول بسم الله والحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة.

٥ - استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا.

٦ - بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ

(١) في الآية تعليم للمؤمنين إذا ركبوا أو نزلوا أن يدعوا بهذا الدعاء بل حتى إذا دخلوا بيوتهم وسلموا فقد كان عليّ رضي الله عنه إذا دخل المسجد دعا بهذا الدعاء: ربّ أنزلني . .) الخ.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

شرح الكلمات:

ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود.

رسولاً منهم : هو هود عليه السلام.

أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره : أي قولوا لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده.

وأترفناهم : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش.

أنكم مخرجون : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم.

هيهات هيهات : أي بَعُدَ بُعْداً كبيراً وقوعُ مايعدكم.

إن هي إلا حياتنا الدنيا : أي ماهي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى.

إن هو إلا رجل : أي ماهو إلا رجلٌ افترى على الله كذباً أي كذب على الله تعالى.

معنى الآيات:

هذه بداية قصة هود عليه السلام بعدِ قصة نوح عليه السلام أيضاً فقال تعالى: ﴿ثم انشأنا من بعدهم﴾ أي خلقنا وأوجدنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم[1] عاد قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم[2] رسولاً منهم﴾ هو هودَ عليه السلام بأن قال لهم: ﴿أن اعبدوا الله ما

(١) وقيل هم قوم صالح بقرينة قوله تعالى: (فأخذتهم الصيحة) وهي التي أهلك الله تعالى بها ثمود قوم صالح إذ قال تعالى: (فأخذتهم الصيحة مصبحين) من سورة الحجر. ورشح هذا لأنّ فيها العبرة أكثر لوجود آثارهم في ديارهم شمال الحجاز إلاّ أن ذكر عاد بعد قوم نوح هو الوارد في كل قصص القرآن وبترجيح الزمان إذ عاد أوّل أمّة أهلكت بعد قوم نوح. والله أعلم.

(٢) قوله: (فيهم) بدل إليهم: لأن هوداً أو صالحاً كان المرسل من أهل البلاد وفرداً من أفرادهم فلا يحسن أن يقال: إلى إلاّ إذا كان خارجاً عنهم ليس من أفرادهم، وذلك كما في أهل سدوم، ونينوي والقبط فجاء التعبير بإلى نحو: (إلى فرعون وملئه).

لكم من إله غيره﴾ أي اعبدوا الله بطاعته وإفراده بالعبادة إذ لا يوجد لكم إله غير الله تصح عبادته إذ الخالق لكم الرازق الله وحده فغيره لايستحق العبادة بحال من الأحوال وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ يحثهم على الخوف من الله ويأمرهم به قبل أن تنزل بهم عقوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾ أي وقال أعيان البلاد وأشرافها من قوم هود ممن كفروا بالله ورسوله وكذبوا بالبعث والجزاء في الدار الآخرة وقد أترفهم[1] الله تعالى: بالمال وسعة الرزق فأسرفوا في الملاذ والشهوات: قالوا: وماذا قالوا؟: قالوا ما أخبرنا تعالى به عنهم بقوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ماهذاالرسول إلا بشر مثلكم ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ من أنواع الطعام ﴿ويشرب مما تشربون﴾ من ألوان الشراب[2] أي فلا فرق بينكم وبينه فكيف ترضون بسيادته عليكم يأمركم وينهاكم. وقالو: ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ أي خاسرون حياتكم ومكانتكم، وقالوا ﴿أيعدكم[3] أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاماً﴾ أي فنيتم وصرتم تراباً ﴿أنكم مُخْرجون﴾ أي أحياء من قبوركم. وقالوا: ﴿هيهات هيهات[4]﴾ أي بَعُد بُعْداً كبيراً مايعدكم به هود إنهاما ﴿هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي ﴿نموت ونحيا[5]﴾ جيل يموت وجيل يحيا ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ وقالوا: ﴿إن هو إلا رجل افترى[6] على الله كذباً﴾ أي اختلق الكذب على الله وقال عنه أنه يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم بكسبكم. ﴿وقالوا ما نحن بمبعوثين﴾ هذه مقالتهم ذكرها تعالى عنهم وهي مصرحة بكفرهم وتكذيبهم وإلحادهم وما سيقوله هود عليه السلام سيأتي في الآيات بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل، وماتبتدىء به دعوتهم وهو لا إله إلا الله.

---

(١) أي: وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا، وصاروا يؤتون بالترفة وهي كالتحفة، يقال: أترفه المال: إذا أبطره وأفسده.

(٢) في قولهم: يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون. هذه الجملة وإن كانت تعليلا لبشرية الرسول فإنها دالة على أنهم حقاً مترفون منعّمون في ملاذ الأكل والشرب كأنّه لا هم لهم إلا ذاك، كما قيل: من احب شيئاً أكثر من ذكره كما هي مجالس المترفين اليوم جل أحاديثهم حول الأكل والشرب ونحوهما.

(٣) الاستفهام للتعجيب، والكلام انتقال من تكذيبهم بكونه رسولاً إليهم إلى التكذيب بما أرسل به من الدين الحق.

(٤) الجمهور من النّحاة واللغويين: أن هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُدَ وهي مبنية على الفتح والكسر أيضاً ولا تُقال إلاّ مكررة، قال الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق وأهله   هيهات خلّ بالعقيق نواصله

(٥) إن قيل: كيف قالوا: نموت ونحيا وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب: إما أن يكون مرادهم نكون نطفاً ميتة ثم نحيا، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي: نحيا فيها ونموت نحو (واسجدي واركعي) وإما بموت الآباء وحياة الأبناء.

(٦) الافتراء: الكذب الذي لا شبهة فيه للمخبر، وهو الاختلاق.

٢ ـ أهل الكفر لايصدر عنهم إلا ماهو شر وباطل لفساد قلوبهم.
٣ ـ الترف يسبب كثيراً من المفاسد والشرور، ولهذا يجب أن يُحْذَرْ بالاقتصاد.
٤ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة.
٥ ـ تُكأة عامة المشركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر ، دفعاً للحق وعدم قبوله.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

شـــرح الكلمات:

عما قليل : أي عن قليل من الزمن.
ليصبحن نادمين : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم.
فأخذتهم الصيحة : أي صيحة العذاب والهلاك.
فجعلناهم غثاء : كغثاء السيل وهو مايجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس.
فبعداً : أي هلاكاً لهم.
ثم أنشأنا : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب.
تترا : أي يتبع بعضها بعضاً الواحدة عقب الأخرى.
وجعلناهم أحاديث : أي أهلكناهم وتركناهم قصصاً تقص وأخباراً تتناقل.

معنى الآيات :

هذا ما قال هود• عليه السلام بعد الذي ذكر تعالى من أقوال قومه الكافرين ﴿قال رب﴾ أي يارب ﴿انصرني بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم لي وردهم دعوتي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله: ﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أي بعد قليل من الوقت وعزتنا وجلالنا ليصبحن نادمين أي ليصيرن نادمين على كفرهم بي وإشراكهم في عبادتي وتكذيبهم إياك ولم يمض إلا قليل زمن حتى أخذتهم الصيحة صيحة الهلاك ضمن ريح صرصر في أيام نحسات فإذا هم غثاء كغثاء السيل لا حياة فيهم ولا فائدة ترجى منهم ﴿ فبعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً للظالمين بالشرك والتكذيب والمعاصي وقوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين[1]﴾ أي ثم أوجدنا بعد إهلاكنا عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب. وقوله تعالى: ﴿ومانسبق من[2] أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أي ان كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتتقدمه كما لايمكنها أن تتأخر عنه بحال.

وقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا[3]﴾ أي يتبع بعضها بعضاً ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ أي في الهلاك فكلما كذبت أمة رسولها ورفضت التوبة إلى الله والإنابة إليه أهلكها،وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أحاديث[4]﴾أي لمن بعدهم يذكرون أحوالهم ويروون أخبارهم ﴿فبعداً﴾ أي هلاكاً منا ﴿لقوم لايؤمنون﴾ في هذا تهديد قوي لقريش المصرة على الشرك والتكذيب والعناد. وقد مضت فيهم سنة الله فأهلك المجرمين منها.

• دَرَج الجمهور من المفسرين على أن القصص المذكور هنا كما هو في سائر السور هو قصص هود عليه السلام، وذهب ابن جرير وبعض آخر إلى أنه قصة صالح لقرينة (فأخذتهم الصيحة) وقال الجمهور: يمكن أن تكون الصيحة ضمن عواصف الريح العقيم التي أرسلها تعالى على عاد قوم هود فأخذتهم فهلكوا بها والرياح عصفت بهم فمزقت وشتتت شملهم وتركتهم كأعجاز نخل خاوية ثم تفتتوا وصاروا كالغثاء وهذا الجمع لحسن.

(١) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز غير المخل وهو: فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم ثم أنشأنا.

(٢) من في قوله (من أمة) صلة زيدت لتقوية النفي وتوكيده ، والأصل ماتسبق أمّة.

(٣) (تترى) على وزن فعلى كدعوى وسلوى، والألف فيه للتأنيث، وأصله وترى من الوتر، الذي هو الفرد أبدلت الواو تاء كما أبدلت في تراث من الورث، وتجاه من الوجه، ولا يقال: تترى إلا إذا كان هنالك تعاقب وانقطاع، وقرىء منوناً تترىً، وهو منصوب على الحال في القراءتين معاً.

(٤) جمع أحدوثة وهو ما يتحدّث به كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجّب منه، ومثل هذا التعبير: أحاديث: لا يقال في الخير وإنما يقال في الشر لا غير لقوله تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كلّ ممزّق) وقد يقال في الخير إذا كان مقيّداً بذكره نحو قول ابن دريد:

إنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسنا لمن وعى

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لاسيما إن كانوا عباداً صالحين.

٢ ـ الآجال للأفراد أو الأمم لاتتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

٣ ـ تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون مع رسولهم.

٤ ـ كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لايهلكها هلاكاً عاماً بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

شـــرح الكلمـات :

بآياتنا وسلطان مبين : الآيات هي التسع الآيات وهي الحجة والسلطان المبين.

وكانوا قوماً عالين : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً وتحكمًا.

وقومهما لنا عابدون : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء.

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوارة.

وجعلنا ابن مريم : أي عيسى حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلّمه ووجوب توحيده.

إلى ربوة ذات قرار ومعين : إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نبذ من قصص الأولين للعظة والاعتبار، ولإقامة الحجة على مشركي قريش فقال تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ أي بعد تلك الأمم الخالية أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بسلطان مبين أي بحجج وبراهين بينة دالة على صدق موسى ومايدعو إليه من عبادة الله وتوحيده فيها والخروج ببني إسرائيل إلى الأرض المباركة أرض الشام إلى فرعون ملك مصر يومئذ وملئه من أشراف قومه وعليتهم فاستكبروا عن قبول دعوة الحق وكانوا عالين على أهل تلك البلاد قاهرين لها مستبدين بها وقالوا رداً على دعوة موسى وهارون ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ أي خاضعون مطيعون. هكذا أعلنوا متعجبين من دعوة موسى وهارون إلى الإيمان برسالتهما فقالوا: أنؤمن لبشر من مثلنا أي كيف يكون هذا أنتبع رجلين مثلنا فنصبح نأتمر بأمرهما وننتهي بنهيهما وكيف يتم ذلك وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون. أي خاضعون لنا ومطيعون لأمرنا ونهينا. قال تعالى: ﴿فكذبوهما﴾، فيما دعواهما إليه من الإيمان والتوحيد وإرسال بني إسرائيل معهما إلى أرض الميعاد فترتب على تكذيبهم لرسولي الله موسى وهارون هلاكهم فكانوا من المهلكين حيث أغرقهم الله أجمعين، وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى[1] الكتاب لعلهم يهتدون﴾، ويخبر تعالى أنه بعد إهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل آتى موسى التوراة من أجل هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى. هذه أيادي الله على خلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم.

وقوله تعالى : ﴿وجعلنا ابن مريم[2] وأمه﴾ أي جعل عيسى ووالدته مريم ﴿آية﴾ حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به وعبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه. وقوله تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين[3]﴾ أي أنزلنا مريم وولدها بعد اضطهاد اليهود لهما ربوة[4] عالية صالحة للإستقرار عليها بها فاكهة وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه.

---

(١) خصّ موسى بإيتائه الكتاب دون هارون لأنّ هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه، وموسى كان وحده في الطور للمناجاة.

(٢) أدمج أمّه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتانا عظيما.

(٣) الربوة: المكان المرتفع من الأرض، وهي مثلثة الراء تضم وتفتح وتكسر، وهي بفلسطين أو مدينة الرملة وهي من أرض فلسطين.

(٤) المعين: هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

٢ - التنديد بالإستكبار، وأنه علة مانعة من قبول الحق.

٣ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين.

٤ - ة ولادة عيسى من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾

شرح الكلمات:

كلوا من الطيبات : أي من الحلال.

واعلموا صالحاً : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل.

وإن هذه أمتكم : أي ملتكم الإسلامية.

فاتقون : أي بامتثال أمري واجتناب نهيي.

فتقطعوا أمرهم : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف هذه يهودية وتلك نصرانية.

في غمرتهم : أي في ضلالتهم.

نسارع لهم : أي نعجل.

بل لا يشعرون : أن ذلك استدارج منا لهم.

معنى الآيات:

بعد أن أكرم الله تعالى عيسى ووالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

خاطب[1] عيسى عبده ورسوله قائلاً: ﴿يا أيها الرسل كلوامن الطيبات﴾ أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذ كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلامن الطيب كما أمرهما الله تعالى وقوله :﴿واعملوا صالحاً﴾ كلوا من الحلال واعملوا صالحاً بأداء الفرائض والإكثار من النوافل، وقوله: ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فيه وعد بأن الله تعالى سيثيبهم على مايعلمون من الصالحات. وقوله: ﴿وأن[2] هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أعلمهم أن ملتهم وهي الدين الإسلامي دين واحد فلا ينبغي الاختلاف فيه واعلمهم أيضاً أنه ربهم أي مالك أمرهم والحاكم عليهم فليبتغوه بفعل ما أمرهم به وترك مانهاهم عنه، لينجوا من عذابه ويظفروا برحمته ودخول جنته.

وقوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم[3]﴾ أي دينهم ﴿زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي فرقوا دينهم فرقاً فذهبت كل فرقة بقطعة منه وقسموا الكتاب إلى كتب فهذه يهودية وهذه نصرانية واليهودية فرق والنصرانية فرق والإنجيل أصبح أناجيل متعددة وصارت كل جماعة فرحة بما عندها مسرورة به لا ترى الحق إلاّ فيه.. ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وهنا أمر الله رسوله أن يتركهم في غمرة ضلالتهم إلى حين أن يتنزل بهم ما قضى به الرب تعالى على أهل الاختلاف في دينه ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾ إذ قال له في سورة الأنعام ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ وفيه من التهديد ما فيه. وهذا الذي نعاه تعالى على تلك الأمم قد وقعت فيه أمة الإسلام فاختلفوا في دينهم مذاهب وطرقاً عديدة، وياللأسف وقد حلت بهم المحن ونزل بهم البلاء نتيجة ذلك الخلاف. وقوله: ﴿أيحسبون أنما نمدهم[4] به من مال

---

(١) اختلف في هذا الخطاب هل هو لعيسى عليه السلام نظراً لسياق الحديث أو هو لمحمد ﷺ او هو عام لكل الرسل، أي: ما من رسول إلا وأمره بما في هذا السياق، وأمّة كل رسول تابعة له، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في مثل هذا فلا داعي إلى الترجيح وعدمه ويشهد للعموم قوله ﷺ في الصحيح: (يا أيها الناس إنّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيباً، وإن الله أمر المرسلين بما أمر به المؤمنين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك) والشاهد في قوله ﷺ (بما أمر به المرسلين).

(٢) قرىء: (وانّ) بكسر إن على القطع أي: الابتداء وعلى تقدير قول أو قلنا لهم: (إن هذه).. الخ وقرىء بفتحها، وهي قراءة الأكثرين على تقديرواعلموا (أن هذه أمتكم).. الخ.

(٣) كأن هذه الآية تنظر إلى قوله ﷺ: (ألا إن أهل الكتاب قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) الحديث أخرجه أبو داود ورواه الترمذي وزاد: (قالوا: ومن هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) وقوله: (ملة) فيه دليل على أنّ الاختلاف في الفروع غير مقصود وإنما المقصود هو ما كان في أصول الدين وقواعده.

(٤) (إنما): ما: موصولة بمعنى الذي أي: أيحسبون يا رسولنا إن الذي نعطيهم في الدنيا من مال وولد هو ثواب لهم على شركهم وكفرهم إنما هو استدراج وإملاء ليس إسراعاً في الخيرات واختلف في خبر إنّ فقيل: إنه محذوفٌ وتقدير الكلام إنما نسارع لهم به في الخيرات، والاستفهام في أيحسبون: إنكاري.

وبنين﴾ مع اختلافهم وانحرافهم مسارعة لهم منا في الخيرات[1] لا بل ذلك استدراج لهم ليهلكوا ولكنهم لايشعرون بذلك. لشدة غفلتهم واستيلاء غمرة الضلالة عليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الأكل من الحلال، ووجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله.

٢ - الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه.

٣ - حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن.

٤ - إذا انحرفت الأمة عن دين الله، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاً على رضى ربها عنها بل ما هو إلا فتنة ليس غير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

شرح الكلمات:

مشفقون : أي خائفون.

لايشركون : أي بعبادته أحداً.

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : أي خائفون أن لايقبل منهم ذلك.

أنهم إلى ربهم راجعون : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.

وهم لها سابقون : أي بإذن الله وفي علمه.

ولا نكلف نفساً إلاّ وسعها : إلا طاقتها وما تقدر عليه.

ولدينا كتاب ينطق بالحق : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق.

وهم لا يظلمون : أي بنقص حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيآتهم.

(١) الخيرات: جمع خير وهو من الجموع النادرة مثل: سرادقات جمع سرادق.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال الذين فرقوا دينهم فذهبت كل فرقة منهم بكتاب ومذهب ولقب ونحى عليهم ذلك التفرق وأمر رسوله أن يتركهم في غمرة خلافاتهم و يدعهم إلى حين يلقون جزاءهم عاجلاً أو آجلاً: أثنى تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية، فقال وقوله الحق: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم وأخرى ﴿والذين هم بآيات ربهم يومنون﴾ أي بحجج الله تعالى التي تضمنتها آياته يؤمنون أي يوقنون وثالثة: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أي في ذاته ولا صفاته ولا عباداته فيعبدونه بما شرع لهم موحدينه في ذلك ورابعة: ﴿والذين[1] يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم[2] راجعون﴾. أي يؤتون[3] الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم وخائفة أن لايقبل منهم عملهم، وذلك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم: لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى: ﴿أولئك يسارعون[4] في الخيرات وهم لها سابقون﴾ في هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم. وقوله تعالى: ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فيه قبول عذر من بذل جهده في المسارعة في الخيرات.ولم يلحق بغيره أعذره ربه فإنه لا خوف عليه مادام قد بذل جهده إذ هو تعالى ﴿لا يكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي طاقتها وما يتسع له جهده.

وقوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لايظلمون﴾ فيه وعدٌ لأولئك المسارعين بالخيرات بأنَّ أعمالهم مكتوبة لهم في كتاب ينطق بالحق لايخفى حسنة من حسناتهم ويستوفونها كاملة وفيه وعيد لأهل الشرك المعاصي بأنَّ أعمالهم محصاة عليهم قد ضمها كتاب صادق وسوف يجزون بها وهم لايظلمون فلا تكتب عليهم سيئة لم يعملوها قط ولا يجزون إلاَّ بما كانوا يكسبون.

---

(١) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سالت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولائك الذين يسارعون في الخيرات).

(٢) أي: لأنهم: أو من أجل أنهم إلى ربّهم راجعون. وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبرة بما يختم به للعبد، وفي البخاري: (وإنما الأعمال بالخواتيم).

(٣) قرىء: (يأتون) من الإتيان، ولا يختلف المعنى إذ هم يأتون الأعمال الصالحة ويفعلونها، وقلوبهم خائفة. كما يعطون ما يعطون من الزكاة والنفقات وقلوبهم وجلة أو يعطون الملائكة أعمالهم التي يكتبونها وقلوبهم وجلة.

(٤) (يسارعون في الخيرات) أي: في الطاعات كي ينالوا بها أعلى الدرجات والغرفات ولم يقل يسارعون إلى الخيرات إذ هم في الخيرات لم يخرجوا من دائرتها أبداً فهم فيها يسارعون. في الآية إشارة إلى أن الصلاة في أول وقتها أفضل، وهكذا السبق في كل خير قبل الغير خير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى.

٢ ـ بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى.

٣ ـ تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين.

٤ ـ تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العدالة.

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

شـرح الكلمـات:

في غمرة من هذا : أي جهالة من القرآن وعمى.

ولهم أعمال من دون ذلك : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي الخشية والإيمان بالآيات والتوحيد والمراقبة.

هم لها عاملون : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالى بها.

إذا هم يجارون : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجينّ مستغيثين ممّا حلّ بهم من العذاب.

تنكصون : أي ترجعون على أعقابكم كراهة سماع القرآن.

مستكبرين به : أي بالحرم أي كانوا يقولون: لايظهر علينا فيه أحد لأنّا أهل الحرم.

سامراً تهجرون : أي تسمرون بالحرم ليلا هاجرين الحق وسماعه على قراءة فتح التاء وعلى قراءة ضمها تهجرون أي تقولوا الهجر من القول كالفحش والقبح.

رسولهم : أي محمداً ﷺ.

به جنّة : أي مجنون.

معنى الآيات :

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي ليس الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون أنّا نمدهم بالمال مسارعة منا لهم في الخيرات لرضانا عنهم لا بل إن قلوبهم في غمرة وعمى من القرآن، ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾[1] أي دون عمل المؤمنين. ﴿هم لها عاملون﴾ حتى تنتهي بمترفيهم إلى هلاكهم ودمارهم وقوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ أي استمرت الأعمال الشركية الإجرامية حتى أخذ الله تعالى مترفيهم في بدر بعذاب القتل والأسر ﴿إذا هم يجأرون﴾[2] يضجون بالصراخ مستغيثين، والله تعالى يقول لهم: ﴿لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون﴾ وذكر تعالى لهم ما كانوا عليه من التكذيب والاستكبار وقول الهجر موبخاً إياهم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾[3] هروباً من سماعها حال كونكم ﴿مستكبرين به﴾ أي بالحرم زاعمين أنكم أهل الحرم، وأن أحداً لا يظهر عليكم فيه لأنكم أهله وقوله: ﴿سامراً[4] تهجرون﴾ أي تسمرون بالليل تهجرون بذلك سماع الحق ودعوة الحق التي تُتلى بها عليكم آيات الله. وقد قرىء

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذلك أي: دون الشرك من كبائر الذنوب هم عاملوها لا محالة إذ كتبت عليهم ليدخلوا بها النار، وما كان دون عمل المؤمنين قطعاً هو الشرك والمعاصي، فلا منافاة بين ما في التفسير وما روي عن ابن عباس.

(٢) الجؤار: كالخوار يقال: خار الثور يخار: إذا صاح، وجأر الرجل بالدعاء: تضرع به، قال قتادة: يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم، وجأروا كذلك يوم أصابهم القحط والجدب فجاعوا حتى كادوا يهلكون بدعوة الرسول ﷺ.

(٣) (تنكصون) : ترجعون وراءكم، وأصله الرجوع إلى الوراء القهقري. قال الشاعر:

زعموا أنهم على سبل النجا ة وإنما نكصوا على الأعقاب

(٤) سامراً معناه سمّاراً أي: جماعة تتحدّثون بالليل، والسمر مأخوذ من السّمر الذي هو ظل القمر، ومنه سمرة اللون وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سمرة القمر فسمي التحدّث به، وقرئ (سُمّاراً) جمع سامر. يقال: جاء من السامر يريد: من القوم الذين يسمرون، وفي الحديث: كراهة النوم قبل العشاء، والحديث أي السمر بعدها، وروي أن عمر رضي الله عنه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول: أسمراً أول الليل ونوماً آخره؟!!

تُهجرون بضم التاء وكسر الجيم أي تقولون أثناء سمركم في الليل الهجر من القول كالكفر وقول الفحش وما لا خير فيه من الكلام، وكانوا كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أفلم يدبّروا القول﴾[1] الذي يسمعونه من نبينا محمد ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم ﴿أم جاءهم﴾[2] من الدين والشرع ﴿ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ فقدجاءت رسل ونزلت كتب وهم يعرفون ذلك. أم لم يعرفوا رسولهم محمداً ﷺ فهم لهم منكرون إنهم يعرفونه بصدقه وطهارته وكماله منذ نشأته وصباه إلى يوم أن دعاهم إلى الله ﴿أم يقولون به جنّة﴾ أي جنون وأين الجنون من رجل ينطق بالحكمة ويعمل بها ويدعوا إليها ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم[3] للحق كارهون﴾، وهذا هو سرُّ إعراضهم واستكبارهم - إنه كراهيتهم للحق لطول ما ألفوا الباطل وعاشوا عليه، وهذه سنة البشر في كل زمان ومكان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له.

٢ - لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله.

٣ - بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة ببدر وهي هروبهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لايسمعوه واستكبارهم بالحرم واعتزازهم به جهلاً وضلالا واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير.

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

---

(١) وقيل: القول: القرآن: وسمي قولاً لأنهم خوطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقريع والتأنيب.

(٢) (أم جاءهم) الخ.. أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم مالا عهد لآبائهم به فلذا أنكروه وتركوا التديُّن به، والفاء في: أفلم يدّبروا: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادىء ذي بدء.

(٣) في قوله ﴿بل أكثرهم﴾ احتراس عرف في القرآن حتى لا ينقض ببعض الأفراد وهو من اعجاز القرآن وبالغ كماله في البلاغة والبيان.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات:

لو اتبع الحق أهواءهم : أي ما يهوونه ويشتهونه.

أتيناهم بذكرهم : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يذكرون ويُذكرون.

أم تسألهم خرجاً : أي مالاً مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم.

فخراج ربك خير : أي مايرزقكه الله خير وهو خير الرازقين.

إلى صراط مستقيم : أي إلى الإسلام.

عن الصراط لناكبون : أي عن الإسلام أي متنكبونه جاعلوه على منكب أي جانب عادلون عنه.

للجوا في طغيانهم يعمهون : لتمادوا في طغيانهم مصرين عليه.

فما استكانوا : أي ماذلوا ولا خضعوا.

إذا هم فيه مبلسون : أي آيسون قنطون.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق[1] أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ هذا كلام مستأنف لبيان حقائق أخرى منها أن هؤلاء المشركين لو اتبع الحقُّ النازل من عند الله والذي يمثله القرآن أهواءهم أي مايهوونه ويشتهونه فكان يوافقهم عليه لأدى ذلك إلى

(١) اختلف في المراد بالحق فقيل: هو الله تعالى قاله مجاهد وغيره، وقيل معناه ولو اتبع صاحب الحق، وقيل: هو مجاز أي: لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعاً، وما في التفسير أظهر، وقد استظهره ابن جرير الطبري.

فساد الكون كله علويه وسفليه[1]، وذلك لأنهم أهل باطل لايرون إلاّ الباطل ويصبح سيرهم معاكساً للحق فيؤدي حتما إلى خراب الكون وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي جئناهم بذكرهم الذي هو القرآن الكريم إذ به يذكرون وبه يُذكرون لأنه سبب شرفهم، وقوله: ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾، فهم لسوء حالهم وفساد قلوبهم معرضون عما به يذكرون ويذكرون[2]، وقوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرْجاً﴾[3] أي أجراً ومالاً ﴿فخراج ربّك خير﴾ أي ثواب ربِّك الذي يثيبك به خير وهو تعالى خير الرازقين وحاشا رسول الله ﷺ أن يسألهم عن التبليغ أجراً وقوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أي إلى الإسلام طريق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط[4] لناكبون﴾ أي علة تنكّبهم أي ابتعادهم عن الإسلام هو عدم إيمانهم بالآخرة، وهو كذلك فالقلب الذي لا يعمره الإيمان بلقاء الله والجزاء يوم القيامة صاحبه ضد كل خير ومعروف ولا يؤمل منه ذلك لعلة كفره بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ولو[5] رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يخبر تعالى أنه لورحم أولئك المشركين المكذبين بالآخرة، وكشف مابهم من ضر أصابهم من قحط وجدب وجوع ومرض لايشكرون الله، بل يتمادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعمهون حيارى يترددون، وقوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم[6] بالعذاب﴾ وهي سنوات الجدب و القحط بدعوة الرسول ﷺ وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر. وقوله: ﴿فما استكانوا[7] لربهم ومايتضرعون﴾ فما ذلوا لربهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ وهو معركة بدر وما أصاب

(١) وما في الكون العلوي من الملائكة، والسفلي من الجن والإنس، وإلى هذا الإشارة بِمَنْ في قوله: (ومن فيهن).

(٢) الأولى يذكرون بفتح الياء، مبني للفاعل، والثانية يذكرون بضم الياء مبنيٌّ للمفعول.

(٣) قرىء خراجاً أيضاً والمعنى واحد، والمعنى: أتسألهم رزقاً فرزق ربك خير، وقيل: الخرج: الجعل والخراج: العطاء، والخرج: المصدر، والخراج: الاسم.

(٤) الصراط في اللغة: الطريق، وسمي الدين طريقا لأنه طريق إلى الجنة والناكب: العادل عن الشيء المعرض عنه، وهو مشتق من المنكب وهو جانب الكتف.

(٥) (ولو رحمناهم) معطوف على جملة: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وما بينهما: اعتراض باستدلال عليهم وتنديم لهم وقطع لمعاذيرهم أي: أنهم ليسوا بحيث لو استجاب الله جؤارهم (دعاءهم) عند نزول العذاب بهم وكشفه عنهم لعادوا إلى ما كانوا فيه من الغمرة والشرك والأعمال السيئة. وهذا كقوله: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون).

(٦) هذا استدلال على مضمون ما في قوله: (ولو رحمناهم) الخ، و(ال) في العذاب للعهد أي: بالعذاب المذكور آنفاً في قوله: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب)

(٧) الاستكانة: مصدر بمعنى الخضوع، مشتقة من السكون، لأنّ الذي يخضع يقطع الحركة أمام من يخضع له.

المشركين من القتل ﴿إذا هم فيه مبلسون[1]﴾ أي آيسون من كل خير حزنون قنطون وذلك لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - خطر اتباع الهوى ومايفضي به من الهلاك والخسران.

٢ - الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير.

٣ - التكذيب بيوم القيامة ومايتم فيه من حساب وجزاء هو الباعث على كل شر والمانع من كل خير.

٤ - من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد.

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

شـرح الكلمات:

أنشأ لكم السمع : أي خلق وأوجد لكم الأسماع والأبصار.

والأفئدة : جمع فؤاد وهو القلب.

قليلا ماتشكرون : أي ماتشكرون إلاّ قليلا.

ذرأكم : أي خلقكم.

---

(١) الإبلاس: شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة.

وإليه تحشرون : أي تجمعون إليهَ بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم.

وله اختلاف الليل والنهار : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار.

أفلا تعقلون : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق.

إلا أساطير الأولين : أي ماتقولون من البعث والحياة الثانية ماهو إلا حكايات وأساطير وأخبار الأولين، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به بعرض الأدلة العقلية عليهم لعلهم يؤمنون فقال تعالى لهم: ﴿وهو الذي أنشأ لكم[1] السمع[2] والأبصار والأفئدة﴾ أي الله الذي خلق لكم أسماعكم وأبصاركم وقلوبكم قادر على إحيائكم بعد موتكم وحشركم إليه تعالى ليحاسبكم ويجزيكم، وقوله: ﴿قليلاً ماتشكرون[3]﴾ يوبخهم تعالى على كفرانهم نعمه عليهم، إذ أوجد لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم يحمدوه على ذلك ولم يشكروه بالإيمان به وبطاعته. وقوله تعالى: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي خلقكم في الأرض، ﴿وإليه تحشرون﴾ إذ الذي قدر على خلقكم في الأرض قادر على خلقكم في أرض أخرى بعد أن يميتكم ويحشركم أي يجمعكم إليه ليحاسبكم ويجزيكم. وقوله: ﴿وهو الذي يحيي[4] ويميت﴾ أي يحيي النطفة بجعلها مضغة لحم ثم ينفخ فيها الروح فتكون بشراً، ويميتكم بعد انقضاء آجالكم أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم.

وقوله تعالى: ﴿وله اختلاف[5] الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ أي ولله تعالى اختلاف الليل والنهار بإيجادهما وتعاقبهما وإدخال أحدهما في الآخر أفلا[6] تعقلون أنَّ من هذه قدرته وتصاريفه في خلقه قادر على بعثكم بعد إماتتكم وقوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل[7] ماقال الأولون﴾ أي بدل

(١) هذا الكلام الإلهي، استدلال وامتنان فقد عرّفهم بكمال قدرته وعظيمَ منته.

(٢) جائز أن يكون لهم شكر قليل، وجائز أن يكون لا شكر لهم البتة، وإنما هو من باب الاحتراس لا ينقض الخبر. بأدنى شكر منهم.

(٣) جمع الأبصار والأفئدة باعتبار تعدد الأفراد، ووحد السمع لأنه مصدر فجرى على الأصل.

(٤) هذه بعض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وحده، والموجبة لتصديقه فيما واعد به وأوعد، من نعيم الآخرة وعذابها.

(٥) (وله اختلاف الليل والنهار) هذه اللام : لام الاختصاص إذ لا قدرة لكائن سواه على اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر، والضياء والظلام، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات على اختلافها وتنوعها.

(٦) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم تعقلهم وفهمهم لدلائل التوحيد والبعث والجزاء، والفاء: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع على ما تقدم من الأدلة في السياق.

(٧) في هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة لأنَّ الكلام انتقل من التقريع إلى حكاية ضلالهم، وبل: للاضراب الإبطالي أي: أبطل كونهم يعقلون مع إثبات إنكارهم للبعث مع علّة الإنكار وهي: تقليدهم لآبائهم.

أن يؤمنوا باليوم الآخر لِما دَلّ عليه من هذه الأدلة التي لا يردها عاقل ولا ينكرها عقل عادوا فقالوا قولة المنكرين من الأمم قبلهم: ﴿قالوا أءذا متنا وكنا تراباً أءنا لمبعثون﴾[1] وهو انكار صريح منهم للبعث الآخر. وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى عنهم، وهم يعلنون تكذيبهم لله تعالى ورسوله: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل[2] إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي لقد وعد هذا آباؤنا من قبل ولم يحصل ما هذا الذي يقال إلا أساطير أي حكايات سطرها الأولون في كتبهم فهي تروى ويتناقلها الناس ولا حقيقة لها ولا وجود.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.

٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.

٣ - سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله.

قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ

(١) قرأ الجمهور بهمزتين: الأولى. همزة الاستفهام، والثانية: همزة إذ الشرطية وكذلك مع (إنا لمبعوثون) إلاّ نافعاً وأبا عمرو فقد قرءابهمزة واحدة اكتفاء بهمزة الاستفهام الأولى: الدالة على الشرط عن همزة الجواب. والاستفهام إنكاري.

(٢) من قبل محمد ﷺ وجملة: (إن هذه لأساطير الأولين جملة مستأنفة استئنافاً بيانيا جواباً لمن قال: كيف رد الأولون والآخرون على هذا القول؟

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

شــرح الكلمـات :

قل أفلا تذكرون : فتعلمون أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا إله إلا هو.

قل أفلا تتقون : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.

من بيده ملكوت كل شيء : أي ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء.

وهو يجير ولا يجار عليه : يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أراده بسوء.

فأنى تسحرون : أي كيف تخدعون وتصرفون عن الحق.

بل أتيناهم بالحق : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

ولعلا بعضهم على بعض : أي قهراً وسلطاناً.

عما يصفون : أي من الكذب كزعمهم أن لله ولداً وأن له شريكاً وأنه غير قادر على البعث.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقال تعالى لرسوله قل[1] لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من المخلوقات ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من هي له فسموه. ولما لم يكن لهم من بُدٌّ أن يقولوا ﴿لله﴾ أخبر تعالى أنهم سيقولون لله. إذاً قل لهم: ﴿أفلا تذكرون[2]﴾ فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً وتصرفاً لايصلح أن يكون له شريك من عباده، وهو رب كل شيء ومليكه. وقوله: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي سَلْهُمْ من هو رب السموات السبع وربّ العرش العظيم. الذي أحاط بالملكوت كله، أي من هو خالق السموات السبع، ومن فيهن ومن خالق العرش العظيم ومالك ذلك كله والمتصرف فيه، ولما لم يكن من جواب سوى الله أخبر تعالى أنهم سيقولونِ الله أي خالقهاوهي لله ملكا وتدبيرا وتصريفا إذا قل لهم يارسولنا ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله وأنتم تنكرون عليه قدرته في إحياء الناس بعد موتهم وتجعلون له أندادا تعبدونها معه[3]، أما تخافون عقابه أما

(١) قل يا رسولنا جواباً لهم عما قالوه: (لمن الأرض..) الخ.

(٢) أي: تتعظون فتعلموا.. الخ.

(٣) وتجعلون لله البنات وأنتم تكرهون ذلك لأنفسكم فكيف ترضونه لربكم؟

تخشون عذابه وقوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾[1]، أي سلهم يارسولنا فقل لهم من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وخزائنه؟ وهو يجير من يشاء أي يحمي ويحفظ من يشاء فلا يستطيع أحد أن يمسه بسوء ولا يجار عليه، أي ولا يستطيع أحد أن يجير أي يحمي ويحفظ عليه أحداً أراده بسوء وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون أحداً غير الله بيده ملكوت كل شيء ويجير ولا يجار عليه فاذكروه، ولما لم يكن لهم أن يقولوا غير الله، أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي[2] هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهي لله خلقاً وملكاً وتصرفاً إذاً قل لهم ﴿فأنى تسحرون؟﴾ أي كيف تخدعون فتصرفون عن الحق فتعبدون غير الخالق الرازق، وتنكرون على الخالق إحياء الأموات وبعثهم وهو الذي أحياهم أولاً ثم أماتهم ثانياً فكيف ينكر عليه إحياءهم مرة أخرى وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾[3] أي ليس الأمر كما يتوهمون ويخيل إليهم بل أتيناهم بذكرهم الذي هو القرآن به يذكرون لأنه ذكرى وذكر، وبه يذكرون لأنه شرف لهم وإنهم لكاذبون في كل مايدعون ويقولون. ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾[4] ولا بنت، ﴿وما كان معه من إله﴾ ولا ينبغي ذلك، والدليل المنطقي العقلي الذي لا يرد هو أنه لو كان مع الله إله آخر لقاسمه الملك وذهب كل إله بما خلق، ولحارب بعضهم بعضاً وعلا بعضهم على بعض غلبة وقهراً وقوله تعالى: ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً لله تعالى عما يصفون به الواصفون من صفات العجز كاتخاذ الولد والشريك، والعجز عن البعث. وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب[5] والشهادة﴾ أي ماظهر ومابطن، وما غاب وما حضر فلوكان معه آلهة أخرى لعرفهم وأخبر عنهم ولكن هيهات هيهات أن يكون مع الله إله آخر وهو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء. ﴿فتعالى عما يشركون﴾[6]

---

(١) الملكوت: من صفات المبالغة كالجبروت، والرهبوت، والمراد: ملك كل شيء، وهذا كله احتجاج على العرب لأنهم مقرّون بالله ربّاً، والاستفهام فيه وفي الذي قبله: تقريري لأنهم مقرّون أن الله هو ربّ السموات وأنه الذي بيده ملكوت كل شيء.

(٢) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) في الموضعين الأخيرين، ولا خلاف في الموضع الأول لأنه سؤال بـ لمن الملك؟ ومن قرأ في الأخيرين بلفظ: الله فلأنّ السؤال بغير اللام فجاء الجواب على لفظه. ومن أجاب بـ الله، فإنه راعى المعنى إذ رب السموات: مالكها فهي له وملكوت كل شيء لله.

(٣) (بل أتيناهم بالحق): إضراب لإبطال كونهم مسحورين. أي: ليس الأمر كما يخيّل إليهم، وإنما أتيناهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون، فهذه علّة إعراضهم وعدم قبولهم لدعوة الحق، وقولهم فيه (إن هذا إلّا أساطير الأولين).

(٤) نفى عنه تعالى اتخاذ الولد كما نفى أن يكون له شريك في الألوهية بالبرهان العقلي وهو: أنه لو كان معه آلهة لاقتسموا الكون وذهب كل إله بما خلق، وقد يحارب بعضهم بعضاً ويعلو من يغلب ولم يكن من مظاهر هذا شيء البتة فثبتت النتيجة وهي المذكورة أولا: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله).

(٥) هذا من جملة أدلة نفي الشريك له تعالى إذ العالم بكل شيء كيف يكون له شريك ولا يعرفه، وقرأ حفص عالم بالجر على أنه نعت لاسم الجلالة في قوله (سبحان الله)، وقرأ نافع بالرفع على أنه خبر لمحذوف أي: هو عالم.

(٦) (عما يشركون) ما مصدرية، والمعنى: تعالى عن إشراكهم. أي: هو منزه عن أن يكون له شريك.

علواً كبيراً وتنزه تنزهاً عظيمًا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته.
٢ ـ تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته.
٣ ـ تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد وإبطال ترهات المفترين.
٤ ـ الإستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

شـــرح الكلمـات :

إما تريني ما يوعدون : أي إن تُريني من العذاب.

ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفـع بالخصلة التي هي أحسن وذلـك كالصفح والإعراض عنهم.

من همزات الشياطين : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده.

أن يحضرون : أي في أموري حتى لايفسدوها علي.

جاء أحدهم الموت : أي رأى علاماته ورآه.

برزخ : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل.

معنى الآيات:

في هذا السياق تهديد للمشركين الذين لم ينتفعوا بتلك التوجيهات التي تقدمت في الآيات قبل هذه، فأمر الله تعالى رسوله أن يدعوه ويضرع إليه إن هو أبقاه حتى يحين هلاك قومه، أن لا يهلكه معهم فقال: ﴿قل رب إما تريني[1]﴾ أي أن تريني ﴿مايوعدون﴾ أي من العذاب، ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ بل أخرجني منهم وأبعدني عنهم حتى لا أهلك معهم. وقوله تعالى: ﴿وإنا على أن نريك[2] مانعدهم لقادرون﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه قادر على إنزال العذاب الذي وعد به المشركين إذا لم يتوبوا قبل حلوله بهم.

وقوله: ﴿ادفع بالتي[3] هي أحسن﴾ هذا قبل أمره بقتالهم: أمره بأن يدفع مايقولونه له في الكفر والتكذيب بالخُلة والخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم وعدم الإلتفات إليهم. وقوله: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أي من قولهم لله شريك وله ولد، وأنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا بعث ولا حياة ولا نشور يوم القيامة وقوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات[4] الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ لما علمه الاحتراز والتحصن من المشركين بالصفح والإعراض أمره أن يتحصن من الشياطين بالإستعاذة بالله تعالى فأمره أن يقول ﴿رب﴾ أي يارب ﴿أعوذ[5] بك﴾ أي استجير بك من همزات الشياطين أي وساوسهم حتى لا يفتنوني عن ديني وأعوذ بك أن يحضروا أمري فيفسدوه علي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أي إذا حضر أحد أولئك المشركين الموت

---

(١) أصل إما: إن ما، إن شرطية، وما: صلة لتقوية الشرط، وجواب الشرط فلا تجعلني مع القوم الظالمين، علمه ربه هذا الدعاء ليدعو به. أي: إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني عنهم وأبعدني عنهم. وفي الآية تهديد عظيم للمشركين.

(٢) الجملة تحمل وعيداً آخر مؤكداً للأول الذي تضمنته جملة (ربِّ إمّا تريني ما يوعدون).

(٣) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باق، وهو الصفح وعدم المؤاخذة فيما بينهم وأمّا بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادعة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد.

(٤) جمع همزة، والهمز في اللغة النخس والدفع، يقال: همزه ونخسه ودفعه، قال الليث: الهمز: كلام من وراء القفا، واللمز: مواجهة والشيطان يوسوس بوساوسه في صدر ابن آدم، الهمس لغة: الكلام الخفي يقال: همس في أذنه بكذا: أسرّ به إليه.

(٥) هذا التعوذ، وإن خوطب به الرسول ﷺ فهو لأمته معه بل هي أحوج منه إليه، وهمزات الشيطان: هي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان بها نفسه وقد شكا خالد بن الوليد للنبي ﷺ أنه كان يؤرق من الليل فأمره أن يقول أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شرّ عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون).

أي رأى ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه ﴿قال رب ارجعون﴾[1] أي أخروا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح، وفيما ضيعت من واجبات قال تعالى رداً عليه ﴿كلا﴾[2] اي لا رجوع أبداً، ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ لا فائدة منها ولا نفع فيها، ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي حاجز مانع من العودة إلى الحياة وهو أيام الدنيا كلها حتى إذا انقضت عادوا إلى الحياة،ولكن ليست حياة عمل وإصلاح ولكنها حياة حساب وجزاء هذا معنى قوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾.[3]

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن.

٢ ـ استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه.

٣ ـ مشروعية الإستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لايفسدوه عليه بالخواطر السيئة.

٤ ـ موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يُمكن منه فيموت بندمه وحسرته ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

---

(١) (ربِّ ارجعون) هذا تمنٍّ للحياة الدنيا بعد ذهابها، وهيهات هيهات أن تعود!! وقوله: (ارجعون): خاطب الربَّ تعالى بضمير التعظيم وتعظيم المخاطب شائع في كلام العرب.

(٢) كلا: ردع للسامع ليعلم يقينا إبطال ما يطلبه الكافر من الرجوع.

(٣) البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

شــرح الكلمات :

في الصور : أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء.

المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

تلفح وجوههم النار : أي تحرقها

وهم فيها كالحون : الكالح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه.

ألم تكن آياتي تتلى عليكم : أي يوبخون ويذكرون بالماضي ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات آيات القرآن.

غلبت علينا شقوتنا : أي الشقاوة الأزلية التي تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده.

أخرجنا منها فإن عدنا : أي من النار فإن عدنا إلى الشرك والمعاصي.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والدعوة إلى ذلك وعرض الأدلة وتبيينها وتنويعها، إذ لا يمكن استقامة إنسان في تفكيره وخلقه وسلوكه على مناهج الحق والخير إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بوجود الله تعالى ووجوب طاعته وتوحيده في عباداته، وبالواسطة في ذلك وهو الوحي والنبي الموحي إليه، وبالبعث الآخر الذي هو دور الحصاد لما زرع الإنسان في هذه الحياة من خير وشر فقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ[1] في الصور فلا أنساب[2] بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ هذا عرض لما يجرى في الآخرة فيخبر تعالى أنه إذا نفخ اسرافيل بإذن الله في الصور الذي هو القرن أي كقرن الشاة لقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك

(١) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، والحشر والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والأخيرة نفخة الحساب والجزاء.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا: من أي قبيلة أنت ولا من أي نسب ولايتعارفون لهولما أذهلهم!!

يومئذ يوم عسير﴾ فلشدة الهول وعظيم الفزع لم يبق نسب[1] يراعى أو يلتفت إليه بل كل واحد همه نفسه فقط، ولا يسأل حميم حميًا وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ قالت: هل تذكرون أهليكم يارسول الله يوم القيامة فقال أما عند ثلاثة فلا: إذا تطايرت الصحف، وإذا وضع الميزان وإذا نصب الصراط ومعنى هذا الحديث واضح والشاهد منه ظاهر وهو أنهم لا يتساءلون.

وقوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ أي من رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته أفلح أي نجا من النار وأدخل الجنة وَمن خفت موازينه بأن حصل العكس فقد خسر وَ أبعد عن الجنة وأدخل النار وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح[2] وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾[3] أي تحرق وجوههم النار فيكلحون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أبشع منظر وأسوأه وقوله تعالى: ﴿ألم تكن[4] آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟﴾ هذا يقال لهم تأنيباً وتوبيخاً وهم في جهنم وهو عذاب نفساني مع العذاب الجثماني ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أما كان رسلنا يتلون عليكم آياتنا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ بأقوالكم وأعمالكم أو بأعمالكم دون أقوالكم فلم تحرموا ما حرم الله ولم تؤدوا ما أوجب الله، ولم تنتهوا عما نهاكم عنه. وقوله تعالى: ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾[5] هذا جوابهم كالمعتذرين بأن شقاءهم كان بقضاء وقدر فلذا حيل بينهم وبين الإيمان والعمل الصالح. وقوله تعالى: ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ هذا قولهم أيضاً وهو اعتراف صريح بأنهم كانوا ضالين. ثم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾[6] هذا دعاؤهم وهم في جهنم يسألون ربهم أن يردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويستقيموا على صراط الله المستقيم الذي هو الإسلام وسوف ينتظرون جواب الله تعالى ألف سنة، وهو ماتضمنته الآيات التالية.

---

(١) ورد ما يخصص هذا العموم وهو قوله ﷺ (كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) رواه الطبراني فإنه إن صح يكون مخصصا لعموم الآية. والله أعلم.

(٢) (تلفح) وتنفح بمعنى واحد لقوله تعالى: (ولإن مستهم نفحة من عذاب ربك) إلاّ أن تلفح أبلغ من تنفح واشد.

(٣) الكلوح: تكشر في عبوس، والكالح الذي تشمّرت شفتاه وبدت أسنانه قال ابن مسعود: أرأيت الرأس المشتط بالنار وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه.

(٤) الاستفهام للتقريع والتأنيب، والتذكير بما يزيد في حسرتهم وعظيم محنتهم وبلائهم.

(٥) قرأ ابن مسعود وبها قرأ الكوفيون إلا حفصاً شقاوتنا وقرأ الجمهور شقوتنا

(٦) وما يستقيمون لو ردوا لعلم الله تعالى بهم إذ قال عز وجل: (ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه، وإنهم لكاذبون).

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات.

٢ ـ تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة.

٣ ـ تقرير أن إسرافيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نبهت عليها هنا حتى لا يغتر بها المؤمنون.

٤ ـ الإعتذار بالقدر لاينفع صاحبه، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله ولينته بنهيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور.

قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾

شرح الكلمات :

إخسأوا	: أي أبعدوا في النار أذلاء مخزيين.
فريق من عبادي	: هم المؤمنون المتقون.
فاتخذتموهم سخرياً	: أي جعلتموهم محط سخريتكم واستهزائكم.
بما صبروا	: أي على الإيمان والتقوى.
هم الفائزون	: أي الناجون من النار المنعمون في الجنة.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون[1]﴾ هذا جواب سؤالهم المتقدم حيث قالوا : ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون[2]﴾ وعلل تعالى لحكمه فيهم بالإبعاد في جهنم أذلاء مخزيين يقوله : ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وهو فريق المؤمنين المتقين[3] يقولون ﴿ربنا آمنا فاغفر لنا﴾ ذنوبنا ﴿وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ أي يعبدوننا ويتقربون إلينا ويتوسلون بإيمانهم وصالح أعمالهم ويسألوننا المغفرة والرحمة وكنتم أنتم تضحكون من عبادتهم ودعائهم وضراعتهم إلينا وتسخرون منهم[4] إني جزيتهم اليوم بصبرهم على طاعتنا مع ما يلاقون منكم من اضطهاد وسخرية . ﴿أنهم[5] هم الفائزون﴾ برضواني في جناتي لا غيرهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة : ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ .
٢ ـ فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال .
٣ ـ حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك منه .
٤ ـ فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد .

---

(١) أي : أبعدوا في جهنم كما يقال لكلب : اخسأ أي : أبعد، يقال : خسأ الكلب وأخساه لازم ومتعدّ . يروي عن ابن المبارك عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ثمّ يرد عليهم (إنكم ماكثون) والصحيح أنه يجيبهم بعد ألف سنة، وعندها ينقطع رجاؤهم ودعاؤهم ويقبل بعضهم على بعض فيتنابحون كالكلاب وقد اطبقت عليهم النار .

(٢) الظلم : وضع الشي في غير موضعه وعابد غير الله تعالى واضع العبادة في غير موضعها فلذا هو ظالم والشرك ظلم عظيم .

(٣) كبلال وصهيب وعمّار وخباب من فقراء المسلمين الذين كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم ويسخرون منهم .

(٤) في الآية دليل على حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به .

(٥) قرىء بفتح الهمزة أي : لأنهم هم الفائزون وقرىء بكسرها على الابتداء .

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)

شرح الكلمات:

كم لبثتم في الأرض : أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم؟.

فاسأل العادين : يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو من يعد أما نحن فلم نعرف.

خلقناكم عبثاً : أي لا لحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا.

فتعالى الله الملك الحق : أي تنزه الله عن العبث.

لا برهان له : الجملة صفة لـ «إلهاً آخر» لا مفهوم لها إذ لا لايوجد برهان ولا حجة على صحة عبادة غير الله تعالى إذ الخلق كله مربوب لله مملوك له.

حسابه عند ربه : أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم مع أهل النار المنكرين للبعث والتوحيد بقوله تعالى: ﴿قال كم

لبثتم في الأرض عدد سنين؟﴾ هذا سؤال طرح عليهم أي سألهم ربهم وهو أعلم بلبثهم كم لبثتم من سَنة في الدنيا مدة حياتكم فيها ومدة لبثكم أمواتاً في قبوركم؟ فأجابوا قائلين ﴿لبثنا يوماً أو بعض[1] يوم فاسأل[2] العادين﴾ أي من كان يعد من الملائكة أو من غيرهم، وهذا الإضطراب منهم عائد إلى نكرانهم للبعث وكفرهم في الدنيا به أولاً وثانياً أهوال الموقف وصعوبة الحال وآلام العذاب جعلتهم لايعرفون أما أهل الإيمان فقد جاء في سورة الروم أنهم يجيبون إجابة صحيحة إذ قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾. وقوله تعالى: ﴿إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون[3]﴾ هذا بالنظر إلى ماتقدم من عمر الدنيا، فمدة حياتهم وموتهم إلى بعثهم ما هي إلا قليل وقوله تعالى: ﴿أفحسبتم[4] أنما خلقناكم[5] عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾، هذا منه تعالى توبيخ لهم وتأنيب على إنكارهم للبعث أنكر تعالى عليهم حسبانهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشرب والنكاح كما هو ظن كل الكافرين وأنهم لايبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم. وقوله تعالى: ﴿فتعالى[6] الله الملك الحق﴾ أي عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله: ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي لا معبود بحق إلا هو ﴿رب العرش الكريم﴾ أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم والعرش سرير الملك وهو كريم لما فيه من الخير وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض، ولم لا يكون العرش كريماً وعظيماً ومالكه جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة.

---

(١) هذا السؤال موجه للمشركين في عرصات القيامة، والسؤال عن لبثهم في قبورهم وجائز أن يكون عن مدة حياتهم في الدنيا.

(٢) قيل: أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في قبورهم، وقيل: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده.

(٣) هذا بالنظر إلى الدار الآخرة لا يعتبر شيئا يذكر.

(٤) روي بضعف ان ابن مسعود مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه: (أفحسبتم) الآية إلى (رحيم) فبرأ فقال رسول الله ﷺ: (ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال)

(٥) أي: مهملين كما خلق البهائم لاثواب لها ولا عقاب عليها كقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدىً).

(٦) (فتعالى الله): أي تنزه وتقدس الله الملك الحق عن الأولاد والشركاء والأنداد، وعن أن يخلق شيئا عبثاً أو سفهاً

وقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له﴾ أي ومن يعبد مع الله إلهاً آخر بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو النذر والذبح، وقوله: لا برهان له أي لا حجة له ولا سلطان على جواز عبادة ما عبده، ومن أين يكون له الحجة والبرهان على عبادة غير الله والله رب كل شيء ومليكه وقوله تعالى: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي الله تعالى ربه يتولى حسابه ويجزيه بحسب عمله وسيخسر خسرانا مبينا لأنه كافر والكافرون لايفلحون أبداً فلا نجاة من النار ولا دخول للجنة بل حسبهم جهنم وبئس المهاد. وقوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم[1]﴾ أي أمر الله تعالى رسوله أن يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي وارحمني واغفر لسائر المؤمنين وارحمهم أجمعين فأنت خير الغافرين والراحمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه فليتق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال.
٢ - تنزه الله تعالى عن العبث واللهو واللعب.
٣ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٤ - كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر.
٥ - الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم.
٦ - استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات.

(١) نظرت إلى حذف المفعول في: اغفر وارحم فانقدح في نفسي أن لحذفه سراً وهو: أن يكون عاماً في المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

سُورَةُ النُّورِ [1]

مدنية

وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

سورة أنزلناها : أي هذه سورة أنزلناها.

وفرضناها : أي فرضنا ما فيها من أحكام.

وأنزلنا فيها آيات بينات : أي وأنزلنا ضمنها آيات أي حججاً واضحات تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

لعلكم تذكرون : أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام.

الزانية : من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة.

مائة جلدة : أي ضربة على جلد ظهره.

رأفة : شفقة ورحمة.

وليشهد عذابهما : أي اقامة الحد عليهما.

(١) روي أن عمر رضي الله عنه: كتب يوماً إلى أهل الكوفة. علّموا نساءكم سورة النور. كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور، والغزل.

طائفة : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من الثلاثة.

الزاني لا ينكح إلا زانية : أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لايقع وطء إلاّ على مثله.[1]

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه سورة من كتاب الله أنزلناها أي على عبدنا ورسولنا محمد ﷺ ﴿وفرضناها﴾ أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام، وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تتعظون فتعملون بما حوته هذه السورة من أوامر ونواه وآداب وأخلاق وقوله تعالى: ﴿الزانية[2] والزاني فاجلدوا كل[3] واحد منهما مائة جلدة﴾ أي من زنت برجل منكم أيها المسلمون وهما بكران حُرَّان غير محصنين ولا مملوكين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعصا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً أي جلداً غير مبرح، وزادت السنة تغريب سنة، وقوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾، أي لا تشفقوا عليهما فتعطلوا حَدَّ الله تعالى وتحرموهما من التطهير بهذا الحد لأن الحدود كفارة لأصحابها، وقوله: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي فأقيموا عليهما الحد وقوله: ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي إقامة الحد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ أي ثلاثة أنفار فأكثر وأربعة أولى لأن شهادة الزنا تثبت بأربعة شهداء وكلما كثر العدد كان أولى وأفضل.

وقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ أي لا يطأ إلا مثله من الزواني أو مشركة لا دين لها، والزانية أيضاً لايطأها إلا زانٍ مثلها أو مشرك ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرم الله الزنا على المؤمنين والمؤمنات ولازم هذا أن لانزوج زانياً من عفيفة إلا بعد توبته،[4] ولا نزوج زانية من عفيف إلا بعد توبتها.[5]

---

(١) أي: إلا مثل الواطىء يريد الزاني بالزانية والمشرك بالمشركة.

(٢) قرأ الجمهور برفع الزانية وقرأ: عيسى الثقفي بالنصب وهو أوجه عند سيبويه لأنه نحو: زيداً أضربه، وتقدير الرفع: مما يتلى عليكم الزانية والزاني. على تقديم الخبر، وقدمت الزانية لأنّ الزنى في النساء أعرّ وأقبح وأضر للحمل، وال: في الزانية والزاني: للجنس ليعم سائر الزناة، على مرور الأعصر والأيام.

(٣) لا خلاف في أنّ الذي يقوم بإقامة هذا الحد هو الإمام أو نائبه والسادة في العبيد، وأن السوط يكون بين اللين والشدة وسطا بينهما، ولا يتعدى هذا الحد إلا أن يجرؤ الناس على الجرائم ويكثر الشر والفساد فيعزرون بما يردعهم.

(٤) قيل: إن هذه الآية منسوخة بآية: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) وما في التفسير أولى وأظهر وبه العمل.

(٥) الجمهور على أن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد استبرائها بحيضة وإذا زنت امرأة الرجل أو زنى هو لا يفسد نكاحهما.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الثيبان فالرجم إن كانا حرين أو جلد خمسين[١] جلدة لكل واحد منهما إن كانا غير حرين.

٢ ـ وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين.

٣ ـ لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته، ولا الزانية إلا بعد توبتها.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

شـرح الكلمـات :

يرمون	: أي يقذفون.
المحصنات	: أي العفيفات والرجال هنا كالنساء.
فاجلدوهم	: أي حداً عليهم واجباً.
ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً	: لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات.
إلا الذين تابوا	: فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم.

معنى الآيتين :

بعد بيان حكم الزناة بين تعالى حكم القذف فقال: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾[٢] أي والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط

(١) لقوله تعالى من سورة النساء (فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) والمراد به: الإماء والعبيد مثلهن، ولما كان الموت لا ينصّف فعلم أنه الجلد خمسين جلدة.

(٢) قيل: خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم لأنّ القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هو هوى الرجال.

فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة[1] فإن عليه أن يحضر شهوداً أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية: وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره وتسقط عدالته حتى يتوب وهو معنى قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ أي عن طاعة الله ورسوله ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ بأن كذبوا أنفسهم بأنهم ما رأوا الفاحشة وقوله: ﴿فإن الله غفور﴾ فيغفر لهم بعد التوبة ﴿رحيم﴾ بهم يرحمهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعدما تابوا منه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلمًا[2] عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رميه بها.[3]

٢ ـ سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته.

٣ ـ قبول توبة التائب إن كانت توبته صادقة[4] نصوحاً.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾

---

(١) اختلف في التعريض هل يوجب الحد أو لا؟فمالك يرى إيجابه إذا حصلت المعرة بالتعريض وإلا فلا وأخذ التعريض من اية: (إنك لأنت الحليم الرشيد) قاله قوم شعيب لنبيهم شعيب عليه السلام تعريضاً به لا مدحاً له ومن أمثلة التعريض قول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها　　واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

شبهه بالنساء.

وقال آخر:

قبيلة لايغدرون بذمة　　ولا يظلمون الناس حبّة خردل

اتهم القبيلة بالضعف وهو من أحوال النساء.

(٢) للقذف شروط تسعة: العقل والبلوغ وهما للقاذف والمقذوف سواء إذ هما شرط التكليف، وشرطان في الشيء المقذوف به وهما أن يكون القذف بوطء يوجب الحد وهو الزنى واللواط أو بنفيه من أبيه وخمسة في المقذوف وهي: العقل والبلوغ كما تقدّم والاسلام والحرية والعفة.

(٣) الجمهور على أنه لا حد على من قذف كتابياً ذكراً أو أنثى والاجماع على عدم إقامة الحد على من قذف كافراً لأنه لا يُحَرِمُ الزنى فكيف يحد على من قذف به؟.

(٤) إن شهد أربعة وأقيم الحد على المقذوف ثم أقرّ أحد الشهود بأنه كان كاذباً فإن لأولياء الدم بين قتله وبين العفو عنه وبين أخذ ربع الدية منه. هذا مذهب مالك وبه قال أحمد رحمهما الله تعالى.

وَالْخَامِسَةُ أَنَّ[1] لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

يرمون أزواجهم : أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول زنت أو الحمل الذي في بطنها ليس منه .

إنه لمن الصادقين : أي فيا رماها به من الزنى .

والخامسة : أي والشهادة الخامسة .

ويدرأ عنها العذاب : أي يدفع عنها حد القذف وهو هنا الرجم حتى الموت .

أن تشهد أربع شهادات : أي شهادتها أربع شهادات .

والخامسة : هي قولها غضب الله عليها إن كان من الصادقين .

ولولا فضل الله عليكم : أي لفضح القاذف أو المقذوف ببيان كذب أحدهما .

معنى الآيات:

بعد بيان حكم حد القذف[2] العام ذكر تعالى حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى: ﴿والذين يرمون[3] أزواجهم﴾ أي بالفاحشة ﴿ولم يكن لهم شهداء[4]﴾ أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي إلا القاذف وحده فالذي يقوم مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع[5] شهادات قائلاً: أشهد[6] بالله لقد رأيتها تزني أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ويلتعن فيقول في الخامسة ﴿لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ أي فيا رمى به زوجته . وهنا يعرض على الزوجة أن تقر بما رماها به زوجها ويقام عليها حد القذف وهو هنا الرجم، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها مازنت، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله

---

(١) قرأ الجمهور بتشديد (أنَّ لعنة الله عليه) (وأنَّ غضب الله عليها) بلفظ المصدر في (أن غضب الله) وتقدر باء الجر قبل أنَّ لأنها هي التي اقتضت فتح أنَّ، وقرأ نافع بتخفيف نون ان في الموضعين وغضب بصيغة الماضي .

(٢) ويعرف باللعان: لأن كلا من الزوجين يلعن نفسه إن كان كذباً .

(٣) نزلت هذه الأيات في قضية عويمر العجلاني مع زوجته خولة بنت عاصم أو قيس. فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه أم كيف يفعل؟ قال رسول الله ﷺ: (قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك) فاذهب فأت بها فأتى بها وتلاعنا وكانت هذه الحادثة في شعبان سنة تسع عقب القفول من غزوة تبوك .

(٤) حذف متعلق شهداء لظهوره من السياق أي: شهداء على ما ادعوه مما رموا به أزواجهم .

(٥) قامت الأربع شهادات مقام أربعة شهود الذين لابد منهم في القذف بالفاحشة خاصة فشهادة القتل والسرقة وغيرها يكتفى بشاهدين وفي القذف لابد من أربعة شهود .

(٦) سميت الأيمان هنا شهادة لأنها اقمت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها .

فتقول ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فيما رماها به، وبذلك درأت عنها العذاب الـذي هو الحد ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله[1] عليكم ورحمته﴾ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين: ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.

٢ - بيان كيفية اللعان، وأنه موجب لإقامة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾.

٣ - في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

---

(١) هذا تذييل لما مرّ من الأحكام العظيمة الدالة على تفضل الله على عباده المؤمنين بأفضل تشريع وأحسن حل لأخطر مشكلة اجتماعية.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

شـــرح الكلمات:

بالإفك عصبة : الإفك الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبة الجماعة.

شراً لكم بل هو خير لكم : الشر ما غلب ضرره على نفعه، والخير ما غلب نفعه على ضرره، والشر المحض النار يوم القيامة والخير المحض الجنة دار الأبرار.

والذي تولى كبره : أي معظمه وهو ابن أبي كبير المنافقين.

لولا : أداة تحضيض وحث بمعنى هَلاَّ.

فيما أفضتم فيه : أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ.

إذ تلقونه : أي تتلقونه أي يتلقاه بعضكم من بعض.

وتحسبونه هيناً : أي من صغائر الذنوب وهو عند الله من كبائرها لأنه عرض مؤمنة هي زوج رسول الله ﷺ.

سبحانك. : كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

بهتان عظيم : البهتان الكذب الذي يحيّر من قيل فيه.

يعظكم الله : أي ينهاكم نهياً مقروناً بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبداً.

معنى الآيات:

بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق لا يحصون عداً إذ طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ وَرَّث فيهم رؤوساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتغريراً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردهم النار باسم

الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباها ولوثوا شرف زوجها ﷺ بنسبة زوجه إلى الفاحشة.

وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ بعد أن فرض الحجاب على النساء المؤمنات خرج إلى غزوة تدعى غزوة بني المصطلق أو المريسيع، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهوادج وجدوا هودج عائشة رضى الله عنها فظنوها فيه فوضعوه على البعير وساقوه ضمن الجيش ظانين أن عائشة فيه، وما هي فيه، لأنها ذكرت عقداً لها قد سقط منها في مكان تبرزت فيه فعادت تلتمس عقدها فوجدت الجيش قد رحل فجلست في مكانها لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها ومازالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن معطل السلمي رضى الله عنه وكان الرسول ﷺ قد عينه في الساقة وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاع أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر فنظر فرآها من بعيد فأخذ يسترجع أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون آسفاً لتخلف عائشة عن الركب قالت رضى الله عنها فتجلببت بثيابي وغطيت وجهي وجاء فأناخ راحلته فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ في المعسكر، وما إن رآني ابن أبي لعنة الله عليه حتى قال والله مانجت منه ولا نجا منها، وروج للفتنة فاستجاب له ثلاثة أنفار فرددوا ما قال وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ﴿والذي تولى كبره﴾ هو ابن أبي المنافق وتورط آخرون ولكن هؤلاء الأربعة هم الذين أشاعوا وراجت الفتنة في المدينة واضطربت لها نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه وآل بيته فأنزل الله هذه الآيات في براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وبراءة صفوان رضى الله عنه، ومن خلال شرح الآيات تتضح جوانب القصة.

قال تعالى: ﴿إن الذين[1] جاءوا بالإفك عصبة منكم[2]﴾ أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله: ﴿عصبة﴾ أي جماعة لايقل عادة عددهم على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر

(١) هذا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، والإفك: الكذب الخالص .الذي لا شبهة فيه يفاجأ به المرء فيبهته فيصير بهتانا وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو القلب ومن صوره أن يقال في الصادق كاذب والطاهر خبيث ونحو ذلك.

(٢) عصبة: خبر إنّ، والعصبة: الجماعة يتعصب بعضهم لبعض.

مات على كفره ونفاقه، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها وحسان بن ثابت رضي الله عنه، وقوله تعالى: ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه ﴿بل هو خير لكم﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى: ﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه.

وقو : ﴿والذي تولى كبره[1] منهم له عذاب عظيم﴾ وهو عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله.

وقوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه[2] ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل: ﴿لولا﴾ أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم مافعلتم.

وقوله تعالى: ﴿لولا جاءوا[3] عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالافك فإنهم لايأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل[4] الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم[5] فيه عذاب عظيم﴾ هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً إذ بولوغكم في عرض أم المؤمنين، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم. وقوله: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي يتلقاه بعضكم من بعض، ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ وهذا عتاب وتأديب. وقوله: ﴿وتحسبونه هينا﴾ أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت أجمعين.

---

(١) الكبر. بكسر الكاف قراءة الجمهور ومعناه: أشد الشيء ومعظمه، وقرىء كُبره بضم الكاف.

(٢) كلام مستأنف سوق لتوبيخ العصبة وفيه تربية للمسلمين وإرشاد لهم لما ينبغي أن يكونوا عليه من الآداب

(٣) لولا: هذه مثل سابقتها حرف تحريض

(٤) لولا هذه حرف امتناع لوجود، امتنع مس العذاب لوجود فضل الله ورحمته.

(٥) الإفاضة في القول: التوسع فيه مشتقة من إفاضة الماء على العضو.

وقوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه[1] قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ إذ هذه مما لايصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه. وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع ﴿سبحانك﴾ أي يارب ﴿هذا﴾ أي الإفك ﴿بهتان عظيم﴾ بهتوا به أم المؤمنين وصفوان.

وقوله: ﴿يعظكم[2] الله﴾ أي ينهاكم الله مخوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة ﴿أن تعودوا لمثله أبداً﴾ أي طول الحياة فإياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً. وقوله: ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.

٢ ـ بشاعة الإفك وعظيم جرمه.

٣ ـ العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة.

٤ ـ واجب المؤمن أن لايصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين.

٥ ـ حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ

---

(١) لولا هنا بمعنى: هلا وهي للتوبيخ.

(٢) قال مالك: من سبّ أبا بكر وعمر أدّب ومن سبّ عائشة كفر لأن عائشة برأها الله تعالى فمن سبّها بغير الفاحشة أدّب ومن سبّها بالفاحشة كفر لأنه كذّب الله تعالى.

ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

شــرح الكلمـات :

أن تشيع الفاحشة : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه والفاحشة هي الزنا.

ولولا فضل الله عليكم ورحمته : جواب لولا محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة أيها العصبة.

خطوات الشيطان : نزغاته ووساوسه.

ما زكى منكم من أحد أبداً : أي ماطهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم.

ولا يأتل أولوا الفضل منكم : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والسعة : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير.

معنى الآيات:

مازال السياق في عتاب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك فقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون[1] أن تشيع الفاحشة﴾ أي تنتشر وتشتهر ﴿في الذين آمنوا﴾ أي في المؤمنين ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عدالتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار جهنم، وكفى بهذا الوعد زاجراً ورادعاً وقوله تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ أي ما يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يحبها بالعذاب الأليم في الدارين، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على مايشرع وذلك

(١) روي أنه ﷺ قال: (أيما رجل شد عضد امرىء من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع، وأيما رجل قال شفاعة دون حد من حدود الله أن يقام فقد عاند الله وأقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتتابع إلى يوم القيامة، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء أن يشقيه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يرميه بها في النار، ثم تلا مصداقه من كتاب الله: (إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة) الآية.

لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ لهلكتم[1] بجهلكم وسوء عملكم. ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[2] أي يامن صدقتم الله ورسوله لاتتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لايلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لاينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا[3] فضل الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم، فعلى الذين شعروا بكمالهم؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له. وقوله: ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية، ومن لا فلا، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل[4] أولو الفضل منكم والسعة[5] أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة

---

(١) (لهلكتم) هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق.

(٢) في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي: أنّ الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وساوس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد.

(٣) لولا هنا: حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته، والجملة سيقت للامتنان على المؤمنين ليشكروا.

(٤) روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل: (إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر آيات، قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال: لا أنزعها منه أبدا. قال ابن المبارك. هذه أرجى آية في كتاب الله.

(٥) الفضل: الزيادة وهي ضد النقص. والسعة: الغنى والائتلاء: الحلف مأخوذ من الألية التي هي الحلف.

وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ولايأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤتوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح، وليعفوا أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم وقوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر[1] الله لكم؟﴾ فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله ﷺ عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح. وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وأتى الذي هو خير.

وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفاته الثابتة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره، ولا يرحم من لا يرجو ويطلب رحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين. ومنها وجوب الإستئذان عند دخول البيوت المسكونة، ومنها وجوب غض البصر وحرمة النظر إلى الأجنبية، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ماكضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة. ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشروطها. ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى.

---

(١) (ألا تحبّون): الاستفهام للإنكار وهو مستعمل في التحضيض والحث على السعي تحصيلا للمغفرة بالعفو والصفح.

٢ ـ حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر.

٣ ـ متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.

٤ ـ على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم.

٥ ـ من حلف على شيء لايفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.

٦ ـ وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

يرمون المحصنات : أي العفيفات بالزنى.

الغافلات : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها.

المؤمنات : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

يعملون : أي من قول أو عمل.

يوفيهم الله دينهم الحق : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم.

الخبيثات : الخبيثات من النساء والكلمات -

للخبيثين : للخبيثين من الرجال
والطيبات : من النساء والكلمات
للطيبين : أي من الرجال.
أولئك مبرءون مما يقولون : أي صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنهما أي مبرءون مما قاله عصبة الإفك.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون[1] المحصنات[2] الغافلات[3] المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ هذه الآية وإن تناولت ابتداءً عبدالله بن أبي فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة أي عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر ببالها ﴿لعنوا﴾ أي أبعدوا من الرحمة الإلهية ﴿في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم﴾ في الدنيا بإقامة الحد عليهم وفي الآخرة بعذاب النار، وذلك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من سوء الأفعال وقوله تعالى: ﴿يومئذ[4] يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أي يتم ذلك يوم يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم الواجب عليهم ويعلمون حينئذ أن الله هو الحق[5] المبين أي الإله الحق الواجب الإيمان به والطاعة له والعبودية الكاملة له لا لغيره.

وقوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين[6]﴾ أي الخبيثات من النساء[7] والكلمات للخبيثين من الرجال كابن أبي، ﴿والخبيثون للخبيثات﴾ أي والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والكلمات وقوله: ﴿والطيبات للطيبين﴾ أي والطيبات من النساء والكلمات للطيبين من الرجال كالنبي ﷺ وعائشة رضى الله عنها وقوله: ﴿والطيبون للطيبات﴾ أي والطيبون من الرجال للطيبات من النساء والكلمات تأكيد للخبر السابق وقوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما

---

(١) هذه الجملة مستأنفة كجملة: (إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا..) وكلتا الجملتين تفصيل للموعظة في قوله تعالى: (يعظكم الله أن لا تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين).

(٢) الإجماع على أنّ حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياساً واستدلالا وحكماً وقضاء.

(٣) الغافلات: هن اللاتي لاعلم لهن بما رمين به وذلك لسلامة صدورهن وبُعدهن - بحكم إيمانهنّ - عن مواطن الريب.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٥) لوصف الله تعالى بالحق له معنيان جليلان. الأوّل: أنه بمعنى: الثابت الحق لأنّ وجوده واجب فذاته حق إذ لم يسبق عليها عدم ولا انتفاء فلا يقبل إمكان العدم. والثاني: أنه تعالى ذو الحق الواجب له على عباده وهو عبادته وحده دون سواه.

(٦) الابتداء بذكر الخبيثات لأنّ الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين واللام في للخبيثين: للاستحقاق.

(٧) المراد من الخبث والطيب: الصفات النفسية الفواحش: صفات خبث والفضائل صفات طهر.

يقولون﴾ أولئك إشارة إلى صفوان بن المعطل وعائشة رضي الله عنها، ومبرؤون أي من قالة السوء التي قالها ابن أُبي ومن أذاعها معه. وقوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ هذه بشرى لهم بالجنة مقابل ما نالهم من ألم الإفك الذي جاءت به العصبة المتقدم ذكرها إذ أخبر تعالى أن لهم مغفرة لذنوبهم التي لا يخلو منها مؤمن وهو الستر عنها ومحوها ورزقاً كريماً في الجنة.

وبهذه تمت براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والحمد لله أولاً وآخراً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ عِظَمُ ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقد عده رسول الله ﷺ في السبع الموبقات، والعياذ بالله تعالى.

٢ ـ تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب.

٣ ـ تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله.

٤ ـ استحقاق الخبث أهله. فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث.

٥ ـ استحقاق الطيب أهله فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب.

٦ ـ براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك.

٧ ـ بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

شــرح الكلمات :

آمنوا : أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع .

تستأنسوا : أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي.

وتسلموا على أهلها : أي تقولوا السلام عليكم أأدخل ثلاثا.

تذكرون : أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله أمركم بالإستئذان.

أزكى لكم : أي أطهر وأبعد عن الريبة والإثم .

ليس عليكم جناح : أي إثم ولا حرج .

فيها متاع لكم : أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها.

ماتبدون : أي ماتظهرونه .

وما تكتمون : أي ماتخفونه إذاً فراقبوه تعالى ولا تضمروا ما لايرضى فإنه يعلمه .

معنى الآيات :

نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً[1] غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً لاتدخلوا بيوتاً على أهلها حتى تسلموا عليهم قائليـن الســلام عليكـم[2] وتستأذنوا قائلين أندخل ثلاث مرات فإن أذن لكم بالدخول دخلتم وإن قيل لكم ارجعوا أي لم يأذنوا لكم لحاجة عندهم فارجعوا وعبر عن الإستئذان بالاستئناس لأمرين أولهما أن لفظ الإستئناس[3] وارد في لغة العرب بمعنى الإستئذان وثانيهما: أن الإستئذان من خصائص الإنسان الناطق وعدمه من خصائص الحيوان المتوحش إذ يدخل على المنزل بدون إذن إذ ذاك ليس من خصائصه.

---

(١) ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله : إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة . .) الخ .

(٢) صحّ أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (ارجع فقل السلام عليكم) وقال: (من لم يبدأ بالسلام فلا تأذنوا له).

(٣) الاستئناس، معناه طلب الأنس لأهل البيت حتى تزول الوحشة والكراهة وذلك بالاستئذان.

وقوله ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي الإستئذان خير لكم أي من عدمه لما فيه من الوقاية من الوقوع في الإثم وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالإستئذان حتى لايحصل لكم مايضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم. وقوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيهاأحداً﴾أي في البيوت يأذن لكم أي بالدخول فلا تدخلوها وقوله تعالى: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ لِأمْرٍ اقتضى ذلك ﴿فارجعوا﴾ وأنتم راضون غير ساخطين. وقوله تعالى: ﴿هو أزكى لكم﴾ أي أطهر لنفوسكم وأكثر عائدة خير عليكم. وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون[1] عليم﴾ أي مطلع على أحوالكم فتشريعه لكم الإستئذان واقع موقعه إذاً فأطيعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾. هذه رخصة منه تعالى لعباده المؤمنين بأن لايستأذنوا عند دخولهم بيوتاً غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات يحرم النظر إليهن وذلك كالدكاكين والفنادق وما إلى ذلك فللعبد أن يدخل لقضاء حاجاته المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات أما السلام فسنة على من دخل على دكان أو فندق فليقل السلام عليكم والذي يسقط هو الإستئذان أي طلب الإذن لا غير.

وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ أي يعلم ماتظهرون من أقوالكم وأعمالكم وماتخفون إذاً فراقبوه تعالى في أوامره ونواهيه وافعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الإستئذان[2] ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته.

٢ ـ الرخصة في عدم الإستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض.

---

(١) ورد في الصحيح ما يجعل الاستئذان متأكداً فوق المشروعية إذ أنّ رجلا اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مِدرا يرجّل به رأسه فقال له رسول الله ﷺ (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الله الإذن من أجل البصر) وفي الآية توعد ظاهر لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة.

(٢) وإذا قيل له مَن؟ فلا يقل أنا بل يقول فلان ابن فلان لحديث الشيخين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فقال: من هذا؟ فقالت أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا كأنه كره ذلك).

٣ ـ من آداب الإستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات.

٤ ـ في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة.

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُولِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

شـرح الكلمـات :

يغضوا من أبصارهم[1] : أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا يحل لهم أن ينظروا إليهن.

ويحفظوا فروجهم : أي يصونونها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة الزنى واللواط.

---

(١) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج لأنّ البصر رائد للقلب كما أنّ الحمّى رائد الموت. أخذ هذا المعنى شاعر فقال:

ألم تر أن العين للقلب رائد   فما تألف العينان فالقلب آلف

أزكى لهم : أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات.

ولا يبدين زينتهن : أي مواضع الزينة الساقين حيث يوضع الخلخال، وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس حيث الشعر والأقراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب والقلائد.

إلا ما ظهر منها : أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيئاً والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة.

بخمرهن على جيوبهن : أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لايبدو شيء من جسمها.

إلا لبعولتهن : البعل الزوج والجمع بعول.

أو نسائهن : أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامهن.

أو ما ملكت أيمانهن : أي العبيد والجواري فللمسلمة أن تكشف وجهها لخادمها المملوك.

أو التابعين غير أولي الإربة : أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا حاجة لهم إلى النساء.

أو الطفل : أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ.

لم يظهروا على عورات النساء : أي لم يبلغوا سناً تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء للتلذذ بهن.

ليعلم ما يخفين من زينتهن : أي الخلاخل في الرجلين.

تفلحون : أي تفوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم.

معنى الآيات:

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من[1] أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ أي مُرْ يارسولنا المؤمنين بأن يغضوا من[2] أبصارهم أي بأن يخفضوا أجفانهم على أعينهم حتى لاينظروا إلى الأجنبيات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجه فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب، وقوله: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أي أطهر لنفوسهم من نوافل العبادات ، وقوله: ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن[3]﴾ إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج وقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ أي مُرْهُن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة ﴿إلا ماظهر منها﴾ مما لايمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم وحناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لايمكنها ستره.

وقوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفيها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر ستراً كاملاً وقوله: ﴿ولا يبدين زينتهن[4]﴾ أعاد اللفظ ليرتب عليه مابعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج، والأب والجد وان علا وأب الزوج وإن علا وابنها وإن سفل وأبناء الزوج وإن نزلوا، والأخ لأب أو الشقيق أو لأم وأبناؤه وأن نزلوا ، وابن الأخ

---

(١) غض البصر واحترام النساء بعدم النظر إليهن معروف في الجاهلية وهذا عنترة بن شداد يقول:

وأغض طرفي مابدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها؟

لم يذكر الله تعالى ما يغض البصر من أجله للعلم به وهو: وجود النساء الأجنبيات، وكذا ما يحفظ منه الفرج، وهو: النظر إليه والزنى واللواط.

(٢) (من) جائز أن تكون زائدة في يغضوا أبصارهم، وجائز أن تكون للتبعيض لجواز النظر إلى المحارم.

(٣) ورد في الأمر بغض البصر في السنة قوله ﷺ (إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقال لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية).

(٤) قال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية: ان المرأة مأمورة بأن لا تُبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ماهو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر لحكم ضرورة حركة فيما لابد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فيما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه.

وان نزل وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو لأم. والمرأة المسلمة من نساء المؤمنات، وعبدها المملوك لها دون شريك لها فيه والتابع لأهل بيتها من شيخ هرم أصابه الخرف، وعنين ومعتوه وطفل صغير لم يميز دون البلوغ ممن لا حاجة لهم في النساء لعدم الشهوة عندهم لكبر ومرض وصغر.

وقوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ نهى تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها، فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها.

وقـوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والستر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب غض البصر وحفظ الفرج.[1]

٢ - وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة.

٣ - بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج.

٤ - الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً.

٥ - حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ماتخفي من زينتها.

٦ - وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل.

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

(١) وجوب غض البصر عن النظر إلى المحارم والعورات ويستحب ستر العورة عن الزوج، لحديث عائشة: (ما رأيت ذلك منه، ولا رأى ذلك مني) كما يستحب ستر العورة مطلقاً عن الله وملائكته لقوله ﷺ. (فالله أحق أن يستحي منه من الناس: لمن قال له: الرجل يكون خاليا.)

وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

شـــرح الكلمات:

وأنكحوا الآيامى منكم	**: أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم.**
والصالحين من عبادكم وإمائكم	**: أي وزوجـوا أيضاً القادرين والقادرات على أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم.**
إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله	**: أي إن يكن الأيامى فقراء فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنهم.**
إن الله واسع عليم.	**: أي واسـع الفضـل عليم بحـاجة العبد وخلته فيسدها تكرماً.**
وليستعفف	**: أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام.**
يبتغون الكتاب	**: أي يطلبون المكاتبة من المماليك**
إن علمتم فيهم خيراً	**: أي قدرة على السداد و الإستقلال عنكم.**
وآتوهم من مال الله	**: أي اعينـوهم بثمن نجم من نجـوم المكاتبة من الزكاة وغيرها.**
على البغاء إن أردن تحصناً	**: أي الزنى تحصناً أي تعففاً وتحفظاً من فاحشة الزنا.**

عرض الحياة الدنيا : أي المال.
ومن يكرههن : أي على البغاء «الزنى».
مبينات : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه.
ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم : أي قبلكم: أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف وقصة مريم وهما شبيهتان بحادثة الإفك.
وموعظة : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة.

معنى الآيات:

مازال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة فأمر تعالى في الآية الأولى من هذا السياق (٣٢) أمر جماعة المسلمين أن يزوجوا الأيامى من رجالهم ونسائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية عزبٌ إلا نادراً ولا فرق بين البكر والثيب في ذلك فقال تعالى: ﴿وأنكحوا[١]﴾ والأمر للإرشاد ﴿الأيامى﴾ جمع أيّم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة بكراً كان أو ثيباً، ﴿منكم﴾ أي من جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين. وقوله: ﴿والصالحين من عبادكم[٢] وإمائكم﴾ أي وزوجوا القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته، وتكاليفه من مماليككم وقوله: ﴿إن يكونوا فقراء﴾ غير موسرين لايمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزويجهم بقوله: ﴿يغنهم[٣] الله من فضله والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل عليم بحاجة المحتاجين وأمر تعالى في هذه الآية من لايجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتاً أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى: ﴿وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً[٤] حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل مطلق الغنى عليم بحال عباده وحاجة المحتاجين منهم. وقوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ هذه مسألة ثالثة تضمنتها هذه

---

(١) الخطاب للأولياء ولجماعة المسلمين إن عجز الأولياء أي: زوّجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والطهر والتكافل الاجتماعي. والنكاح تجرى عليه الأحكام الخمسة إذ يكون واجباً على من خاف العنت وقدر على مؤونته، ويسن لمن لم يخف العنت وقدر على مؤونته ويحرم على من لم يخف العنت ولا مؤونة لديه. ويكره لمن لم يخف العنت ويشغله عن طاعة الله تعالى ويباح لمن لا رغبة له فيه وهو قادر عليه.

(٢) اختلف في هل للسيّد أن يكره عبده أو أمته على التزوّج والذي يبدوان الإكراه يشرع مع خوف الضرر فإن لم يكن ضرر فلا إكراه

(٣) في الآية دليل على تزويج الفقير بل قال عمر: عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله).

(٤) نكاحاً: أي طَوْل نكاح فحذف المضاف، وفي الحديث الذي رواه النسائي (ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم: المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء).

الآية وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكاتبه. وكان أهلا للتحرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبة. ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكه أن يكاتبه، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم[1] إن علمتم فيهم خيراً[2] وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جاريتين كانتا لعبدالله بن أبي بن سلول المنافق يقال لهما معاذة ومسيكة قد أسلمتا فأمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكتا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة. وقوله: ﴿ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن رحيم بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٤) ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنيّة مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكملوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم. وقوله: ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك وقوله: ﴿وموعظة للمتقين﴾ وهي ماتضمنته الآيات من الوعيد والوعد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع وهو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين أحراراً وعبيداً.

٢ - وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره.

٣ - عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى.

---

(١) لا تكون المكاتبة إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد.

(٢) (خيرا) أي: صلاحاً وتقوى وقدرة على الأداء.

٤ ـ تعين مكاتبة العبد إذا توافرت فيه شروط المكاتبة.
٥ ـ حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود.
٦ ـ صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجمًا أي قسطاً. على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا.
٧ ـ بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية.

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

شـــرح الكلمـات :

الله نور السموات : أي منورهما فلولاه لما كان نور في السموات ولا في

	الأرض، والله تعالى نورٌ[1] وحجابه النور.
مثل نوره	: أي في قلب عبده المؤمن.
كمشكاة	: أي كوة
كوكب دري	: أي مضيء اضاءة الدر الوهاج.
نور على نور	: أي نور النار على نور الزيت.
يهدي الله لنوره	: أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته.
ويضرب الله الأمثال	: أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا مايدعوهم إليه.
في بيوت أذن الله أن ترفع	: هي المساجد ورفعها إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة.
يوماً تتقلبُ[2] فيه القلوب والأبصار	: يوم القيامة.
يرزق من يشاء بغير حساب	: أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿الله نورُ[3] السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السموات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة كما يهتدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهادٍ إليه.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ أي كوة في جدار ﴿فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ من بلور، ﴿والزجاجة﴾ في صفائها وصقالتها مشرقة ﴿كأنها كوكب دري﴾ والكوكب الدري هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية، وقوله: ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ أي وزيت

---

(١) في الحديث الصحيح. (اللهم أنت نور السموات والأرض) وفي آخر صحيح وقد سئل ﷺ: هل رأيت ربّك؟ فقال (نور أنى أراه) وفي آخر (رأيت نوراً).

(٢) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء، وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدّة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق والعمى بعد الإبصار.

(٣) قال ابن عباس: (الله نور السموات والأرض) يقول: هادي أهل السموات والأرض.

المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصباح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه، ولو لم تمسه نار، وقوله تعالى: ﴿نور على نور[1]﴾ أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها.

وقوله: ﴿ويضرب[2] الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ يخبر تعالى: أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه[3] للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل، إذ هو بكل شيء عليم.

وقوله: ﴿في بيوت[4] أذن الله أن ترفع﴾ أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر ووصّى أن ترفع حساً ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام الدنيا،[5] وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى، وقوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي بالأذان والإقامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن. وقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها﴾ أي لله في تلك البيوت ﴿بالغدو﴾ أي بالصباح ﴿والآصال[6]﴾ أي المساء ﴿رجال﴾ مؤمنون صادقون أبرار متقون ﴿لاتلهيهم تجارة ولا بيع﴾ أي لا شراء ولا بيع ﴿عن ذكر الله﴾ فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألسنتهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي لاتلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وقوله: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أي من شدة الخوف وعظم الفزع والهول وهو يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله﴾

---

(١) أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت فهو لذلك نور على نور، واختلطت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما تكون فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي: برهان بعد برهان. والجملة مستأنفة أي: هذا المذكور هو نور على نور.

(٢) قوله تعالى: (يهدي الله لنوره من يشاء) إلى قوله: (عليم) هي ثلاث جمل معترضة أو تذييل لما سبق من الكلام.

(٣) قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار فإن مسّته النار ازداد ضوءه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم زاده هدىً على هدىً ونوراً على نور.

(٤) كون (في بيوت) متعلقاً بقوله (مصباح) أولى وأوضح من تعلقه بيسبح له) وإن قيل: كيف يعود إلى المصباح، وهو واحد والبيوت جمع؟ قيل: هذا كقوله: (وجعل فيهن نورا) وهو في سماء واحدة لا في كل سماء وإنما هو تلوين للخطاب.

(٥) لقول الرسول ﷺ للذي أنشد الضالة: (لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له) يريد الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتعلّم العلم.

(٦) الآصال: جمع أصيل وهو المساء.

أي إنهم فعلوا ما فعلوا من التسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة معرضين عن كل ما يشغلهم عن عبادة ربهم فتأهلوا بذلك للثواب العظيم ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه بأعمالهم وتقواهم لربهم، والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عد ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك.

٢ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم.

٣ ـ الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية، لا اشتراكية ولا رأسمالية. بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل.

٤ ـ وجوب تعظيم بيوت الله تعالى «المساجد» بتطهيرها[1] ورفع بنيانها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها.

٥ ـ ثناء الله تعالى على من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ

---

(١) أوّل من أنار مسجد رسول الله ﷺ: تميم الداري، إذ أتى بقناديل من الشام فعلّقها في مسجد رسول الله ﷺ وأسرجها فرآها الرسول ﷺ فدعا بقوله ﷺ (نورت الإسلام نوّر الله عليك في الدنيا والآخرة).

عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

شـــرح الكلمـات :

كسراب بقيعة : السراب شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء، والقيعة جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض.

الظمآن : العطشان.

بحر لجي : أي ذو لجج واللجة معظم الماء وغزير كما هي الحال في المحيطات.

يغشاه موج : يعلوه ويغطيه موج آخر.

يسبح له : ينزه ويقدس بألفاظ التسبيح والتقديس كسبحان الله ونحوه والصلاة من التسبيح.

صافات : باسطات أجنحتها.

قد علم صلاته : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب[1]﴾ لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿بقيعـة﴾ أي بقـاع من الأرض وهـو الأرض المنبسطة. ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ أي يظنه العطشان ماء وما هو بماء ولكنه سراب خادع ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ لأنه سراب لا غير. فيا للخيبة، خيبة ظمآن يقتله العطش فرأى سراباً فجرى وراءه يظنه ماء فإذا به لم يجد الماء، ووجد الحق تبارك وتعالى فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخسر خسراناً مبيناً، ﴿والله سريع الحساب﴾ فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم. هذا مَثَلٌ تضمنته الآية الأولى (٣٩) ومثل آخر تضمنته الآية الثانية (٤٠)

---

(١) سمي السراب سراباً: لأنه يسرب كالماء في جريانه، والسراب يلتصق بالأرض، والآل كالسراب إلّا أنه يكون كالماء ولكنه مرتفع بين السماء والأرض قال الشاعر:

وكنت كمهريق الذي في سقائه   لرقراق آل فوق رابية صَلدِ

وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر وظلمة العمل السيىء والإعتقاد الباطل وظلمة الجهل بربه ومايريده منه، وما أعده له قال تعالى: ﴿أوكظلمات[1] في بحر[2] لجي﴾ أي ذي لجج من الماء ﴿يغشاه﴾ أي يعلوه ﴿موج من فوقه موج﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿من فوقه سحاب﴾. والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ لشدة الظلمة هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿ومن[3] لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. أعلم تعالى عباده أن النور له وبيده فمن لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله تعالى يسبح له من في السموات من الملائكة والأرض أي ومن[4] في الأرض بلسان القال والحال معاً والطير[5] صافات أي باسطات أجنحتها تسبح الله تعالى بمعنى تنزهه بألفاظ التنزيه كسبحان الله. فإن امتنع المشركون أهل الظلمات من الإيمان بالله وعبادته وتوحيده فيها فإن الله تعالى يسبح له الخلق كله علويه وسفليه فالكافر وإن لم يسبح بلسانه فحاله[6] تسبح فخلقه وتركيبه وأقواله وأعماله كلها تسبح الله خالقه فهي شاهدة على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله تعالى: ﴿كل﴾ أي ممن في السموات والأرض والطير قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كلاً منهم قد علم صلاته لله تعالى وتسبيحه له ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي والله عليم بأفعال عباده، ويجزيهم بها وهو على ذلك قدير إذ له ملك السموات والأرض وإليه المصير أي مصير كل شيء إليه تعالى فهو الذي يحكم فيه بحكمه العادل.

---

(١) قال الجرجاني الآية الأولى في ذكر اعمال الكفار، والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على الأعمال لان الكفر أيضاً من اعمالهم.

(٢) قيل: المراد بالظلمات: أعمال الكفار، وبالبحر اللُّجي: قلب الكافر، وبالموج فوق الموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين والختم والطبع على قلبه، ولذا قال أبيّ بن كعب: الكافر يتقلّب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة، وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار.

(٣) قيل: هذه الآية نزلت في شيبة بن ربيعة أو في ربيعة نفسه إذ كلاهما ترهّب وطلب الدين في الجاهلية ولما جاء الإسلام كفرا به ولم يدخلا فيه وماتا كافرين.

(٤) أي: من الجن والإنس.

(٥) قرىء (والطير) بالرفع عطفاً على من. وقرىء بالنصب على نحو: قمت وزيداً أي معه وهو اجود من الرفع ولو قلت قمت أنا وزيد لكان الرفع أجود.

(٦) تسبيح الحال هو ما يُرى من علم الله تعالى وقدرته في آثار الصنعة في المخلوقات، فالخالق المدبر وحده لا يكون إلاّ إلها واحداً لا شريك له.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان.

٢ - بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها.

٣ - بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم.

٤ - تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها.

٥ - بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى: ﴿يسبح له ما في السموات وما في الأرض﴾ وقوله : ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

شـرح الكلمـات :

يزجي سحاباً : أي يسوق برفق ويسر.

ثم يؤلف بينه : أي يجمع بين أجزائه وقطعه.

ثم يجعله ركاماً : أي متراكمًا بعضه فوق بعض.

الودق : أي المطر.

يخرج من خلاله	: أي من فرجه ومخارجه .
من جبال فيها من برد	: أي من جبال من برد في السماء والبرد حجارة بيضاء كالثلج .
فيصيب به من يشاء	: أي فيصيب بالبرد من يشاء .
سنا برقه	: أي لمعانه .
يذهب بالأبصار	: أي الناظرة إليْهَ
لعبرة	: أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده .
كل دابة من ماء	: أي حيوان من نطفة .
على بطنه	: كالحيات والهوام .
على رجلين	: كالإنسان والطير.
على أربع	: أي كالأنعام والبهائم .
إلى صراط مستقيم	: أي إلى الإسلام .

معنى الآيات :

مازال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواه فقال تعالى : ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله يزجي[1] سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثم يؤلف﴾ أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي[2] متراكمًا بعضه على بعض ﴿فترى الودق[3]﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من فتوقه وشقوقه. والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوق بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم. وقوله : ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته، ويصرفه عمن يشاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر

---

(١) ذكر تعالى من حججه وبراهينه على ألوهيته شيئاً آخر وهو: سوق السحاب وتكوين المطر وإنزاله، وإزجاء السحاب، سوقه يقال: البقرة ازجت ولدها : إذا ساقته أمامها.

(٢) يقال: ركمه يركمه ركما، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض، والركام المتراكم.

(٣) الودق: إنه البرق، وكونه المطر: أولى ومنه قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

القدرة واللطف الإلهي وقوله: ﴿يكاد سنا برقه[1]﴾ أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه.

وقوله تعالى ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ أي إن في إنزال البرد ولمعان البرق وتقليب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولي البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكماله فيعبدونه ويوحدونه مُحِبّين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٤٣) والثانية (٤٤) أما الآية (٤٥) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعـالى: ﴿والله خالق كل دابـة[2]﴾ أي من إنسان وحيوان ﴿من[3] ماء﴾ أي نطفة من نطف الإنسان والحيوان، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والثعابين والأسماك، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنســان والــطير، ﴿ومنهم من يمشي على أربـع﴾ كالأنعـام والبهائم، وقوله: ﴿يخلق الله مايشاء﴾ إذْ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله: ﴿إن الله على كل شيء[4] قدير﴾ أي على فعل وإيجاد مايريده قدير لايعجزه شيء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلهها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من الهدى اهتدى، ومن أعرض عنها فضل وشقي فلا يلومن إلا نفسه، ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير.

---

(١) السنا مصدر: لمعان البرق والسناء، ممدود: الرفعة قال: ابن دريد:

زال السنا عن ناظري   وزال عن شرف السناء

فالسَّنا الأول: الرفعة والثاني: ضوء البرق، وجملة: (يكاد سنا برقه) وصف لـ: (سحاباً).

(٢) نخرج الملائكة والجن إذ الملائكة خلقوا من نور والجن من النار.

(٣) تنكير ماء: لإرادة النوعية تنبيها على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب.

(٤) هذه الجملة ذكرت تذييلا وتعليلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى.

٢ ـ بيان كيفية نزول المطر والبرد.

٣ ـ مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن زرع وماشية بعض عباده.

٤ ـ مظاهر القدرة والعلم في تقليب الليل والنهار على بعضهما بعضاً.

٥ ـ بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة.

٦ ـ امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ[1] فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) قرأ حفص: (ويتقْه) بإسكان القاف على نيّة الجزم لأن مَن: شرطية جازمة، وكسرها الباقون: لأن جزم المعتل بحذف آخره وأسكن الهاء بعض واختلس كسرتها قالون عن نافع، وأشبع الكسرة الباقون.

شرح الكلمات :

ويقولون : أي المنافقون.

آمنا بالله وبالرسول : أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوة الرسول محمد ﷺ.

ثم يتول فريق منهم : أي يعرض.

إذا فريق منهم معرضون : أي عن المجيء إلى الرسول ﷺ.

مذعنين : أي مسرعين منقادين مطيعين.

في قلوبهم مرض : أي كفر ونفاق وشرك.

أم ارتابوا : أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ.

أن يحيف الله عليهم ورسوله : أي في الحكم فيظلموا فيه.

إنما كان قول المؤمنين : هو قولهم سمعنا وأطعنا أي سمعاً وطاعة.

المفحلون : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

معنى الآيات :

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته، والموجبة للإيمان بالله ورسوله، وما عند الله من نعيم مقيم، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاوته من المنافقين الذين أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أي صدقنا بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً، وأطعناهما[1] ﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أي من بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة يقولون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله، ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله[2] ليحكم[3] بينهم﴾ أي في قضية من قضايا دنياهم، ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي فاجأك فريق منهم بالإعراض عن التحاكم إلى الرسول ﷺ وقوله: ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي وإن يكن لهم في الخصومة التي بينهم وبين غيرهم ﴿يأتوا إليه﴾ أي إلى رسول الله ﴿مذعنين﴾ أي منقادين طائعين أي لعلمهم أن الرسـول يقضي بينهم بالحق وسوف يأخذون حقهم وافياً وقوله تعالى: ﴿أفي

---

(١) قولهم، هذا قول باطل إنهم ما آمنوا ولا أطاعوا وإنما هو قول المنافقين والله شهد إنهم لكاذبون.

(٢) قيل: إنَّ هذه الآية نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي كانت بينهما أرض فقال اليهودي: هيا نتحاكم إلى محمد ﷺ وقال بشر المنافق لا إن محمداً يحيف علينا فلنحتكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فنزلت.

(٣) لم يقل ليحكما لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ وإنما قدم اسم الله تعظيما ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبيّن ومنفّذ لا غير.

قلوبهم مرض[1]﴾ أي بل في قلوبهم مرض الكفر والنفاق. ﴿أم ارتابوا﴾ أي بل ارتابوا أي شكوا في نبوة رسول الله ﷺ. ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ لا، لا، ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾، ولما كانوا ظالمين يخافون حكم الله ورسوله فيهم لأنه عادل فيأخذ منهم ما ليس لهم ويعطيه لمن هو لهم من خصومهم وقوله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ أي الصادقين في إيمانهم ﴿إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولونه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم: سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم ﴿وأولئك هم المفلحـون﴾ أي النـاجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق. وقوله تعالى: في الآية الكريمة الأخيرة (٥٢) ﴿ومن يطع الله ورسوله[2]﴾ أي فيما يأمران به وينهيان عنه، ﴿ويخش الله﴾ أي يخافه في السر والعلن، ﴿ويتقه﴾ أي يتق مخالفته فلا يقصر في واجب ولا يَغْشَى محرماً، ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامــة المنعمـون في جنـات النعيم مع النبيين والصـديقـين والشهـداء والصالحين. اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم إنك ربنا وربهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة.

٢ ـ من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق.

٣ ـ اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق.

٤ ـ فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان.

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والذم وهو أبلغ في التوبيخ وأشد في الذم من مجرّد الإخبار كما في المدح أيضاً أبلغ وأشد فيه، وشاهده قول جرير في المدح:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(٢) حكي أنّ رجلا من دهاقين الروم أسلم فقيل له هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت. وقيل له ما هي؟ قال: قوله تعالى: (ومن يطع الله) في الفرائض (ورسوله) في السنن (ويخشى الله) فيما مضى من عمره (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولائك هم الفائزون) والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر قال النبي ﷺ: (أوتيت جوامع الكلم).

۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

وأقسموا بالله جهد أيمانهم : أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في حلفهم.

لئن أمرتهم : أي بالخروج إلى الجهاد.

طاعة معروفة : أي طاعة معروفة للنبي فيما يأمركم وينهاكم خير من إقسامكم بالله.

فإن تولوا : أي فإن تتولوا أي تعرضوا عن الطاعة.

عليه ما حمل : اي من ابلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل .

وعليكم ما حملتم : أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكماً.

وإن تطيعوه تهتدوا : أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلى خيركم.

ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفاء لغيرهم فيها بأن يُديلَ لهم من أهلها فيسودون فيها ويحكمون.

وليمكنن لهم دينهم : أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين فأخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وأقسموا الله جهد أيمانهم﴾[1] أي أقسموا للرسول ﷺ مبالغين في ذلك حتى بلغوا غاية الجهد قائلين لئن أمرتنا بالخروج إلى الجهاد لنخرجن معكم. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿لاتقسموا﴾[2] أي ما هناك حاجة إلى الحلف وتأكيده، وإنما هي طاعة منكم معروفة لنا تغنيكم عن الأيمان وقوله تعالى: ﴿إن الله خبيرٌ* بما تعملون﴾ تأنيب لهم وتأديب حيث أخبرهم تعالى بأنه مطلع على أسرارهم ومايقولونه ويعملونه في الخفاء ضد الرسول والمؤمنين ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل ما يأمران به وينهيان عنه، ﴿ فإن تولوا[3]﴾ أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها، فإنما على الرسول ماحمل من البلاغ والبيان، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة، ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقى جزاءه وافياً عند ربه وقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ هذه الجملة عظيمة الشأن جليلة القدر للمؤمن أن يحلف بالله ولا يحنث على أن من أطاع رسول الله في أمره ونهيه لن يضل أبداً ولن يشقى فالهداية إلى كل خير كامنة في طاعة رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول هداية القلوب، وإنما عليه البلاغ المبين لا غير فلا تلحق الرسول تبعة من عصى فَضَلَّ وهَلَك.

وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿وعد[4] الله الذين آمنوا منكم﴾أي صدقوا الله والرسول(وعملوا الصالحات﴾ فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض أي يجعلهم خلفاء حاكمين في أهلها سائدين سكانها استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل حيث أجلى الكنعانيين والعمالقة من أرض القدس وورثها بني إسرائيل وقول: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ وهو الإسلام

---

(١) (جهد ايمانهم) أي: طاقة ما قدروا أن يحلفوا. والجهد: بفتح الهاء: منتهى الطاقة وهو منصوب إمّا على الحال من اقسموا. أو على المفعول المطلق أي: جهدوا أيمانهم جهدا.

(٢) هنا تم الكلام، ثم استئنف على تقدير: طاعة معروفة أولى من أيمانكم هذه المبالغين فيها.

(٣) (فإن تولوا): أصله: تتولوا حذفت التاء الأولى تخفيفاً. وهو حذف شائع وسائغ.

(٤) قال مالك: هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: هذه الآية تضمنت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهو كذلك وصدق ذلك قوله ﷺ: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) وفي الآية دليل نبوة الرسول ﷺ وصحة دينه، إذ تضمنت الآية إخباراً بالغيب فكان كما أخبر تعالى به.

* جملة تذيلية تحمل التهديد لهم إذ هم كاذبون في ايمانهم وغير صادقين في أقوالهم وأعمالهم.

فيظهره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة وقوله تعالى: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾[1] إذ نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لايقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتألب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ماوعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فلله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[2] هذا ثناء عليهم، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا ومازال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً اللهم اجعلنا منهم. وقوله تعالى: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك[3] هـم الفاسقون﴾ وعيد وتهديد لمن كفر بعد ذلك الإنعام العظيم والعطاء الجزيل فأولئك هم الفاسقون عن أمر الله الخارجون عن طاعته المستوجبون لعذاب الله ونقمته. عياذاً بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى.

٢ ـ عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان.

٣ ـ طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران.

٤ ـ صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله ﷺ.

٥ ـ وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات.

٦ ـ الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فعّرضها للزوال.

---

(١) فإن قيل: وأين الأمن وقد قتل عمر وعثمان وعلي غيلة؟ فالجواب: ليس الأمن مانعا من الموت فالموت حتم مع الأمن ومع الخوف لأنها آجال محدودة لا تزيد ولا تنقص:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

وأخرج مسلم قوله ﷺ (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

(٢) الجملة يصح أن تكون حالاً أي: في حال عبادتهم الله تعالى بالإخلاص والعلم. وجائز أن تكون مستأنفة تحمل الثناء عليهم بعبادة ربهم تعالى وحده.

(٣) المراد بالكفر: كفران النعم، وقد حصل هذا بعد القرون المفضلة حيث فسدت العقائد وتمزقت الروابط، وأهمل الدين، وسلب الله ما أعطى ، وفي هذا دليل آخر على صحة القرآن والنبوة والإسلام إذ هذه أخبار غيب تمت كما أعلنت.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات:

وأقيموا الصلاة : أي أدوها أداءاً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها حتى تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم.

وآتوا الزكاة : أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحرث والناطق كالأنعام من إبل وبقر وغنم.

وأطيعوا الرسول : أي محمداً ﷺ في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه.

لعلكم ترحمون : أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلايعذبكم فيهما

معجزين في الأرض: أي معجزين الله تعالى بحيث لايدركهم ولا ينزل بهم نقمته وعذابه

ولبئس المصير : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه ويصيرون إليه.

معنى الآيتين :

يأمر تعالى عباده المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ في أمره ونهيه وإرشاده وتوجيهه وذلك رجاء أن يرحموا في الدارين، ولا يعذبوا فيهما. وهذا وإن كان موجهاً ابتداءً إلى أصحاب الرسول فإنه عام بعد ذلك فيشمل كل مؤمن ومؤمنة في الحياة وقوله ﴿لا تحسبنّ[1] الذين كفروا معجزين[2] في الأرض﴾ هذا خطاب للرسول ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يظن أن الذين كفروا مهما كانت قوتهم سيفوتون الله تعالى ويهربون مما أراد بهم من خزي وعذاب، لا، لابل سيخزيهم ويذلهم ويسلط عليهم، وقد فعل ﴿ومأواهم النار﴾ يوم القيامة ﴿ولبئس المصير﴾ نار جهنم يصيرون إليها.

---

(١) الآية تحمل تسلية للنبي ﷺ وقرئت بالتاء: (تحسبن) خطاب للنبي ﷺ ولكل ذي أهلية من أصحابه والمؤمنين والجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا وقرئت الآية: (ولا يحسبن) بالياء وهي قراءة ضعيفة إذ حسب هنا بمعنى ظن ولم يذكر لها إلا مفعولا واحداً وهي تنصب مفعولين.

(٢) المعجز: الذي يعجز غيره أي: يجعله عاجزاً عن غلبه، والأرض في الآية هي أرض الدنيا هذه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ - وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة.

٢ - تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نقمته ويحل عليهم عذابه.

٣ - بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

شــرح الكلمات:

ليستأذنكم : أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم.

ملكت أيمانكم : من عبيد وإماء.

لم يبلغوا الحلم منكم : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمسة عشر سنة فما فوق.

تضعون ثيابكم : أي وقت القيلولة للإستراحة والنوم.

ثلاث عورات لكم : العورة ما يستحي من كشفه، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات.

بعدهن : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة.

طوافون عليكم : أي للخدمة.

بعضكم على بعض : أي بعضكم طائف على بعض.

فليستأذنوا : أي في جميع الأوقات لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

والقواعد من النساء : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن.

أن يضعن ثيابهن : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار.

غير متبرجات بزينة : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال.

وأن يستعففن خير لهن : بأن لايضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾[1] روى من نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندها عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى.

فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذي آمنوا﴾ هو نداء لكل المؤمنين في كل عصورهم وديارهم. وقوله ﴿ليستأذنكم الذي ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ أي علموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وأمروهم بذلك. وقوله: ﴿ثلاث مرات﴾ هي المبينة في قوله: ﴿من قبل صلاة

---

(١) قيل. إنّ الآية منسوخة وقيل: هي للندب أو هي واجبة إذ كانوا لا أبواب لغرفهم والصحيح أنها محكمة وأن الاستئذان من هؤلاء المذكورين واجب وسواء كان العبد وغداً أو ذا منظر حسن.

(٢) (ملكت أيمانكم) هم العبيد والذكر والأنثى في هذا سواء.

الفجر﴾ وهي ساعات النوم من الليل، ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهي القيلولة، ﴿ومن بعد صلاة[1] العشاء﴾ وهي بداية نوم الليل. وقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾[2] أي هي منطقة انكشاف العورة فيها فاطلق عليها اسم العورة والعورة مايستحي من كشفه وقوله: ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي ولا على الأطفال والخدم ﴿جناح بعدهن﴾ أي بعد المرات الثلاث وقوله: ﴿طوافون عليكم﴾ أي يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة. ﴿بعضكم على بعض﴾ أي بعضكم يدخل على بعض للخدمة فلا غنى عنه فلذا فلا حرج عليكم في غير الأوقات الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي كهذا التبيين الذي بين لكم حكم الاستئذان يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب فله الحمد وله المنه وقوله: ﴿والله عليم﴾ أي بخلقه ومايحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم ﴿حكيم﴾ فيما يشرع لهم ويفرض عليهم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٥٩) ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ أي إذا بلغ الطفل سن الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه أن لايدخل على غير محارمه إلا بعد الإستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله إذ قد أصبح بالبلوغ الذي علامته الإحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر أصبح رجلاً تماماً فعليه أن لايدخل بيت أحد إلا بعد أن يستأذن هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ وهم الرجال وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي المتضمنة لأحكامه وشرائعه ﴿والله عليم﴾ بخلقه ومايصلح لهم ﴿حكيم﴾ في شرعه وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه وقوله تعالى: ﴿والقواعد[3] من النساء اللاتي لا يرجون[4] نكاحاً[5]﴾ أي واللتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها بحيث أصبحت لا ترجو نكاحاً ولا يرجى منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على

---

(١) يكره تسمية العشاء بالعتمة. روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: (لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء وهم معتمون بالإبل وفي رواية فإنها في كتاب الله العشاء وإنها أي الأعراب تعتم بحلاب الإبل وفي الصحيح (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل).

(٢) العورة: في الأصل الخلل والنقص ثم أطلقت على ما يكره انكشافه والنظر إليه.

(٣) المراد أنّ الأطفال إذا بلغوا الحلم تغيّر حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرجال في الاستئذان على دخول بيوت الغير كما تقدم في آية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا إذا دخلتم بيوتاً..)، الآية.

(٤) القواعد: جمع قاعد بدون تاء وهي: الآيسة من الحيض والحمل.

(٥) هذه الجملة متضمنة وصفاً كاشفاً للقواعد وليس قيداً.

جسمها حال كونها غير متبرجة[1] اي مظهرة زينة لها كخضاب اليدين والأساور في المعصمين والخلاخل في الرجلين، أو أحمر الشفتين، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره وقوله تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ أي ومن لازمت خمارهـا وعجـارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومآلاً، وحسبها أن يختار الله لها فيا اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما اختار الله لهن. وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأعمالهم وأحوالهم فَليتق فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الإستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات.

٢ - وجوب استئذان الأولاد إذا احتلموا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

٣ - بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سناً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟

(١) ورد وعيد شديد للمتبرجات فقد روى مسلم انّ النبي ﷺ قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا..).

جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات:

الحرج : الضيق والمراد به هنا الإثم أي لا إثم على المذكورين في مؤاكلة غيرهم.

أو ما ملكتم مفاتحه : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة كوكالة على بستان أو ماشية.

أو صديقكم : أي من صدقكم الود وصدقتموه.

جيماً أو أشتاتاً : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين.

من عند الله : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من عند الله فهو خير عظيم.

طيبة : أي تطيب بها نفس المسلم عليه.

معنى الآيات:

مازال السياق في هداية المؤمنين وبيان مايكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية الكريمة. رفع تعالى عنهم حرجاً عظيماً كانوا قد شعروا به فآلمهم وهوأنهم قد رأوا أن الأكل مع ذوي العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لايأكلون كما يأكل الأصحاء كماً وكيفاً والله يقول: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾. كما أن أصحاب العاهات قد تحرجوا أيضاً من مؤاكلة الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فآلمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم[1] أو بيوت آبائكم

---

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلة في بيوت الآباء للحديث (أنت ومالك لأبيك) والحديث وإن ضعف فما هو إلا شاهد فقط وإلا فمعلوم بالضرورة أن الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكروا.

أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ بوكالة وغيرها، ﴿أو صديقكم﴾[1] وهو من صدقكم المودة وصدقتموه فيها مادام الرضا حاصلاً، وإن لم يحضروا ولا استئذان[2] وإن حضروا.

ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الأكل الجماعي خشية أن يؤذي الآكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله: ﴿وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ أي مجتمعين[3] على قطعة واحدة[4] ﴿أو أشتاتاً﴾ أي متفرقين كل يأكل وحده متى بدا له ذلك وهذا كله ناجم عن تقواهم لله تعالى وخوفهم من معاصيه إذ قد حرم عليهم أكل أموالهم بينهم بالباطل في قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

وقوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم[5] بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ فأرشدهم إلى ما يجلب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم وهو أن من دخل بيتاً من البيوت بيته كان أو بيت غيره عليه أن يسلم على أهل البيت قائلاً السلام عليكم، وإن كان البيت ما به أحد أو كان مسجداً قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله: ﴿تحية من عند الله﴾ إذ هو تعالى الذي أمر بها وأرشد إليها وقوله ﴿مباركة﴾ أي ذات بركة تعود على الجميع وكونها طيبة أن نفوس المُسَلَّم عليهم تطيب بها .

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين الله لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرج من الفريقين.

(١) روي عن ابن عباس أنه قال: الصديق أوكد من القرابة أي: أقوى صلة وقال: ألا ترى استغاثة الجهنميين: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

(٢) قال ابن العربي رحمه الله تعالى قولاً حسنا في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبذولاً، فإذا كان محرزاً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار. ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلاّ بإذنهم.

(٣) لا ينبغي أن يُفهم من كلمة مجتمعين أنهم رجال أجانب مع نساء أجنبيات بل هم محارم لبعضهم بعضاً.

(٤) هذا يشمل النهد ووليمة العرس وغيرها والنهد هو أن يكون القوم في سفر فيجمعون الطعام من بعضهم بعضاً ويخلطونه ويأكلونه مجتمعين فهو جائز مباح.

(٥) ورد كيفية الدخول إلى المنزل وهو أن يقول: (اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلّم على أهله) (في صحيح مسلم).

٢ - الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء.
٣ - جواز الأكل الجماعي والإنفرادي بلا تحرج.
٤ - مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

شـرح الكلمـات:

أمر جامع : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره كاجتماع لأمر هام كحرب ونحوها.
يستأذنوه : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن.
لبعض شأنهم : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم.
دعاء الرسول : أي نداءه فلا ينادي بيامحمد ولكن بيانبي الله ورسول الله.
كدعاء بعضكم بعضاً : أي كما ينادي بعضكم بعضاً بياعمر وياسعيد مثلاً.
يتسللون منكم لواذاً : أي ينسلون واحداً بعد واحد يستتر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية.

أن تصيبهم فتنة : أي زيغ في قلوبهم فيكفروا.

قد يعلم ما أنتم عليه : أي من الإيمان والنفـاق، وإرادة الخـير أو إرادة الشر. وقـد هنا للتأكيد عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن المؤمنين الكاملين في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه ﷺ في أمر جامع يتطلب حضورهم كالجمعة واجتماعات الحروب، لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﷺ ويأذن لهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿إنما[1] المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾.

وقـولـه تعـالى: ﴿إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ في هذا تعليم للرسول والمؤمنين وتعريض بالمنافقين. فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم المؤمنون بالله ورسوله، ومقابله أن الذين لايستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله ورسوله وهم المنافقون حقاً، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن شاء منهم ممن لا أهمية لحضوره كما أمره أن يستغفر الله لهم لما قد يكون غير عذر شرعي يبيح لهم الاستئذان وطمعهم في المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم[2] بعضا﴾ هذا يحتمل أموراً كلها حق الأول أن يحاذر المؤمنون إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لايرد فليس هو كدعاء غيره، والثاني أن لايدعوا الرسول باسمه يامحمد ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يانبي الله ويارسول الله، والثالث أن لايغلظوا في العبارة بل عليهم أن يلينـوا اللفظ ويرققوا العبارة إكباراً وتعظيماً لرسول الله ﷺ هذا ماتضمنه قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾

وقوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ أعلمهم تعالى أنه يعلم قطعاً أولئك المنافقين الذين يكونون في أمر جامع مع رسول الله ﷺ فيتسللون واحداً بعد آخر بدون أن يستـأذنـوا متـلاوذين في هروبهم من المجلس يستر بعضهم بعضاً، وفي هذا تهديد بالغ

---

(١) إنما: أداة حصر، وهي هنا كذلك، فالمعنى أنه لا يتم ولا يكمل إيمان مَنْ آمن بالله ورسوله إلاّ إذا كان مع الرسول سامعا غير معنّت، فلا يناقض للرسول في قول ولا عمل أبداً.

(٢) يريد: لا يصيحوا به من بعيد يا أبا القاسم، بل يعظّموه، شاهده من سورة الحجرات: (إنّ الذين ينادونك من وراءك الحجرات أكثرهم لا يعقلون).

الخطورة لأولئك المنافقين. وقوله: ﴿فليحذر[1] الذين يخالفون عن أمره[2]﴾ أي أمر رسول الله وهـذا عام للمؤمنين والمنافقين وإلى يوم القيامة فليحذروا أن تصيبهم فتنة وهي زيغ في قلوبهم فيموتوا كافرين، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا والعذاب ألوان وصنوف.

وقوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم مايريد ألا فَلْيتَّقِ اللهُ عز وجل في رسوله فلا يخالف أمره ولا يعصي في نهيه فإن الله لم يرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه.

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم ما انتم عليه﴾ إخبار يحمل التهديد والوعيد أيضاً فما عليه الناس من أقوال ظاهرة وباطنة معلومة لله تعالى، ويوم يرجعون إلى الله بعد موتهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر ويجزيهم به الجزاء الأوفى، ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فليحذر أن يخالف رسوله أو يعصي وليتق في أمره ونهيه فإن نقمته صعبة وعذابه شديد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً. وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة.

٢ - وجوب تعظيم رسول الله ﷺ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً.

٣ - وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه.

٤ - المتجـرىء على الاستهانة بسنة الرسول ﷺ يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

---

(١) دلت الآية على أنّ الأمر للوجوب، وتوجيهه أنّ الله تعالى قد حذّر من مخالفة أمره وتوعّد بالعقاب عليها بقوله: (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

(٢) قيل: إن (عن) في قوله: (يخالفون عن أمره) زائدة، والتقدير: يخالفون أمره، وقيل: ليست زائدة إذ المعنى: يخالفون بعد أمره فعن بمعنى: عند وهذا كقوله تعالى: (ففسق عن أمر ربّه) أي: بعد أمر ربّه إيّاه بأن يسجد لآدم.

سُورَةُ الفُرْقَانِ
مكية
وآياتها سبع[1] وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

شـرح الكلمات:

تبارك : أي تكاثرت بركته وعمت الخلائق كلها.

الذي نزل الفرقان : أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل.

على عبده : أي محمد ﷺ.

ليكون للعالمين نذيرا : أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحدوه.

فقدره تقديرا : أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج فيه ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

ضراً ولا نفعاً : أي لا دفع ضر ولا جلب نفع.

موتاً ولا حياة ولا نشوراً : أي لايقدرون على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً للأموات.

---

(١) من الجائز أن يكون فيها بعض الآيات مدنياً إلا أن أسلوبها ومحتواها ظاهر في أنه مكيّ وهو الصحيح، وسميت بالفرقان لذكر لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات.

معنى الآيات:

يثني الرب تبارك[1] وتعالى على نفسه بأنه عَظُم خيره وعمت بركته المخلوقات كلها الذي نزل الفرقان الكتاب العظيم الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والعدل والظلم أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون[2] للعالمين الإنس والجن نذيراً ينذرهم عواقب الكفر والشرك والظلم والشر والفساد وهي عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة وقوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً وهو ثناء بعد ثناء وقوله: ﴿و لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء[3] فقدره تقديراً﴾ وهو ثناء آخر عظيم أثنى تبارك وتعالى فيه على نفسه بالملك والقدرة والخلق والعلم والحكمة وقوله: ﴿واتخذوا من[4] دونه آلهة﴾ أصناماً ﴿لايخلقون شيئاً وهو يخلقون ولايملكون لأنفسهم﴾ فضلاً عن غيرهم من عابديهم ﴿ضراً ولا نفعاً﴾ أي دفع ضرٍ ولا جلب نفع، ولا يملكون موتاً لأحد ولا حياة لآخر ولا نشوراً[5] للناس يوم القيامة. أليس هذا موضع تعجب واستغراب أمع الله الذي عمت بركته الأكوان وأنزل الفرقان ملك ما في السموات والأرض تنزه عن الولد والشريك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وخلق كل شيء فقدره تقديراً يتخذون من دونه آلهة أصناماً لاتدفع عن نفسها ضراً ولاتجلب لها نفعاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فسبحان الله أين يذهب بعقول الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة.

٢ - التنديد بالشرك والمشركين.

---

(١) للفظ تبارك دلالات كلها حق، منها: تقدس، وتعالى، ودام وثبت إنعامه. قال الثعلبي: لا يقال: متبارك ولا مبارك لأنه يوقف في أسمائه تعالى وصفاته على ما ورد عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال الطِّرِمَّاح:

تباركت لا معطٍ لشيء منعته   وليس لما أعطيت ياربِّ مانع

(٢) (ليكون) أي: من نزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ للعالمين نذيراً في الآية دليل على عموم رسالته ﷺ ولم يكن هذا لغيره إلا نوحاً بعد الطوفان، فقد عمّت رسالته الإنس.

(٣) فيه ردّ على المجوس والثنوية القائلين: هناك خالقان خالق للظلمة وخالق للنور أو خالق للخير وخالق للشر، وهو رأي عفن وجهل مظلم.

(٤) في هذه الجملة تعجب من اتخاذ المشركين آلهة دونه تعالى وهي جمادات لا حياة فيها ولا تملك نفعاً ولا ضراً.

(٥) النشور: الإحياء بعد الموت قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا   يا عجباً للميّت الناشر

٣ - تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

افك افتراه : أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى هكذا قالوا.

ظلمًا وزوراً : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكا مختلقاً وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه.

اكتتبها : أي طلب كتابتها له فكتبت له.

يعلم السر	: أي مايسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم.
أو يلقى إليه كنز	: أي من السماء فينفق منه ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق.
جنة يأكل منها	: بستان فيه مايغنيه من أنواع الحبوب والثمار.
رجلاً مسحوراً	: مخدوعاً مغلوباً على عقله.
ضربوا لك الأمثال	: أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك
فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً	: فضلوا الطريق الحق وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يهتدون.

معنى الآيات:

يخبر تعالى عن أولئك المشركين الحمقى الذين اتخذوا من دون الله رب العالمين آلهة أصناماً لاتضر ولا تنفع أنهم زيادة على سفههم في اتخاذ الأحجار آلهة يعبدونها قالوا في القرآن الكريم والفرقان العظيم ما هو إلا إفك أي كذب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم[1] آخرون يعنون اليهود ساعدوه على الإتيان بالقرآن. فقد جاءوا بهذا القول الكذب الممقوت ظلمًا وزوراً ظلمًا لأنهم جعلوا القرآن المعجز الحامل للهدى والنور جعلوه كذبا وجعلوا البريء من الكذب والذي لم يكـذب قط كاذبـاً فكان قولهم فيه زوراً وباطلاً. وقوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير[2] الأولين اكتتبهـا فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ هذه الآية نزلت رداً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحيرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم. وإذا حدث محمد ﷺ قومه محذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام ﷺ من المجلس جاء هو فجلس وقـال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يمليها عليه غيره صباحاً ومساءاً فرد تعالى هذه الفرية بقوله لرسوله: ﴿قل[3] أنزله﴾ أي القرآن

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوم آخرون) هم: أبو فكيهة مولى بن الحضرمي وعدّاس وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب.

(٢) هذه الجملة ردّ على بن زعم من المشركين أنّ محمداً يتلقى القرآن من أهل الكتاب وذكر السرّ دون الجهر لأنّ من علم السر فهو بالجهر أعلم وأمرٌ آخر: لو كان القرآن مأخوذاً عن أهل الكتاب لما كان فيه زيادة عمّا عندهم في حين أنّ فيه من العلوم والمعارف مالا يخطر حتى على البال ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بسورة من مثله.

(٣) الأساطير: جمع أسطورة كأحاديث جمع أحدوثة. وقال بعضهم إنها جمع أسطار كأقوال وأقاويل: (تُملى) أصلها: تُملل فأبدلت اللام الأخيرة ياء من التضعيف.

﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ أي سر مايسره أهل السموات وأهل الأرض فهو علام الغيب المطلع على الضمائر العالم بالسرائر، ولولا أن رحمته سبقت غضبه لأهلك من كفر به وأشرك به سواه ﴿إنه كان غفوراً رحيمًا﴾ يستر زلات من تاب إليه ويرحمه مهما كانت ذنوبه.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا: ما هٰذا[1] الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا[2] أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ هذه كلمات رؤوساء قريش وزعمائها لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته إلى ربه مقابل ما يشاء من ملك أو مال أو نساء أو جاه فرفض كل ذلك فقالوا له إذاً فخذ لنفسك لماذا وأنت رسول الله تأكل الطعام وتمشي في الأسواق[3] تطلب العيش مثلنا فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقي إليك بكنز من ذهب وفضة تعيش بها أغنى الناس، أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك وقوله تعالى: ﴿وقال الظالمون[4]﴾ أي للمؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي انكم باتباعكم محمداً فيما جاء به ويدعو إليه ماتتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي مخدوعاً مغلوباً على عقله لايدري مايقول ولا مايفعل أي فاتركوه ولا تفارقوا ماعليه آباؤكم وقومكم. وقوله تعالى: ﴿انظر[5] كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي انظر يارسولنا إلى هؤلاء المشركين المفتونين كيف شبهوا لك الأشباه وضربوا لك الأمثال الباطلة فقالوا فيك مرة هو ساحر، وشاعر وكاهن ومجنون فضاعوا في هذه التخرصات وضلوا طريق الحق فلا يرجى لهم هداية بعد، وذلك لِبُعْدِ ضلالهم فلا يقدرون على الرجوع إلى الحق وهو معنى قوله: ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾.

---

(١) الاستفهام للتعجب، وجملة: (يأكل الطعام) جملة حالية، وقولهم: (هذا الرسول) من باب المجاراة وإلاّ فهم مكذّبون برسالته.

(٢) لولا: حرف تحضيض استعملت هنا في التعجيز أي: لولا انزل عليه ملك لاتبعناه وإنهم كاذبون.

(٣) (الأسواق) جمع سوق، وسميت السوق سوقاً لقيام الناس فيها على ساق للبيع والشراء وورد ذكرها في الكتاب والسنة والعمل فيها مباح وكان الرسول ﷺ يأتيها يدعو أهلها إلى الإسلام وورد أنها شرّ البقاع والمساجد خيرها وهي مقابلة، وورد أنه من قال فيها رافعاً بها صوته. (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير) كتب له ألف ألف حسنة.

(٤) هذا القائل هو: عبدالله بن الزبعري أيّام جاهليته إذ أسلم فيما بعد وحسن إسلامه.

(٥) هذه الجملة تعجبيّة وهي إخبار منه تعالى عن حال المشركين إذ ضلوا في تلفيق المطاعن والبحث عن التهم لدفع الحق وإبطاله فعجزوا وتاهوا في طرق طلبهم ما يبطلون به دعوة الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ - بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله ومازال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة .

٢ - تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .

٣ - بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة للصدّ عن سبيل الله ، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة .

تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾

شــرح الكلمات:

تبارك	: أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته .
خيراً من ذلك	: أي الذي اقترحه المشركون عليك .
ويجعل لك قصوراً	: أي كثيرة لا قصراً واحداً كما قال المشركون .
بل كذبوا بالساعة	: أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في

	الأسواق بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هوالسبب في ذلك.
تغيظاً وزفيرا	: أي صوتاً مزعجاً من تغيظها على أصحابها المشركين بالله الكافرين به.
مقرنين	: أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد.
دعوا هنالك ثبوراً	: أي نادوا ياثبورنا أي ياهلاكنا إذ الثبور الهلاك.
كانت لهم جزاءً ومصيراً	: أي ثواباً على إيمانهم وتقواهم، ومصيراً صاروا إليها لايفارقونها.
وعداً مسؤلا	: أي مطالباً به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين ربنا وآتناماوعدتنا والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الرد على مقترحات المشركين على رسول الله ﷺ، إذ قالوا لولا أنزل إليه ملك، أو يلقى إليه كنزٌ وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى: لرسوله ﷺ: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾[1] أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال أشجارها وقصورها، ﴿ويجعل[2] لك قصوراً﴾ لا قصراً[3] واحداً كما قالوا، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم فربك قادر على أن يجعل لك ذلك ولكنه لم يشأه والخير فيما يشاءه فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك بشراً تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، أو أن الله تعالى لم ينزل إليك ملكاً بل المانع هو تكذيبهم بالساعة فعلة كفرهم وعنادهم هي عدم إيمانهم بالبعث والجزاء فلو آمنوا بالحياة الثانية لطلبوا كل سبب ينجي من عذابها ويحصل نعيمها ﴿بل[4] كذبوا بالساعة[5] واعتدنا لمن كذب بالساعة﴾ أي القيامة ﴿سعيراً﴾ أي ناراً مستعرة أو هي دركة من دركات النار تسمى سعيراً.

---

(١) أي: إن شاء جعل لك خيرا من ذاك الذي اقترحه المشركون عليك وأن معنى لو الشرطية وجواب الشرط محذوف. أي. لجعل ولكن لم يشأ ذلك لأنه غير لائق بمقامك في هذه الدار وهو لك في الآخرة.

(٢) قرىء (ويجعل) بالرفع على الاستئناف، وقراءة الأكثر بالجزم على محل الشرط: إن شاء جعل لك.

(٣) القصر في اللغة: كل بناء رفيع عال حصين. وأما البيت فقد يكون من لبن وطين وقد يكون من شعر.

(٤) بل: هنا للاضراب والانتقال. إضراب على جواب اقتراحهم، وانتقال إلى ذكر علة كفرهم وعنادهم واقتراحهم ما اقترحوه، وهو تكذيبهم بالبعث الآخر، إذ هو سبب عنادهم وكفرهم وفسادهم.

(٥) الساعة: اسم غلب على عالم الخلود. تسمية باسم مبدئه وهو ساعة البعث.

وقوله تعالى: ﴿إذا رأتهم[1] من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ هذا وصف للسعير وهو أنها إذا رأت أهلها من ذوي الشرك والظلم والفساد من مكان بعيد تغيظت عليهم تغيظاً وزفرت زفيراً مزعجاً فيسمعونه فترتعد له فرائصهم. ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ مشدودة أيديهم إلى أعناقهم بالأصفاد ﴿دَعَوْاهنالك﴾ أي نادوا بأعلى أصواتهم ياثبوراه أي ياهلاكاه أحضر فهذا وقت حضورك: فيقال لهم: خزياً وتبكيتا وتحسيراً: ﴿لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾، فهذا أوآن هلاككم وخزيكم وعذابكم وهنا يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ لأولئك المشركين المكذبين بالبعث والجزاء: ﴿أذلك﴾ أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك ﴿خير أم[2] جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ أي التي وعد الله تعالى بها عباده الذين اتقوا عذابه بالإيمان به وبرسوله وبطاعة الله ورسوله قطعاً جنة الخلد خير ولا مناسبة بينها وبين السعير، وإنما هو التذكير لا غير وقوله: ﴿كانت لهم﴾ أي جنة الخلد كانت لأهل الإيمان والتقوى ﴿جزاء﴾ أي ثواباً، ﴿ومصيراً﴾ يصيرون إليه لايفارقونه وقوله تعالى: ﴿لهم فيها مايشاءون﴾ أي فيها من أنواع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وقوله: ﴿خالدين﴾. أي فيها لايموتون ولا يخرجون، وقوله: ﴿كان على ربك وعداً مسئولاً﴾ أي تفضل ربك أيها الرسول بها فوعد بها عباده المتقين وعداً يسألونه إياه فينجزه لهم فهم يقولون: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾، ﴿والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء

---

(١) إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم فقد ورد مرفوعا أنّ النبي ﷺ قال: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً. قيل يا رسول الله ولها عينان؟ قال: أما سمعتم الله عز وجل يقول: إذا رأتهم من كان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بكل من جعل مع الله إلها آخر، الحديث صححه ابن العربي في القبس.

(٢) إن قيل: كيف قال: (أذلك خير) ولا خير في النار؟ قيل: هذا من باب قول العرب: الشقاء أحبّ إليك أم السعادة؟ وقد علم أنّ السعادة أحب إليه. قال حسان:

أتهجوه ولست له بكفء   فشركما لخيركما الفداء

وقطعاً الرسول ﷺ لا شرّ فيه البتة.

في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة.
٢ ـ تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة.
٣ ـ فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

شـــرح الكلمات:

يحشرهم : أي يجمعهم
ومايعبدون من دون الله : من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن
أم هم ضلوا السبيل : أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك.
سبحانك : أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكمالك.
ولكن متعتهم : أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم.
وكانوا قوماً بوراً : أي هلكى، إذ البوار الهلاك.
ومن يظلم منكم : أي ومن يشرك منكم أيها الناس.

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة : أي بليّة فالغني مبتلًى بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع فالفقير يقول ما لي لا أكون كالغني والمريض يقول مالي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول ما لي لا أكون كالشريف مثلاً.

أتصبرون : أي اصبروا على ما تسمعون ممّن ابتليتم بهم، إذ الاستفهام للأمر هنا.

وكان ربك بصيراً : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر لها في القيامة إذ إنكار هذه العقيدة هو سبب كل شر وفساد في الأرض فقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم[1] ومايعبدون من دون الله﴾ أي اذكر يارسولنا يوم يحشر الله المشركين وماكانوا يعبدونهم من دوننا كالملائكة والمسيح والأولياء والجن. ﴿فيقول﴾ لمن كانوا يعبدونهم ﴿أأنتم[2] أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟﴾ أي ما أضللتموهم ولكنهم ضلوا طريق الحق بأنفسهم فلم يهتدوا إلى عبادتي وحدي دون سواي. فيقول المعبودون ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل ما لايليق بجلالك وكمالك ﴿ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء[3]﴾ أي لايصح منا اتخاذ أولياء من دونك فندعو عبادك إلى عبادتهم فنضلهم بذلك، ﴿ولكن متعتهم﴾ ياربنا ﴿وآباءهم﴾ من قبلهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق فانغمسوا في الشهوات والملاذ ﴿حتى نسوا الذكر[4]﴾ أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً أي هلكى خاسرين.

وقوله تعالى: ﴿فقد[5] كذبوكم بما تقولون[6]﴾ يقول تعالى للمشركين فقد كذبكم من كنتم

(١) قرأ الجمهور: (نحشرهم) بالنون للعظمة، و(يقول) بالياء وهو التفات من التكلم إلى الغيبة حسن. وقرأ حفص وغيره بالياء في (يحشرهم) و(يقول) معاً وقرأ بعضٌ بالنون فيهما معاً.

(٢) الاستفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد.

(٣) الأولياء جمع ولي بمعنى التابع فإن الولي يرادف المولى فيصدق على كلا طرفي الولاء أي: على السيد والعبد، والناصر والمنصور والمراد هنا من الولي: التابع.

(٤) قيل: الذكر: القرآن، وقيل: الشكر على الإحسان، وما في التفسير أشمل.

(٥) الفاء الفصيحة إذْ أفصحت على جواب شرط محذوف تقديره:
إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوكم بما تقولون، وقد جاء التصريح بما يدل على القول المحذوف في قول عباس بن الأحنف.

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(٦) قرأ الجمهور بالياء وقرأ حفص بالتاء: (تقولون).

تشركون به، فقامت الحجة عليكم فأنتم الآن لاتستطيعون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.

وقوله تعالى: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيراً﴾ هذا خطاب عام لسائر الناس يقول تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذاباً كبيراً وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يارسولنا ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق[1]﴾ إذاً فلا تهتم بقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ولا تحفل به فإنهم يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة[2]﴾ أي هذه سنتنا في خلقنا نبتلي بعضهم ببعض فنبتلي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع، وننظر من يصبر ومن يجزع ونجزي الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أتصبرون﴾ هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذاً ولا تجزعوا أيها المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم. وقوله تعالى: ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أي وكان ربك أيها الرسول بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ ـ ياهول الموقف إذا سئل المعبودون عمن عبدوهم، والمظلومون عمن ظلموهم.

٣ ـ براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم.

٤ ـ خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه.

٥ ـ تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولي الحزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم.

---

(١) أخرج مسلم قوله ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

(٢) هذه الجملة تذييلية الغرض منها التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم. والاستفهام في: (أتصبرون) معناه الحث على الصبر والأمر به نحو قوله: (فهل أنتم منتهون). أي: عما حرّم من الخمر والميسر.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

لا يرجون لقاءنا : أي المكذبون بالبعث إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة.

لولا أنزل علينا الملائكة : أي هلاّ أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله.

أو نرى ربنا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك.

استكبروا في أنفسهم : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غروراً منهم.

وعتوا عتواً كبيراً : أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى.

ويقولون حجراً محجوراً : أي تقول لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم البشرى.

وقدمنا إلى ما عملوا : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص.

هباء منثوراً : الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخل من الكوى.

وأحسن مقيلاً : المقيل مكان الاستراحة في نصف النهار في أيام الحر.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أقوال المشركين من قريش فقال تعالى ﴿وقال الذين لا

يرجـون لقاءنا﴾[1] وهم المكذبون بالبعث المنكرون للحياة الثانية بكل ما فيها من نعيم وعذاب ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ أي هلا أنزل الله علينا الملائكة تشهد لمحمد بالنبوة ﴿أو نرى ربنا﴾[2] فيخبرنا بأن محمداً رسوله وأن علينا أن نؤمن به وبما جاء به ودعا إليه. قال تعالى ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾[3] أي وعزتنا وجلالنا لقد استكبر هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث في شأن أنفسهم ورأوا أنهم شيء كبير وعتوا أي طغوا طغياناً كبيراً في قولهم هذا الذي لا داعي إليه إلا الشعور بالكبر، والطغيان النفسي الكبير، وقوله ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي الذين يطالبون بنزولهم عليهم، وذلك يوم القيامة. لا بشرى يومئذ للمجرمين أي الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والظلم الفساد: ﴿ويقولون﴾ أي وتقول لهم الملائكة ﴿حجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً[4] عليكم البشرى بل هي للمؤمنين المتقين.

وقوله تعالى ﴿وقدمنا[5] إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء[6] منثوراً﴾ أي وعمدنا إلى أعمالهم التي لم تقم على مبدأ الإيمان والإخلاص والموافقة للشرع فصيرناها هباءً منثوراً كالغبار الذي يرى في ضوء الشمس الداخل مع كوة أو نافذة لا يقبض باليد ولا يلمس بالأصابع لدقته وتفرقه فكذلك أعمالهم لا ينتفعون منها بشيء لبطلانها وعدم الاعتراف بها.

وقوله تعالى ﴿أصحاب الجنة﴾ أي أهلها الذين تأهلوا لها بالإيمان والتقوى يومئذ أي يوم القيامة الذي كذب به المكذبون خير مستقراً أي مكان استقرار وإقامة وأحسن مقيلا[7]

(١) (لقاءنا) أي: لا يخافون لقاءنا ولا يأملونه ولا يبالون به، وهذا كلّه ناتج عن تكذيبهم بالبعث والدار الآخرة.

(٢) لما كانت الحياة الدنيا حياة ابتلاء امتنع أن يعطيهم ما طلبوا إذ لو أراهم الله تعالى نفسه أو أراهم ملائكته لآمنوا وبطل حينئذ التكليف الذي أقام تعالى عليه الحساب والجزاء مع أن رؤية الله لا يقدرون عليها لكن على فرض لو أقدرهم الله عليها.

(٣) العتو: أشد الكفر وأفحش الظلم.

(٤) حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلاّ من شهد أن لا إله إلا الله وأقام شرائع الله، وكذلك الحال يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين: ومن شواهد أنّ حجراً بمعنى محرماً وحَراماً قول المتلمس:

حنّت إلى النخلة القصوى فقلت لها   حِجر حرام الا تلك الدهاريس

الدهاريس: الدراهم.

(٥) قدمنا: عمدنا قال الشاعر:

وقدم الخوارج والضلال   إلى عباد ربهم فقالوا
إن دماءكم لنا حلال

(٦) تصغير هباء: هُبيٌّ وواحده: هباة، وهمز في هباء لالتقاء الساكنين وجمع هباة: أهباء.

(٧) المقيل: الذي يُؤوى إليه في وقت القيلولة للاستراحة فيه وفي الحديث: (قيلوا فإنّ الشياطين لا تقيل) وروي أن النبي ﷺ قيل له ما أطول هذا اليوم فقال ﷺ. (والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا).

أي مكـان اسـتراحـة من العنـاء في نصف النهـار أي خير وأحسن من أهـل النـار المشركين المكذبين وفي هذا التعبير إشارة إلى أن الحساب قـد ينقضي في نصف يوم الحساب وذلك أن الله سريع الحساب.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان.

٢ـ إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح، ويوم القيامة.

٣ـ نفي البشرى عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين.

٤ـ حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة.

٥ـ انتهاء حساب المؤمنين قبل نصف يوم الحساب الذي مقداره خمسون ألف سنة.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

شرح الكلمـات:

بالغمـــام : أي عن الغمام وهو سحاب أبيض رقيق كالذي كان لبني إسرائيل في التيه.

المـــلك : أي الملك الحق لله ولم يبق لملوك الأرض ومـالكيها ملك في شيء ولا لشيء.

على الكافرين عسيرا :أي صعبـاً شـديداً.

يعض الظالم على يديه :أي ندماً وأسـفاً على ما فرط في جنب الله.

سـبيلا :أي طريقاً إلى النجاة بالإيمان والطاعة.
لم أتخذ فلاناً خليلاً : أي أبي بن خلف خليلاً صديقاً ودوداً.
لقد أضلني عن الذكر: أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.
وكان الشيطان : شيطان الجن وشيطان الإنس معاً.

معـنى الآيـات:

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القيامة وبيان أحوال المكذبين بها فقال تعالى ﴿ويوم﴾ أي اذكر ﴿يوم تشقق[1] السماء[2] بالغمام﴾ أي عن الغمام ونُزّل الملائكة تنزيلاً وذلك لمجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء. وقوله تعالى ﴿الملك يومئذ الحق[3]﴾ أي الثابت للرحمن عز وجل لا لغيره من ملوك الدنيا ومالكيها، وكان ذلك اليوم يوماً على الكافرين[4] عسيراً لا يطاق ولا يحتمل ما فيه من العذاب والأهوال وقوله ﴿يوم يعض الظالم على يديه﴾ أي المشرك الكافر بيان لعسر اليوم وشدته حيث يعض الظالم على يديه تندماً وتحسراً وأسفاً على تفريطه في الدنيا في الإيمان وصالح الأعمال.. يقول يا ليتني أي متمنياً: ﴿اتخذت مع الرسول[5] سبيلا﴾ أي طريقاً إلى النجاة من هول هذا اليوم وذلك بالإيمان والتقوى. وينادي مرة أخرى قائلاً ﴿يا ويلتا﴾ أي يا هلكتي احضري فهذا وقت حضورك، ويتمنى مرة أخرى فيقول ﴿يا ليتني لم اتخذ[6] فلاناً خليلاً﴾ وهو شيطان من الإنس أو الجن كان قد صافاه ووالاه في الدنيا فغرر به وأضله عن الهدى. فقال في تحسر ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ أي القرآن بعد إذ جاءني من ربي بواسطة الرسول وفيه هداي

---

(١) قرأ نافع (تشَقّق) بتشديد الشين والقاف، وقرأ حفص: (تشقق) بتخفيف الشين وأصلها تتشقق فمن حذف إحدى التائين للتخفيف قرأ بتخفيف الشين ومن أدغم التاء في الشين شدّدها.

(٢) الباء: بمعنى عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس، والغمام: سحاب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال تعالى فيه: (هل أن ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام).

(٣) الحق: نعت للملك. المبتدأ والخبر: الجار والمجرور، والجملة تتضمن إبطال أي ملك لأحد سوى الرحمن عزّ وجل إذ هو الملك الحق والمالك الحق.

(٤) مفهوم الخطاب أنه على المؤمنين غير عسير فهو إذاً يسير وهو كذلك.

(٥) اهل التفسير على ان هذا الظالم هو عقبة بن أبي معيط وأنّ خليله أميّة بن خلف، فعقبة قتله علي في أسرى بدر وأمية قتله رسول الله ﷺ فكان هذا من دلائل النبوة. لانه اخبر عنهما بهذا فقُتلا كافرين الى النار.

(٦) هذا هو عقبة بن أبي معيط وفلان هو: أمية بن خلف. في الآية دليل على وجوب البعد عن قرناء السوء، وفي الحديث الصحيح: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إمّا أن يحذيك وإمّا أن تبتاع منه وإما أن تجد ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة) رواه مسلم.

وبـه هدايتي، قال تعـالى ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ أي يورطه ثم يتخلى عنه ويتركه في غير موضع وموطن.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر البعث والجزاء بذكر أحوالها وبعض أهوالها.

٢ـ إثبات مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة.

٣ـ تندم الظلمة وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله.

٤ـ بيان سوء عاقبة موالاة شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله.

٥ـ تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن، ثم لامه أُبيُّ بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المتندم المتحسر القائل ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر...﴾.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

---

(١) الخذول: كثير الخذلان، وخذله: إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان: معناهما: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره.

شــرح الكلمـات:

مهجوراً : أي شيئاً متروكاً لا يلفت إليه.

هادياً ونصيراً أي هادياً لك إلى طريق الفوز والنجاح وناصراً لك على كل أعدائك.

جملـة واحـدة : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفريق.

لنثبت به فؤادك : أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها.

ورتلناه ترتيلاً : أي أنزلناه شيئاً فشيئاً آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى ليتيسر فهمه وحفظه.

شـر مكـاناً : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها.

معـنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال البعث الآخر الذي أنكره المشركون وكذبوا فقال تعالى ﴿وقال الرسول[1] يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ هذه شكوى الرسول ﷺ بقومه إلى ربه ليأخذهم بذلك. وهجرهم للقرآن تركهم سماعه وتفهمه والعمل بما فيه.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك[2] جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك أيها الرسول أعداء لك من مجرمي قومك جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من مجرمي قومه، إذاً فاصبر وتحمل حتى تبلغ رسالتك وتؤدي أمانتك، والله هاديك إلى سبيل نجاحك وناصرك على أعدائك. وهذا معنى قوله تعالى ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي وقال المكذبون بالبعث المنكرون للنبوة المحمدية المشركون بالله آلهة من الأصنام هلا نزل عليه القرآن مرة واحدة مع بعضه بعضاً لا مفرقاً آيات وسوراً أي كما نزلت التوراة جملة واحدة والإنجيل والزبور وهذا من باب التعنت منهم والاقتراحات التي لا معنى لها إذ هذا ليس من شأنهم ولا مما يحق لهم الخوض فيه، ولكنه الكفر والعناد. ولما كان هذا مما قد يؤلم الرسول ﷺ رد تعالى عليهم

---

(١) الرسول: هو محمد ﷺ يشكو المشركين من قومه إلى ربه تعالى يوم القيامة لتحق عليهم كلمة العذاب.

(٢) هذه الجملة تحمل العزاء للنبي ﷺ والتسلية من جراء ما يجد من قومه المكذبين المعادين المحاربين، ومعنى الآية: وكما جعلنا لك عدواً من قومك وهو أبو جهل جعلنا لكل نبي عدواً.

بقوله ﴿كذلك﴾[1] أي أنزلناه كذلك منجماً ومفرقاً لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته لأنه كالغيث كلما أنزل أحيا موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول المطر دفعة واحدة. وقوله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أي أنزله مرتلاً أي شيئاً فشيئاً ليتيسر حفظه وفهمه والعمل به.

وقوله تعالى ﴿ولا يأتونك[2] بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن[3] تفسيراً﴾ هذا بيان الحكمة في نزول القرآن مفرقاً لا جملة واحدة وهو أنهم كلما جاءوا بمثل أو عرض شبهة ينزل القرآن الكريم بإبطال دعواهم وتفنيد كذبهم، وإلغاء شبهتهم، وإحقاق الحق في ذلك وبأحسن تفسير لما اشتبه عليهم واضطربت نفوسهم فيه وقوله تعالى ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً[4]﴾ أي أولئك المنكرون للبعث المقترحون نزول القرآن جملة واحدة هم الذين يحشرون على وجوههم تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم لأنهم مجرمون بالشرك والتكذيب والكفر والعناد. أولئك البعداء شر مكاناً يوم القيامة، وأضل سبيلاً في الدنيا، إذ مكانهم جهنم، وسبيلهم الغواية والضلالة والعياذ بالله من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- شهادة الرسول ﷺ على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعوه ولم يتفهموه ولم يعملوا به، وشكواه إياهم إلى الله عز وجل.

٢- بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إلا وله عَدُوٌّ من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل، فينجم عن ذلك عداء لازم من أهل الباطل لأهل الحق.

٣- بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً.

٤- بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً.

(١) جائز أن يكون كذلك من كلام المشركين: أي: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك أي: كالتوراة والإنجيل فيتم الوقف على كذلك ثم يبتدىء (لنثبت به فؤادك) وما في التفسير أولى.

(٢) هذا كقولهم: (إن هذا إلاّ إفك افتراه) وقولهم: (أساطير الأولين) وقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) وقولهم (إن تتبعون إلاّ رجلا مسحورا) وقولهم: (لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة) كل هذا الذي قالوه ردّ عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعاويهم.

(٣) أي: بما يقطع حجتهم ويلقمهم الحجر فلا يستطيعون الرد أو القول.

(٤) (سبيلا) منصوب على التمييز المحول عن فاعل، أي: ضلّت سبيلهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : أي التوراة.

وزيراً : أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة.

إلى القوم الذين كذبوا : هم فرعون وآله.

لما كذبوا الرسل : أي نوحاً عليه السلام.

وجعلناهم للناس آية : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة للمعتبرين.

وعاداً وثمود : أي اذكر قوم عاد وثمود إلخ . .

وأصحاب الرس : الرس بئر رس فيها قوم نبيهم، أي رموه فيها ودسوه في التراب.

وقروناً بين ذلك كثيرا : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قروناً كثيراً.

تبرنا تتبيرا : أي دمرناهم تدميراً.

التي أمطرت مطر السوء : هي سدوم قرية قوم لوط.

لا يرجون نشوراً : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر.

معنى الآيـات :

قولـه تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ هذا شـروع في عرض أمم كذبت رسلها وردت دعوة الحق التي جاءوا بها فأهلكهم الله تعالى ليكون هذا عظة للمشركين لعلهم يتعظون فقال تعالى وعزتنا لقد آتينا موسى بن عمران الكتاب الذي هو التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً، فقلنا أي لهما ﴿ اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم فرعون[1] وملاؤه فأتوهم فكذبوهما فدمرناهم[2] تدميراً كاملاً حيث أغرقوا في البحر، وقوله تعالى: ﴿وقوم نوح﴾ أي اذكر قوم نوح أيضاً فإنهم لما كذبوا الرسل[3] أي كذبوا نوحاً ومن كذب رسولاً فكأنما كذب عامة الرسل أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس بعدهم آية أي عبرة للمعتبرين وقوله ﴿وأعتدنا﴾ أي وهيأنا[4] للظالمين في الآخرة عذاباً أليماً أي موجعاً زيادة على هلاك الدنيا، وقـولـه ﴿وعـاداً وثمود وأصحاب الرس[5]﴾ أي أهلكنا الجميع ودمرناهم تدميراً لما كذبوا رسلنا وردوا دعوتنا، وقروناً أي وأهلكنا قروناً بين ذلك الذي ذكرنا كثيراً.

وقوله ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ أي إقامة للحجة عليهم فما أهلكناهم إلا بعد الإنذار والإعـذار لهم. وقوله ﴿وكلاً تبرنا تبتيراً﴾ أي أهلكناهم إهلاكاً لتكذيبهم رسلنا وردهم دعوتنا. وقوله: ﴿ولقد[6] أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ أي ولقد مر أي كفار قريش على القرية التي أمطرت مطر السوء أي الحجارة وهي قرى قوم لوط سدوم وعمورة وغيرهما فأهلكهم لتكذيبهم رسولهم وإيتانهم الفاحشة وقوله تعالى ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في سفرهم إلى الشام وفلسطين. فيعتبروا بها فيؤمنوا وهو استفهام تقريري وإذ كانوا يمرون بها ولكنهم لم يعتبروا لعلة وهي أنهم لا يؤمنون بالبعث الآخر وهو معنى قوله تعالى ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً[7]﴾ فالذي لا يرجو أن يبعث ويحاسب ويجزى لا يؤمن ولا يستقيم أبداً.

---

(١) فرعون وهامان والقبط.

(٢) في الآية حذف وهو: ما قدرناه في التفسير أي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا.

(٣) ذكر الجنس وهو الرسل والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلاّ نوح وحده.

(٤) وجائز أن يكون معنى الآية: هذه سبيلي في كل ظالم آخذه في الدنيا بالدمار والهلاك.

(٥) الرس: في اللغة البئر تكون غير مطوية والجمع رساس قال الشاعر:

تنابلة يحفرون الرسّاسا

يريد آبار المعادنَ.

(٦) اقتران الخبر بلام القسم لإفادة معنى التعجب من عدم اعتبارهم.

(٧) النشور: مصدر نشر الميت: أحياه قال الشاعر: يالبكر أنشروا لي كليباً يالبكر أين أين الفرار

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها.

٢ـ بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب.

٣ـ بيان علة تكذيب قريش للرسول ﷺ وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمـات :

إن يتخذونك : أي ما يتخذونـك.

إلا هـزواً : أي مهـزوءاً به.

أهذا الذي بعث الله رسولاً: أي في دعواه لأنهم معترفون برسالته والاستفهام للتهكم والاحتقار.

إن كاد ليضلنا عن آلهتنا : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا.

لولا أن صبرنا عليها : أي لصرفنا عنها.

أرأيت من اتخذ إلهه هواه : أي أخبرني عمن جعل هواه معبوده فأطاع هواه. فهل تقدر على هدايته.

إن هم إلا كالأنعام : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا﴾[1] يخبر تعالى رسوله عن أولئك المشركين المكذبين بالبعث أنهم إذا رأوه في مجلس أو طريق ما يتخذونه إلا هزواً أي مهزوءاً به احتقاراً وازدراءً له فيقولون فيما بينهم، ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾[2] وهو استفهام احتقار وازدراء لأنهم يعتقدون أنه رسول الله ويقولون ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ أي يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا وثبتنا على عبادتها. وهذا القول منهم ناتج عن ظلمة الكفر والتكذيب بالبعث وقوله تعالى ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ في الدنيا أو في الآخرة أي عندما يعاينون العذاب يعرفون من كان أضل سبيلا هم أم الرسول والمؤمنون، وفي هذا تهديد ووعيد بقرب عذابهم وقد حل بهم في بدر فذلوا وأسروا وقتلوا وتبين لهم أنهم أضل سبيلاً من النبيّ وأصحابه. وقوله تعالى لرسوله وهو يسليه ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ﴿أرأيت[3] من اتخذ إلهه هواه﴾ أخبرني عمن جعل معبوده هواه فلا يعبد غيره فكلما اشتهى شيئاً فعله بلا عقل ولا روية ولا فكر فقد يكون لأحدهم حجر يعبده فإذا رأى حجراً أحسن منه عبده وترك الأول فهذا لم يعبد إلا هواه وشهوته فهل مثل هذا الإنسان الهابط إلى مستوى دون البهائم تقدر على هدايته يا رسولنا؟ ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ أي حفيظاً تتولى هدايته أم أنك لا تقدر فاتركه لنا يمضي فيه حكمنا.

وقوله ﴿أم تحسب﴾ أيها الرسول أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون[4] ما يقال لهم ويعقلون ما يطلب منهم إن[5] هم إلا كالأنعام فقط بل هم أضل[6] سبيلاً من الأنعام إذ الأنعام

---

(١) جواب (إذا رأوك) قوله : (ان يتخذونك إلاّ هزوا).

(٢) (رسولا) منصوب على الحال، والعائد محذوف تقديره، بعثه الله حال كونه رسولا.

(٣) الاستفهام للتعجيب أي : عجب الله تعالى رسوله من حال المشركين أي : من إضمارهم الشرك وإصرارهم عليه مع إصرارهم أن الله تعالى خالقهم ورازقهم ثم يعمد أحدهم إلى حجر يعبده. قال ابن عباس : الهوى إنه يعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية : (أفرأيت مَن اتخذ إلهه هواه) وقد كان الرجل منهم إذا هوى شيئاً عبده حتى إنه ليعبد الحجر أياماً ثم يرى غيره فيترك الأول ويعبد الثاني.

(٤) أي : سماع قبول أو يتفكرون فيما تقول فيعقلونه.

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها في جواب سؤال لأنّ ما تقدّمها في إنكار سمعهم يثير في النفس سؤالاً عن نفي سماعهم وفهمهم فأجيب (إن هم إلاّ كالأنعام).

(٦) هم أضل من الأنعام لأنّ البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء المشركين.

تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا لنداء رسوله إليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان ما كان الرسول ﷺ يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء.
٢- يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عاين العذاب عرف ما كان ينكر، وآمن بما كان يكفر.
٣- هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل: أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف بسطه.
ولو شاء الله لجعله ساكناً: أي ثابتاً على حاله في الطول والامتداد ولا يقصر ولا يطول.
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا: أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل.

ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءاً فجزءاً حتى ينتهي.

ثم جعلنا الليل لباساً : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس.

والنوم سباتاً : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار.

وجعل النهار نشوراً : أي حياة إذ النوم بالليل كالموت والانتشار بالنهار كالبعث.

بشراً بين يدي رحمته : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله، والمطر هو الرحمة.

ماء طهوراً : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ.

لنحيي به بلدة ميتاً : أي بالزروع والنباتات المختلفة.

أنعاماً وأناسي كثيراً : أي حيواناً وأناساً كثيرين.

ولقد صرفناه بينهم : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية.

ليذكروا : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحدوا.

فأبى أكثر الناس إلا كفوراً : أي فلم يذكروا وأبى أكثرهم إلا كفوراً جحوداً للنعمة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ألم تر إلى[1] ربك كيف مد الظل﴾[2] هذا شروع في ذكر مجموعة من أدلة التوحيد وهي مظاهر لربوبية الله تعالى المقتضية لألوهيته فأولاً الظل وهو المشاهد من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وقد مدّه الخالق عز وجل أي بسطه في الكون، ثم تطلع الشمس فتأخذ في زواله وانكماشه شيئاً فشيئاً، ولو شاء الله تعالى لجعله ساكناً لا يبارح ولا يغادر ولكنه حسب مصلحة عباده جعله يتقاصر ويقبض حتى تقف الشمس في كبد السماء فيستقر ثم لما تدحض الشمس مائلة إلى الغروب يفيء أي يرجع شيئاً فشيئاً فيطول تدريجياً لتعرف به ساعات النهار وأوقات الصلوات حتى يبلغ من الطول حداً كبيراً كما كان في أول النهار ثم يقبض قبضاً يسيراً خفياً سريعاً حين تقرب الشمس ويغشاه ظلام الليل. هذه آية من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته بعباده تجلت في الظل الذي

---

(١) جائز أن تكون الرؤية هنا بصرية وعلمية معاً إذ بالعين يشاهد الظل وزواله وبالقلب يعلم ذلك كذلك.

(٢) الظل بالغداء والفيء بالعشي قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحا تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق

قال تعالى فيه ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي تنظر إلى صنيع ربك جل جلاله ﴿كيف مد الظل، ولو شاء لجعله ساكناً﴾ ينتقل، ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ إذ بضوءها يعرف، فلولا الشمس لما عرف الظل وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ حسب سنته ففي خفاء كامل وسرعة تامة يقبض الظل نهائياً ويحل محله الظلام الحالك.

وثانياً: في الليل والنهار قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾[1] أي ساتراً يستركم بظلامه كما تستركم الثياب، ﴿والنوم سباتاً﴾[2] أي وجعل النوم قطعاً للعمل فتحصل به راحة الأبدان ﴿وجعل النهار نشوراً﴾[3] أي حياة بعد وفاة النوم فيتنشر فيه الناس لطلب الرزق بالعمل بالأسباب والسنن التي وضع الله تعالى لذلك.

وثالثا: إرسال الرياح للقاح السحب للإمطار لإحياء الأرض بعد موتها بالقحط والجدب قال تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾[4] هو لا غيره من الآلهة الباطلة ﴿أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ اللهم إنه لا أحد.

ورابعاً: إنزال الماء الطهور العذب الفرات للتطهير به وشرب الحيوان والإنسان قال تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً[5] لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وأناسي كثيراً﴾ أي وأناساً كثيرين وهم الآدميون ففي خلق الماء وإنزاله وإيجاد حاجة في الحيوان والإنسان إليه ثم هدايتهم لتناوله وشربه كل هذا آيات الربوبية الموجبة لتوحيد الله تعالى.

وخامساً: تصريف المطر بين الناس فيمطر في أرض ولا يمطر في أخرى حسب الحكمة الإلهية والتربية الربانية. قال تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾[6] أي بين الناس كما

---

(١) قال ابن العربي ظنّ بعض الجهال أن كون الليل لباساً يجزىء من صلى فيه عارياً وهو لا يجزىء ولو أجزأ لأجزأ من أغلق باب غرفته وصلى عرياناً.

(٢) أصل السبت: القطع والتمدد فهو بانقطاع البدن عن العمل تحصل له الراحة لذا قيل للنوم سبات لأنه بالتمدد يكون، وفي التمدد معنى الراحة.

(٣) كان النبي ﷺ إذا أصبح يقول: (الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور).

(٤) قيل: إن تكوين الرياح سببه التقاء حرارة جانب من الجو ببرودة جانب آخر تنشأ السحب.

(٥) أكثر الفقهاء على أنّ الماء الطهور غير الطاهر فالطهور: هو الذي تزال به الأحداث بخلاف الطاهر فلذا كل طهور طاهر وليس كل طاهر طهوراً.

(٦) وجائز أن يراد بقوله (صرفناه بينهم) القرآن الكريم إذ جرى ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضاً.

هو مشاهد إقليم يسقى وآخر يحرم، وقوله تعالى: ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾[1] أي جحوداً لإنعام الله عليهم وربوبيته عليهم وألوهيته لهم. وهو أمر يقتضي التعجب والاستغراب. هذه مظاهر الربوبية المقتضية للألوهية، ﴿وأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ عرض الأدلة الحسية على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده فيها ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً.

٢ـ بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفيء، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء، ووقت العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا.

٣ـ الماء الطهور وهو الباقي على أصل خلقته[2] فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه. وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات، ويحرم منعه عمن احتاج إليه من شرب أو طهارة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ

---

(١) قال عكرمة: هو قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا، وأيّده النحاس وقال: لا نعلم خلافاً أن الكفر هنا هو قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا روى الربيع بن صبيح قال: مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ذات ليلة فلما أصبحوا قال النبي ﷺ: (أصبح الناس فيها رجلين: شاكراً وكافراً فأما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقياه وغياثه. وأما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا).

(٢) أحكام المياه: ١ـ قليل الماء ينجسه قليل النجاسة وكثيره لا ينجسه. ٢ـ الماء طهور ما بقي على أصل خلقته فإن خالطه ما غيّر أحد أوصافه: الريح واللون والطعم سلبت طهوريته. ٣ـ الماء المتغيّر بطول المكث طهور. ٤ـ كره بعض أهل العلم الوضوء بسؤر النصراني، وقد توضأ عمر من بيت نصرانية وقال لها: اسلمي تسلمي فكشف عن رأسها وإذا به مثل الثغامة وقالت: عجوز كبيرة وإنما أموت الآن فقال عمر: اللهم أشهد خرّجه الدارقطني. ٥ـ سؤر الكلب لا يتوضأ به ويغسل الإناء سبعاً. ٦ـ ما مات في الماء مما لادم له كالحشرات لا يسلب طهورية الماء. ٧ـ سؤر الهر طاهر لحديث ابي قتادة.

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

شرح الكلمات :

لبعثنا في كل قرية نذيراً : أي رسولاً ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر.

وجاهدهم به جهاداً كبيراً: أي بالقرآن جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى غاية جهدك.

مـرج البحريـن : أي خلط بينهما وفي نفس الوقت منع الماء الملح أن يفسد الماء العذب.

وجعل بينهما برزخاً : أي حاجزاً بين الملح منهما والعذب.

وحجراً محجوراً : أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو الملح، ولا يملح العذب.

خلق من الماء بشراً : أي خلق من الماء الإنسان والمراد من الماء النطفة.

فجعله نسباً وصهراً : أي ذكراً وأنثى أي نسباً ينسب إليه، وصهراً يصهر إليه أي يتزوج منه.

ما لا يضرهم ولا ينفعهم : أي أصناماً لا تضر ولا تنفع.

وكان الكافر على ربه ظهيرا : أي معيناً للشيطان على معصية الرحمن.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تعداد مظاهر الربوبية المستلزمة للتوحيد قال تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ أي في كل مدينة نذيراً أي رسولاً ينذر الناس عواقب الشرك والكفر،

ولكنا لم نشأ لحكمة اقتضتها ربوبيتنا وهي أن تكون أيها الرسول أفضل الرسل وأعظم منزلة وأكثرهم ثواباً فحبوناك بهذا الفضل فكنت رسول كل القرى أبيضها وأسودها فاصبر وتحمل، واذكر شرف منزلتك ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في أي أمر أرادوه منك ﴿وجاهدهم﴾ به أي بالقرآن وكله حجج وبينات جهاداً كبيراً تبلغ فيه اقصى جهدك[1]. بعد هذه الجملة الاعتراضية من الكلام الإلهي قال تعالى مواصلاً ذكر مظاهر ربوبيته تعالى على خلقه. ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ الملح والعذب أي أرسلهمامع بعضهما بعضاً ﴿هذا عذب فرات﴾ أي حلو ﴿سائغ شرابه، وهذاملح[2] أجاج﴾ أي لايشرب ﴿وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ أي ساتراً مانعاً من اختلاط العذب بالملح مع وجودهما في مكان واحد، فلا يبغي هذا على هذا بأن يعذب الملح أو يملح العذب. وقوله تعالى ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً أي من المني ونطفته خلق الإنسان وجعله ذكراً وأنثى وهو معنى قوله نسباً وصهراً[3] أي ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور، وذوات صهر يصاهر بهن وهن الإناث. وقوله تعالى ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي على فعل ما يريده من الخلق والإيجاد أو التحويل والتبديل، والسلب والعطاء هذه مظاهر الربوبية المقتضية لعبادته وتوحيده والمشركون يعبدون من دونه أصناماً لاتنفعهم إن عبدوها، ولاتضرهم إن لم يعبدوها وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم فيعبدون الشيطان إذ هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وبذلك كان الكافر على ربه ظهيرا إذ بعبادته للشيطان يعينه على معصية الرب تبارك وتعالى وهو معنى قوله تعالى، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وكان الكافر على ربه ظهيرا. أي معيناً للشيطان على الرحمن والعياذ بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك لغير بشارة المؤمنين بالجنة ونذارة الكافرين بالنار أما هداية القلوب فهي إلينا من شئنا هدايته

---

(١) ولا يخالطه فتور، وقيل الجهاد بالسيف ويرده أن السورة مكية ولم يجر للسيف ذكر فكيف يكون المراد، وقيل: بالإسلام وهو أولى من السيف والقرآن أصح، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الملح يوصف به الماء، ولا يقال مالح إلاّ نادراً والأجاج ما كان ملحاً مراً والعذب. الحلو والفرات: زائد الحلاوة، والبرزخ: الحاجز المانع والحرام المحرم أن يعذب الملح او يملح العذب.

(٣) صهر الرجل: قريب زوجته وأصهاره: أقارب زوجته. وختن الرجل من تزوج قريبته، وأختانه: أقارب من زوّجه قريبته، والحم والجمع أحماء أقرباء زوج المرأة، والصهر والنسب: معنيان يَعُمّان كل قربى تكون بين آدميين، قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر والأنثى، على وجه الشرع. وما في التفسير أوضح لأنه كقوله تعالى: (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى).

اهتدى ومن لم نشأها ضل. إلا أن الله يهدي ويضل حسب سنن له قد مر ذكرها مرات.[1]

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية والاكتفاء بالرسول محمد ﷺ.

٢- حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع.

٣- من الجهاد جهاد الكفار والملاحدة بالحجج القرآنية والآيات التنزيلية.

٤- مظاهر العلم والقدرة الإلهية في عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد. وفي خلق الله تعالى الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع.

٥- التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن.

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

(١) من سنن الله تعالى في الهداية والإضلال، أنّ من طلب الهداية ورغب فيها وسألها من ربه تعالى ولازم الطلب هداه الله، ومن رغب عن الهداية وطلب الغواية وسلك مسالكها مفضلا لها على الهداية وأصرّ على ذلك أضله الله والعياذ بالله.

شرح الكلمات :

عليه من أجر : أي على البلاغ من أجر اتقاضاه منكم.

سبيلا : أي طريقاً يصل به إلى مرضاته والفوز بجواره، وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله.

وسبح بحمده : أي قل سبحان الله وبحمده.

في ستة أيام : أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد . . . والجمعة.

ثم استوى على العرش : العرش سرير الملك والاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب.

فاسأل به خبيراً : أي أيها الإنسان إسأل خبيراً بعرش الرحمن ينبئك فإنه عظيم.

وزادهم نفوراً : أي القول لهم اسجدوا للرحمن زادهم نفوراً من الإيمان.

جعل في السماء بروجاً : هي إثنا عشر برجاً انظر تفصيلها في معنى الآيات.

سراجاً : أي شمساً.

خلفة : أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد.

أن يذكر : أي ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر.

أو أراد شكوراً : أي شكراً لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة.

معنى الآيات :

بعد هذا العرض العظيم لمظاهر الربوبية الموجبة للألوهية أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين ما أسالكم على هذا البيان الذي بينت لكم ما تعرفون به إلهكم الحق فتعبدونه وتكملون على عبادته وتسعدون أجراً أي مالاً، لكن من شاء أن ينفق من ماله في وجوه البر والخير يتقرب به إلى ربه فله ذلك ليتخذ[1] بنفقته في سبيل الله طريقاً إلى رضا ربه عنه ورحمته له.

وقوله ﴿وتوكل[2] على الحي الذي لا يموت﴾ يأمر تعالى رسوله أن يمضي في طريق

---

(١) وجائز أن يكون (اتخذ إلى ربه سبيلا) باتباع ديني أي: الإسلام حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة والإنفاق في سبيل الله تعالى داخل فيه، والحمد لله.

(٢) التوكل معناه: اعتماد القلب على الله تعالى في كل الأمور مع اتيان الأسباب المشروعة للبلوغ إلى المطلوب مما هو خير ومعروف و أمر ادراك المطلوب إلى الله تعالى مع الرضا بما يتم من ربح أو خلافه ونجاح وغيره.

دعوته مبلغاً عن ربه داعياً إليه متوكلاً عليه أي مفوضاً أمره إليه إذ هو الحي الذي لا يموت وغيره يموت، وأمره أن يستعين على دعوته وصبره عليها بالتسبيح فقال ﴿وسبح بحمده﴾ أي قل سبحان الله وبحمده، وسبحانك اللهم وبحمدك وهو أمر بالذكر والصلاة وسائر العبادات فإنها العون الكبير للعبد على الثبات والصَّبْر . وقوله تعالى ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ أي فلا تكرب لهم ولا تحزن عليهم من أجل كفرهم وتكذيبهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محص عليهم أعمالهم وسيجزيهم بها في عاجل أمرهم أو آجله . ثم أثنى تبارك وتعالى على نفسه بقوله ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما[1] في ستة أيام﴾ مقدرة بأيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استوى على العرش العظيم استواء يليق بجلاله وكماله. ﴿الرحمن﴾ الذي عمَّت رحمته العالمين ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي فاسأل يا محمد[2] بالرحمن خبيراً بخلقه فإنه خالق كل شيء والعليم بكل شيء فهو وحده العليم بعظمة عرشه وسعة ملكه وجلال وكمال نفسه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ أي وإذا قال لهم الرسول أيها المشركون اسجدوا للرحمن ولا تسجدوا لسواه من المخلوقات . قالوا منكرين متجاهلين ﴿ما الرحمن[3]؟﴾ أنسجد لما تأمرنا أي أتريد أن تفرض علينا طاعتك ﴿وزادهم﴾ هذا القول ﴿نفوراً﴾، أي بعداً واستكباراً للحق والعياذ بالله تعالى . وقوله تعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي تقدس وتنزه أن يكون له شريك في خلقه أو في عبادته الذي بعظمته جعل في السماء بروجاً وهي منازل الكواكب السبعة السيارة فلذا سميت بروجاً جمع برج وهو القصر الكبير وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . والكواكب السبعة السيارة هي : المريخ ، والزهرة وعطارد، والقمر، والشمس، والمشتري، وزحل . فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها .

---

(١) قال (بينهما) ولم يقل بينهن لأنه أراد الصنفين أو النوعين أو الشيئين وهو أخص من كلمة بينهن وأخف على اللسان والمقصود ظاهر بكل من العبارتين جمع أو ثني .

(٢) رجح بعضهم أن الباء هنا بمعنى عن أي : اسأل عن الرحمن خبيرا واستشهد بقول الشاعر:

فإن سألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب

فقوله بالنساء أي : عن النساء . ورأي ابن كثير أنّ المسؤول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق وبعزته وعظمته جل جلاله .

(٣) إنهم بجهلهم أنكروا اسم الرحمن لله ، وقالوا : يأمر بعبادة إله واحد وهو يدعو الله ويدعو الرحمن فأنزل الله تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى) (الإسراء) .

وقوله تعالى ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ هو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾[1] هو القمر أي تعاظم وتقدس الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وقوله ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾[2] أي يخلف بعضهما بعضاً فلا يجتمعان أبداً وفي ذلك من المصالح والفوائد مالا يقادر قدره ومن ذلك أن من نسي عملاً بالنهار يذكره في الليل فيعمله، ومن نسي عملاً بالليل يذكره بالنهار فيعمله[3]، وهو معنى قوله ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ وقوله ﴿أو أراد شكوراً﴾ فإن الليل والنهار ظرفان للعبادة الصيام بالنهار والقيام بالليل فمن أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه فقد وهبنا له فرصة لذلك وهو الليل للتهجد والقيام والنهار للجهاد والصيام.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم[4] إلى الله تعالى ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له.

٢ـ وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذى لا يموت وغيره يموت.

٣ـ وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه.

٤ـ مشروعية السجود عند قوله تعالى وزادهم نفوراً للقارىء والمستمع[5].

٥ـ صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما.

٦ـ الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة.

---

(١) قرىء في الشاذ قُمرا بضم القاف وإسكان الميم وصاحب القراءة هو عصمة الذي يروي القراءات قال فيه أحمد بن حنبل: لا يكتبوا عنه وقد اولع أبو حاتم بالرواية عنه مع الأسف.

(٢) الخلفة: كل شيء بعد شيء ومنه قيل لليل والنهار خلفة لأنّ كُلا منهما يخلف الثاني إذا ذهب ومنه قيل لورق النبات الذي يخلف الورق الأول خلفة ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

بها العين والأرام يمشين خِلفة   وأطلاؤهن ينهضن من كل مجثم

خلفة: هذه تذهب وتلك تأتي. والعين: جمع عيناء وأعين: واسعات العيون والمراد بقر الوحش والأطلاء: جمع طلا: ولد البقرة وولد الظبية الصغير، والمجثم: موضع الجثوم: أي المقام.

(٣) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل).

(٤) لو اعطي الداعي إلى الله تعالى من أوقاف وقفت لهذا الغرض أو اعطي من بيت المال ما يسد به خلته ويقضي به حاجته فأخذ فلا حرج.

(٥) هذه السجدة من عزائم السجدات فلا ينبغي أن يتركها القارىء ولا المستمع.

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يمشون على الأرض هوناً: في سكينة ووقار.

وإذا خاطبهم الجاهلون : أي بما يكرهون من الأقوال.

قالوا سلاماً : أي قولاً يسلمون به من الإثم، ويسمى هذا إسلام[1] المتاركة.

سجداً وقياماً : أي يصلون بالليل سجداً جمع ساجد.

إن عذابها كان غراماً : أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه.

(١) اسلام المتاركة: هو أن يقول قولاً يسلم به من أذى الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتي هي احسن من الكلمات.

إنها ساءت مستقراً ومقاماً: أي بئست مستقراً وموضع إقامة واستقرار.

لم يسرفوا ولم يقتروا : أي لم يبذروا ولم يضيقوا.

وكان بين ذلك قواماً : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً.

التي حرم الله : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافرالمحارب.

إلا بالحــــق : وهو واحد من ثلاث: كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل ظلم وعدوان.

يلق أثامــاً : أي عقوبة شـديدة.

يبدل الله سيئاتهم حسنات: بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم.

معنى الآيـات :

لما أنكر المشركون الرحمن ﴿وقالوا وما الرحمن﴾ وأبوا أن يسجدوا للرحمن، وقالوا أن محمــداً ينهانا عن الشرك وهو يدعو مع الله الرحمن فيقول يا الله يا رحمن، ناسب لتجاهلهم هذا الاسم الرحمن أن يذكر لهم صفات عباد الرحمن ليعرفوا الرحمن بعباده على حد (خيركم من إذا رُؤي ذُكر الله) فقال تعالى ﴿وعباد الرحمن[1]﴾ ووصفهم بثمان صفات وأخبر عنهم بما أعده لهم من كرامة يوم القيامة. الاولى في قوله ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً[2]﴾ أي ليسـوا جبابـرة متكبـرين، ولا عصـاة مفسـدين ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار، ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي السفهاء بما يكرهون من القول قالوا قولاً يسلمون[3] به من الإثم فلم يردوا السيئة بالسيئة ولكن بالحسنة.

الثانية: في قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ أي يقضون ليلهم بين السجود

---

(١) (وعباد الرحمن) مبتدأ والخبر: إن أريد بهم أصحاب الرسول ﷺ خاصة فالخبر: (الذين يمشون) وما بعده نعوت لهم وصفات، وإن أريد بهم عامة المؤمنين فالخبر: (أولائك يجزون الغرفة) والصلات الثمانية: صفات ونعوت لهم. وهذا الراجح.

(٢) الهـون: اللين والرفق، والمشي الهـون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو غير مشي المتكبرين المعجبين بنفوسهم، وعباد الرحمن يمشون وعليهم السكينة والوقار وفي الحديث: (أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالأيضاع وهو السير مثل الخبب) إن الرسول ﷺ كان إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صبب، قيل: نعم هو كما وصف فالتقلع معناه رفع الرجل بقوة حتى لا يمشي مشية المتمسكن الذليل والذريع، الواسع الخـطا ومعناه أنه كان يرفع رجله بسرعة ويوسع خطوه كأنما ينحط من صبب فأين هذا الهون المحمدي في المشي من الاختيال والتمايل اعجاباً بالنفس وضرب الأرض كأنما يريد أن يخرقها بنعله. والله تعالى قال: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ والمرح: هو مشيُ الخيلاء، والفخر، وقال: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي بضربك إياها برجليك بشدة. ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ مهما حاولت العلو والارتفاع.

(٣) هذا كقوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين).

والقيام يصفون أقدامهم ويذرفون دموعهم على خدودهم خوفاً من عذاب ربهم.

والثالثة: في قوله ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم فقالوا ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ أي مُلِحّاً لازماً لا يفارق صاحبه، ﴿إنها ساءت﴾ أي جهنم ﴿ مستقراً ومقاماً﴾ أي بئست موضع إقامة واستقرار.

والرابعة: في قوله ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ في إنفاقهم فيتجاوزوا الحد المطلوب منهم، ولم يقتروا فيقصروا في الواجب عليهم وكان إنفاقهم بين الإسراف والتقتير قواماً أي عدلاً وسطاً.

والخامسة: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا يسألون غير ربهم قضاء حوائجهم كما لا يشركون بعبادة ربهم أحداً ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها وهي كل نفس آدمية ما عدا نفس الكافر المحارب فإنها مباحة القتل غير محرمة. ﴿إلا بالحق﴾ وهو واحدة من ثلاث خصال بينها الرسول ﷺ في حديث الصحيحين (لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يرتكبون فاحشة الزنا والزنا نكاح على غير شرط النكاح المباح وقوله تعالى ﴿ومن يفعل ذلك﴾ هذا كلام معترض بين صفات عباد الرحمن. أي ومن يفعل ذلك المذكور من الشرك بدعاء غير الرب أو قتل النفس بغير حق، أو زنا ﴿يلق اثاماً﴾[1] أي عقاباً ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ أي في العذاب ﴿مهاناً﴾ مخزياً ذليلاً، وقوله تعالى ﴿إلا من تاب﴾ من الشرك وآمن بالله وبلقائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحق ﴿وعمل صالحاً﴾ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ﴿فأولئك﴾ المذكورون أي التائبون ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ أي يمحو سيآتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانها صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد توبتهم ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ذا مغفرة للتائبين من عباده ذا رحمة بهم فلا يعذبهم بعد توبته عليهم، وقوله ﴿ومن تاب﴾ من غير هؤلاء المذكورين أي رجع إلى الله تعالى بعد غشيانه الذنوب

---

(١) الأثام: قيل فيه إنه واد في جهنم: قال الشاعر:

لقيت المهالك في حربنا ... وبعد المهالك نلقي أثاما

وقيل الأثام: العقاب كما في التفسير وشاهده قول الشاعر:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى ... عقوقاً والعقوق له أثام

أي: جزاء وعقوبة.

﴿وعمل صالحاً﴾ بعد توبته ﴿فإنه يتوب الى الله متاباً﴾ أي يرجع إليه تعالى مرجعاً مرضياً حسناً فيكرمه وينعمه في دار كرامته.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان صفات عباد الرحمن الذين بهم يعرف الرحمن عز وجل.

٢ـ فضيلة التواضع والسكينة في المشيء والوقار.

٣ـ فضيلة رد السيئة بالحسنة والقول السليم من الإثم.

٤ـ فضيلة قيام[1] الليل والخوف من عذاب النار.

٥ـ فضيلة الاعتدال والقصد في[2] النفقة وهي الحسنة بين السيئتين.

٦ـ حرمة الشرك وقتل النفس[3] والزنى وأنها أمهات الكبائر.

٧ـ التوبة تجب[4] ما قبلها. والندب إلى التوبة وأنها مقبولة مالم يغرغر.

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

---

(١) أنشد بعضهم الأبيات التالية في صفة أولياء الله جعلنا الله منهم: فقال:

لله قوم أخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خدّاما
قوم إذا جن الظلام عليهم باتوا هنالك سجداً وقياما
خمص البطون من التعفف ضمّرا لا يعرفون سوى الحلال طعاماً

(٢) روي أن عبدالملك بن مروان سأل بنته فاطمة وهي تحت ابن أخيه عمر بن عبدالعزيز وقد زارهما بالمدينة فقال لها كيف نفقتكم؟ فقالت: الحسنة بين السيئتين. تعني قول الله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وقيل: المسؤول زوجها عمر وهو الذي أجاب والله أعلم وفي الحديث: (إن من السرف أن تأكل كل ما تشتهي).

(٣) روى مسلم أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي: قال: أن تزاني حليلة جارك) فأنزل الله تصديقها (الذين لا يدعون مع الله إله آخرا) إلى (ولا يزنون).

(٤) وفي الحديث الصحيح: (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) والشاهد: (إن الحسنات يذهبن السيئات).

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

شـرح الكلمـات :

لا يشهدون الزور : أي لا يحضرون مجالسه ولا يشهدون بالكذب والباطل.

وإذا مروا باللغو : أي بالكلام السيء القبيح وكل مالا خير فيه.

مروا كـرامـاً : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه.

وإذا ذكروا بآيات ربهم : أي إذا وعظوا بآيات القرآن.

لم يخروا عليها صماً وعمياناً : أي لم يطأطئوا رؤوسهم حال سماعها عمياً لا يبصرون ولا صماً لا يسمعون بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه ويبصرون ما تعرضه.

قرة أعيـن : أي ما تقر به أعيننا وهو أن تراهم[1] مطيعين لك يعبدونك وحدك.

واجعلنـا للمتقين إماماً : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك قدوة يقتدون بنا في الخير.

يجـزون الغرفـة : أي الدرجة العليـا في الجنة.

بما صـبروا : أي على طاعتك بامتثال الأمر واجتناب النهي.

حسنت مستقراً ومقاماً : أي صلحت وطابت مستقراً لهم أي موضع استقرار

---

(١) أي: أعيننا.

وإقامة.

ما يعبأ بكم ربي : أي ما يكترث ولا يعتد بكم ولا يبالي.

لولا دعاؤكم : إياه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره.

فسوف يكون لزاماً : أي العذاب لزاماً أي لازماً لكم في بدر ويوم القيامة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر صفات عباد الرحمن الذي تجاهله المشركون وقالوا: وما الرحمن فها هي ذي صفات عباده دالة عليه وعلى جلاله وكماله، وقد مضى ذكر خمس صفات:

والسادسة: في قوله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾[1] الزور هو الباطل والكذب وعباد الرحمن لا يحضرون مجالسه ولا يقولونه ولا يشهدونه ولا ينطقون به ﴿وإذا مروا باللغو﴾[2] وهو كل عمل وقول لا خير فيه ﴿مروا كراماً﴾[3] أي مكرمين أنفسهم من التلوث به، بالوقوع فيه.

والسابعة: في قوله تعالى ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ أي إذا ذكرهم أحد بآيات القرآن كتاب ربهم عز وجل لم يحنوا رؤوسهم عليها صماً حتى لا يسمعوا مواعظها ولا عمياناً حتى لايشاهدوا آثار آياتها بل يحنون رؤوسهم سامعين لها واعين لما تقوله وتدعو إليه مبصرين آثارها مشاهدين وقائعها متأثرين بها.

والثامنة: فى قوله تعالى ﴿والذين يقولون﴾ أي في دعائهم ﴿ربنا هب لنا﴾ أي أعطنا ﴿من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾[4] أي ما تقر به أعيننا وذلك بأن نراهم يتعلمون الهدى ويعملون به طلباً لمرضاتك يا ربنا ﴿واجعلنا للمتقين﴾ من عبادك الذين يتقون سخطك

---

(١) قيل في الزور: إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد وقال ابن عباس: إنه أعياد المشركين وقال عكرمة: اللعب كان في الجاهلية يسمى الزور، وقال مجاهد: الغناء: ويطلق اليوم على التصوير والصور إذ هو الزور والكذب قطعاً. والحكم في شاهد الزور أن يجلد أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر رضي الله عنه. وتسخيم الوجه أن يسود بالفحم.

(٢) اللغو: كل سقط من قول أو فعل فيدخل فيه الغناء واللهو وذكر النساء وغير ذلك من المنكر، وقال بعضهم اللغو كل قول أو عمل لم يحقق لك درهما لمعاشك ولا حسنة لمعادك.

(٣) كراماً: أي معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسون أهله.

(٤) قرة العين مأخوذ من القرّ وهو البرد إذ دموع الفرح باردة ودموع الحزن حارة قال الشاعر:

فكم تسخنت بالأمس عين قريرة وقرّت عيون دمعها اليوم ساكب

ومن ثم قالوا في الدعاء: اقر الله عينك أي: أفرحك.

بطاعتك بفعل أمرك وأمر رسولك واجتناب نهيك ونهي رسولك ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾[1] أي قدوة صالحة يقتدون بنا في الخير يا ربنا. قال تعالى مخبراً عنهم بما أنعم به عليهم: ﴿أولئك﴾ أي السامون أنفساً العالون أرواحاً ﴿يجزون الغرفة﴾ وهي الدرجة العليا في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة مولاهم، وما يلحقهم من أذى في ذات ربهم ﴿ويلقون فيها﴾ أي تتلقاهم الملائكة بالتهاني والتحيات ﴿تحية وسلاماً﴾ أي بالدعاء بالحياة السعيدة والسلامة من الآفات إذ هي حياة بلا ممات، وسعادة بلا منغصات. وقوله تعالى ﴿خالدين فيها﴾ أي في تلك الغرفة في أعلى الجنة ﴿ حسنت مستقراً﴾ أي طابت موضع إقامة واستقرار. إلى هنا انتهى الحديث عن صفات عباد الرحمن وبيان جزائهم عند ربهم. وقوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ أي قل يا رسولنا لأولئك المشركين المنكرين للرحمن ﴿ما يعبأ بكم ربي﴾ أي ما يكترث لكم أو يبالي بكم ﴿لولا دعاؤكم﴾ إياه أي عبادة من[2] يعبده منكم إذ الدعاء هو العبادة ما أبالي بكم ولا أكترث لكم. أما وقد كذبتم بي وبرسولي فلم تعبدوني ولم توحدوني وإذاً ﴿فسوف يكون﴾ العذاب[3] ﴿لزاماً﴾ وقد أذقتموه يوم بدر، وسوف يلازمهم في قبورهم إلى نشورهم، وسوف يلاحقهم حتى مستقرهم في جهنم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة شهود الزور[4] وحرمة شهادته.

٢- فضيلة الإعراض عن اللغو فعلاً كان أو قولاً.

---

(١) وحّد إماما ولم يجمعه (أئمة) لأن الإمام مصدر كالقيام والصيام أم القوم يؤمهم فهو إمام لهم، والمصدر يطلق فيدل على الواحد والجمع وجائز أن يراد أئمة كقول الرجل أميرنا هؤلاء ومنه قول الشاعر:

ياعاذلاتي لا تزدن ملامتي ... إن العواذل لسن لي بأمير

(٢) إذ كانوا يدعونه تعالى في حال الشدة وعلى هذا فالمصدر مضاف إلى الفاعل و(إياه) معمول للدعاء. المصدر، وجائز أن يكون معناه لولا دعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره فيكون المصدر الذي هو الدعاء مضافاً إلى مفعوله وجواب لولا محذوف تقديره لم يعبأ بكم.

(٣) قال الطبري: معناه عذاباً دائما لازماً. وقيل: فقد كذّبتم فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم أي. جزاؤه وهو العذاب والمعنى واحد وهو لزوم العذاب لهم من أجل تكذيبهم الذي منعهم من تزكية نفوسهم بالإيمان وصالح الأعمال.

(٤) وفي الصحيح: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)

٣ـ فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعظه والعمل بهدايته.
٤ـ فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقدوة في الخير.
٥ـ لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبده كان شر الخليقة.[1]

(١) شاهده قوله تعالى: ﴿أولئك هم شر البرية﴾ وهم الكفار من أهل الكتاب والمشركون (من سورة البينة).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية

وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

طسم : الله أعلم بمراده بذلك.

الكتاب المبين : أي القرآن المبين للحق من الباطل.

باخع نفسك : أي قاتلها من الغم.

ألا يكونوا مؤمنين : أي من أجل عدم إيمانهم بك.

آية : أي نخوفهم بها.

من ذكر : أي من قرآن.

معرضين : أي غير ملتفتين إليه.

زوج كريم : أي صنف حسن.

العزيز : الغالب على أمره ومراده.

الرحيم : بالمؤمنين من عباده.

معنى الآيـات :

طسٓمٓ هذه أحد الحروف المقطعة تكتب طسم، وتقرأ طا سين ميم بإدغام النون من سين في الـميم الأولى من ميم والله أعـلم بمـراده منهـا . وفيهـا إشـارة إلى أن القـرآن مؤلف من مثل هذه الحروف وعجز العرب عن تأليف مثله بل سورة واحدة من مثله دال قطعاً على أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله ﷺ. وقوله ﴿تلك آيات الكتاب[1]﴾ أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب أي القرآن ﴿المبين﴾ أي المبين للحق من الباطل والهدى من الضلال، والشرائع والأحكام. وقوله تعالى ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتلها ومهلكها ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي إن لم يؤمن بك وبما جئت به قومك، فأشفق على نفسك يا رسولنا ولا تعرضها للغم القاتل فإنه ليس عليك هدايتهم وإنما عليك البلاغ وقد بلغت، إنا لو أردنا هدايتهم بالقسر والقهر لما عجزنا عن ذلك ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم[2] لها خاضعين﴾ أي إنا لقادرون على أن ننزل عليهم من السماء آية كرفع جبل أو إنزال كوكب أو رؤية ملك فظلت أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنوا حينئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا ينفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري.

وقوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث[3]﴾ أي وما يأتي قومك المكذبين لك من موعظة قرآنية وحجج وبراهين تنزيلية تدل على صدقك وصحة دعوتك مِمَّا يحدثه الله إليك ويوحي به إليك لتذكرهم به إلا أعرضوا فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

وقوله تعالى: ﴿فقد كذبوا به[4]﴾ يخبر تعالى رسوله بأن قومه قد كذبوا بما أتاهم من ربهم من ذكر محدث وعليه ﴿فسيأتيهم أنباء﴾ أي أخبار ﴿ ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو عذاب الله تعالى الذي كذبوا برسوله ووحيه وجحدوا توحيده وأنكروا طاعته وفي الآية وعيد شديد وهم عرضة له في أية لحظة إن لم يتوبوا.

---

(١) (تلك آيات الكتاب) قال القرطبي رفع على إضمار مبتدأ اي: هذه تلك.. الخ وما في التفسير أولى أي: هي آيات الكتاب.

(٢) لأنهم إذا ذلت أعناقهم ذلوا ولا داعي إلى أن يقال: أعناقهم: كبراؤهم ورؤساؤهم وإن ساغ لغة، إذ المراد أن ينزل عليهم آية تخضعهم وتذلهم رؤساء ومرؤوسين، والأعناق جمع عنق بضم العين والنون وهو الرقبة ولما كانت الأعناق هي مظهر الخضوع أسند الخضوع إليها ومقتضى ظاهر الكلام هو فظلوا لها خاضعين بأعناقهم، وعدل عنه إلى إسناد الخضوع إلى الأعناق لأنه يحمل الإشارة إلى خضوع رؤسائهم الحاملين على الكفر والعناد وهذا من بليغ الكلام وبديعه.

(٣) (محدث) أي: مستجد متكرر بعضه يعقب بعضاً ويؤيده.

(٤) (فقد كذبوا) الفاء هي الفصيحة أفصحت عن تكذيبهم الناتج عن إعراضهم والفاء في فسيأتيهم) للتعقيب والأنباء جمع نبأ وهو الخبر ذو الشأن، والجملة تحمل التهديد والوعيد الشديد.

وقوله تعالى ﴿أو لم يروا[1] إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ إن كانت علة هذا التكذيب من هؤلاء المشركين هي إنكارهم للبعث والجزاء وهو كذلك فلم لا ينظرون إلى الأرض الميتة بالقحط ينزل الله تعالى عليها ماء من السماء فتحيا به بعد موتها فينبت الله فيها من كل زوج أي صنف من أصناف النباتات كريم أي حسن. أليس في ذلك آية على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم وحشرهم للحساب والجزاء، فلم لا ينظرون؟ ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة واضحة للمشركين على صحة البعث والجزاء. ففي إحياء الأرض بعد موتها دليل على إحياء الناس بعد موتهم. وقوله تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين[2]﴾ يخبر تعالى أنَّ فيما ذكر من إنباته أصناف النباتات الحسنة آية على البعث والحياة الثانية ولكن قضى الله أزلاً أن أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون وقوله ﴿وإن ربك لهو[3] العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه فاصبر لحكمه وتوكل عليه وواصل دعوتك في غير غم ولا هم ولا حزن وإن العاقبة لك وللمؤمنين بك المتبعين لك.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان أن القرآن الكريم معجز لأنه مؤلف من مثل طا سين ميم ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله.

٢ـ بيان ما كان الرسول ﷺ يناله من الغم والحزن وتكذيب قومه له.

٣ـ بيان أن إيمـان المكره لا ينفعه، ولذا لم يكره الله تعالى الكفار على الإيمان بواسطة الآيات.

٤ـ التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله وعدم الاكتراث بها.

٥ـفي إحياء الأرض بالماء وإنبات النباتات المختلفة فيها دليل على البعث الآخر.

---

(١) الاستفهام إنكاري والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه نحو: اعملوا ولم يروا. الرؤية: معناها النظر بالعين، ولذا عدّي الفعل بإلى. والزوج: النوع، والكريم: النفيس في نوعه وكم: للتكثير ومن للتبعيض.

(٢) المراد ممن نفى الإيمان عن أكثرهم هم: أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافراً أما غيرهم فندر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجاً.

(٣) الجملة تعليلية تضمنت التذكير بعزّة الله تعالى ورحمته فذوا العزة قادر على أن ينزل عذابه بأعدائه وذو الرحمة قادر على رحمة أوليائه كما أن هناك إشارة إلى أنّ تخلف العذاب اقتضته رحمته سبحانه وتعالى.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

وإذ نادى ربك : أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادى ربك موسى .

أن ايت : أي بأن ائت القوم الظالمين .

ألا يتقون : ألا يخافون الله ربهم ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم؟

ويضيق صدري : أي من تكذيبهم لي .

ولا ينطلق لساني : أي للعقدة التي به .

فأرسل إلى هرون : أي إلى أخي هرون ليكون معي في إبلاغ رسالتي .

ولهم علي ذنب : أي ذنب القبطي الذي قتله موسى قبل خروجه إلى مدين .

قال كلا : أي قال الله تعالى له كلا أي لا يقتلونك .

فاذهبا : أنت وهرون .

إنا رسول رب العالمين : أي إليك .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ هذا بداية سلسة من القصص بدئت بقصة موسى وختمت بقصة شعيب وقصها على المشركين ليشاهدوا أحداثها ويعرفوا نتائجها

وهي دمار المكذبين وهلاكهم مهما كانت قوتهم وطالت أعمارهم قال تعالى في خطاب رسوله محمد ﷺ ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ أي اذكر إذ نادي ربك موسى في ليلة باردة شاتية بالواد الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ﴿أن[1] ائت القوم الظالمين قوم[2] فرعون﴾ إذظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وظلموا بني إسرائيل باضطهادهم وتعذيبهم ﴿ألا يتقون﴾ أي قل لهم ألا تتقون أي يأمرهم بتقوى ربهم بالإيمان به وتوحيده وترك ظلم عباده فالاستفهام معناه الأمر. وقوله تعالى ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ أي قال موسى بعد تكليفه رب إني أخاف أن يكذبون[3] فيما أخبرهم به وأدعوهم إليه، ﴿ويضيق صدري[4]﴾ لذلك ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي به، وعليه ﴿فأرسل إلى هرون﴾ أي جبريل يبلغه أن يكون معي معيناً لي على إبلاغ رسالتي، وقوله ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ هذا قول موسى عليه السلام لربه تعالى شكا إليه خوفه من قتلهم له بالنفس[5] التي قتلها أيام كان بمصر قبل خروجه إلى مدين فأجابه الرب تعالى ﴿كلا[6]﴾ أي لن يقتلوك. وأمرهما بالسير إلى فرعون فقال ﴿فاذهبا بآياتنا﴾ وهي العصا واليد ﴿إنا معكم مستمعون﴾ أي فبلغاه ما أمرتكما ببلاغه وإنا معكم مستمعون لما تقولان ولما يقال لكما ﴿فأتيا فرعون فقولا له﴾ عند وصولكما إليه ﴿إنا رسول[7] رب العالمين﴾ أي نحمل رسالة منه مفادها أن ترسل معنا[8] بني إسرائيل لنخرج بهم إلى أرض الشام التي وعد الله بها بني إسرائيل هذا ما قاله موسى وهرون رسولا رب العالمين أما جواب فرعون ففي الآيات التالية.

---

(١) (أن) تفسيرية لأنها واقعة بعد النداء وهو قول.

(٢) قوم فرعون: بدل من الظالمين.

(٣) (أن يكذبون): الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولى للناصب وهو أن فصارت يكذبوني ثم حذفت ياء الضمير لدلالة الكسرة عليها فصارت (يكذبون).

(٤) قرأ الجمهور يضيق صدري ولا ينطلق لساني بالرفع للفعلين معاً على الاستئناف وقرىء بنصبهما لغير الجمهور.

(٥) المراد بالنفس: نفس القبطي واسمه فاثور.

(٦) (كلا) للردع والزجر عن هذا الظن.

(٧) لم يقل: رسولا إما لأن رسول بمعنى رسالة إنا ذو رسالة رب العالمين وإما لأنّ الرسول بمعنى الجمع كالمصادر نحو. هذا عدوي وهؤلاء عدوي، والعرب تقول: هذان رسولي وهؤلاء رسولي.

(٨) قيل: أقام بنو اسرائيل في مصر أربعمائة سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمائة ألف.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ إثبات صفة الكلام لله تعالى بندائه موسى عليه السلام.

٢ـ لا بأس بإبداء التخوف عند الإقدام على الأمر الصعب ولا يقدح في الإيمان ولا في التوكل.

٣ـ مشروعية طلب العون والمساعدة من المسئولين إذا كلفوا المرء بما يصعب.

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمـات:

قـال: أي قال فرعون رداً على كلام موسى في السياق السابق.

ألم نربك فينا وليداً: أي في منازلنا وليداً أي صغيراً قريباً من أيام الولادة.

ولبثت فينا من عمرك سنين: أي أقمت بيننا قرابة ثلاثين سنة وكان موسى يدعى ابن فرعـون لجهل الناس به ورؤيتهم له في قصره يلبس ملابسه ويركب مراكبه.

وفعلت فعلتك التي فعلت: أي قتلت الرجـل القبطي.

وأنت من الكافرين: أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

وأنا من الضالين: إذ لم يكن عندي يومئذ من علم ربي ورسالته ما عندي الآن.

أن عبدت بني إسرائيل: أي هل تعبيدك لبني إسرائيل يعد نعمة فتمن بها علي؟

معنى الآيـات

ما زال السياق والحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن فرد فرعون على موسى بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال ألم نربك[1] فينا وليداً﴾ أي أتذكر معترفاً أنا ربيناك وليداً أي صغيراً وأنت في حال الرضاع ﴿ولبثت فينا﴾ أي في قصرنا مع الأسرة المالكة ﴿سنين﴾ ثلاثين سنة قضيتها من عمرك في ديارنا ﴿وفعلت فعلتك[2]﴾ أي الشنعاء ﴿التي فعلت﴾ وهي قتل موسى القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ أي لنعمنا عليك الحاجد بها، كان هذا رد فرعون فلنستمع إلى رد موسى عليه السلام كما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿قال فعلتها إذاً﴾ أي يومئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين لأنه لم يكن قد علمني ربي ما علّمني الآن ومـا أوحى إلي ولا أرسلني إليكم[3] رسـولاً ﴿ففـرت[4] منكم لمـا خفتكم﴾ من أجل قتلي النفس التي قتلت وأنا من الجاهلين ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يحكمني دون فعل ما لا ينبغي فعله ﴿وجعلني من المرسلين[5]﴾ أي من أنبيائه ورسله إلى خلقـه ثم قال له رداً على ما امتـن به فرعـون بقـولـه ﴿ألم نربـك فينـا وليداً ولبثت فينـا من عمرك سنين﴾ فقال ﴿وتلك نعمة[6]﴾ أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيداً لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك إياي ولداً حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون، نترك رد فرعون إلى الآيات التالية.

---

(١) الاستفهام للتقرير ومعناه المنّ على موسى والاحتقار له.

(٢) الفعلة: المرة وبالكسر: الهيئة وقرأ الجمهور (فَعلتك) وهي المرة من الفعل، وشاهد الفعلة بالكسر للهيئة قول الشاعر:

كأن مشيتها من بيت جارتها مَرُّ السحابة لا ريث ولا عجل

يذكره بقتله القبطي تخويفاً له وتهديداً.

(٣) كان خروج موسى من مصر إلى أن عاد إليها أحد عشر عاماً إلا أشهرا.

(٤) أي: فررت منكم إلى أرض مدين.

(٥) بناء على أنه قضى ثلاثين سنة في مصر وأحد عشر عاماً خارجها فقد نبيء على رأس الأربعين وهي سنة الله تعالى في الرسل.

(٦) حرف الاستفهام مقدر أي: أو تلك كما هو في التفسير والاستفهام إنكاري أي ينكر موسى على فرعون أن يكون استعباد بني اسرائيل نعمة تعدّ عليهم وهذا التقدير أولى من قول: (إن موسى اعترف لفرعون بنعمة التربية من حيث استعبد غيره وتركه هو لم يتعبده) ومن اعترض بأن همزة الاستفهام لا تحذف إذا لم يكن في الكلام أم الدالة عليها محجوج بشواهد كثيرة منها قول الشاعر:

لم أنس يوم الرحيل وقفتها وجفنها من دموعها شرق

وقولها والركاب واقفة تركتني هكذا وتنطلق

والشاهد في قوله: تركتني إذ الأصل: أتركتني فحذفت همزة الاستفهام مع عدم (أم).

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ قبح جريمة القتل عند كافة الناس مؤمنهم وكافرهم وهو أمر فطري.

٢ـ جواز التذكير بالإحسان لمن أنكره ولكن لا على سبيل الامتنان فإنه محبط للعمل.

٣ـ جواز إطلاق لفظ الضلال على الجهل كما قال تعالى ﴿ووجدك ضالاً﴾ كم قال موسى ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين قبل أن يعلمني ربي.

٤ـ مشروعية الفرار من الخوف إذا لم يكن في البلد قضاء عادل، وإلا لما جاز الهرب من وجه العدالة.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات:

وما رب العالمين : أي الذي قلت إنك لرسوله من أي جنس هو؟

رب السموات والأرض وما بينهما : أي خالق ومالك السموات والأرض وما بينهما.

إن كنتم موقنين : بأن السموات والأرض وما بينهما من سائر المخلوقات مخلوقة قائمة فخالقها ومالكها هو رب العالمين.

لمن حوله : أي من أشراف قومه ورجال دولته.

ألا تستمعون : أي جوابه الذي لم يطابق السؤال في نظره.

أو لو جئتك بشيء مبين : أي أتسجنني ولو جئتك ببرهان وحجة على رسالتي.
فأت به إن كنت من الصادقين: أي فأت بهذا الشيء المبين إن كنت من الصادقين فيما تقول.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن لما قال موسى ﴿إني رسول رب العالمين﴾ في أول الحوار قال فرعون مستفسراً في عناد ومكابرة ﴿وما ربُّ العالمين﴾[1]؟ أي أيُّ شيء هو أو من أي جنس من أجناس المخلوقات فأجابه موسى بما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما﴾[2] أي خالق السموات والأرض وخالق ما بينهما. ومالك ذلك كله، إن كنتم موقنين بأن كل مخلوق لابد له من خالق خلقه، وهو أمر لا تنكره العقول. وهنا قال فرعون في استخفاف وكبرياء لمن حوله من رجال دولته وأشراف قومه: ﴿ألا تستمعون﴾[3] كأن ما قاله موسى أمر عجب أو مستنكر فعرف موسى ذلك فقال ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي خالقكم وخالق آبائكم الأولين الكل مربوب له خاضع لحكمه وتصرفه. وهنا اغتاظ فرعون فقال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أراد أن ينال من موسى لأنه أغاظه بقوله ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فرد موسى أيضاً قائلاً ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ أي رب الكون كله ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي ما تخاطبون به ويقال لكم وفي هذا الجواب مايتقطع له قلب فرعون فلذا رد بما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري﴾ أي رباً سواي ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ أي لأسجننك وأجعلك في قعر تحت الأرض مع المسجونين. فرد موسى عليه السلام قائلا ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾[4] أي أتسجنني ولو

---

(١) لما غُلب فرعونه في جداله لموسى استفهم بقوله: (فما رب العالمين) وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن ربِّ العالمين تجاهلاً منه ومكابرة فقال: (وما رب العالمين) وكان المطلوب أن يقول: ومن ربُّ العالمين؟ ولكنه العلو والتكبر.
(٢) لمّا علم موسى جهل فرعون وتجاهله أجابه بما يلقمه الحجر ويبطل دعواه في أنّ الربوبية تكون لبشر أو حجر فقال: (رب السموات . . .) الخ.
(٣) استفهم اللعين استفهام تعجّب وتهكم مستخفاً بجواب موسى قائلا (ألا تسمعون) أي إلى قول هذا الذي زعم إبطال عقيدتكم وعقيدة آبائكم، ولذا أجاب موسى بتقرير جوابه الأوّل وهو مفحم مبطل لدعوى ربوبية فرعون.
(٤) في جواب موسى عليه السلام هذا تلطّف بفرعون وطمع في إيمانه لما بهره به من الردود المحكمة والإجابات المفحمة.

جئت بحجة بينة وبرهان ساطع على صدقي فيما قلت وأدعوكم إليه؟ وهنا قال فرعون ما أخبر تعالى به ﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما تدعي وتقول

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير الربوبية المقتضية للألوهية من طريق هذا الحوار ليسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنهم مسبوقون بالشرك والكفر وأنهم ضالون.

٢- سنة أهل الباطل أنهم يفجرون في الخصومة وفي الحديث (وإذا خاصم فجر)[1].

٣- أهل الكبر والعلو في الأرض إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة.

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾

---

(١) نصّ الحديث الشريف كما هو في الصحيح: (اربع مَنْ كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر).

شرح الكلمات :

ثعبان مبين : أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك.

ونزع يده : أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه.

لساحر عليم : أي متفوق في علم السحر.

أرجه وأخاه : أي أخرّ أمرهما.

حاشرين : أي جامعين للسحرة.

سحار عليم : أي متفوق في الفن أكثر من موسى.

يوم معلوم : هو ضحى يوم الزينة عندهم.

هل أنتم مجتمعون : أي اجتمعوا كي نتبع السحرة على دينهم إن كانوا هم الغالبين.

وإنكم إذاً لمن المقربين: أي لكم الأجر وهو الجعل الذي جعل لهم وزادهم مزية القرب منه.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن لقد تقدم في السياق أن فرعون طالب موسى بالإتيان بالآية أي الحجة على صدق دعواه وها هو ذا موسى عليه السلام يلقي عصاه أمام فرعون وملائه فإذا هي ثعبان ظاهر لا شك فيه، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين لا يشك في بياضها وأنه بياض خارق للعادة هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٣٢) والثانية (٣٣) ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين[١]، ونزع يده فإذا هي[٢] بيضاء للناظرين﴾ واعترف فرعون بأن ما شاهده من العصا واليد أمر خارق للعادة ولكنه راوغ فقال ﴿إن هذا﴾ أي موسى ﴿لساحر عليم﴾ أي ذو خبرة بالسحر وتفوق فيه قال هذا للملأ حوله كما قال تعالى عنه ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ وقوله تعالى عنه ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ قال فرعون هذا تهيجاً للملأ ليثوروا ضد موسى عليه السلام وهذا من المكر السياسي إذ جعل القضية

---

(١) الثعبان: الحية الضخمة الطويلة، و(مبين) بمعنى بيّن لا خفاء فيه ولا غموض (ونزع يده) أي أخرجها من قميصه بسرعة وشدّة إذ هذا ما يدل عليه لفظ النزع، ولم يذكر المنتزع منه لدلالة اللفظ عليه أي: من جيب قميصه.

(٢) إذا: هي الفجائية ومعنى: (للناظرين) أي: مما يقصده الناظرون لما فيه من العجب، وكان جلد موسى أسمر وكانت اليد بيضاء فكان ذلك آية أخرى.

سياسية بحتة وأن موسى يريد الاستيلاء على الحكم والبلاد ويطرد أهلها منها بواسطة السحر، وقال لهم كالمستشير لهم ﴿فماذا تأمرون؟﴾ فأشاروا عليه بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أي أخر أمرهما ﴿ وابعث في المدائن﴾ أي مدن المملكة رجالا ﴿حاشرين﴾ أي جامعين ﴿يأتوك﴾ أيها الملك ﴿بكل سحار[1] عليم﴾ أي ذو خبرة في السحر متفوقة، وفعلاً أخذ بمشورة رجاله ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ أي لموعد معلوم وهو ضحى يوم العيد عندهم واستحثوا الناس على الحضور من كافة أنحاء البلاد وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ فجمع[2] السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة﴾ فنبقى على ديننا ولا نتبع موسى وأخاه على دينهما الجديد ﴿إن كانوا﴾ أي السحرة ﴿هم الغالبين﴾ وهذا من باب الاستحثاث والتحريض على الالتفات حول فرعون وملائه. وقوله تعالى ﴿فلما جاء السحرة﴾ أي من كافة أنحاء البلاد قالوا لفرعون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أئن لنا لأجراً[3]﴾ أي جعلاً إن كنا نحن الغالبين؟﴾ فأجابهم فرعون قائلاً ﴿نعم وإنكم إذاً[4] لمن المقربين﴾ أي زيادة على الأجر مكافأة أخرى وهي أن تكونوا من المقربين لدينا، وفي هذا إغراء كبير لهم على أن يبذلوا أقصى جهدهم في الانتصار على موسى عليه السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إثبات المعجزات للأنبياء كمعجزة العصا واليد لموسى عليه السلام.

٢ـ مشروعية استشارة الأمير رجاله في الأمور ذات البال.

٣ـ ثبوت السحر وأنه فن من فنون المعرفة وإن كان تعلمه وتعليمه محرمين

٤ـ إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها ومن ذلك السباق في الإسلام.

---

(١) (سحار) فيه وصف ثابت دال على تعاطيه للمهنة ورسوخه فيها كنجار وخياط وبناء والوصف بعليم: فيه الحث على الإتيان بالمهرة من السحرة لعظم الموقف.

(٢) دلت الفاء على الفورية واللام كذلك في الميقات أي: لأوّل الوقت كقوله: (الصلاة لوقتها) أي: في أول وقتها، وقوله (للناس) المراد بالناس أهل بلاده، والاستفهام في (هل أنتم مجتمعون) للاستحثاث على الاجتماع.

(٣) سؤال السحرة الأجر إدلال بخبرتهم والتذكير بالحاجة إليهم لعلمهم بأن فرعون حريص على غلبهم لموسى، وخافوا أيضاً أن يستخدمهم فرعون بدون أجر لأنّ الحال حال التعبئة العامة للدفاع عن المعتقدات وأهلها فلذا شرطوا أجرهم قبل الشروع في العمل.

(٤) (إذاً) أي: إذا كنتم فعلا غالبين إنّ لكم لأجراً عظيماً.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

ألقوا ما أنتم ملقون : أمرهم بالإلقاء توسلاً إلى ظهور الحق.

ما يأفكون : أي ما يقلبونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيهم حيات تسعى.

رب موسى وهرون : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر.

من خلاف : أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى.

ولأصلبنكم أجمعين : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على الأخشاب.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن إنه بعد إرجاء السحرة فرعون وسؤالهم له : هل لهم من أجر على مباراتهم موسى إن هم غلبوا وبعد أن طمأنهم فرعون على الأجر والجائزة قال لهم موسى ﴿ألقوا[1] ما أنتم ملقون﴾ من الحبال والعصي في الميدان ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم﴾ وأقسموا بعزة فرعون إنهم هم

---

(١) جاء في سورة الأعراف أن السحرة عرضوا على موسى أن يلقي عصاه أو يلقوا حبالهم وعصيّهم وهنا قال لهم موسى عليه السلام (ألقوا) بناء على عرضهم ذلك.

الغالبون وفعلاً انقلبت الساحة كلها حيات وثعابين حتى أوجس موسى في نفسه خيفة فأوحى إليه ربه تعالى أن ألق عصاك فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. هذا معنى قوله تعالى في هذا السياق ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة[1] فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾[2] ومعنى تلقف ما يأفكون أي تبتلع في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات وثعابين، وقوله تعالى ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي أنهم لاندهاشهم وما بهرهم من الحق ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله تعالى مؤمنين به، فسئلوا عن حالهم تلك فقالوا ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ وهنا خاف فرعون تفلت الزمام من يده وأن يؤمن الناس بموسى وهرون ويكفروا به فقال للسحرة: ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾ بذلك أي كيف تؤمنون بدون إذني؟ على أنه يملك ذلك منهم وهي مجرد مناورة مكشوفة، ثم قال لهم ﴿إنه﴾ أي موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أي انه لما كان استاذكم تواطأتم معه على الغلب فأظهرتم أنه غلبكم، تمويهاً وتضليلاً للجماهير.. ثم تهددهم قائلاً ﴿فلسوف تعلمون[3]﴾ عقوبتي لكم على هذا التواطؤ وهي ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي أقطع من الواحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ فلا أبقي منكم أحداً إلا أشده على خشبة حتى يموت مصلوباً، هل فعل فرعون ما توعد به؟ الله أعلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المسألة مسألة علم لا مسألة حرب ففي الحرب تنفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كر عليه بالحجج والبراهين فأبطله وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإلهام من ربه تعالى.

---

(١) يبدو أن الباء في قولهم (بعزة فرعون) هي كالباء في بسم الله للاستعانة والتبرّك لا للقسم وهذا أولى بالمقام من الحلف على شيء لا يملكه المرء، وتكون جملة: (إنا لنحن الغالبون) مستأنفة استئنافاً بيانياً وليست جواب قسم إلاّ أنها حملت معنى القسم بما فيه من المؤكدات كأنهم قالوا إنّا وربّنا لغالبون.

(٢) قرأ نافع (تلقّف) بتشديد القاف، والأصل: تتلقف فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، وقرأ حفص (تلقف) بتخفيف القاف من: لقف الشيء يلقفه لقفاً: إذا أخذه بسرعة.

(٣) اللام للقسم. وبم يقسم فرعون؟ يقسم بحسب عادته في إيمانه فقد يقسم بعزّته.

٢ـ مظهر من مظاهر الهداية الإلهية هداية السحرة إذ هم فى أول النهار سحرة كفرة وفي آخره مؤمنون بررة.

٣ـ ما سلكه فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة.

قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

لا ضير	: أي لا ضرر علينا.
لمنقلبون	: أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر.
إن كنا أول المؤمنين	: أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم لأنهم سبقوا بالإيمان.
أن أسر بعبادي	: السرى المشي ليلاً والمراد من العباد بنو إسرائيل.
إنكم متبعون	: أي من قبل فرعون وجيوشه.
لشرذمة	: أي طائفة من الناس.
لغائظون	: أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا.
حذرون	: أي متيقظون مستعدون.
ومقام كريم	: أي مجلس حسن كان للأمراء والوزراء.
كذلك	: أي كان إخراجنا كذلك أي على تلك الصورة.
مشرقين	: أي وقت شروق الشمس.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿قالوا لا ضير[1]﴾ هذا قول السحرة لفرعون بعد أن هددهم وتوعدهم ﴿قالوا لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا بتقطيعك أيدينا وأرجلنا وتصليبك إيانا ﴿إنا إلى[2] ربنا منقلبون﴾ أي راجعون إن كل الذي تفعله معنا إنك تعجل برجوعنا إلى ربنا وذاك أحب شيء إلينا. وقالوا ﴿إنا نطمع[3] أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا ﴿إن كنا أول المؤمنين﴾ في هذه البلاد برب العالمين رب موسى وهرون.

بعد هذا الانتصار العظيم الذي تم لموسى وهرون أوحى تعالى إلى موسى ﴿أن أسر[4] بعبادي﴾ أي امش بهم ليلاً ﴿إنكم متبعون﴾ أي من قبل فرعون وجنوده. وعلم فرعون بعزم موسى على الخروج ببني إسرائيل فأرسل في المدائن[5] وكانت له مآت المدن حاشرين من الرجال أي جامعين وكأنها تعبئة عامة. يقولون محرضين ﴿إن هؤلاء[6]﴾ أي موسى وبني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي طائفةٌ أفرادها قليلون ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ أي[7] لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا ﴿وإنا﴾ أي حكومة وشعباً ﴿لجميع حذرون﴾ أي متيقظون مستعدون فهلم إلى ملاحقتهم وردهم إلى الطاعة. وعجل تعالى بالمسرة في هذا الخبر فقال تعالى ﴿فأخرجناهم﴾ أي آل فرعون ﴿من جنات وعيون وكنوز﴾ أي كنوز الذهب والفضة التي كانت مدفونة تحت التراب، إذ الطمس كان على العملة فسدت وأما مخزون الذهب والفضة فما زال تحت الأرض، إذ الكنز يطلق على المدفون تحت الأرض وإن كان شرعاً هوالكنز ما لم تؤد زكاته سواء كان تحت الأرض أو فوقها.

وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي إخراجنا لهم كان كذلك، ﴿وأورثناها[8]﴾ أي تلك النعم بنى إسرائيل أي بعد هلاك فرعون وجنوده أجمعين. وقوله تعالى ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ أي فاتبع آل فرعون بنى إسرائيل أتْقُسَهم في وقت شروق الشمس ليردوهم ويحولوا بينهم

---

(١) الضير: مرادف الضرّ يقال: ضاره يضيره بمعنى ضرّه يضره سواء.

(٢) الجملة تعليلية لنفيهم الضرر عليهم.

(٣) لفظ الطمع يطلق ويراد به الظنّ الضعيف غالباً ويراد به الظن القوي أيضاً كقول إبراهيم عليه السلام. (والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين).

(٤) قرأ نافع (أن اسر) بهمزة وصل إذ هو من سرى يسري وحركت النون لالتقاء الساكنين. وقرأ عاصم: (أن أسرِ) سكون ان وقطع همزة أسر لأنّه من أسرى، وأسرى وسرى بمعنى واحد.

(٥) المدائن جمع مدينة وهي البلد العظيم.

(٦) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقير شأن بني اسرائيل، والشرذمة الطائفة القليلة العدد.

(٧) الغيظ: أشدّ الغضب، وغائظون: اسم فاعل مِنْ. غاظه بمعنى أغاظه أي: أغضبه أشدّ الغضب.

(٨) يرى بعضهم أن الله أورث بني اسرائيل نعماً نظير ما كان لفرعون وقومه بدليل آية الدخان: (وأورثناها قوماً آخرين) وبدليل أنّ بني اسرائيل ما رجعوا إلى مصر بعد خروجهم منها والله أعلم.

وبين الخروج من البلاد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ قوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه.

٢ـ حسن الرجاء في الله والطمع في رحمته، وفضل الأسبقية في الخير.

٣ـ مشروعية التعبئة العامة واستعمال أسلوب خاص في الحرب يهديء من مخاوف الأمة حكومة وشعباً.

٤ـ دمار الظالمين وهلاك المسرفين في الكفر والشر والفساد.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

شـرح الكلـمات :

فلما تراءى الجمعان: أي رأى بعضهمـا بعضاً لتقاربهما والجمعان جمع بني إسرائيل وجمع فرعون.

إنا لمدركــون : أي قال أي أصحـاب موسى من بني إسرائيل إنا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده.

قـال كــلا : أي قال موسى عليه السلام كلا أي لن يدركونا ولن يلحقوا بنا.

فانفلــق : أي انشـق.

فكان كل فرق كالطود: أي شـقٍّ أي الجزء المنفرق والطود: الجبل.

وأزلفنا ثم الآخرين : أي قربـنا هنا لك الآخرين أي فرعون وجنده.

إن في ذلك لآية : أي عظة وعبرة توجب الإيمان برب العالمين برب موسى وهرون.

معنى الآيـات :

هذا آخر قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى في بيان نهاية الظالمين وفوز المؤمنين ﴿فلما تراءى[1] الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون وتقاربا بحيث رأى بعضهما بعضا ﴿قال أصحاب موسى﴾ أي بنو إسرائيل ﴿إنا لمدركون﴾ أي خافوا لما رأوا جيوش فرعـون تتقـدم نحوهم صاحوا ﴿إنا لمدركون﴾ فطمأنهم موسى بقوله ﴿كلا[2]﴾ أي لن تدركوا، وعلل ذلك بقوله ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ إلى طريق نجاتي قال تعالى ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب﴾ أي اضرب بعصاك البحر فضرب امتثالاً لأمر ربه فانفلق البحر فرقتين كل فرقة[3] منه كالجبل العظيم ﴿وأزلفنا[4]﴾ أي قربنا ﴿ثم الآخرين﴾أي أدنينا هناك الآخـرين وهم فرعـون وجيوشـه ﴿وأنجينا موسى ومن معـه﴾ أي من بني إسـرائيل ﴿أجمعين﴾ ﴿ثم أغـرقنا الآخرين﴾ المعادين لبني إسرائيل وهم فرعون وجنده . قوله تعـالى ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إهلاك فرعون وإنجاء موسى وبني إسرائيل ﴿لآية﴾ أي علامة واضحة بارزة لربوبية الله وألوهيته وقدرته وعلمه ورحمته وهي عبرة وعظة أيضاً للمعتبرين ، وما كان أكثر قومك[5] يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي وإن ربك يا محمد لهو الغالب على أمره الذي لا يمانع في شيء يريده ولا يحال بين مراده الرحيم بعباده فاصبر على دعوته وتوكل عليه فإنه ناصرك ومذل أعدائك.

---

(١) التراثي : تفاعل إذ هو من الجانبين كل جانب رأى الثاني.

(٢) ردع موسى عليه السلام بقوله كلا الظانين أنّ فرعون مدركهم وعلل لعدم إدراك فرعون بقوله : (إن معي ربي سيهدين) أي : سيبيّن لي سبيل النجاة فنسلكه فننجوا بإذن الله.

(٣) (الفرق) : القسم من الشيء المنفلق، وعليه فالفرقة : القسمة من البحر التي كانت كالجبل العظيم. ولذا قال ابن عباس : صار البحر اثنى عشر طريقاً لكل سبط طريق أي : لكل قبيلة من قبائل بني اسرائيل طريق خاص بها فالبحر انقسم قسمين كان ما بين جانبيه كالفج العظيم، وفي ذلك الفجّ كانت طرق بني اسرائيل.

(٤) (أزلفنا) أي : جمعنا وقرّبنا فرعون وملأه لإغراقهم وإهلاكهم وسميت مزدلفة وليلة جمع : لازدلافها: أي لقربها من منى او عرفات وسميت ليلة جمع لاجتماع الحجاج فيها، قال الشاعر:

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت   فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

(٥) القرطبي رحمه الله تعالى رد الضمير في قوله تعالى : (وما كان أكثرهم مؤمنين) إلى فرعون وملئه فقال: لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا امرأة فرعون. . . الخ في حين أن أكثر المفسرين على أنّ الخطاب للنبي ﷺ وهو وجه العبرة من السياق.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- ظهور آثار الاستعباد في بني إسرائيل متجلية في خوفهم مع مشاهدة الآيات.

٢- ثبوت صفة المعية الإلهية في قول موسى ﴿إن معي ربي﴾ إذ قال له عند إرساله ﴿إنني معكما﴾.

٣- ثبوت الوحي الإلهي.

٤- آية انفلاق البحر من أعظم الآيات.

٥- تقرير نبوة محمد ﷺ بقصة مثل هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بوحي خاص.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

شـرح الكلمات :

واتل عليهم نبأ إبراهيم : أي اقرأ يا رسولنا على قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم.

لأبيه وقومـه : أي آزر والبابليين.

فنظل لها عاكفين : أي فنقيم أكثر النهار عاكفين على عبادتها.

قالوا بل وجدنا : أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر بل وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن تبع لهم.

فإنهم عدو لي : أي أعداء لي يوم القيامة إذا أنا عبدتهم لأنهم يتبرءون من عابديهم.

إلا رب العالمين : فإن من يعبده لا يتبرأ منه يوم القيامة بل ينجيه من النار ويكرمه بالجنة.

فهو يهدين : أي إلى ما ينجيني من العذاب ويسعدني في دنياي وأخراي.

والذي يميتني ثم يحيين : أي يميتني عند انتهاء أجلي، ثم يحييني ليوم الدين.

يوم الدين : أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة والبعث الآخر.

معنى الآيات :

هذا بداية قصص إبراهيم عليه السلام والقصد منه عرض حياة إبراهيم الدعوية على مسامع قريش قوم محمد ﷺ علهم يتعظون بها فيؤمنوا ويوحدوا فيسلموا ويسلموا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة قال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم﴾[1] أي اقرأ على قومك من قريش خبر إبراهيم في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ﴿ما تعبدون﴾ مستفهماً إياهم ليرد على جوابهم وهو أسلوب حكيم في الدعوة والتعليم يسألهم ويجيبهم بناء على مقتضى سؤالهم فيكون ذلك أدعى للفهم وقبول الحق: ﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ أي في صور تماثيل ﴿فنظل لها عاكفين﴾[2] فنقيم أكثر النهار عاكفين حولها نتقرب إليها ونتبرك بها خاشعين خاضعين عندها. ولما سمع جوابهم وقد صدقوا فيه قال لهم ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون﴾[3] أي إذ تدعونها ﴿أو ينفعونكم﴾ إن طلبتم منهم منفعة ﴿ أو يضرون﴾ إن طلبتم منهم أن يضروا أحداً تريدون ضره أنتم؟ فأجابوا قائلين في كل ذلك لا ، لا ، لا . وإنما وجدنا آباءنا كذلك

(١) (نبأ ابراهيم) قصته مع قومه والهمزة الثانية تخفف وهو أجود من تحقيقها. نبا ابراهيم أو نبأ إبراهيم، والمقصود من تلاوة هذه القصة طلب هداية قريش إلى الحق بإسماعهم أخبار الأولين ومشاهدة ما دار من جدال بين الرسل وأممهم.

(٢) (فنظل) هذا اللفظ يدل أنهم يقضون فترة طويلة من النهار عاكفين حولها لعبادتها وأمّا في الليل فيعبدون الكواكب لمشاهدتها والتماثيل إنما هي صور لها فإذا غابت عبدوا صورها بالنهار.

(٣) أراد أي: ابراهيم بقوله: (هل يسمعونكم) فتح باب المجادلة ليصل إلى إقناعهم إن شاء الله ذلك، وليست هذه أوّل محاجة بل حاج ابراهيم أباه على انفراد وحاجه هذه المرة مع قومه ولا شك أن الحجاج دام سنوات فما ذكر هنا غير ما ذكر في الصافات والأنبياء ومريم.

يفعلون ففعلنا مثلهم اقتداءً بهم واتباعاً لطريقتهم، وهنا صارحهم إبراهيم بما يريد أن يفهموه عنه فقال ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ الذين هم أجدادكم الذين ورث عنهم آباؤكم هذا الشرك والباطل ﴿فإنهم عدو لي﴾ أي أعداء لي وذلك يوم القيامة إن أنا عبدتهم معكم، لأن كل مَنْ عُبد من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن عبده ويعلن عداوته له طلباً لنجاة نفسه من عذاب الله. وقوله ﴿إلا رب العالمين﴾ فإنه لا يكون عدواً لمن عبده بل يكون ودوداً له رحيماً به. ألا فاعبدوه يا قوم واتركوا عبادة من يكون عدواً لكم يوم القيامة!!

ثم أخذ إبراهيم يذكر ربه ويثني عليه ويمجده تعريفاً به وتذكيراً لأولئك الجهلة المشركين فقال ﴿الذي خلقني فهو يهدين[1]﴾ أي إلى طريق نجاتي وكمالي وسعادتي وذلك ببيانه لي محابه لآتيها، ومساخطه لأتجنبها، ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ أي يغذوني بأنواع الأطعمة ويسقيني بما خلق ويسر لي من أنواع الأشربة من ماء ولبن وعسل، ﴿وإذا مرضت﴾ بأن اعتل جسمي وسقم فهو لا غيره يشفيني، ﴿والذي يميتني﴾ يوم يريد إماتتي عند انتهاء ما حدد لي من أجل تنتهي به حياتي، ثم يحييني يوم البعث والنشور، ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي[2]﴾ أي يسترها ويمحو أثرها من نفسي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب على عمل الإنسان في هذه الدار إذ هي دار عمل والآخرة دار جزاء.

وإذا قيل ما المراد من الخطيئة التي ذكر إبراهيم لنفسه؟ فالجواب إنها الكذبات الثلاث التي كانت لإبراهيم طوال حياته الأولى قوله ﴿إني سقيم﴾ والثانية ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ والثالثة قولي للطاغية إنه أخي ولا تقولي إنه زوجي، هذه الكذبات التي كانت لإبراهيم فهو خائف منها ويوم القيامة لما تطلب منه البشرية الشفاعة عند ربها يذكر هذه الكذبات ويقول إنما أنا من وراء وراء فاذهبوا إلى موسى.

ألا فليتعظ المؤمنون الذين كذبهم لا يعد كثرة!!

---

(١) حذفت الياء في (يهدين) و(يسقين) و(يشفين) و(يحيين) لأنّ الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلها.

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يارسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ (قال: لا إنّه لم يقل يوماً ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير النبوة المحمدية بذكر هذا القصص.
٢- تقرير التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم إمام الموحدين وقومه المشركين.
٣- بيان أن كل من عبد معبوداً غير الله تعالى سيكون له عدواً لدوداً يوم القيامة.
٤- بيان أن العكوف على الأضرحة والتمرغ في تربتها وطلب الشفاء منها شرك.
٥- بيان الاسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله تعالى من طريق السؤال والجواب.

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

رب هب لي حكماً : أي يا رب أعطني من فضلك حكماً أي علماً نافعاً وارزقني العمل به.
وألحقني بالصالحين : لأعمل عملهم في الدنيا وأكون معهم في الدار الآخرة.
واجعل لي لسان صدق في الآخرين: أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي بعدي
واغفر لأبي : كان هذا منه قبل أن يتبين له أنه عدو لله.
ولا تخزني يوم يبعثون : أي لا تفضحني.
بقلب سليم : أي من الشرك والنفاق.
وأزلفت الجنة : أي أدنيت وقربت للمتقين.

وبرزت الجحيم للغاوين : أي أظهرت وجليت للغاوين.
هل ينصرونكم : أي بِدَفْع العذاب عنكم.

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم وخاتمته لما ذكر إبراهيم قومه ووعظهم رفع يديه إلى ربه يسأله ويتضرع إليه فقال ﴿رب هب لي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يمنعني من فعل ما يسخطك عني ويدفعني إلى فعل ما يرضيك عني، ﴿وألحقني بالصالحين﴾ في أعمالهم الخيرية في الدنيا وبمرافقتهم في الجنة.[1] ﴿واجعل لي لسانَ[2] صدق في الآخرين﴾ أي اجعل لي ذكراً حسناً أذكر به فيمن يأتي من عبادك المؤمنين، ﴿واجعلني[3] من ورثة جنة النعيم﴾ الذين يرثونها بالإيمان والتقوى بعد فضلك عليهم ورحمتك بهم، ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ أي الجاهلين بك وبمحابك ومكارهك فما عبدوك ولا تقربوا إليك. وكان هذا من إبراهيم قبل العلم بأن أباه عدو لله حيث سبق له ذلك أزلاً، إذ قد تبرأ منه بعد أن علم ذلك وقوله ﴿ولا تخزني﴾ أي لا تذلني ﴿يوم يبعثون﴾ أي من قبورهم للحساب والجزاء على أعمالهم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ وهو يوم القيامة ﴿إلا من أتى الله بقلبٍ[4] سليم﴾ أي لكن من أتى الله أي جاءه يوم القيامة وقلبه سليم من الشرك والنفاق فهذا ينفعه عمله الصالح لخلوه مما يحبطه وهو الشرك والكفر الظاهر والباطن وقوله تعالى ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت وأدنيت للمتقين الله ربهم فلم يشركوا به في عبادته ولم يجاهروا بمعاصيه، ﴿وبرزت الجحيم[5]﴾ أي أظهرت وارتفعت ﴿للغاوين﴾ أي أهل الغواية والضلالة في الدنيا من المشركين والمسرفين في الإجرام والشر والفساد ﴿وقيل لهم﴾ أي سئلوا في عرصات القيامة ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾؟ أروناهم ﴿هل ينصرونكم﴾ مما أنتم فيه

---

(١) وفي أعالي الدرجات.
(٢) وقد استجاب الله تعالى له حيث اجتمع اهل الأديان على الثناء عليه والانتساب إلى ملته وإن كانوا مبطلين لما خالطهم من الشرك وما هي ذي أمة الإسلام لا تُصلي صلاة إلاّ وتصلي عليه وعلى آله فهذا ذكر حسن خالد وثناء عطر باق قال مالك: لا بأس أن يحب المرء أن يثني عليه صالحاً ويُرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى لهذه الآية وغيرها نحو: (سيجعل لهم الرحمن وداً) (وألقيت عليك محبة مني).
(٣) في هذا ردّ على من زعم أنه لا يسأل الله جنة ولا يستجيره من النار.
(٤) السليم من الشك والشرك وأمراض الكبر والحسد والعجب والغل ولأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح لحديث: (ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب) (من الصحيح).
(٥) أي: تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر أهل الجنة المسرة والفرح قبل دخولها. إذ الجنة تزلف والجحيم تبرز، وهذا في عرصات القيامة.

فيدفعون عنكم العذاب، ﴿أو ينتصرون﴾ لأنفسهم فيدفعون عنها العذاب إن كانوا من أهل النار لأنهم رضوا بأن يعبدوا ودعوا الناس إلى عبادتهم كالشياطين والمجرمين من الإنس والجن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان أن الجنة تورث ويذكر تعالى سبب إرثها وهو التقوى في قوله ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾[1].

٢ـ مشروعية الاستغفار للوالدين إن ماتا على التوحيد.

٣ـ بطلان الانتفاع يوم القيامة بغير الإيمان والعمل الصالح بعد فضل الله ورحمته.

٤ـ الترغيب في التقوى والتحذير من الغواية.

فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

شرح الكلمات :

فكبكبوا فيها : أي ألقوا على وجوههم في جهنم ودحرجوا فيها حتى انتهوا الى قعرها.

والغاوون : جمع غاوٍ وهو الفاسد القلب المدنس الروح من الشرك والمعاصي.

وجنود إبليس : أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن.

---

(١) الآية من سورة مريم عليها السلام.

إذ نسويكم برب العالمين : أي في العبادة فعبدناكم كما يعبد الله جل جلاله.
ولا صديق حميم : أي يهمه أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمي به من أن نعذب.
فلو أن لنا كرة : أي رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونوحد ونعبد ربنا بما شرع لنا.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فكبكبوا﴾[1] بعد ذلك الاستفهام التوبيخي التقريعي الذي تقدم في قوله تعالى ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾؟ وفشلوا في الجواب ولم يجيدوه إذ هو غير ممكن فأخبر تعالى عنهم بأنهم كبكبوا في جهنم - أي كبوا على وجوههم ودحرجوا فيها هم والغاوون جمع غاوٍ أي فاسد العقيدة والعمل وجنود إبليس أجمعون من أتباع الشيطان وأعوانه من دعاة الشرك والمعاصي والجريمة في الأرض من الإنس والجن قوله تعالى ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾[2] أي وهم في جهنم يختصمون كل واحد يحمل الثاني التبعة والمسؤولية فقال المشركون لمن أشركوا بهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ أي ظاهر بين لا يختلف فيه، وذلك ﴿إذ كنا نسويكم برب العالمين﴾[3] عز وجل فنعبدكم معه، ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ وهم دعاة الشرك والشر والضلال الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها، وأجرموا علينا فأفسدوا نفوسنا بالشرك والمعاصي، وقوله تعالى ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ هذا قولهم أيضاً قرروا فيه حقيقة أخرى وهي أنه ليس لهم في هذا اليوم من شافعين يشفعون لهم عند الله تعالى لا من الملائكة ولا من الإنس والجن إذ لا شفاعة تنفع من مات على الشرك والكفر، وقولهم ولا صديق حميم أي وليس لنا أي من صديق حميم تنفعنا صداقته وولايته.

وقالوا متمنين بعد اليأس من وجود شافعين ﴿فلو أنّ لنا كرّة﴾[4] أي رجعة إلى دار الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ فنؤمن ونوحد ونتبع الرسل. وهذا آخر ما أخبر تعالى به عنهم من كلامهم في

---

(١) (كبكبوا) أي: كبّوا فيها كباً بعد كبّ لأنّ كبكبوا مضاعف: كبّوا بالتكرير نحو: كفكف الدمع أي: كفّه مرة بعد مرة.

(٢) من الجائز أن يكون هذا من كلام ابراهيم إلاّ أن كونه من كلام الله تعالى موعظة لأمة محمد ﷺ أولى وقد استظهره ابن عطية رحمه الله تعالى وجملة (وهم فيها يختصمون) حالية، وجملة تالله الخ مقول القول.

(٣) (إذ) ظرفية وليست تعليلية أي: الوقت الذي كنا نسويكم بربّ العالمين، وهذا الكلام منهم كلام متندم حزن على ما فاته وصدر منه كقول أبي بكر وقد أمسك بلسانه وقال له: أنت أوردتني الموارد وكقوله: يالسان قل خيراً تغنم واسكت عن شرّ تسلم.

(٤) (لو) حرف تمن وأصلها: لو الشرطية لكنها تنوسي منها معنى الشرط إذ المراد: لو رجعنا إلى الدنيا لآمنا وعملنا صالحاً، ولما لم يقصد تعليق الامتناع على الامتناع تمحضت لو للتمني.

جهنم.

وقوله تعالى ﴿إن في[1] ذلك﴾ أي المذكور من كبكبة المشركين والغاوين وجنود إبليس أجمعين في جهنم وخصومتهم فيها وما قالوا وتمنوه وحرمانهم من الشفاعة وخلودهم في النار ﴿لآية﴾ أي لعبرة لمن يعتبر بغيره، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ولم يكن أكثر قومك يا رسولنا مؤمنين وإلا لانتفعوا بهذه العبر فآمنوا ووحدوا وأسلموا ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي الغالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الرحيم بعباده إنْ أنابوا إليه وأخلصوا العبادة له يكرمهم في جواره في جنات النعيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير أن دعاة الزنى والربا والخرافة والشركيات من الناس هم من جند إبليس.

٢ـ تقرير أن المجرمين هم الذين أفسدوا نفوسهم ونفوس غيرهم بدعوتهم إلى الضلال وحملهم على المعاصي.

٣ـ تقرير أن الشفاعة لن تكون لمن مات على الشرك والكفر.

٤ـ لا تنفع العبر والمواعظ والآيات في هداية قوم كتب الله أزلاً شقاءهم وعلم منهم أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم.

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

---

(١) هذا تكرر ثالث لهذه الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم على الشرك والتكذيب بالنبوة والبعث.

شـرح الكلمات :

كذبت قوم نوح المرسلين : قوم نوح الأمة التي بعث فيها، والمراد من المرسلين نوح عليه السلام.

أخـوهم نـوح : أي في النسـب.

ألا تتقـون : أي اتقوا الله ربكـم فلا تعصـوه بالشرك والمعاصي.

رسول أميـن : أي على ما أمرني ربي بإبلاغه إليكـم.

من أجــر : أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ.

أنؤمن لك واتبعك الأرذلون: أي كيف نتبعك على ما تدعونا إليه وقد اتبعك أراذل الناس أي سفلتهم وأهل الخسـة فيهم.

إن حسابهم إلا على ربي : أي ما حسابهم إلا على ربي.

معنى الآيـات :

هذه بداية قصص نوح عليه السلام فقال تعالى ﴿كذبت قوم نوح﴾[1] أي بما جاءهم به نوح من الأمـر بالتـوحيد وتـرك الشرك ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ أي في النسب[2] ﴿نوح ألا تتقون﴾ أي عقاب الله وأنتم تشركون به، وتكذبون رسوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أبلغكم من وحي الله تعالى فاتقوا الله بترك الشرك وأطيعوني فيما أدعوكم إليه وآمركم به ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على البلاغ من أجر أتقاضاه منكم مقابل ما أبلغكم من رسالة ربكم. ﴿إن أجرى إلا على الله﴾ إذ هو الذي كلفني ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه أن يحل بكم وأنتم تكفرون به وتكذبون برسوله وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه. بعد هذا الذي أمرهم به وكرره عليهم من تقوى الله وطاعة لرسوله كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قولـه: ﴿قالوا أنؤمن لك﴾ أي أنصدقك ونتابعك على ما جئت به من الدين ﴿واتبعك الأرذلون[3]﴾ أي سفلة الناس وأخساؤهم؟.

فأجـابهم نوح بقـوله ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ فيما يعملونه بعيدين عني من

---

(١) ﴿كذبت قوم نوح﴾ أنّث الفعل إرادة جماعة قوم نوح ونظيره: ﴿قالت الأعراب﴾.

(٢) وأخوّة مجانسة أو هو من باب قول العرب: يا أخا بني تميم: يريدون: يا واحداً منهم، قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهاناً

(٣) جمع التكسير: (أراذل) والأنثى: الرذلى والجمع: الرُّذّل، وجملة: (واتبعك) حالية، وفيها إضمار قد أي: وقد اتبعك.

الباطن أو الظاهر أنا لا أعلمه ولا أسأل عنه ولا أحاسب عليه، ﴿إن حسابهم[1] إلا على ربي﴾ هو الذي يحاسبهم ويجزيهم لو تشعرون بهذه الحقيقة لما عبتموهم لي وحملتموني مسئولية عملهم ﴿وما أنا بطارد المؤمنين[2]﴾ أي من حولي، ﴿إن أنا إلا نذير[3] مبين﴾ فلست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس وظيفتي أني أنذر الناس عاقبة الكفر والمعاصي ليقلعوا عن ذلك فينجوا من عذاب الله ويسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن من كذب رسولاً فكأنما كذب كل الرسل وذلك باعتبار أن دعوتهم واحدة وهي أن يُعْبَدَ الله وحده بما شرع للناس من عبادات تطهرهم وتزكيهم.

٢ـ إثبات أخوة النسب، ولا تعارض بينها وبين أخوة الدين.

٣ـ عدم جواز أخذ أجرة على دعوة الله تعالى. ووجوب إبلاغها مجانا.

٤ـ وجوب التقوى لله تعالى، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥ـ لا يجوز طرد الفقراء من مجالس العلم ليجلس مجالسهم الأغنياء وأهل الجاه.

إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

---

(١) قيل لسفيان: إنّ امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون).

(٢) ظاهر الكلام أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء من المؤمنين كما فعلت قريش.

(٣) جملة: (إن أنا إلا نذير) استئناف في معنى التعليل لعدم طردهم والقصر في الجملة إضافي قصر موصوف على صفة.

شـرح الكلـمات :

لئن لم تنتـه : أي عن دعوتنا إلى ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده.

من المرجوميـن : أي المقتولين رجماً بالحجارة.

فافتح بيني وبينهم فتحاً: أي احكم بيني وبينهم حكماً بأن تهلكهم وتنجيني ومن معي من المؤمنين.

في الفلك المشحون[1] : أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرى.

بعد الباقيـن : أي بعـد إنجـائنـا نوحاً والمؤمنين بركوبهم في السفينة أغرقنا الكافرين إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين.

معنى الآيـات :

مازال السياق في الحوار الدائر بين نوح وقومه إنه لما دعاهم إلى التوحيد وكرر عليهم الدعوة وأفحمهم في مواطن كثيرة وأعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ أي قسماً بآلهتنا لئن لم تنته يا نوح من تسفيهنا وسب آلهتنا ومطالبتنا بترك عبادتها ﴿لتكونن من المرجومين[2]﴾ أي لنقتلنك رمياً بالحجارة. وهنا وبعد دعوة دامت ألف سنة إلا خمسين عاماً رفع نوح شكواه إلى الله قائلا: ﴿رب إن قومي[3] كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي احكم بيننا وافصل في قضية وجودنا مع بعضنا بعضا فأهلكهم ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ قال تعالى ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ أي المملوء بأنواع الحيوانات ﴿ثم أغرقنا بعد[4] الباقين﴾ أي بعد إنجائنا نوحاً ومن معه من المؤمنين بأن ركبوا في الفلك وما زال الماء يرتفع النازل من السماء والنابع من الأرض حتى غرق كل من على الأرض والجبال ولم ينج أحد إلا نوحٌ وأصحاب السفينة، قال تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من الصراع الذي دار بين التوحيد والشرك وفي عاقبة التوحيد وهي نجاة أهله والشرك وهي دمار أهله ﴿ لآية﴾ أي

---

(١) الشحن: ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يقل: المشحونة بل قال: (المشحون) لأنه هنا واحد لا جمع.

(٢) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رمياً بالحجارة إلا قوله: (لئن لم تنته لأرجمنك) فإنه بمعنى لأسبّنك وأشتمنّك.

(٣) هذه الجملة قالها تمهيداً للدعاء عليهم.

(٤) ثمّ. للتراخي الرتبي في الاخبار لأنّ إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس.

عبرة[1]. ولكن أهل مكة لم يعتبروا ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين[2]﴾ لما سبق في علم الله تعالى من عدم إيمانهم إذاً فلا تحزن عليهم. ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول الكريم لهو لا غيره العزيز الغالب الرحيم بمن تاب من عباده فإنه لا يعذبه بل يرحمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان سنة أن الظلمة والطغاة إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى القوة.

٢- جواز الاستنصار بالله تعالى وطلب الفتح بين المظلوم والظالمين.

٣- سرعة استجابة الله تعالى لعبده نوح وذلك لصبره قروناً طويلة فلما انتهى صبره ورفع شكاته الى ربه أجابه فوراً فأنجاه وأهلك أعداءه.

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾

شرح الكلمات:

كذبت عاد: عاد اسم أبي القبيلة وسميت القبيلة به.

أخوهم هود: أخوهم في النسب.

فاتقوا الله: أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئاً.

---

(١) وجه العبرة أن الله تعالى أنجى الموحدين وأهلك المشركين بعد أن أبلغ نوح رسالته بصبر واحتساب لا نظير لهما إذ دعا وبلّغ وأوذي وصبر وصابر ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٢) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون هم أكابر مجرمي مكة وعلى رأسهم المستهزؤون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص لأنّ الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر أو نفي الإيمان مقيّد بزمن معيّن لا يتعداه.

أتبنون بكل ريع	: أي مكان عال مرتفع.
آيـة	: أي قصراً مشيداً عالياً مرتفعاً.
تعبثـون	: أي ببنيانكم حيث تبنون مالا تسكنون.
وتتخذون مصانع	: أي حصوناً منيعة وقصوراً رفيعة.
لعلكـم تخلدون	: أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه.
وإذا بطشـتم	: أي أخذتم أحداً سطوتم عليه بعنف وشدة.
جبـاريـن	: أي عتـاة متسـلطين.

معنى الآيـات:

هذه بداية قصص هود عليه السلام يقول تعالى ﴿كذبت عاد[1]﴾ أي قبيلة عاد ﴿المرسلين﴾ أي رسول الله هوداً، ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون[2]﴾ أي ألا تتقون عقاب الله بترككم الشرك والمعاصي بمعنى اتقوا الله ربكم فلا تشركوا به، وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يخبرهم بأنه رسول الله إليهم يبلغهم عن الله أمره ونهيه وأنه أمين على ذلك فلا يزيد ولا ينقص فيما أمره ربه بإبلاغه إليهم، وعليه ﴿فاتقوا[3] الله وأطيعون﴾ أي بوصفي رسول الله إليكم فإن طاعتي واجبة عليكم حتى أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

وقوله ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي على إبلاغ رسالتي إليكم من أجر أي من أي أجر كان. ولوقل ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العالمين سبحانه وتعالى إذ هو الذي أرسلني وكلفني فهو الذي أرجو أن يثيبني على حمل رسالتي إليكم وإبلاغها إيّاكم. وعليه فاتقوا الله أي خافوا عقابه بترك الشرك به والمعاصي وأطيعوني بقبول ما أبلغكم به لتكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿أتبنون بكل ريع[4] آية تعبثون﴾ ينكر هود على قومه إنهماكهم في الدنيا

---

(١) جملة مستأنفة استئناف انتقال لعرض الأحداث التاريخية تسلية للرسول ﷺ وموعظة وذكرى لغيره، وعاد بمعنى القبيلة فلذا أنّث الفعل معها، وكانت منازل عاد وديارهم ما بين عُمان وحضر موت شرقاً وغرباً ومتغلغلة في الشمال إلى الرمال وهي الأحقاف.

(٢) الاستفهام معناه الأمر والحض على التقوى التي هي خوف من الله تعالى يحمل على الإيمان به وعبادته وترك عبادة ما سواه.

(٣) الفاء: للتفريع فالجملة متفرعة عن جملة (إني لكم رسول أمين) أي: فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم (واتقوا الله وأطيعون) وحذفت الياء من (فاتقون) مراعاة لرؤوس الآي.

(٤) الرّيع: المكان المرتفع أو الطريق الفج بين الجبلين، والآية العلامة: الدالة على الطريق والمراد: بناء عالٍ هو آية في الفنّ المعماري.

وانشغالهم بما لا يعني وإعراضهم عما يعنيهم فيقول لهم كالمنكر عليهم أتبنون بكل ريع أي مكان عال مرتفع آية أي قصراً مشيداً آية في ارتفاعه وعلوه. تعبثون حيث لا تسكنون فيما تبنون فهو لمجرد اللهو والعبث وقوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ وهي مبان عالية كالحصون أو خزانات الماء أو الحصون ﴿لعلكم تخلدون[1]﴾ أي كيما تخلدون، وما أنتم بخالدين، وإنما مقامكم فيها قليل. وقوله ﴿وإذا بطشتم[2] بطشتم جبارين﴾ أي إذا سطوتم على أحد تسطون عليه سطو العتاة الجبارين فتأخذون بعنف[3] وشدة بلا رحمة ولا رفق ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم فخافوا عقابه وأليم عذابه، ﴿وأطيعون﴾ فيما أدعوكم إليه وأبلغكموه عن ربي فإن ذلك خير لكم من الإعراض والتمادي في الباطل.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ الأمر بالتقوى من النصح للمأمور بها، لأن النجاة والفوز لا يتمان للعبد إلا عليها.

٢ـ الرسل أمناء على ما يحملون وما يبلغون الناس.

٣ـ حرمة أخذ الأجرة على بيان الشرع والدعوة إلى ذلك.

٤ـ ينبغي للعبد أن لا يسرف فيبني مالا يسكن ويدخر ما لا يأكل.

٥ـ استنكار العنف والشدة في الأخذ وعند المؤاخذة.

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

(١) في الجمل الثلاثة تبنون وتتخذون ولعلكم تخلدون توبيخ لهم على هذا السلوك وإنكار عليهم

(٢) البطش: السطوة والأخذ بعنف، والجبار: القتال في غير حق والمتسلط العاتي

(٣) ويدل على قوتهم وشدتهم قولهم (من أشدّ منا قوة) من سورة فصّلت وكان العرب يسبون الشيء القوي إلى عاد فيقولون: هذا عادي.

شـرح الكلمات :

أمدكـم : أي أعطاكـم منعماً عليكم.
بأنعـــام : هي الإبل والبقر والغنم.
عذاب يوم عظيـم : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة.
سـواء علينا : أي مستوٍ عندنا وعظك وعدمه فإنا لا نطيعك.
إن هذا إلا خلق الأولين[1] : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين فنحن على طريقتهم، وما نحن بمعذبين.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين نبي الله هود عليه السلام وبين قومه المشركين إذ أمرهم بالتقوى وبطاعته وأمرهم أيضاً بتقوى الله الذي أمدهم أي أنعم عليهم بما يعلمونه من أنواع النعم فإن طاعة المنعم شكر له على إنعامه ومعصيته كفر لإنعامه فقال ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون[2]﴾ وبين ذلك بقوله ﴿أمدكم بأنعام﴾ أي مواشي من إبـل وبقـر وغنم ﴿وبنين﴾ أي أولاد ذكوروإناث ﴿وجنات﴾ أي بساتين ﴿وعيون﴾ لسقيها وسقيكم وتطهيركم[3]، ثم قال لهم في إشفاق عليهم ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ إن أنتم أصررتم على الشرك والمعاصي وقد يكون عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة، وقد عذبوا في الدنيا بإهلاكهم ويعذبون في الآخرة لأنهم ماتوا كفاراً مشركين عصاة مجرمين، كان هذا ما وعظهم به نبيهم هود عليه السلام، وكان ردهم على وعظه ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ أي مستوٍ عندنا وعظك أي تخويفك وتذكيرك وعدمه فما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين وقالوا ﴿إن هذا﴾ الذي نحن عليه من البناء والإشادة وعبادة آلهتنا ﴿إلا خلق الأولين[4]﴾ أي دأب وعـادة من سبقنا من الناس، وما نحن بمعذبين عليه قال تعالى مخبراً عن نتيجة ذلك

---

(١) قرأ الجمهور (خُلق) بضم كل من الخاء واللام وهو بمعنى السجية المتمكنة في النفس الباعثة على عمل ما يناسبها ويقال له: القوى النفسية وقرأ غير الجمهور (خَلق) بفتح الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الاختلاق والكذب أي: ما تقوله لنا إنما هو كذب واختلاق.

(٢) أي: من الخيرات ثم فسرها بقوله: (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون).

(٣) فهو الذي يحبّ أن يعبد فيُذكر ويُشكر ولا يُكفر.

(٤) اختلف في تحديد معنى قولهم: (إن هذا إلاّ خلق الأولين) بفتح الخاء وإسكان اللام أي: اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ (خُلُق) بضم الخاء واللام معناه عاداتهم لأنّ الخلق يطلق على الدين والطبع والمروءة، وما في التفسير أولى بتوجيه الآية.

الحوار وتلك الدعوة التي قام بها نبي الله هود ﴿فكذبوه﴾ أي كذبوا هوداً فيما جاءهم به ودعاهم إليه وحذرهم منه، ﴿فأهلكناهم﴾[1] أي بتكذيبهم وإعراضهم ﴿إن في ذلك﴾ الإهلاك للمكذبين عبرة لقومك يا محمد لو كانوا يعتبرون ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لما سبق في علم الله من عَدَم إيمانهم فلذا لم تنفعهم المواعظ والعبر، وإن ربك لهو العزيز الرحيم فقد أخذ الجبابرة العتاة فأنزل بهم نقمته وأذاقهم مر عذابه، ورحم أولياءه فأنجاهم وأهلك أعداءهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تنويع أسلوب الدعوة وتذكير الجاحدين بما هو محسوس لديهم مرأي لهم.

٢ـ التخويف من عذاب الله والتحذير من عاقبة عصيانه من أساليب الدعوة.

٣ـ بيان سنة الناس في التقليد واتباع آبائهم وإن كانوا ضلالاً جاهلين.

٤ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث إذ هو المقصود من هذا القصص.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

---

(١) أي: بريح صرصر سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (من سورة الحاقة).

شـرح الكلمـات :

كذبت ثمود المرسلين : أي كذبت قبيلة ثمود نبيّها صالحاً.

فيما هاهنا آمنين : أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد.

طلعها هضيـم : أي طلع النخلة ليّن ناعم ما دام في كُفرّاهُ أي غطاؤه الذي عليه.

وتنحتون من الجبال بيوتاً: أي تنْجُرون بآلات النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتاً.

فرهيـن : أي حذقين من جهة ويطرين متكبرين مغترين بصنيعكم من جهة أخرى.

وأطيعـون : أي فيما أمرتكم به.

المسـرفيـن : أي في الشر والفساد بالكفر والعناد.

الذين يفسـدون في الأرض : أي بارتكاب الذنوب العظام فيها.

ولا يصلحون فيها : أي بفعل الطاعات والقربـات.

معنى الآيـات:

هذا بداية قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿كذبتْ ثمود[1] المرسلين﴾ أي جحدت قبيلة ثمود ما جاءها به رسولها صالح، ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ في النسب لافي الدين إذ هو مؤمن وهم كافرون ﴿ألا تتقون[2]﴾ أي يحضهم على التقوى ويأمرهم بها لأن فيها نجاتهم والمراد من التقوى اتقاء عذاب الله بالإيمان به وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله وقوله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يعلمهم بأنه مرسل من قبل الله تعالى إليهم أمين على رسالة الله وما تحمله من العلم والبيان والهدى إليهم. ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ كرر الأمر بالتقوى وبطاعته إذ هما معظم رسالته ومتَى حقّقها المرسل إليهم اهتدوا وأفلحوا ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أبعد تهمة المادة لما قد يقال أنه يريد مالاً فأخبرهم في صراحة أنه لا يطلب على إبلاغهم دعوة ربهم أجراً من أحد إلا من الله رب العالمين إذ هو الذي يثيب ويجزي العـاملين له وفي دائـرة طاعته وقوله فيما أخبر تعالى به عنه ﴿أتتركون[3] فيما ههنا﴾ بين

---

(١) ثمود: أمّة تسكن بالحجر شمال الحجاز، وتعرف اليوم بمدائن صالح والمراد من المرسلين نبي الله صالح عليه السلام، وتكذيبها به معتبر تكذيباً لكل الرسل، لأن دعوة الرسل واحدة.

(٢) الاستفهام للإنكار أي: ينكر عليهم عدم تقواهم ويحضهم عليها.

(٣) الاستفهام انكاري توبيخي وفيه حضهم على الشكر إذ ما هم فيه من النعمة يقتضي ذلك.

أيديكم من الخيرات ﴿آمنين﴾ غير خائفين، وبين ما أشار إليه بقوله فيما ها هنا فقال ﴿في جنات﴾ أي بساتين ومزارع بمدائنهم وهي إلى الآن قائمة ﴿وعيون وزروع، ونخل طلعها[1] هضيم﴾ أي لين ناعم ما دام في كفراه أي غلافه ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾ لما خولكم الله من قوة ومعرفة بفن النحت حتى أصبحتم تتخذون من الجبال الصم بيوتاً تسكنونها شتاء فتقيكم البرد. وقوله ﴿فرهين﴾ هذا حال من قوله ﴿وتنحتون من الجبال﴾ ومعنى ﴿فرهين[2]﴾ حذقين فن النحت وبطرين متكبرين مغترين بقوتكم وصناعتكم، إذاً ﴿فاتقوا الله﴾ يا قوم بترك الشرك والمعاصي ﴿وأطيعون﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه وأدعوكم إليه ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين[3]﴾ أي على أنفسهم بارتكاب الكبائر وغشيان الذنوب. ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ أي بمعاصي الله ورسوله فيها ﴿ولا يصلحون﴾ أي جمعوا بين الفساد والإفساد، وترك الصلاح والإصلاح.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ دعوة الرسل واحدة ولذا التكذيب برسول يعتبر تكذيباً بكل الرسل.
٢ـ الأمانة شعار كل الرسل والدعاة الصادقين الصالحين في كل الأمم والعصور.
٣ـ مشروعية التذكير بالنعم ليذكر المنعم فيُحب ويُطاع.
٤ـ التحذير من طاعة المسرفين في الذنوب والمعاصي لوخامة عاقبة طاعتهم.
٥ـ تقرير أن الفساد في الأرض يكون بارتكاب المعاصي فيها.

---

(١) الطلع: وعاء كنصل السيف بباطنه شماريخ القنو ويسمى هذا الطلع بالكم بكسر الكاف ويقال له: الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه ينفلق من نفسه ويُؤبّر وبعد قليل يصبح بَلحاً فبُسراً فرُطباً فتمراً وذكر النخل يقال له: فحّال بضم الفاء وتشديد الحاء مفتوحة والجمع فحاحيل.

(٢) (فرهين) قراءة الجمهور، وقرىء (فارهين) مشتق من الفراهة التي هي الحذق والكياسة أي: عارفين حذقين بنحت البيوت من الجبال.

(٣) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم على الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام.

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

شـرح الكلـمات:

إنما أنت من المسحرين : الذين سحروا وبُولغ في سحرهم حتى غلب عقولهم.

فأت بآية إن كنت من الصادقين : إن كنت من الصادقين في أنك رسول فأتنا بآية تدل على ذلك.

لها شرب ولكم شرب يوم معلوم: أي لها يوم تشرب فيه من العين ولكم يوم آخر معلوم.

فعقروها فأصبحوا نادمين : أي فلم يؤمنوا فقتلوها فأصبحوا نادمين لما شاهدوا العذاب.

معنى الآيـات:

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين صالح عليه السلام وقومه ثمود فلما ذكرهم ووعظهم ردوا عليه بما أخبر تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت من المسحّرين﴾[1] أي الذين سحروا وبولغ في سحرهم حتى غلب على عقولهم فهم لا يعرفون ما يقولون ﴿ما أنت إلا بشـر مثلنا﴾ تأكل الطعام وتشرب الشراب فلا أنت رب ولا ملك فنخضع لك

---

(١) وقيل: (من المسحرين) أي: من المعللين بالطعام والشراب مأخوذ من السَّحر وهو: الرئة يعنون أنه بشر له رئة يأكل ويشرب كسائر الناس فلا يفضلهم وشاهده قول الشاعر:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

موضعين مسرعين إلى الموت وما في التفسير أولى وأظهر.

ونطيعك ﴿فأت بآية﴾[1] علامة قوية ودلالة صادقة تدل على أنك رسول الله حقاً وأنت من الرسل الصادقين، فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال هذه ناقة﴾ أي عظيمة الخلقة سأل ربه آية فأعطاه هذه الناقة فما زال قائماً يصلي ويدعو وهم يشاهدون حتى أنفلق الجبل وخرجت منه هذه الناقة الآية العظيمة فقال ﴿هذه ناقة لها شرب﴾[2] أي حظ ونصيب من ماء البلد تشربه وحدها لا يرد معها أحد ولكم أنتم شرب يوم معلوم لكم تردونه وحدكم. ﴿ولاتمسوها بسوء﴾ وحذرهم أن يمسوها بسوء لابضرب ولا بقتل ولا بمنع من شرب، فإنه يأخذكم عذاب يوم عظيم قال تعالى ﴿فعقروها﴾ أي فكذبوه وعصوه وعقروها بأن ضربوها في يديها ورجلها فبركت وقتلوها. فلما عقروها قال لهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ فأصبحوا بذلك نادمين[3] ففي صبيحة اليوم الثالث أخذتهم الصيحة مع شروق الشمس فاهلكوا أجمعين ونجى الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي علامة كبرى على قدرة الله تعالى وعلمه وأنه واجب الألوهية ﴿وما كان أكثرهم[4] مؤمنين﴾[5] مع وضوح الأدلة لأنه لم يسبق لهم إيمان في قضاء الله وقَدَرِه ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول لهو وحده العزيز الغالب الذي لا يغالب الرحيم بأوليائه وصالحي عباده.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير أن السحر من عمل الناس وأنه معلوم لهم معمول به منذ القدم.

٢ـ سنة الناس في المطالبة بالآيات عند دعوتهم إلى الدين الحق.

٣ـ وجود الآيات لا يستلزم بالضرورة إيمان المطالبين بل أكثرهم لا يؤمنون.

٤ـ الندم من التوبة ولكن لا ينفع ندم ولا توبة عند معاينة العذاب أو أماراته.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: إن كنت صادقاً فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننُظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً فدعا وفعل الله ذلك. فقال: (هذه ناقة...) الخ.

(٢) الشِرب بكسر الشين وسكون الراء: النوبة في الماء للناقة يوماً تشرب فيه لا يزاحمونها فيه بأنعامهم وأنفسهم.

(٣) إن قيل: لِمَ ما ينفع الندم وهو توبة فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

(٤) كان: مزيدة لتقوية الكلام، والعبارة جائز أن يراد بها قوم صالح إذ لم يؤمن منهم إلا القليل، وأن يراد بها كفّار مكة إذ أكثر المكابرين ما آمن ومات كافراً أو ما آمن في تلك الفترة ثم آمن بعد الفتح.

(٥)-قيل: ما آمن معه إلاّ ألفان وثمانمائة رجل وامرأة وأنّ قومه كانوا اثنى عشر ألف قبيل كل قبيل نحو: اثنى عشر ألفاً من سوى النساء والذرية وكان قوم عاد مثلهم ثلاث مرات. ذكر هذا القرطبي في تفسيره ولم يعزه لأحد.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

قوم لوط : هم سكان مدن سدوم وعمورية وقرى أخرى ولوط هو نبي الله لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم.

أخوهم لوط : هذه أخوة بلد[1] وسكنى لا أخوة نسب ولا دين.

إني لكم رسول أمين : أي إني مرسل إليكم لا إلى غيركم أمين في إبلاغكم رسالتي فلا أنقص ولا أزيد.

فاتقوا الله : بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه.

وما أسألكم عليه : أي على البلاغ من أجرة مقابل إرشادكم وتعليمكم.

أتأتون الذكران من العالمين: أي أتأتون الفاحشة من الرجال وتتركون النساء.

بل أنتم قوم عادون : أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في الشر.

معنى الآيات:

هذه بداية قصص لوط مع قومه أصحاب المؤتفكات قال تعالى ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ أي كذبوا لوطاً الرسول وتكذيبه يعتبر تكذيباً لكافة الرسل لأن دعوة الله واحدة كذبوه لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك الفواحش والظلم والشر والفساد إذ قال لهم أخوهم لوط هذه أخوة الوطن لا غير إذ لوط بابلي الموطن ودينه الإسلام وأبوه هاران

(١) أي: أخوة مواطنة كما يقال اليوم.

أخو إبراهيم عليه السلام، وإنما لما أرسل لوط إلى أهل هذه البلاد وسكن معهم قيل لهم أخوهم بحكم المعاشرة والمواطنة الحاصلة ﴿ألا تتقون﴾[1] يأمرهم بتقوى الله ويحضهم عليها لأنهم قائمون على عظائم الذنوب فخاف عليهم الهلاك فدعاهم إلى أسباب النجاة وهي تقوى الله تعالى بطاعته وترك معاصيه. وقال لهم ﴿إني لكم رسول أمين﴾[2] فلا تشكوا في رسالتي وأطيعون، وإني غير سائلكم أجراً على تبليغ رسالتي إليكم إن أجري آخذه من رب العالمين الذي حملني هذه الرسالة وأمرني بإبلاغكم إياها وهنا أنكر عليهم أعظم منكر فقال موبخاً مقرعاً ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾[3] فترتكبون الفاحشة معهم ﴿وتذرون﴾ أي تتركون ما خلق الله لكم من أزواجكم ﴿بل أنتم قوم عادون﴾[4] أي متجاوزون الحدود[5] التي رسمها الشرع والعقل والآدمية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ جواز إطلاق أخوة الوطن دون الدين والنسب.

٢ـ الأمانة من مستلزمات الرسالة، إذ كل رسول يقول ﴿إني لكم رسول أمين﴾.

٣ـ سبيل نجاة الفرد والجماعة في تقوى الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ.

٤ـ وجوب إنكار المنكر وتقبيحه على فاعله لعله يرعوي.

٥ـ أكبر فاحشة وقعت في الأرض هي فاحشة اللواط. والعياذ بالله تعالى.

قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

---

(١) الاستفهام للحض على التقوى وهو متضمن الإنكار والتوبيخ.

(٢) جملة: (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره إياهم بالتقوى والطاعة.

(٣) الاستفهام للانكار والتوبيخ إذ كانوا يعملون الفاحشة مع الغرباء إذا نزلوا ديارهم بصورة عامة ومع بعضهم بعضاً بصورة خاصة.

(٤) بل: للانتقال من الوعظ إلى التنديد وتسجيل أكبر العدوان عليهم إذ الجملة الأسمية (أنتم قوم عادون) مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم وفي الإخبار بالجملة: (قوم عادون) إعلام بأن العدوان أصبح سجية فيهم وطبعاً لهم.

(٥) العادي: من تجاوز حد الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام، فالقوم قد أحلّ الله لهم فروج نسائهم بالنكاح الشرعي وحرّم عليهم إتيان الرجال في أدبارهم فتجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك عادين.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

شـرح الكلـمات :

لئن لم تنتـه : أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة.

من المخرجيـن : أي من بلادنا وطردك من ديارنا.

لعملكم من القالين : أي المبغضين له البغض الشديد.

رب نجني وأهلي مما يعملون: أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش.

فنجيناه وأهله : أي نجينا لوطاً الذي دعانا وأهله وهم امرأته المؤمنة وابنتاه.

إلا عجوزاً في الغابرين : أي فإنا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين فتركناها معهم حتى هَلَكَتْ بينهم لأنها كانت كافرة وراضية بعمل القوم..

وأمطرنا عليهم مطراً : أي أنزل عليهم حجارة من السماء فأمطروا بها بعد قلب البلاد عاليها سافلها.

فساء مطر المنذرين : أي فقبح مطر المنذرين ولم يمتثلوا فما كفوا عن الشر والفساد.

معنى الآيـات :

ما زال السياق فيمـا دار بين نبي الله لوط وقومه المجرمين فإنه لما ذكرهم ووعظهم وأمرهم ونهاهم وسمعوا ذلك كله منه أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا لئن[1] لم تنته يا لوط﴾ أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أي نخرجك من بلادنـا ونطردك من بيننا ولا تبقى ساعة واحدة عندنا إنتبه يا رجل.. فأجابهم لوط

(١) في الجملة إقسام دلّت عليه اللام ولا شك أنهم يحلفون بآلهتهم الباطلة والجملة متضمنة تهديداً وإيعاداً بالإبعاد والإخراج من البلد.

الرسول عليه السلام بقوله ﴿إني لعملكم من القالين[1]﴾ أي إني لعملكم الفاحشة من المبغضين أشد البغض، ثم التفت إلى ربه داعياً ضارعاً فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعلمون﴾ وهذا بعد أن أقام يدعوهم ويتحمل سنين عديدة فلم يجد بداً من الفزع إلى ربه ليخلصه منهم فقال ﴿ربي نجني وأهلي﴾ من عقوبة وعذاب ما يعملونه من إتيان الفاحشة من العالمين قال تعالى ﴿فنجيناه وأهله﴾ وهم امرأته المسلمة وابنتاه المسلمتان طبعاً إلا عجوزاً وهي امرأته الكافرة المتواطئة مع الظلمة الراضية بالفعلة الشنعاء كانت في جملة الغابرين[2] أي المتروكين بعد خروج لوط من البلاد لتهلك مع الهالكين قال تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي بعد أن أنجينا لوطاً وأهله أجمعين باستثناء العجوز الكافرة دمرنا أي أهلكنا الآخرين ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ إنه بعد قلب البلاد سافلها على عاليها أمطر عليهم مطر حجارة من السماء لتصيب من كان خارج المدن المأفوكة المقلوبة.

قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في هذا الذي ذكرنا من إهلاك المكذبين والمسرفين الظالمين آية وعلامة كبرى لمن يسمع ويرى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين[3]﴾ لما سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون فسبحان الله العظيم. وقوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ وإن ربك يا رسولنا هو لا غيره العزيز الغالب القاهر لكل الظلمة والمسرفين الرحيم بأوليائه وعباده المؤمنين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ التهديد بالنفي سنة بشرية قديمة.

(١) القلى : البغض يقال: قليته أقليه قِلى وقلاءً قال الشاعر:

عليك السلام لا مللت قريبة   ومالك عندي أن نأيت قلاء

أي قلى.

(٢) فعل (غَبر) يطلق على البقاء والذهاب كالجون: يطلق على الأبيض والأسود قال الشاعر:

فما ونى محمد منذ أن غفر   له الإله ما مضى وما غبر

أي: ما بقي.

والأغبار: بقيات الألبان. قال الشاعر:

لا تكسع الشول بأغبارها   إنك لا تدري من الناتج

يقال كسع الناقة: ترك في ضرعها بقية من اللبن، وبعده البيت التالي:

واحلب لأضيافك ألبانها   فإن شر اللبن الوالج

(٣) إذ لم يؤمن إلا إحدى نسائه وابنتاه.

٢ـ وجوب بغض الشر والفساد في أي صورة من صورهما.
٣ـ استجابة دعوة المظلوم لا سيما إن كان من الصالحين.
٤ـ توقع العذاب إذا انتشر الشر وعظم الظلم والفساد.
٥ـ الآيات مهما كانت عظيمة لا تستلزم الإيمان والطاعة.
٦ـ من لم يسبق له الإيمان لا يؤمن ولو جلب عليه كل آية.
٧ـ مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته.

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

شرح الكلمات :

أصحاب الأيكة	: أي الغيضة وهي الشجر الملتف.
إذ قال لهم شعيب	: النبي المرسل شعيب عليه السلام.
أوفوا الكيل	: أي أتموه.
ولا تكونوا من المخسرين	: الذين ينقصون الكيل والوزن.
بالقسطاس المستقيم	: أي الميزان السوي المعتدل.
ولا تبخسوا الناس أشياءهم	: أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً.
ولا تعثوا في الأرض مفسدين	: أي بالقتل والسلب والنهب.
والجبلة الاولين	: أي والخليقة أي الناس من قبلكم.

معنى الآيـات:

هذه بداية قصص شعيب عليه السـلام مع أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف كشجر الدوم وهذه الغيضة قريبة من مدينة مدين وشعيب أرسل لهما معاً وفي سورة هود ﴿وإلى مدين أخـاهم شعيبـاً﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم فقيل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة جماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان، فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فكذبوه وهو قوله تعالى ﴿كذب أصحابُ[1] الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيبٌ[2] ألا تتقونَ[3]﴾ أي اتقوا الله وخافوا عقابه ﴿إني لكم رسول أمين﴾ فاتقوا الله بعبادته وترك عبادة ما سواه وأطيعون أهدكم الى ما فيه كمالكم وسعادتكم ﴿وما أسألكم عليه﴾ أي على بلاغ رسالة ربي إليكم أجراً أي جزاء وأجرة ﴿إن أجري﴾ أي ما أجري إلا على رب العـالـمين. وأمـرهـم بتـرك أشهـر معصية كانت شائعـة بينهم وهي تطفيف الكيل والـوزن فقال لهم ﴿أوفوا الكيل﴾ أي أتموها ولا تنقصوها ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي الذين ينقصـون الكيل والـوزن ﴿وزنوا﴾ أي إذا وزنتم ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي بالميزان العادل، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم[4]﴾ أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً فما يساوي ديناراً لا تعطوا فيه نصف دينار وما يساوي عشرة لا تأخذوه بخمسة مثلاً ومن أجرته اليومية عشرون لا تعطوه عشرة مثلاً، ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تفسدوا في البلاد بأي نوع من الفساد كالقتل والسلب ومنع الحقوق وارتكاب المعاصي والذنوب ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ أي الله فخافوا عقابه ﴿والجبلةَ[5] الأولين﴾ أي وخلق الخليقة من قبلكم

---

(١) الأيكة وليكة بمعنى واحد كمكة وبكة، وقيل: الأيكة: الشجر الملتف أي الغليظة وليكة: وهي قراءة نافع. اسم للبلدة ومنعها من الصرف ومن قرأ الأيكة صرفها، والراجح أنها بمعنى واحد، وعدم الصرف لانعدام ال لاغير.

(٢) لم يقل: أخاهم شعيباً: لأنه لا قرابة بينهم بخلاف أهل مدين فهو من أهلها فلذا قال تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) وأصحاب الأيكة أي بادية وهي الشجر الملتف فلذا يقال له الغيضة وكان من شجر الدوم وهو المُقل والسدر وثماره النبق.

(٣) الاستفهام للحض على التقوى والإنكار عليهم عبادة غير الله تعالى. وجملة (إني لكم رسول أمين) تعليلية لأمره إيّاهم بالتقوى وفي (لكم) إشارة إلى أن رسالته إليهم عارضة وكانت بعد رسالته إلى أهل مدين، فلعلهم أنكروا أن يكون أرسل إليهم فلذا قال: (إني لكم رسول أمين) وفي آية الحجر قال تعالى (وإنهما لبإمام مبين) والتثنية في إنهما إشارة إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين، ولما جاء العذاب أخذ الكل لأن ذنبهم واحد وقرب المنازل والديار.

(٤) الظاهر من السياق ان ذنب أصحاب الأيكة وأهل مدين كان واحداً الشرك والتطفيف والبخس للناس فلذا أدمج خطابهم فصاروا فيه أمة واحدة.

(٥) الجبلّة: الخلقة وأريد بها المخلوقات ولذا قال: (الأولى) أي: وذوي الجبلة الأولى والمعنى خلقكم وخلق الأمم من قبلكم.

اتقوه بترك الشرك والمعاصي تنجوا من عذابه، وتظفروا برضاه وإنعامه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ الأمر بالتقوى فريضة كل داع إلى الله تعالى وسنة الدعاة والهداة إذ طاعة الله واجبة.

٢ـ لا يصح لداع إلى الله أن يطلب أجره ممن يدعوهم فإن ذلك ينفرهم.

٣ـ وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة التطفيف فيهما.

٤ـ حرمة بخس الناس حقوقهم ونقصها بأي حال من الأحوال.

٥ـ حرمة الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

شـرح الكلـمات:

إنما أنت من المسحرين: أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فلست بملك تطاع.

وإن نظنك لمن الكاذبين: أي وما نحسبك إلا واحداً من الكاذبين.

فأسقط علينا كسفاً: أي قطعاً من السماء تهلكنا بها إن كنت من الصادقين فيما تقول.

عذاب يوم الظلة: أي السحابة التي أظلتهم ثم التهبت عليهم ناراً.

إن في ذلك لآية: أي لعبرة وعلامة عبرة لمن يعتبر وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ.

معنى الآيـات:

ما زال السياق الكريم في قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة وأهل مدين إنه لما ذكرهم ووعظهم وأمرهم كان جوابهم ما أخبر به تعالى عنهم في قوله ﴿قالوا إنما أنت﴾ أي يا شعيب ﴿من المسحرين﴾ الذي غلب السحر على عقولهم فلا يدرون ما يفعلون وما لا يقولون[1] كما أنك بشر مثلنا تأكل الطعام وتشرب الشراب فما أنت بملك من الملائكة حتى نطيعك، ﴿وإن نظنك﴾[2] أي وما نظنك إلا من الكاذبين من الناس ﴿فأسقط علينا كسفاً﴾[3] أي قطعاً من السماء تهلكنا بها ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعوى أنك رسول من الله إلينا. فأجابهم قائلاً بما ذكر تعالى ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ ولازم ذلك أنه سيجازيكم بعملكم قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ في كل ما جاءهم به واستوجبوا لذلك العذاب ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة[4] إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ فقد أنزل الله تعالى عليهم حراً شديداً التهب منه الجوّ أو كاد فلجأواإلى المنازل والكهوف والسراديب تحت الأرض فلم تغن عنهم شيئاً، ثم ارتفعت في سماء بلادهم سحابة فذهب إليها بعضهم فوجدها روحاً وبرداً وطيباً فنادى الناس أن هلموا فجاءوا فلما اجتمعوا تحتها كلهم انقلبت ناراً فأحرقتهم ورجفت بهم الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم.

قال تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾[5] أي علامة لقومك يا محمد على قدرتنا وعلمنا ووجوب عبادتنا وتصديق رسولنا ولكن أكثرهم لا يؤمنون لما سبق في علمنا أنهم لا يؤمنون، وإن ربك يا محمد لهو العزيز أي الغالب علىٰ أمره الرحيم بمن تاب من عباده.

---

(١) في قولنا: كما أنك. . . الخ دمج للقولين اللذين قيلا في تفسير: (إنك لمن المسحرين) إذ كل منهما جائز، والقرآن حمّال الوجوه.

(٢) إطلاق الظنّ على اليقين شائع كقوله تعالى: (الذين يظنّون أنهم ملاقوا ربهم).

(٣) (كِسفاً) بكسر الكاف وسكون السين قراءة عامة القرّاء ما عدا حفصاً فقد قرأ (كِسَفاً) بتحريك السين جمع كسف بسكونها، والكسف: القطعة والجمع: كِسف.

(٤) (الظلة) السحابة التي تظلل من تحتها وهي سحابة عظيمة أظلت مساحة كبيرة لما فرّوا إليها أظلتهم ثم أرسلت عليهم الصواعق فأحرقتهم وكانت من جنس ما طلبوه وهو: الكسف من السماء.

(٥) أي: في ذلك المذكور من عذاب يوم الظلة آية لكفار قريش إذ حالهم كحال أصحاب الأيكة وأهل مدين في الشرك والتطفيف في الكيل والوزن.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ هذا آخر سبع قصص ذكرت بإيجاز تسلية للنبي ﷺ وتهديداً للمشركين المكذبين.

٢ـ دعوة الرسل واحدة وأسلوبهم يكاد يكون واحداً: الأمر بتقوى الله وطـاعـة رسوله.

٣ـ سنة تعلل الناس بأن الرسول لا ينبغي أن يكون بشراً فلذا هم لا يؤمنون.

٤ـ المطالبة بالآيات تكاد تكون سنة مطردة، وقل من يؤمن عليها.

٥ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث وهي ثمرة كل قصة تقص في هذا القرآن العظيم.

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

شـرح الكلـمات:

وإنه لتنزيل رب العالمين : أي القرآن الكريم تنزيل رب العالمين.

الروح الأميـن : جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى.

وإنه لفي زبر الأولين : أي كتب الأولين، واحد الزبر: زبرة وكصفحة وصحف.

أولم يكن لهم آية : أي علامة ودليلاً علم بني إسرائيل به.

على بعض الأعجمين : الأعجمي من لا يقدر على التكلم بالعربية.

كذلك سـلكناه : أي التكذيب في قلوب المجرمين من كفار مكة.

معنى الآيـات :

لقـد أنكر كفار مكة أن يكون القرآن وحياً أوحاه الله تعالى وبذلك أنكروا أن يكون محمـد رسول الله ، ومن هنا ردوا عليه كل ما جاءهم به من التوحيد وغيره ، فإيراد هذا القصص يتلوه محمد ﷺ وهو لا يقرأ ولا يكتب دال دلالة قطعية على أنه وحي إلهي أوحاه إلى محمـد ﷺ وهـو بذلـك رسـولـه . فقـولـه تعـالى ﴿وإنـه﴾ أي القرآن الـذي كذب به المشـركون ﴿تنـزيل رب العـالمين نزل به[1] الروح الأمين﴾ جبريل عليه السلام ﴿على[2] قلبك﴾ أي الرسول لأن القلب هو الذي يتلقى الوحي إذ هو محط الإدراك والوعي والحفظ ، وقوله ﴿لتكون من المنذرين﴾ هو علة لنزول القرآن عليه وبه كان من الرسل المنذرين . وقوله ﴿وإنـه لفي زبـر الأولين﴾ أي القـرآن مذكـور في الكتب الإلهية التي سبقته كالتوراة[3] والإنجيل . وقوله تعالى ﴿أو لم يكن لهم﴾ أي لكفار قريش ﴿آية﴾ أي علامة على أن القرآن وحي الله وكتابه وأن محمداً عبدالله ورسوله ﴿أن يعلمه علماء بنى إسرائيل﴾ أي علم بني إسرائيل به كعبد الله بن سلام فقد قال والله إني لأعلم أن محمداً رسول أكثر مما أعلم أن فلاناً ولدي ، لأن ولدي في الإمكان أن تكون أمه قد خانتني أما محمد فلا يمكن أن يكـون غير رسـول الله وفيهم قال تعالى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ ومن عرف محمداً رسولاً عرف القرآن وحياً إلهياً .

وقوله تعالى ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين[4]﴾ أي وبلسان عربي مبين فكان ذلك آية ، وقرأه عليهم الأعجمي ، ما كانوا به مؤمنين . أي من أجل الأنفة والحمية إذ يقولون أعجمي وعربي؟ وقوله تعالى : ﴿كذلك سلكناه﴾ أي التكذيب وعدم الإيمان ﴿في قلوب

---

(١) قرأ نافع وحفص وغيرهمـا (نزل) بالتخفيف ، و(الروح) مرفوع على الفاعلية وقرأ بعضٌ (نزّل) بالتضعيف و(الروح) منصوب على المفعولية والفاعل هو الله جل جلاله ، والباء في (به) للمصاحبة.

(٢) (على) : حرف استعلاء وكون القرآن نزل به جبريل على قلب الرسول ﷺ دال على تمكن وصول الوحي واستقراره في القلب . نحو: (على هُدى من ربهم) وقد روى البخاري في صفة الوحي فقال عن عائشة : إنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول) .

(٣) جاء في التوراة قال لي الرب (أي لموسى) أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . فالمراد من إخوة بني إسرائيل هم العرب . وفي الإنجيل : وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً (أي رسولاً) آخر ليمكث معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.

(٤) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لاعتذروا بأنهم لا يفهمون عنه ، والمراد من الأعجمي : هو من لا يحسن اللغة العربية وإن كان عربياً ، والعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية .

المجرمين﴾ أي كما سلكنا التكذيب في قلوب المجرمين لو قرأ القرآن عليهم أعجمي سلكناه أي التكذيب في قلوب المجرمين إن قرأه عليهم محمد ﷺ، والعلة في ذلك هي أن الإجرام على النفس بارتكاب عظائم الذنوب من شأنه أن يحول بين النفس وقبول الحق لما ران عليها من الذنوب وأحاط بها من الخطايا. وقوله ﴿لا يؤمنون به﴾ تأكيد لنفي الإيمان حتى يروا العذاب الأليم أي يستمر تكذيبهم بالقرآن والمنزل عليه حتى يروا العذاب الموجع، وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم ولا هم ينظرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير معتقد الوحي الإلهي والنبوة المحمدية.

٢- بيان أن جبريل هو الذي كان ينزل بالوحي القرآني على النبي محمد ﷺ.

٣- تقرير النبوة المحمدية وأن محمداً من المنذرين.

٤- بيان أن القرآن مذكور في الكتب[1] السابقة بشهادة علماء أهل الكتاب.

٥- إذا تراكمت آثار الذنوب والجرائم على النفس حجبتها عن التوبة ومنعتها من الإيمان.

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

(١) ومذكور من نزل عليه وهو محمد رسول الله ﷺ لإقامته له فيهم كما تقدم في المثلين المذكورين أحدهما من التوراة والثاني من الإنجيل.

شرح الكلمات :

هل نحن منظرون : أي ممهلون لنؤمن. والجواب قطعاً : لا لا . .

أفرأيت : أي أخبرني.

إن متعناهم سنين : أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون.

ما كانوا يوعدون : أي من العذاب.

ما أغنى عنهم : أي أي شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه.

إلا لها منذرون : أي رسل ينذرون أهلها عاقبة الكفر والشرك.

ذكرى : أي عظة.

وما تنزلت به الشياطين : أي لا يتأتى لهم ولا يصلح لهم أن يتنزلوا به.

وما يستطيعون : أي لا يقدرون.

إنهم عن السمع : أي لكلام الملائكة لمعزولون.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير النبوة المحمدية واثبات الوحي. لقد جاء في السياق أن المجرمين لا يؤمنون بهذا القرآن حتى يروا العذاب الأليم. فيأتيهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون أي لا يعلمون به حتى يفاجئهم. فيقولون حينئذ: ﴿هل نحن منظرون﴾ أي يتمنون[1] أن لو يمهلوا حتى يؤمنوا ويصلحوا ما أفسدوا.

وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ عندما قالوا للرسول ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كسفاً من السماء﴾ أي قطعاً، أحُمق هم أم مجانين يستعجلون عذاب الله الذي إن جاءهم كان فيه حتفهم أجمعين؟ ثم قال لرسوله: ﴿أفرأيت﴾ يا رسولنا ﴿ إن متعناهم سنين﴾ بأن أطلنا أعمارهم ووسعنا في أرزاقهم فعاشوا سنين عديدة ثم جاءهم عذابنا أي

---

(١) ذكر القرطبي أن عمر بن عبدالعزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: (أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون) ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت في النوم بناج فسالم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سرّ باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

أخبرني هل يغني ذلك التمتع غنهم شيئاً؟ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي لم يُغْنِ عنهم شيئاً لابدفع العذاب ولا بتأخيره ولا بتخفيفه.

وقوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية﴾[1] كتلك القرى التي مر ذكرها في هذه السورة ﴿إلا لها منذرون﴾ أي كان لها رسل ينذرون أهلها عقاب الله إن أصروا على الشرك والكفر والشر والفساد. وقوله ﴿وذكرى﴾[2] أي عظة لعلهم يتعظون. وقوله ﴿وما كنا ظالمين﴾ في إهلاك من أهلكنا بعد أن أنذرنا.

ونزل رداً على المشركين المجرمين الذين قالوا إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد كما يأتون للكهان بأخبار السماء. ﴿وما تنزلت[3] به الشياطين﴾ كما يزعم المكذبون ﴿وما ينبغي لهم﴾ أي للشياطين أي لا يصلح لهم ولا يتأتي منهم ذلك لأنهم معزولون عن السمع، أي سماع كلام الملائكة إذ أرصد الله تعالى شهباً حالت بينهم وبين السماع من السماء.. فلذا دعوى المشركين باطلة من أساسها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن المجرمين إذا شاهدوا العذاب تمنوا التوبة ولا يمكنون منها.

٢ـ بيان أن استعجال عذاب الله حمق ونزغ في الرأي وفساد في العقل.

٣ـ بيان أن طول العمر وسعة الرزق لايغنيان عن صاحبها شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.

٤ـ بيان سنة الله تعالى في أنه لا يهلك أمة إلا بعد الإنذار والبيان.

٥ـ إبطال مزاعم المشركين في أن القرآن من جنس مايقوله الكهان، وأن الشياطين تتنزل به.

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي

---

(١) (من قرية) من: صلة أي زائدة لتقوية الكلام وتأكيده لأن زيادة المبنى تزيد في المعنى كذا يقال.

(٢) ذكرى: يصح إعرابها حالاً ومصدراً وخبراً.

(٣) قرأ محمد بن السميقع: وما تنزلت به الشياطون وردّ عليه ولم يقبل منه ولعلهُ نظر إلى أنّ الشيطان مشتق من شاط يشيط، والصواب أنه من شطن لا من شاط.

بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

شرح الكلمات :

فلا تدع مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر، لأن الدعاء هو العبادة.

وأنذر عشيرتك الأقربين : وهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب.

واخفض جناحك : أي ألن جانبك.

فإن عصوك : أي أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه.

فقل إني بريء مما تعملون : أي من عبادة غير الله سبحانه وتعالى.

الذي يراك حين تقوم : أي إلى الصلاة فتصلي متهجداً بالليل وحدك.

وتقلبك في الساجدين : أي ويرى تقلبك مع المصلين راكعاً ساجداً قائماً.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقوله تعالى ﴿فلا تدع مع[1] الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ فيه إيحاء وإشارة واضحة بأنه تعريض بالمشركين الذين يدعون آلهة أصناماً وهي دعوة توقظهم من نومتهم إنه إذا كان رسول الله ينهى عن عبادة غير الله وإلا يعذب مع المعذبين فغيره من باب أولى فكأن الكلام جرى على حد إياك أعني واسمعي يا جارة! ! وقوله تعالى ﴿وأنذر[2] عشيرتك الأقربين﴾ أمر من الله لرسوله أن يخص أولاً بإنذاره قرابته لأنهم أولى بطلب النجاة لهم من العذاب، وقد امتثل الرسول أمر ربه فقد ورد في الصحاح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ لما أنزل عليه ﴿وأنذر[3]

---

(١) إن الخطاب وإن كان في السياق ما يدل على أنه موجه إلى النبي ﷺ فإنه صالح لكل من يسمعه.

(٢) الجملة معطوفة على التي قبلها وهي: (فلا تدع مع الله إلهاً آخر) إذ نهاه عن الشرك وأمره أن يُنذر أقرباءه منه لأنه لا فلاح معه.

(٣) في هذه الآية دليل على أن القرب في الأنساب مع البعد في الأسباب ودليل على جواز صلة المؤمن الكافر لإرشاده ونصحه. وقال ﷺ (إن لكم رحماً سأبلّها ببلالها).

عشيرتك الأقربين﴾ قال «يا معشر[1] قريش اشتروا أنفسكم من الله (يعني بالإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي) فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله أي من عذابه شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

وقوله تعالى ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أمره أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يعطف عليهم ويُطايبهم ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويسلموا من غائلة الردة فيما لو عوملوا بالقسوة والشدة وهم في بداية الطريق الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿فإن عصوك﴾ أي من أمرت بدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وخلع الأنداد والتخلي عن عبادتها ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ أي من عبادة غير الله تعالى وغير راضٍ بذلك منكم ولا موافق عليه لأنه شرك حرام وباطل مذموم. وقوله تعالى ﴿وتوكل على[2] العزيز﴾ أي الغالب القاهر الذي لا يمانع في شيء يريده الرحيم بالمؤمنين من عباده، والأمر بالتوكل هنا ضروري لأنه أمره بالبراءة من الشرك والمشركين وهي حال تقتضي عداوته والكيد له بل ومحاربته ومن هنا وجب التوكل[3] على الله والاعتماد عليه، وإلا فلا طاقة له بحرب قوم وهو فرد واحد وقوله ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي في صلاتك وحدك ﴿وتقلبك في الساجدين[4]﴾ أي ويرى تقلبك قائماً وراكعاً وساجداً مع المصلين من المؤمنين، بمعنى أنه معك يسمع ويرى فتوكل عليه ولا تخف غيره وامض في دعوتك ومفاصلتك للمشركين. وقوله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تقرير لتلك المعية الخاصة إذ السميع لكل صوت والعليم بكل حركة وسكون يحق للعبد التوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد، وحرمة دعاء غير الله تعالى من سائر مخلوقاته لأنه الشرك الحرام.

---

(١) رواه مسلم وغيره بألفاظ فيها بعض الاختلاف.

(٢) قرأ نافع (فتوكل) بالفاء وقرأ غيره بالواو، وكلا الحرفين عاطف فالفاء عاطفة على قوله: (فقل إني بريء مما تعملون) وهي للتفريع أيضاً والواو عاطفة على جواب الشرط وهو (إني بريء مما تعملون).

(٣) التوكل: تفويض المرء أمره إلى من يكفيه مهمه وما دام لا كافي إلا الله وجب إذاً التوكل عليه عز وجل.

(٤) في الآية دليل على مشروعية صلاة الجماعة وتأكدها واضح.

٢ـ من مات يدعو غير الله فهو معذب لا محالة مع المعذبين.
٣ـ تقرير قاعدة البدء بالأقارب في كل شيء لأنهم ألصق بقريبهم من غيرهم.
٤ـ مشروعية لين الجانب والتواضع للمؤمنين لاسيما الحديثو عهد بالإسلام.
٥ـ وجوب البراءة من الشرك وأهله.
٦ـ وجوب التوكل على الله والقيام بما أوجبه الله تعالى.
٧ـ فضل قيام الليل وصلاة الجماعة لما يحصل للمبدمن معية الله تعالى.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

شرح الكلمات :

أنبئكم	: أي أخبركم.
أفاك أثيم	: أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكاً أثيم غارق في الآثام.
يلقون السمع	: أي يلقون أسماعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين فيتلقون منهم مما أكثره كذب وباطل.
الغاوون	: جمع غاوٍ: الضال عن الهدى الفاسد القلب والنية.
في كل واد	: أي من أودية الكلام وفنونه.
يهيمون	: أي يمضون في كل شعب وواد من الكلام مدحاً أو ذما كان صدقاً أو كذباً.
يقولون مالا يفعلون	: أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا.
وانتصروا من بعدما ظلموا	: أي قالوا الشعر انتصاراً للحق بأن ردوا على من هجا المسلمين.

أي منقلب ينقلبون : أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم.

معنى الآيات :

لما ادعى المبطلون من مشركي قريش أن الرسول ﷺ يتلقى من الشياطين كما تتلقى الكهان منهم رد تعالى عليهم بقوله ﴿هل أنبئكم[1] على من تنزل الشياطين؟﴾ وأجاب عن السؤال قائلاً ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب يقلب الكذب قلباً فيقول في الظالم عادل، وفي الخبيث طيب، وفي الفاسد صالح، ﴿أثيم﴾ أي كثير الآثام إذ لم يترك جريمة إلا يقارفها ولا سيئة إلا يجترحها حتي يغرقَ في الإثم فهذا الذي تتحد معه الشياطين وتلقي إليه بما تسمعه من السماء لكونه مثلها في ظلمة النفس وخبث الروح، وأما محمد ﷺ فهو أبعد الناس عن الكذب والإثم فلم يجرب عليه كذب قط ولم يعرف منه ذنب أبداً فكيف تتحد معه الشياطين وتخبره وتلقي إليه بخبر السماء؟ وبهذا بطلت التهمة وقوله ﴿يلقون[2] السمع وأكثرهم[3] كاذبون﴾ أي إن الشياطين قبل أن يحال بينهم وبين استراق السمع بإرصاد الشهب لهم. كانوا يلقون أسماعهم للحصول على الخبر وأكثرهم كاذبون حيث يخلطون مع الكلمة التي سمعوها مائة كلمة كلها كذب منهم ويلقون ذلك الكذب إلى إخوانهم في الكفر والخبث من كهنة الناس.

وقوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ أي أهل الغواية والضلال هم الذين يتبعون الشعراء فيروون لهم وينقلون عنهم، ويصدقونهم فيما يقولون. والدليل على ذلك ﴿أنهم﴾ أي الشعراء ﴿في كل واد﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يهيمون﴾ على وجوههم

---

(١) هذا الاستفهام صوري واختير له هل لإفادتها التحقيق كقد وهو يحمل التعريض بأنّ المستفهم عنه مما يسوءهم فلذا استفهموا في هذا السؤال (هل أنبئكم)؟

(٢) وجائز أن يكون من يلقون السمع · الكهان، إذ هم يلقون أسماعهم عند مشاهدة كواكب لتنزل عليهم شياطينهم بالخبر وذلك من إفكهم، وعليه فجملة: (يلقون السمع) صفة (لكل أفاك أثيم) وما في التفسير عليه الكثيرون وكلا المعنيين وارد وصحيح.

(٣) أي · أكثر هؤلاء الأفاكين كاذبون فيما يزعمون أنهم تلقوه من الشياطين فبعضهم لا يتلقى شيئا وإنما يدعي ذلك، والبعض يتلقى قليلا فيزيد عليه أضعافه، وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن الكهان فقال: (ليسوا بشيء قيل: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً فقال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه قر الدجاجة فيخلطون عليها أكثر من مائة كذبة).

ماضين في قولهم فيمدحون ويذمون، يهجون، ويفخرون، ويدعون أنهم فعلوا كذا وكذا وما فعلوا فهل محمد ﷺ الذي اتهمتموه بأنه شاعر وما يقوله من جنس الشعر أتباعه[1] غاوون انظروا إليهم واسألوا عنهم فإنهم أهدي الناس وأبرهم فعلاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم عن الريبة، فلو كان محمد شاعراً لكان أتباعه الغاوين فبذا بطلت الدعوى من أساسها.

وقوله ﴿إلا الذين[2] آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا﴾ إنه لما ذم الشعراء، استثنى منهم أمثال: عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت ممن آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا يردون هجاء المشركين لرسول الله ﷺ وينافحون عن الإسلام وأهله بشعرهم الصادق النقي الطاهر الوفي.

وقوله تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ رسول الله باتهامه بالكهانة مرة وبالشعر مرة أخرى وظلموا الوحي الإلهي بوصفه بما هو بعيد عنه من الكهانة والشعر ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي أي مرجع يرجعون إليه، إنه النار وبئس القرار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ إبطال فرية المشركين من أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان.

٢ـ إبطال أن الرسول ﷺ كاهن وشاعر.

٣ـ بيان أن الشياطين تتحد مع ذوي الأرواح الخبيثة بالإفك والآثام.

٤ـ بيان أن الشعراء المبطلين أتباعهم في كل زمان ومكان الغاوون الضالون.

٥ـ جواز نظم الشعر وقوله في تقرير علم أو تسجيل[3] حكمة، أو انتصار[4] للإسلام والمسلمين بالرد على من يهجو الإسلام والمسلمين.

٦ـ التحذير من عاقبة الظلم فإنها وخيمة.

---

(١) من كان أتباعه غاوين لا يكون هو إلاَّ غاوياً بل أشد غواية.

(٢) في الآية دليل على جواز دراية الشعر الحسن فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال يوماً لعمر بن الشريد: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟، قال: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت.

(٣) روى عن ابن سيرين أنه أنشد شعراً فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبابكر؟ فقال: ويلك يالكع: وهل الشعر إلاَّ كلاماً لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي محسنه حسن وقبيحه قبيح.

(٤) من شعر نصرة الحق قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه والرسول ﷺ يمشي بين يديه وذلك يوم الفتح:

خلوبني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم عن تنزيله
ضرباًيزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ومنه قول حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لاعيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

فهرس المجلد الثالث

دار السلام
طباعة
نشر
توزيع

١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت: ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578

